

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي



جامعة غرداية

كلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية

قسم العلوم الإنسانية

شعبة التاريخ

الإهتمام الفرنسي بالتجارة
في الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية
ما بين 1850-1945 م

مذكرة مكملة لمتطلبات نيل شهادة الماجستير في التاريخ

التخصص: التاريخ الحديث و المعاصر

أعضاء اللجنة المناقشة:

الرقم	الاسم و اللقب	الرتبة العلمية	الجامعة الأصلية	الصفة
01	د. صالح بوسليم	أستاذ محاضر أ	جامعة غرداية	رئيسا
02	أ.د فلة موساوي-القشاعي	أ. التعليم العالي	جامعة الجزائر 02	مشرفا و مقررا
05	أ.د محمد حوتية	أ. التعليم العالي	جامعة أدرار	عضوا مناقشا
04	د. إبراهيم سعيود	أستاذ محاضر أ	جامعة الجزائر 02	عضوا مناقشا
03	د. محمد الزين	أستاذ محاضر أ	جامعة سيدي بلعباس	عضوا مناقشا

إشراف الدكتورة:

فلة موساوي القشاعي

من إعداد الطالبة:

سميرة دعاشي

السنة الجامعية:

2014-2015 م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَأُ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾
أَقْرَأُ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا
لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾

شكر خالص

من لا يشكر الناس
لا يشكر الله...

عرفانا بجهودها المتواصلة في ميدان البحث التاريخي
أتقدم بخالص شكري و امتناني لأستاذتي؛
الدكتورة فلة موساوي-القشاعي؛ التي أشرفتم علي الموضوع
بتميزها المتواضع و أخلاقها الرفيعة؛
تمنحني الثقة بنفسي لانجاز هذا الموضوع،
بروح علمية عالية و بأستاذية رفيعة،

سيدي الرئيس؛

علي مخلوش رئيس بلدية تيزي نبشار السابق- ولاية سطيف،
يشرفني أن أتقدم لكم بخالص الشكر و الامتنان علي جميل
صنيعكم بي، لأن ما وصلت إليه اليوم كان بعون الله أولا و بعونكم
ثانيا.

لقد سملت علي مشقة الدراسة و تحمّلت أخطائي و غيابي عن
العمل في سبيل العلم ، لكن و الحمد لله؛ لم أخذلكم سيدي الرئيس،
فشرفه نجاحي من كرم عطاءكم.

فلكم مني كل الفضل...

تحياتي ...

الإهداء

أتوجه بالشكر الجزيل لله سبحانه و تعالى

الذي منّ عليّ بفضلِهِ؛

و هداني إلى أقوم السبل " طلب العلم".

إلى فضاء العنان و العطاء الذي لا ينضب ...

والذي الكريمين حفصهما الله؛

الذين سمعا لي بالسفر من المضارب العليا إلى الصحراء

لأكتب صفحات عن قارتي السماء.

إلى أستاذ اللغة العربية ؛

بلجان حمو الذي قام بتدقيق لغة المذكرة.

إلى عائلتي الكريمة ...

إلى الذين صنعوا هذا التاريخ

بدمائهم و أقلامهم

إلى كل من يعرفني

إلى وطني الغالي...

الجزائر

أهدي ...



قائمة مختصرات بالعربية

تق: تقديم.

تح: تحقيق

تر: ترجمة

د.ت: دون تاريخ

د.د.ن: دون دار النشر

د.م.ن: دون مكان النشر

ط: الطبعة

ج: الجزء

مر: مراجعة

قائمة مختصرات بالفرنسية

Imp : Imprimerie

R.A : Revue Africaine

R.A.C : Revue Algérienne et
Coloniale

S .D : Sans date

S.E: Sans edition

S.L.E : Sans Lieu d'Édition

S.M.E : Sans Maison d'Édition

T : Tome

Ver : Version

Vol : Volume

هفتاد و نه



مقدمة:

- التعريف بالموضوع و أهميته التاريخية:

إن موضوع الاهتمام الأوروبي بالقارة الإفريقية عامة و الصحراء الكبرى خاصة، سببه التجارة الرائدة على ضفتيها، الأمر الذي شجع الأوروبيين على إرسال رحلات إلى إفريقيا لاكتشاف مجاهلها، بغية السيطرة على هذه التجارة.

و تعتبر فرنسا هي الأخرى واحدة من هذه الدول التي اهتمت بالتجارة الإفريقية منذ عهد لويس الرابع عشر خلال القرن السابع عشر، هذا المشروع الذي تأجل إلى أعقاب هزيمتها أمام الألمان في القرن التاسع عشر، حيث قرر الفرنسيون الدخول إلى مسرح المنافسة و المشاركة في عملية الكشف و الاستغلال. بانتشار الثورة الصناعية أدى إلى إقبال متزايد على المواد الأولية و الأسواق الخارجية لتسويق فائض الإنتاج، فتحولت نظرة الأوروبيين إلى إفريقيا من خزان للعبيد إلى خزان للمنتجات المدارية و الصحراوية و مستودعات لتوزيع بضائعها المصنعة.

يعتبر تاريخ احتلال فرنسا للجزائر؛ بمثابة البداية الحقيقية لتنفيذ سياستها التجارية، فكانت الصحراء الجزائرية بمثابة حجز الزاوية للتحكم في منافذها التجارية الأفقية و العمودية في شمال غربي إفريقيا. لتنفيذ مخططها هذا؛ استغلت كل الوسائل من أجل التعرف على منتجاتها، أسواقها و طرقها التجارية، تمهيدا للتجارة الفرنسية عبر الصحراء الجزائرية من البحر الأبيض المتوسط إلى إفريقيا الغربية.

- دوافع اختيار الموضوع:

نظرا لأهمية هذه الدراسة و أبعادها المستقبلية على إفريقيا عامة و الصحراء الجزائرية خاصة، من اهتماماتنا العلمية أن نبحت في هذا التاريخ الفتي، لأن الأفلام الجزائرية لازالت محتشمة و قليلة جدا أمام الإرث الضخم للكتابات الغربية و المغربية حول الدراسات الإفريقية، الأمر الذي دفعني لطرق أبواب هذا الموضوع و البحث في حيثياته، خاصة و أنني لم أعتز على دراسة أكاديمية أفردت هذا الموضوع، دراسة مستقلة و واضحة المعالم، بعيدا عن التناول الشمولي للأحداث في الفترة الاستعمارية.

حيث تتناول هذه الدراسة: الاهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية ما بين 1850-1945م ، و عليه فمجال الدراسة هي منطقة القارة الإفريقية " شمال غربي إفريقيا" و تحديدا الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية، فقد غطى البحث فترة تاريخية مهمة في تاريخ الجزائر و إفريقيا الغربية؛ فسنة 1850م، هي بداية التغلغل الفرنسي بالإقليمين و التحكم في تجارتها إلى غاية سنة



1945م و هي مواكبة لنهاية الحرب العالمية الثانية، أين تشهد المنطقتان وقائع تاريخية و تحولات في مجال الاقتصاد الاستعماري الفرنسي.

- الإشكالية الرئيسية المطروحة:

تتمثل إشكالية هذا البحث في طبيعة الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية، من خلال تدافع وسائلها المختلفة للربط بينهما تجاريا ما بين 1850-1945م.

- الإشكاليات الفرعية:

للإجابة على الإشكالية الرئيسية نطرح التساؤلات التالية:

1. كيف تميزت العلاقات التجارية بين الإقليمين قبيل الاحتلال؟.
2. في ظل تحول التجارة التقليدية بإفريقيا الغربية مع بدايات القرن التاسع عشر، هل تحولت معها المبادلات عبر الصحراء خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر؟.
3. ما هي الدوافع الحقيقية للاهتمام الفرنسي بالإقليمين؟.
4. ما هي حسابات الدول الأوروبية وراء إلغاء تجارة الرقيق و استبداله بالتجارة المشروعة؟ هل دفعها إنساني كما تزعم، أم أن انتشار الثورة الصناعية فرض عليها تحويل إفريقيا من تجارة البشر إلى منتجات الإقليم المداري و الصحراوي و مستودعات لتوزيع بضائعها المصنعة؟.
5. هل إنتاج المحاصيل النقدية كان مقتصرًا على إفريقيا الغربية أم شمل الصحراء الجزائرية؟ و هل هذه المنتجات هي أساس الاهتمام الفرنسي بالإقليمين؟.
6. كيف نفسر تدافع الوسائل الفرنسية لعبور الصحراء الجزائرية؟ .
7. كيف ساهمت الرحلات الأوروبية و الجزائرية للكشف عن المجال الجغرافي و التجاري لفرنسا؟ و لماذا أقحمت فرنسا بعض الجزائريين في مهمة اختراق الصحراء؟ و إلى أي حد نجح البعد الثقافي و العسكري في إسقاط الطوارق و احتلال الإقليمين؟.
8. في غياب ربط الضفتين بخطوط السكك الحديدية و البحر الداخلي، هل تقاعست فرنسا عن حلمها التجاري عبر الصحراء؟ و ما هي الديناميكية الفرنسية في هذا المجال؟.



9. بعد السيطرة الفرنسية على منتجات، أسواق و طرق القوافل التجارية القديمة، هل أُسدل الستار على التجارة الإفريقية أمام الغزو التجاري الفرنسي، أم تفاعل الأفارقة مع الوضع الجديد؟ و كيف نفسر السياسة التجارية الفرنسية حيال مستعمراتها (الجزائر و إفريقيا الغربية الفرنسية)؟.

10. لماذا جل الكتابات الغربية تشير بأصابع الاتهام إلى تراجع التجارة الصحراوية بفعل إلغاء الرقيق؟ لماذا لم يُشيروا إلى تجارة الذهب التي اختفت حقيقة عبر الصحراء، لمجرد وصولهم إلى إفريقيا الغربية؟ أليست تجارة الذهب و الملح هما أساس التبادل التجاري بين المغاربة و إفريقيا جنوب الصحراء منذ آلاف السنين؟.

11. ما الغرض من الغزو الأوروبي للصحراء؟ ألم يكن أساسه في البداية تحويل هذه التجارة لصالحهم بدل المغاربة قبل انتشار الثورة الصناعية؟.

12. ما هي النتائج المترتبة عن فرض الأنظمة السياسية و التجارية الجديدة على المنطقتين؟ كيف ساهمت هذه السياسة في تراجع التجارة التقليدية؟.

13. ما هي النتائج المترتبة عن أحداث الحربين العالميتين؟ و كيف ساهمت في تطوع هذه الشعوب إلى الاستقلال و في تحويل الاهتمام الفرنسي من عامل التجارة في المنتجات المدارية و الصحراوية إلى عامل البحث عن موارد التعدين و النفط الصحراء الجزائرية و تنمية الاقتصاد المفتوح في إفريقيا الغربية الفرنسية؟.

إن أهمية هذه الدراسة تتمثل في محاولة الإجابة على هذه التساؤلات، التي أريد أن أصل من خلالها إلى مقاربات تبين الخطوات التي اتبعتها فرنسا حيال مستعمراتها هذه؛ من أجل استغلال و امتصاص خيارات البلاد على حساب سكانها الأصليين، هذه السياسة التي تكشف لنا أبعادها في الوقت الراهن.

- الدراسات السابقة للموضوع:

هناك إشارات متفرقة حول الموضوع وردت في العديد من الدراسات و الأبحاث السابقة أهمها: كتاب **تاريخ الجزائر الثقافي، ج7**، لمؤلفه أبي القاسم سعد الله، حيث تطرق فيه إلى رحلات الجزائريين وكيف كانوا عوناً للإدارة الفرنسية في معرفة المسالك و الأنشطة التجارية بالصحراء الإفريقية و إفريقيا الغربية، كما تطرق محمد الصالح حوتية في كتابه **توات و الأزواد خلال القرنين الثاني عشر و الثالث عشر هجري من خلال الوثائق المحلية** إلى التبادل التجاري خلال القرن التاسع عشر بين المنطقتين و مواجهة المخطط الاستعماري لإخضاع هذه المناطق.

إضافة إلى مجموعة مقالات أهمها المقال الذي نشره إبراهيم مياسي في كتاب طريق القوافل بعنوان: "الاهتمام الفرنسي بالصحراء"، هذا المقال يعتبر اللبنة الأولى للموضوع الذي أتناوله، و كتابات يحي بوعزيز حول الموضوع منها: "البحر الداخلي بوابة السيطرة على جنوب إفريقيا" في مجلة المؤرخ، حيث تحدث عن مشروع البحر الداخلي المزمع إنجازه من طرف فرنسا للربط بين البحر الأبيض المتوسط و الصحراء، كذلك كتب عن الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية من خلال الرحلات بعنوان: "اهتمامات الفرنسيين بجنوب الجزائر و الصحراء من خلال ما كتبه و مدى استفادتهم من طرق القوافل في غزوها".

- محتوى الموضوع:

حتى استوفي الموضوع حقه؛ قمت بهيكلته إلى أربعة فصول و مدخل؛ تضمن المدخل التعريف بجغرافية الإقليمين، لأن ذلك ضروري لمعرفة المجال الذي أتناول فيه دراستي.

أما الفصل الأول؛ فقد كان بمثابة فصل تمهيدي للدراسة، حيث تناولت فيه العلاقات التجارية بين الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية قبل التوغل الفرنسي ما بين 1800-1850م، إذ تحدثت عن قوافلهم و علاقاتهم الداخلية و الخارجية، مركزة على العلاقات التجارية فيما بينهما عبر الصحراء و أهم المبادلات التجارية، أسواقها و مراكزها خلال الفترة، كما خصصت الجزء الأخير من الفصل للحديث عن الدوافع الحقيقية للاهتمام الفرنسي بالإقليمين خلال فترة الدراسة لتنبية القارئ إلى الإرهاصات الأولى لهذه التحولات في مجال الإنتاج و التجارة بهذه المناطق.

أما الفصل الثاني، فقد خصصته للحديث عن مظاهر الاهتمام الفرنسي بالتجارة في المجالين، من خلال الرحلات التي عنت موضوع الدراسة، خروجاً عن المألوف قمت بإدراج نماذج فقط، فمن جهة لكي أستطيع دراستها و إبراز دوافعها و أهميتها في شقها التجاري و الجغرافي، و من جهة أخرى من أجل الكشف عن بعض الرحلات التي لم يتم تناولها خاصة الجزائرية منها، كما كان للبعد الثقافي و العسكري دور في اختراق الصحراء، حيث استغلت فرنسا بعض القيادات و شيوخ الطرق الصوفية و المبشرين لاحتواء الصحراء، خاصة أمام الطوارق الذين كانوا هاجس فرنسا آنذاك، علاوة عن المجال العسكري الذي لا نقاش فيه، مع العلم أنني ركزت كثيراً على المجال الصحراوي لكونه العقبة الكبيرة التي صادفت الفرنسيين لعبوره.

أما الفصل الثالث، فقد تتبعته فيه الإنجازات الفرنسية بعد الكم الهائل من البعثات الكشفية و العلمية إلى تلك المناطق و ما قدمته الدراسات العلمية بشأن الفوائد التجارية التي ستجنيها فرنسا من خلال إنجازها لبعض المشاريع عبر الصحراء، فتحدثت عن الطرق البرية و النهرية التي رسمتها فرنسا



و معوقات استكمال بعضها مثل الخط الحديدي الرابط بين صفتي الصحراء و مشروع البحر الداخلي، كما تحدثت عن طبيعة الأنشطة التجارية الفرنسية بالإقليمين و كيف تحدثت فرنسا عقبات الصحراء في سبيل تحقيق حلمها التجاري عبر الصحراء، أين مزجت بين التجارة البرية و البحرية و الجوية.

أما الفصل الأخير، فكان على شكل استنتاجات لمؤثرات السياسة الفرنسية على العلاقات التجارية بين صفتي الصحراء، فحاولت الوقوف على كل المسائل التي تعرضت لدراستها في الموضوع و ناقشت تحولاتها و آثارها على هذه المناطق، كما خصصت الجزء الأخير من الفصل للحديث عن تحولات الاهتمام الفرنسي بالإقليمين بعد سنة 1945م، هذا الجزء الذي يفتح لنا إشكالية جديدة للدراسة.

- المنهج العلمي المعتمد:

دراسة هذا الموضوع اعتمدت **المنهج التاريخي التحليلي النقدي**، الذي يعتمد على رصد و تتبع الأحداث التاريخية ثم تحليلها و نقدها موضوعيا، قصد الوصول إلى الحقائق التاريخية.

كما أن طبيعة الموضوع المتناول فرض عليّ اعتماد **المنهج الإحصائي** حيث أدرجت العديد من الجداول التي تضمنت كميات الإنتاج، الأسعار، الواردات و الصادرات لهذه المناطق مع تحليل البعض منها لهدف الوصول إلى بعض النتائج خلال الفترة المدروسة، كما اعتمدت **المنهج المقارن** لمقارنة السياسة الفرنسية في التجارة المتبعة بالإقليمين و النتائج المترتبة على ذلك.

- قراءة تحليلية في بعض المصادر و المراجع:

كمحاولة للإجابة عن الإشكالية المطروحة، اعتمدت على عدة مصادر و مراجع عربية و أجنبية أهمها:

- كتاب **تجارة الذهب و سكان المغرب الكبير**، لمؤلفه بوفيل: في غياب المصادر العربية للفترة المدروسة، أعتبر هذا المصدر مهما لهذه الفترة، حيث تحدثت عن التجارة الصحراوية في فترة ما قبل الاستعمار و خلاله و أهميته تكمن في إشارته إلى أسباب تراجع التجارة الصحراوية.

- كتاب **التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية** لـ أ. ج. هوبكنز: هذا المرجع كان ضالتي في جل بحثي خاصة فيما يتعلق بإفريقيا الغربية، حيث غطى جميع الفترات المدروسة و قبلها.



- كتاب مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية لمؤلفه يحي بوعزيز: هذا الكتاب الذي جمع العديد من المقالات التي تخص الدراسة حيث ساعدني كثيرا في عنصري دوافع اهتمام فرنسا بالطوارق و مشروع البحر الداخلي.

- كتاب الصحراء الكبرى و شواطئها لمؤلفه إسماعيل العربي: الذي أفادني كثيرا في البحث في جميع مراحلها حيث تحدث عن القبائل الصحراوية و تجارتها كما تطرق في الفترة الاستعمارية إلى الاسترقاق و الاستعمار.

- كتاب تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م) ج7، لمؤلفه أبو القاسم سعد الله: فضل هذا الكتاب يتمثل في تطرقه إلى الرحلات الجزائرية فبحثت عن مصادرها و استفدت من توظيفها في دراستي، كما أن هذا البحث كشف لي عن حقيقة هوية الرحالة مصطفى بونمان الذي اعتبره سعد الله جزائري لكنه في الحقيقة فرنسي و اسمه الحقيقي هو بونمان فرانسوا لويس.

- مقال بعنوان: « **Évolution récente de l'économie Algérienne** » لمؤلفه روبرت تثنوان (Robert Tinthoin)، هذا المقال كشف لي عن الطرق الجديدة للتجارة الصحراوية و إفريقيا الغربية مع المبادلات التجارية الفرنسية بين البحر المتوسط و ضفتي الصحراء و المحيط الأطلسي .

إضافة إلى مجموع الرحلات التي تم توظيفها في الدراسة أهمها:

- BONNEMAIN, « **Voyage à R'adamès** ».
- DERRÉCAGAIX. V, **Exploration du Sahara , les deux missions du lieutenant-colonel Flatters.**
- L'abbé Barges, **Le Sahara et le Soudan, documents historique et géographiques.**
- BOUDERBA. I, « **Voyage à R'at** ».

مع العلم أن هناك العديد من الكتابات التاريخية حول الموضوع و المجال لا يسعني لذكرها رغم

أهميتها.



- الصعوبات:

لا أكنتم مشقة هذا البحث، الذي أخذ مني وقتاً طويلاً حتى اتضحت لي معالمه، كما لا أكنتم ترددي لتناوله لضيق الوقت، أمام صعوبته و تشعبه مع الكم الهائل من الكتابات الغربية التي تحتاج إلى الترجمة و المقارنة، مما دفعني إلى الاستعانة بمترجم لترجمة رحلة فلاترز و رحلة إسماعيل بوضربة.

كما لا أزعم أنني استوفيت الموضوع حقه في جميع جوانبه، حقيقة هذه الدراسة تحتاج إلى الكثير من البحث للإلمام بها، حيث أجدني أصمت في كثير من المواقع لغياب الوثائق التاريخية، لكن حسبي أنني بذلت جهداً متواضعاً، عسى أن تشكل هذه المساهمة المتواضعة منطلقاً لدراسات مستقبلية تصحح هذه المقاربة و تعيد النظر حول بعض نتائجها.

سميرة دعاشي

عموشة/ سطيّف

06 أفريل 2015م

مدخل



يمتد الإطار الجغرافي للصحراء (*) الجزائرية ضمن الصحراء الكبرى الإفريقية؛ التي تمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى البحر الأحمر شرقا و من جبال الأطلسي شمالا⁽¹⁾ إلى بلدان الساحل (***) جنوبا، يشترك فيها من الجهة الشمالية كل من المغرب الأقصى، الجزائر، تونس، ليبيا و مصر و من الناحية الجنوبية الغربية كل من الصحراء الغربية و موريتانيا ، مالي، النيجر، التشاد و السودان من الناحية الجنوبية⁽²⁾.

تحديدا تقع الصحراء الجزائرية ضمن الصحراء الوسطى؛ تقريبا ما بين خطي طول 10° شرقا و 5° غربا و بين دائرتي عرض 33° و 17° شمالا، إذ تمتد من السفوح الجنوبية لجبال الأطلس الصحراوي إلى غاية جنوب أدرار إيفوغاس بمالي و جنوب مرتفعات الآير بالنيجر⁽³⁾.

(*) **الصحراء**: قال عنها الجوهري؛ و جمع الصحاري الصحروات و صحارى و هي مؤنث الصفة و يقال أصحر أي الذي يضرب لونه من الحمرة إلى الغبرة و الصحراء الكبرى و هي كلمة عربية تعني الأرض الجرداء، إذ مثّلت للعرب الأرض الواسعة المسطحة القاحلة من كل نبات و قد تم تعريف الصحراء في معجم لسان العرب لابن منظور على أنها؛ تلك المستوية في لين و غلظ دون القُف و قيل إنها الفضاء الواسع الذي لا نبات فيه، و عرفها آخر بأنها؛ الصحراء من الأرض مثل ظهر الدابة الأجرد، ليس بها شجر و لا آكام و لا جبال ملساء، كما تقول الأطالس عن الصحراء الكبرى أنها؛ هي أكبر فيافي العالم قاطبة، حيث تمثل أكبر نطاق جاف و معظم أجزاءها تقع بين دائرتي عرض 20° و 35° شمالا. للمزيد أنظر:

- أبو الفضل ابن منظور: **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، 1997 م، المجلد الرابع، ص 16.
- جورج غيرستر: **الصحراء الكبرى**، تر: خيري حماد، المكتب التجاري للطباعة و التوزيع و النشر، بيروت، 1961، ص 9
- (1) إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934م)**، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2005 م، هامش رقم: 01، ص 19.
- (**) **بلدان الساحل**: هو مصطلح عربي يطلق على بلدان السهل، فترجمت إلى الفرنسية إلى ساحل Sahel، ثم عبرت إلى كلمة الساحل يقصدون بها الطرف الجنوبي لصحراء إفريقيا الشمالية يتميز بوجود سهوب دغلة منقطة بأشجار شوكية (أكاسيا) و نجليات دائمة. أنظر:
- جورج بيار: **معجم المصطلحات الجغرافية**، تر: محمد الطفيلي، مر: هيثم اللمع، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، ط2، 2002م، ص 441.
- إبراهيم مياسي: **الاحتلال الفرنسي**، ص 19.
- (2) نفسه، ص 12.

(3) R.Furon : **le Sahara (géologie, ressources, minérales, mise en valeur)**, Payot , Paris , 1957, p21.



يمكن تحديد بدايات الصحراء الجزائرية، كما عرّفها دوماس^(*) (Daumas) بأنها تبدأ من الواحات الست الواقعة جنوب الجزائر من وادي سوف، واد غير، تماسين، ورقلة شرقا، ميزاب و أولاد سيدي الشيخ من الجهة الغربية و عن المدن الواقعة جنوبا نجد تلك التي تربط غدامس بطريق المنيعه و توات⁽¹⁾.

يضيف أوغستين^(**) (Augustin) أن بجنوب الأطلس الجزائري حوضان أساسيان هما وادي اغرغار من الشرق و وادي زوزفانة و الساورة من الغرب و يفصل بينهما هضبات طباشيرية لمنطقة ميزاب و المنيعه و تادمايت⁽²⁾.

كما يؤكد السيد غوتيه (Gautier) أن الحوض الغربي يمتد من فكيك حتى تيديكلت و يمر عبر فواررة و توات على طول 800 كلم⁽³⁾، ما وراء تيديكلت هناك كتلة صخرية و هي مركز الطوارق تمتد من الغرب إلى الشرق على طول خط 12° تشكل كل من الأهقار و التاسيلي⁽⁴⁾.

^(*)دوماس (Melchior-Joseph-Eugène) Daumas : هو عضو بمجلس الشيوخ الفرنسي و مؤلف، ولد في 04 سبتمبر 1803م، دخل الجيش كمتطوع في عام 1822م، عين ملازم ثاني سنة 1827م، في عام 1835م جاء إلى الجزائر بأمر من المارشال كلوزيل (Maréchal Clauzel)، تعلم اللغة العربية كما تقلّد عدة مناصب منها قنصل في معسكر ما بين 1837-1839، له كتابات عديدة ترجمت إلى الإسبانية و الألمانية منها: كتاب القبائل الشرقية (الجزائر 1844) **les Kabyles de l'Est** (Alger 1844)، كتاب الصحراء الجزائرية **le Sahara Algerienne** و كتاب الحياة العربية و المجتمع المسلم **la vie arabe et la société musulmane**، توفي في جيروند في شهر ماي 1871م . للمزيد أنظر: - Faucon Narcisse , **Le livre d'or de L'Algérie**, T.1, librairie Algérienne et coloniale, Paris, 1889, p 178-179.

^(**)أوغستين برنارد (Augustin Bernard) : من مواليد 1865م و هو واحد من موظفي غرفة العلوم الجغرافية الذين يهتمون بدراسة الجغرافيا التاريخية، اهتم بجغرافية إفريقيا، و على إثر تنظيم جامعة السوربون لتعليم الجغرافيا و استعمار شمال أفريقيا شغل أوغستين هذا الكرسي لمدة ثلاثة و ثلاثين عاما حتى سنة 1935م ، و قد كتب حول جغرافية الصحراء و غرب إفريقيا في مجلدين كبيرين تم إصدارهما في سنة 1937م و 1939م. توفي في بوربون يوم: 29 ديسمبر 1947م. للمزيد أنظر:

- Larnaude Marcel, « **Nécrologie – Augustin Bernard (1865-1947)** », Annales de Géographie, T. 57, N°305, 1948. pp. 56-57.

⁽¹⁾ . Numa Broc : « **les Français face à l'inconnue Saharienne (géographes, explorateurs, ingénieurs 1830-1881)** », Annales de géographie , T.96, N°.535, 1987, p 306.

⁽²⁾ . Augustin Bernard : « **Sahara Algérien et Sahara Soudanais** », Annales de géographie, T.19, N°.105, 1910, p 261.

⁽³⁾ . Emile Gautier : « **Sahara Oranais** », Annales de géographie , T.12, N°.63, 1903, p 234.

⁽⁴⁾ . Augustin Bernard : **Op.cit**, p 263.



باعتبار أن حدود الصحراء الجزائرية خلال فترة الدراسة غير واضحة المعالم، مما استوجب علينا البحث في المصادر التي كتبت لتلك الفترة علنا نجد إشارات إلى حدودها، من خلال التعاريف السابق ذكرها، اتضح لنا الأمر بعض الشيء على وجه التقريب.

من الجهة الشمالية الشرقية؛ يمكن اعتبار بسكرة بوابة الجنوب القسنطيني نحو الصحراء المنخفضة التي تعد حلقة وصل ما بين الجنوب الشرقي الصحراوي و الشمال الشرقي التلي للقطر الجزائري، يليها وادي سوف و ورقلة الواقعتين على الحدود التونسية و الليبية من الشرق.

كما تعتبر مدينة الجلفة و الأغواط بوابتين أساسيتين للجزائر الوسطى نحو الصحراء، إلى الغرب يعتبر جبل مومن بداية الصحراء، كما تعتبر واحات الجنوب التي تمتد من فكيك على طول أودية زوزفانة و الساورة التي تمر على فورا و توات الواقعة على الحدود المغربية هي على وجه التقريب الحدود الغربية للصحراء الجزائرية.

من الجهة الجنوبية؛ يمكن اعتبار جبال الأهفار و التاسيلي التي تُحاذي كل من النيجر و مالي هي الحدود الجنوبية لها، كما تمثل صحراء تنزوروفت الواقعة بين توات و الأزواد هي الحدود الجنوبية الغربية للصحراء الجزائرية.

أما مساحتها فتبلغ 1.987.600 كيلومتر مربع؛ بذلك تحتل مساحة واسعة بنسبة 90% من مساحة القطر الجزائري.

يتميز سطح الصحراء الجزائرية؛ ببنية تضاريسية بسيطة و متنوعة في أشكالها المورفولوجية (Morphologie)^(*)، إذا ما قورنت بالمنطقة التلية الشمالية؛ فهي تكاد تخلو من الجبال ما عدا جبال الأهفار التي تتميز بمرتفعات معقدة و حديثة التكوين، كما يغطي سطحها أحواضا و انحدارات شديدة وعروقا رملية متحركة⁽¹⁾، عموما تنقسم الصحراء الجزائرية إلى أربعة أقسام رئيسية هي:

(*) المورفولوجيا: يطلقه الجغرافيون غالبا على علم دراسة شكل الأرض و بنيتها، في الجغرافيا التاريخية شاع استعمال كلمة مورفولوجيا من قبل الجغرافيين، أطلقت في البداية على الكائنات ثم على النباتات، كما أدخلت في دراسة أشكال سطح الأرض على يد أ. بينك (A.Benck) عام 1848م. للمزيد أنظر: جورج بيار، المرجع السابق، ص 578-579.

(1). عبد القادر علي حليمي، جغرافية الجزائر (طبيعية، بشرية، اقتصادية)، مطبعة الإنشاء، دمشق، ط2، 1968، ص 48.



- **القسم الأول:** يقع في الزاوية الشمالية الشرقية، يمكن تسميته بالصحراء المنخفضة التي تتميز بانخفاض على مستوى سطح البحر بحوالي أربعة و عشرين مترا⁽¹⁾، بينما الأراضي المجاورة لا يزيد سطحها على ارتفاع مائتي متر، يعتبر **ج. رولاند أول** من عرفها بالصحراء المنخفضة في تقريره العلمي سنة 1880م، إذ ذكر بأنها مسطحات أرضية طباشيرية تحدها شمالا الحافة الأطلسية و جنوبا مرتفعات الأهفار⁽²⁾، يبلغ طولها من الشمال إلى الجنوب حوالي 700 كلم و عرضها يبلغ حوالي 300 كلم ، يغطي وسطها رمال العرق الشرقي الكبير و يظهر به بعض الشطوط مثل شط ملغبع الذي يقع تحت مستوى سطح البحر بحوالي 31 م، يبلغ طولها 700 ملم و عرضها تقريبا هو نصف طولها، يتخلل وسطها كثبان رملية^(*)، أهم مناطقها منطقة سوف، ورقلة و الزاب.

- **القسم الثاني:** يمثل الجزء الأكبر من الصحراء؛ هي المساحات التي تغطيها الكثبان الرملية و أهمها العرق الشرقي الكبير و العرق الغربي الكبير، إلى جانب عروق ثانوية كعرق الشاش و عرق ايقيدي على الحدود الجزائرية الموريتانية⁽³⁾، عرق الراوي و غيرها، يمثل هذا القسم أيضا ما يعرف بالرق^(**) مثل رق تنزروفت الواقعة جنوب غرب الصحراء الجزائرية⁽⁴⁾. من المناطق التي تقع في العرق الغربي الكبير نجد: بني عباس بأقصى الجنوب الغربي حتى هضبة المنيعه شرقا، وادي الساورة من الحافة اليسرى.

- **القسم الثالث:** هذه الهضاب الصحراوية ذات تكوينات صخرية جيرية و تشكل وحدة واحدة؛ تمتد من هضبة ميزاب التي تقع في الشمال و الوسط، حيث تفصل الصحراء المنخفضة عن العرق الغربي الكبير، مكونة سلسلة مرتفعات تنتهي جوانبها بمنحدرات شديدة و سطحها يشق

(1). إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي، ص 19.

(2) . G.Aumassip, **Néolithique sans potteries de la region de l'Oued May (Bas-Sahara)**, S.M.E, Paris,1972 , p 07.

(*)**.الكثبان الرملية،** تلال من الرمل تتكون عادة حول حواجز طبيعية مقاومة للرياح، فترسب الرمال و الحصى مكونة كثبان رملية. **أنظر:** -H . Cuny , **les déserts dans le monde** , Payot , Paris ,1961, p 178.

(3). عبد القادر علي حليمي، المرجع السابق، ص 51.

(**). **الرق:** مصطلح عربي هو عبارة عن ناتج عن ركود الرياح في مناطق قاحلة أو شبه قاحلة ، قد ينشأ الرق عن سطح صخري مغطى بطبقة من الحصى مثل رق تنزروفت. **أنظر:**

- جورج بيار، المرجع السابق، ص 399-400.

(4). إسماعيل العربي ، **الصحراء الكبرى و شواطئها،** المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 15.



وادي زفرير و وادي النساء و ميزاب⁽¹⁾، إلى الغرب نجد الحمادة عند الحدود المغربية و تقع في الشمال الغربي من منطقة إيفود⁽²⁾ و هضبة تادمايت التي تبرز في الجنوب الغربي في شكل طية أرضية مرتفعة ، تطل حافتها الغربية على وادي فواررة و سبخة تميمون ، أما جنوبا فتطل على سلسلة منخفضات تيديكلت و منخفض توات ، لتلتقي الهضبة بالساوررة في الشمال الغربي للصحراء و بعرق الشاش في أقصى جنوبها الغربي⁽³⁾.

- **القسم الرابع:** يمثل المرتفعات القديمة التي تتمركز بالجنوب الشرقي و تمثلها منطقتي التاسيلي و الأهقار ، فالأولى عبارة عن صخور من صلصال الرمل الشاهقة المتقطعة، أما الثانية فهي مرتفعات الأهقار و مساحتها كبيرة تقدر بحوالي: 500.000 كلم، معظمها من الصخور القديمة البركانية التي تعرضت إلى الحت، إلا أنها لا تزال بها قمم عالية كقمة تاهات التي تبلغ 2.918 متر⁽⁴⁾، قمة إيلمان 2.732م، أهم مناطق هذه الصحراء الجبلية هي: الآتاكور و توابعها، آناحف، تنزروفت، الأمادور، تاسيلي الأزجر، أحنات، تاسيلي الجنوب⁽⁵⁾.

إن الوضع الطبيعي للصحراء له انعكاس مباشر على مناخها، الذي يتميز بالطابع القاري القارس⁽⁶⁾، يتميز بجو بارد و جاف شتاء و حار و جاف صيفا؛ ففي فصل الصيف ترتفع درجة الحرارة إلى أكثر من 50° في الظل، كما تنخفض في فصل الشتاء إلى درجة الصفر⁽⁷⁾، بهذا يكون المدى الحراري السنوي كبير جدا، ففي الجنوب الشرقي للجزائر نجد على سبيل المثال مناخ ورقلة يتميز بالقارية لبعد المنطقة عن المؤثرات المحيطية؛ فمعدل درجة الحرارة في الأشهر الأكثر حرارة يصل إلى 34° و في الأشهر الأكثر برودة يصل إلى 11° ، أقصى درجة حرارة تصل إليها هي 52° و أقلها 6°⁽⁸⁾.

- (1) . جمال الديناصوري و آخرون، جغرافية العالم (إفريقيا و استراليا)، ج2، المكتبة الأنجلو مصرية، القاهرة، د.ت، ص 275-276.
- (2) . محمد رشدي جراية، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100 ق.م - 1000 ق.م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ و الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007-2008، ص 19.
- (3) . نفسه، ص 20.
- (4) .أحميدة عميراي و آخرون: السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916م)، درا هومة، الجزائر، 2009، ص 11.
- (5) . محمد رشدي جراية، المرجع السابق، ص 20-21.
- (6) .أحمد توفيق المدني ، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، د.د.ن، د.م.ن، 1948، ص 41.
- (7) . أحميدة عميراي و آخرون، المرجع السابق، ص 12.
- (8) . إلياس بن عمر الحاج، مدينة وارجلان (دراسة في النشاط الاقتصادي و الحياة الفكرية في الفترة 4 - 10هـ / 10 - 16 م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2008-2009، ص 20.



عن وسط الصحراء الجزائرية نجد مدينة غرداية التي يسودها مناخ قاري جاف ذو مدى حراري كبير فصليا؛ ففي فصل الشتاء تتميز بالبرودة، خاصة في الليل إذ تكون معدلات الحرارة من 1° إلى 15°، أما في فصل الصيف فمعدل الحرارة يفوق 35° و ربما يصل إلى 45°⁽¹⁾.

عن الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية، نجد بمدينة أدرار و عين صالح التي يصل معدل حرارتها 45° صيفا و في الشتاء ينخفض إلى درجة الصفر⁽²⁾.

إضافة إلى ذلك، تتعرض الصحراء الجزائرية إلى هبوب رياح جافة هوجاء تعرف بالشهيلي⁽³⁾، كما تتميز بندرة الأمطار و عدم انتظامها، تعود ظاهرة الجفاف في الصحراء إلى الارتفاع الكبير لدرجات الحرارة و قلة تساقط الأمطار، فقد تمر سنتان أو ثلاث دون هطولها و غالبا ما تكون في صورة وابل يرافقه رعد و برق؛ هذه العواصف كثيرا ما تكون لها عواقب وخيمة على الإنسان و الأرض الفلاحية، حيث تملأ في ساعات قليلة مجاري الأودية الجافة⁽⁴⁾.

مع العلم أن معدل التساقط لا يتجاوز مائتي ميليمتر في السنة، مع ضآلته لا تحظى به جميع المناطق بالتساوي، فمعدل التساقط السنوي يتدوف يصل إلى 30 ملم ، غرداية 61 ملم، الأغواط 170 ملم، و تمنراست 160 ملم⁽⁵⁾، عن النسبة التي سجلت في منطقة أدرار لتساقط المطر عبر عشر سنوات لم تزد عن مائتين و خمسة و أربعين ميليمترا⁽⁶⁾، أما منطقة الأهقار فإن الأمطار تتساقط بها طوال العام كما تحدث عنها دوفيرييه، مثلا منطقة أدرار ايفوغاس يصل التساقط إلى 1.000 ملم⁽⁷⁾.

يخترق الصحراء الجزائرية وديان عديدة، هي مصدر خيراتها، فهي تنقسم من حيث منابعها إلى أودية السفوح الجنوبية للأطلس الصحراوي و أودية الأهقار ، فمن جبال الأطلس الصحراوي تنحدر المياه فتسير أودية تصب أحيانا في الشطوط و أحيانا تختفي وسط الرمال لتظهر في مناطق أخرى، فتنشأ حولها واحات عديدة⁽⁸⁾، ليس لها جوانب مضبوطة و لا محدودة فهي عديمة الانتظام فجائية الفيضان.

(1). محمد عبد الحليم بيشي، *تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية*، دار زمورة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2013، ص 26.

(2). أمحمدة عمراوي و آخرون، المرجع السابق، ص 12.

(3). إسماعيل العربي، *الصحراء الكبرى*، ص 16.

(4). أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 41. أنظر كذلك، إسماعيل العربي، *الصحراء الكبرى*، ص 20.

(5). محمد رشيد جرایة، المرجع السابق، ص 29.

(6). إسماعيل العربي، *الصحراء الكبرى*، ص 19.

(7). Augustin Bernard , **Op.cit**, p 263.

(8). أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 41-42.



من الجهة الشمالية الشرقية تنحدر بعض الأودية من جبال الأوراس؛ من بين هذه الأودية نجد واد العرب، وادي الأبيض، وادي عبدي، وادي القنطرة و وادي بسكرة، هذه الأودية تصب في شط ملغيغ بالزيبان، إضافة إلى وادي سوف الذي تكونت حوله مجموعة من الواحات، وادي ريغ الذي ينحدر من هضبة الأهفار و يتجه نحو شط ملغيغ، وادي جدي الذي ينبع جنوب مدينة أفلو من جبال عمور و يسير نحو الزيبان و هو مصدر حياة الأغواط؛ الذي كان يحمل اسم وادي أمزي و عبّر عنه الأغواطيين بقوله: «يُقَسَّم وادي أمزي الأغواط إلى شطرين⁽¹⁾» .

أما عن الوسط، نجد أودية بلاد الشبكة^(*) و ما يجري بها من أودية و أهمها، وادي زفرير الذي ينزل من الضايات و يسقي واحة القرارة، وادي النسا الذي له رافدان هما وادي بالوح و السودان اللذان أنشأت عند ملتقاهما مدينة بريان، وادي ميزاب و روافده، وادي لعديرة، وادي لبيض و وادي توزوز الذي يسقي واحة غرداية و مليكة و هناك وادي انتيسة الذي يسقي واحة بني يزقن، هذه الأودية الثلاثة تنتهي عند سبخة نقوسة في ورقلة، إضافة إلى مياه وادي أزويل الذي يسقي بدوره جزءاً من واحة بونورة، ثم يتجه إلى العطف فزلفانة و ينتهي عند سبخة نقوسة بورقلة و كذا وادي متليلي الذي ينزل من الضايات العليا للشبكة و يسقي واحة متليلي و ينتهي في سبخة ورقلة .

هذه الأودية جوفية يظهر أثرها على سطح الأرض، لكن لا يحدث سيلانها إلا نادرا و على أجزاء محدودة عندما تهطل الأمطار، أكثر هذه الوديان سيلاناً وادي زفرير و أقلها وادي مزاب، فقد سجلت مصالح الأرصاد الجوي ما بين 1921 و 1937م ثمانية عشر سيلاناً بوادي زفرير بالقرارة، أما وادي مزاب بغرداية في تلك الفترة لم يشاهد سيلانه إلا تسع مرات⁽²⁾.

(1). ابن الدين الأغواطى ، رحلة الأغواطى (الحاج ابن الدين في شمالي إفريقيا و السودان و الدرعية)، تح، أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011، ص 87.

(*) بلاد الشبكة، يطلق هذا الاسم على هضبة صخرية كلسية تقع شمال صحراء الجزائر، تمتاز بطبيعتها القاسية و قد سميت بهذا الاسم لأنها تتخللها أودية عديدة لا يتجاوز عمقها مائة متر، تتجه كلها من الشمال الغربي نحو الجنوب الشرقي، لتنتهي عند بحيرة نقوسة غرب ورقلة، بلاد ميزاب هي الجزء الأكبر من بلاد الشبكة و تضم سبعة مدن و هي غارداية، مليكة، بني يزقن، بونورة، العطف، بريان و القرارة. للمزيد أنظر:

- يوسف بن بكير الحاج سعيد، تاريخ بني ميزاب (دراسة اجتماعية و اقتصادية و سياسية)، المطبعة العربية، غرداية، ط2، 2006، ص 1-3.

(2). نفسه، ص 2.



و في الجنوب يوجد وادي إيغرغار الذي هو أصل وادي ريغ، حيث ينبع من هضبة الأهفار، يتجه شمالا إلى منخفض تشرت بوادي ريغ و يصل شط ملغيغ جنوب بسكرة⁽¹⁾ و وادي زرقون الذي ينحدر من جبال عمور في خط عمودي نحو الجنوب.

هناك وديان كثيرة في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية، نادرا ما يشاهد جريانها من وقت إلى آخر عقب سقوط أمطار غزيرة، أهمها وادي الناموس، الساورة و زوزفانة الذي ينبع من الأطلس⁽²⁾ و وادي غير، وادي تمنراست و وادي شناسن الذي يمتد على مسافات قليلة و تنتهي بالرمال⁽³⁾، إضافة إلى وادي بشار و هما وادان يسقيان واحات أقصى الغرب، مثل فكيك، بني ونيف و بشار، الملاحظ أن أودية إقليم الصحراء تنبع من الشرق و الجنوب، غير أن الأودية الأكثر حياة هي التي تتواجد في ناحية الغرب⁽⁴⁾.

هذه الأودية هي مصدر انتشار الواحات في الصحراء الجزائرية و الملاحظ أن هناك الكثير من الخصائص المشتركة بينها و لعل أبرزها قلة الموارد المائية السهلة للاستغلال، لأن استخراج الماء فيها بواسطة الآبار الارتوازية و الفقارات؛ التي تتطلب مجهودا كبيرا لوقوع الماء في طبقة عميقة، هذا إذا استثنينا بعض الواحات مثل: واحات بني عباس، تاغيت و واحات وادي سوف التي مياها قريبة من سطح الرمال⁽⁵⁾.

الواحات الجزائرية الشرقية؛ تنقسم إلى مجموعتين، الأولى تروى أراضيها بمياه الآبار الارتوازية^(*) و الثانية ترى بماء الفقارات^(**)، إلى أسفل وادي إيغرغار توجد العديد من البحيرات الصغيرة⁽⁶⁾ و كثيرا ما

(1). رشيد الناظوري، المغرب الكبير في العصور القديمة، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 52.

(2). Emile Gautier , **Op.cit**, p 235.

(3). مياس، الاحتلال الفرنسي، ص 21.

(4). أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 43-44.

(5). نفسه، ص 139.

(*) الآبار الارتوازية: هي آبار تقوم بدفع المياه الجوفية إلى السطح، دون استخدام مضخة بتوافر مقدار مناسب من الضغط، يُطلق هذا المصطلح كذلك على آبار المياه البالغة العمق، لهذا فعملية حفر الآبار الارتوازية يحتاج إلى خبرة و شجاعة في آن واحد و الماء قد يتدفق بقوة فجأة أثناء الحفر فيتعرض صاحبه إلى الهلاك. للمزيد أنظر:

- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 22.

(**) الفقارات: عبارة عن قنوات أو سراديب تحفر تحت الأرض و تلتقط المياه الجوفية قد يبلغ عمقها 70 مترا، يجري فيها الماء إلى منحدر حتى يصل إلى الواحة التي تقع في مكان منخفض، هذه الفقارات يكثر انتشارها كلما توغلنا جنوبا و هي تكثر في زوزفانة، الساورة، توات، فورارة و تيديكلت، تعتبر توات أكثر المناطق التي انتشرت فيها تقنية الفقارات في الصحراء الجزائرية. أنظر:

- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 22-23.

(6). Augustin Bernard , **Op.cit**, p 263.



يكون لها شكل فوهة بركان ذات عمق يصل إلى ثلاثين و أربعين مترا، مياهها تروي واحات وادي ريغ، واحات وادي سوف و واحات ورقلة⁽¹⁾.

عن وسط الصحراء الجزائرية؛ نجد واحات الأغواط و واحات بلاد الشبكة و من أهمها واحات غرداية، مليكة، متليلي، العطف، بريان، الفرارة و بني يزقن، تتميز هذه الواحات بكثرة العمران و قلة المياه⁽²⁾.

أما الواحات الغربية؛ فهي منتشرة على مساحة واسعة، تتخذ شكل شريط ضخم بين الأطلس الصحراوي عند فكيك على الحدود المغربية من جهة و واحة عين صالح من جهة أخرى، هذا الشريط يربط بدون انقطاع الأطلس بقلب الصحراء عند جبال الأهقار⁽³⁾، على هذا الشريط نجد واحات الساورة، واحات توات و تيديكلت التي ترويه مياه الفقارات، التي لا تقل أهمية عن الآبار الإرتوازية⁽⁴⁾، إضافة إلى واحات بني عباس، واحات بشار، واحات الأبيض، عين الصفراء، بني ونيف و فكيك⁽⁵⁾، و عن أقصى الجنوب الشرقي نجد واحات واقعة بين الأهقار و هضبة التاسيلي أزجر بالقرب من فزان اللبية⁽⁶⁾.

يساير الغطاء النباتي الظروف المناخية للمنطقة، من حيث التساقط و توفر المياه الجوفية، بذلك فإن النباتات التي تنمو في الصحراء تكون مقاومة للجفاف، الحرارة و البرودة الشديدة و هي في مجموعها ضعيفة و على نوعين دائم التواجد و آخر مؤقت لا ينبت إلا بعد هطول الأمطار⁽⁷⁾.

تتميز النباتات الصحراوية عموما بالقصر، منها نباتات قصيرة العمر؛ تنمو عقب سقوط الأمطار و تزول بسرعة غير أن جذورها تبقى مدفونة في التربة، إلى حين سقوط المطر مرة أخرى⁽⁸⁾. أما النباتات المعمرة فإن جذورها عادة ضاربة في العمق بحثا عن الرطوبة مثل النخيل، أو تكون سميكة لتخزن الماء كالتين الشوكي و الصبار⁽⁹⁾.

(1). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 140.

(2). أحميدة عميراي و آخرون، المرجع السابق، ص 21-22.

(3). Augustin Bernard , **Op.cit**, p 262.

(4). نفسه، ص 140-141.

(5). أحمد توفيق المدني، المصدر السابق، ص 46.

(6). أحميدة عميراي و آخرون، المرجع السابق، ص 22.

(7). محمد رشيد جراية، المرجع السابق، ص 29.

(8). عبد القادر علي حليمي، المرجع السابق، ص 88-90.

(9). جودة حسنين جودة، العالم العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998، ص 113.



رغم قسوة المناخ و طبيعة تضاريس المنطقة، إلا أن الصحراء تتوفر على نباتات في بعض المناطق، فعلى سبيل المثال غرداية يوجد بها 300 نوع من النباتات، من أهم نباتات الصحراء هناك الحلفاء، البشنة، الصفار، العرفج، السمهري ، الحارة ، النتين، ذنب الفأر، كرش الأرنب، الخبيز، بوقريية، القريطفة ، النصي، القطف، النمص، الطازية، المتينة، اللبين، الحاذ، الغبيثاء، الازول، السويدة ، القصيبة، سيف الغراب، النجم، اللافة، الشيخ، الحرمل، الفيجل، الضمران، الفطر، الكمأة، الحنظل، العلقم الدلس، العقفارية، الخدة، الخدلانة، الحميض، البدانة و البهمة⁽¹⁾.

غير أن الأغواطي يصف لنا الغطاء النباتي لتليلي أثناء رحلته إلى السودان الغربي ، فيذكر أن الطريق كان خاليا من أي نبات باستثناء شجرة البطم فيقول: « إن المسافة بين الأغواط و رأس الشعب يوم واحد و ليس في رأس الشعب ماء و لا تنمو فيها سوى شجرة البطم⁽²⁾»، كما لاحظ في طريقه بين تليلي و المنيعه كثرة نبات الحلفاء⁽³⁾.

أما عن جغرافية إفريقيا الغربية، أو ما كان يعرف بالسودان الغربي، فقد وردت عدة كتابات للمؤرخين العرب بشأن السودان؛ مثل ابن حوقل الذي ذكر أن حدود بلاد السودان في أقصى المغرب، على البحر المحيط بلد متلف وحد له ينتهي إلى برية بينه و بين المغرب و حدا له برية بينه و بين أرض مصر⁽⁴⁾. أطلق البكري كلمة السودان في القرن الحادي عشر ميلادي على ذلك الجزء من غرب إفريقيا الذي يمتد من المحيط الأطلسي غربا إلى مشارف النوبة شرقا⁽⁵⁾.

كما جاء في مقدمة ابن خلدون ذكر السودان بقوله: « و السودان أصناف شعوب و قبائل، أشهرهم بالمشرق الزنج و النوبة ، يليهم الزغارة، و يليهم الكانم، و يليهم من غربهم كوكو و بعدهم التكرور و يتصلون بالبحر إلى غانية⁽⁶⁾».

(1). محمد رشيد جراية، المرجع السابق، ص 33.

(2). الأغواطي ، المصدر السابق، ص 89.

(3). رابح رمضان، « جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بالصحراء الجزائرية من خلال رحلة الأغواطي » ، مقال نشر في كتاب الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12 و 13 هـ / 18 و 19 م من خلال المصادر المحلية، مطبعة منصور شارع القدس الأعشاش، الوادي، 2012، ص 199.

(4). أبي القاسم ابن حوقل، صورة الأرض، مكتبة الحياة للطباعة و النشر، بيروت، 1992، ص 24.

(5). أبي عبيد الله البكري ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب (المسالك و الممالك)، ج2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت، ص 837.

(6). عبد الرحمان ابن خلدون، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج5، ضبط، خليل ، مر، سهيل زكار ، دار الفكر للنشر، د.م.ن، 2000، 234.



يذكر القلقشندي أن بلاد السودان يحدها من الغرب البحر المحيط و من الجنوب الخراب مما يلي خط الاستواء و من الشرق بحر القلزم و من الشمال براري تمتد ما بين مصر و بلاد عرب المغاربة⁽¹⁾.

كما حدد بعض مؤرخي السودان المنطقة بأنها تمتد من البحر المحيط إلى الواحات و يفصلها عن بلاد المغرب مغاور⁽²⁾.

فالسعدي مثلاً يصف لنا بلاد مالي بقوله: « مالي إقليم واسع جدا في المغرب الأقصى إلى جهة المحيط و قِيمَع هو الذي بدأ السلطنة في تلك الجهة و دار إمارته غانة و هي مدينة عظيمة في أرض باغن ملكها البيضان و عددها أربعة و أربعون ملكا و لما انقضت خلفها في السلطة أهل مالي و هم سودان في الأصل فتوسعت سلطتهم كثيرا فملكوا إلى حد أرض جني⁽³⁾».

حسب ذكر السعدي؛ فإن مالي إقليم واسع في المغرب الأقصى أي متاخم للمغرب الأقصى لأن حدوده وصلت إلى مصادر تغازي. ما هو معروف أن مملكة مالي أيام قيامها كانت تحكم بلاد السودان الغربي، يحدها من الشمال الصحراء حيث مصادر تغازي و امتدت جنوبا حتى أطراف السفانا عند مصادر الذهب و غربا حتى المحيط الأطلسي⁽⁴⁾ و شرقا حتى مناجم تكدا.

عن كتابات الغربيين نجد هوبكنز الذي أشار إلى حدود إفريقيا الغربية بقوله: « فمن دكار إلى بحيرة تشاد و هي مسافة تزيد على ألفي ميل... و هذه المنطقة المعروفة بالسودان الغربي تشكل ممرا عرضه ستمائة ميل و إلى شمالها تقع الصحراء الكبرى التي تمتد حوالي ألف ميل في اتجاه شمال إفريقيا. و إلى الجنوب و ما يكاد يلامس البحر، يمتد حزام من الغابات الاستوائية و يجري مرة أخرى من الغرب إلى الشرق و لكنه لا يغطي أكثر من مائتي ميل من الشمال إلى الجنوب حتى عند أوسع عرض له و في الوسط تتخلله السفانا (على وجه التقريب بين أكرا و يورتونوفو)⁽⁵⁾».

(1). أبو العباس أحمد القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج 5، شرحه وعلق عليه و قابل نصوصه، نبيل خالد الخطيب، دار الكتب المصرية، بيروت، ط1، 1987، ص 275.

(2). الهادي المبروك الدالي، التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء (من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18 م)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1999، ص 17.

(3). عبد الرحمان السعدي بن عبد الله بن عمران بن عامر، تاريخ السودان، مطبعة بردين، باريس، 1981، ص 9.

(4). دافيدسون بازل، إفريقيا تحت أضواء جديدة، دار الثقافة للنشر، بيروت، 1961، ص 147.

(5). أ. ج. هوبكنز، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، تق، عبد الغني سعودي، تر، أحمد فؤاد بليغ، المطابع الأميرية، القاهرة، 1998، ص 22.



بعد استقراء أقوال هؤلاء المؤرخين و الجغرافيين يمكن تحديد الإطار الجغرافي لإفريقيا الغربية، فالمنطقة تطل غربا و جنوبا على المحيط الأطلسي، من الشمال الصحراء الكبرى و تتاخم بحيرة تشاد شرقا⁽¹⁾ و خط يكاد يمر بالحدود الشرقية لنيجيريا.

ليس من اليسير تحديد الجهة الشمالية و الشرقية لإفريقيا الغربية لعدم وجود حواجز جغرافية بها⁽²⁾ و هي تشمل حاليا حوض نهر السنغال و المناطق المحيطة به، غامبيا، فولتا العليا و النيجر الأوسط (نيجيريا)⁽³⁾.

إذا كان للصحراء الجزائرية تضاريس متباينة من منطقة إلى أخرى، فإن تضاريس إفريقيا الغربية تختلف بنيتها الطبيعية بمختلف عناصرها ، بحيث تفتقد للوحدة الفيزيوجرافية^(*)، أطرافها متداخلة في حين أوساطها واضحة، ففيها الصحاري الواسعة و الأودية الخصبة و السهول المنبته، تضاريسها تمتد من التشاد إلى المحيط الأطلسي و هي على أقسام من الشمال إلى الجنوب⁽⁴⁾ كما يلي:

- **المنطقة الشمالية:** أطرافها تصل إلى الصحراء الكبرى شمالا و إلى نهر النيجر الأوسط جنوبا، هذه المنطقة تتخللها عدة تضاريس منها سلسلة جبال عبر طريق سيغو، غاو، حجار، أحير، جبال أورار الشرقية و الغربية⁽⁵⁾، ترتفع بعض أماكن الصحراء إلى ستة آلاف قدم فوق مستوى سطح البحر، كما تنخفض إلى مائة قدم تحت سطح البحر، تنتشر بها كثبان رملية في المناطق المتاخمة

(1). الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 19.

(2). إلهام محمد علي ذهني، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850 - 1914م)، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988، ص 19.

(3). عبد القادر زبادية، مملكة السنغاي في عهد الأسقيين (1493-1591م)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د.ت، ص 15، أنظر كذلك:

- يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين و يليه الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا و آسيا و جزر المحيطات، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 2009، ص 8.

(*) الفيزيوجرافيا: هو علم دراسة الظواهر الطبيعية لسطح الأرض من حيث العوامل التي أدت إلى تشكيلها و العلاقة بين بعضها البعض، يفرق البعض بين الفيزيوجرافيا و الجيومورفولوجيا، فبينما تكون الدراسة الأولى دراسة وصفية تكون الدراسة الثانية تحليلية، أنظر :

- عبد الكامل عطية، التحولات السياسية و الاقتصادية في السودان الغربي بين 1750 - 1914م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2010/2009، هامش رقم، 4، ص 11. نقلا عن:

- يوسف توني: معجم المصطلحات الجغرافية، دار الفكر العربي، د.م.ن، د.ت، ص 380.

(4). نفسه ، ص 11-12.

(5). الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 12.



للصحراء الكبرى⁽¹⁾ و تقدر المساحة التي تسيطر عليها الرمال حوالي 1/9⁽²⁾، كما توجد بهذه المنطقة هضاب صخرية⁽³⁾. عن السهول فتبلغ أقصى اتساعها إلى الغرب من هضبة لاجوس في سهول الهوسا العليا في نيجيريا⁽⁴⁾.

- **المنطقة الوسطى:** حدودها بحيرة التشاد شرقا و فوتاتورو في السنغال غربا، ترتفع في وسطها هضاب النيجر و تنتشر السهول في القسم الأوسط من النيجر و السنغال⁽⁵⁾ مع بعض الهضاب من الفوتاتورو⁽⁶⁾، أما في الشمال فيمتد سهل ساحل عريض في سينغامبيا ممثلا النهاية الغربية لمنخفض السنغال و النيجر⁽⁷⁾.

- **المنطقة الجنوبية:** هي المنطقة المطلة على خليج غينيا، تضم الكتل الجبلية لكل من الفوتاجالون و التوغو، الهضاب الليبيرية و هضاب نيجيريا الشمالية، من جهة الغرب نجد سلسلة الداموا في الكاميرون التي تزيد عن 2.000م. عن السهول نجد السهل الساحلي بلاجوانته و أشراطه الرملية الممتدة من جزيرة شيربر في سيراليون إلى مصب النيجر، كما يبلغ هذا السهل أقصى ضيق له في ليبيريا و جنوب شرق غانا⁽⁸⁾.

يؤثر كل من الموقع الجغرافي و الفلكي تأثيرا كبيرا على تنوع المناخ، باعتبار أن هذا الجزء يقع بين خط الاستواء جنوبا و مدار السرطان شمالا، أي ضمن المناخ المداري، فلا يوجد جزء تنخفض فيه متوسط الحرارة عن 18°، فالجزء الشمالي يتبع إقليم السافانا و حرارته أشد لقللة الأمطار مع تساقط أمطاره صيفا⁽⁹⁾. أما الجزء الجنوبي من الإقليم ضمن المنطقة الاستوائية التي تتميز بمتوسط حراري مرتفع، مع نسبة

(1). محمد حوتية، توات و الأزواد خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ميلادي (دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية)، ج1، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، الجزائر، 2007، ص 40.

(2). أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن إدريس الحمودي الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، مصر، د.ت، ص 108.

(3). الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 16.

(4). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 13.

(5). أحمد نجم الدين فليجة، إفريقيا دراسة عامة و إقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت، ص 217.

(6). نعيم قداح، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، د.م.ن، د.ت، ص 2.

(7). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 13.

(8). نعيم قداح، المرجع السابق، ص 4.

(9). عبد القادر زبادية، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات العرب و المسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 10.



رطوبة معتبرة و أمطار غزيرة طوال العام، مع وجود فصل جاف يمتد من ثلاثة إلى أربعة أشهر على الأجزاء المنخفضة من ساحل العاج ، ليبيريا، سيراليون و غينيا⁽¹⁾.

إلا أن المناطق الواقعة على أطراف الصحراء الكبرى مثل موريطانيا، الصحراء الغربية، مالي، النيجر و التشاد من الناحية الشمالية⁽²⁾، فإن خصائصها المناخية هي نفس خصائص المناخ الصحراوي و هو مناخ جاف و شبه جاف يسود الجزء الأكبر من أراضيها⁽³⁾، يتميز بجو بارد و جاف شتاءً و حار و جاف صيفا. فمثلا تنبكتو لا تقل حرارتها عن أربعين درجة مما جعل الرحالة جيران رولفس (Gerard Rohlfs) يصف المنطقة بقوله: « فالحرارة مرتفعة في فصل الصيف و تصل إلى أربعين درجة مئوية تحت الظل من الساعة التاسعة صباحا إلى الرابعة مساء بينما الليل فيه اعتدال الطقس⁽⁴⁾». الملاحظ أن درجات الحرارة تزداد ارتفاعا كلما اتجهنا نحو الداخل و كذا شمال الإقليم خاصة في فصل الصيف ، كما تنخفض درجات الحرارة في فصل الشتاء⁽⁵⁾.

تعتبر إفريقيا الغربية إقليما فريدا من نوعه؛ لكون نطاقات المطر تسير موازية للدوائر العرضية، إذ تسوده أمطار طوال العام ، في إقليم الجنوب مثل غينيا، سيراليون و دلتا النيجر ، إذ تصل إلى 4.000 ملم سويا و تتناقص كمياته كلما اتجهنا شمال هذه الدوائر؛ حيث تنخفض ما بين 2.000 ملم و 4.000 ملم سنويا، ما بين دائرتي عرض 10° إلى 15° شمال خط الاستواء، كما يقل تساقط الأمطار نحو الشمال في الداخل، أين يلتقي هذا الإقليم بالنطاق الصحراوي الشبه الجاف، الذي تتراوح كميات التساقط به ما بين 100 و 500 ملم⁽⁶⁾.

هناك عوامل تتحكم في سقوط الأمطار؛ منها تعامد الشمس الظاهري و ما يتبعه من حركة التقاء الرياح بين المدارين بين الشمال و الجنوب و بالتالي يسقط المطر نتيجة اصطدام الرياح بالجبال التي تواجهها ، مع العلم أن الأعاصير المدارية تؤدي إلى سقوط الأمطار، تفسير هذه الظاهرة يعود إلى موازاة الساحل لاتجاهات الرياح، إذ أن مياه السواحل تتميز بالبرودة من شهر جويلية إلى غاية سبتمبر، نتيجة التيار

(1). عبد الكامل عطية ، المرجع السابق، ص 21.

(2). إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي، ص 12.

(3). أحمد نجم الدين فليجة، المرجع السابق ، ص 291.

(4). محمد حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 45-46. نقلا عن:

- Victor-Adolphe, Malte-Brun , **Résumé historique et géographique de l'exploration de Gérard Rohlfs** , Challamel , Paris,1866, p 102.

(5). نعيم قدام، المرجع السابق، ص 8.

(6). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 14 - 15 .



البحري الاستوائي المتراجع، حيث يجذب المياه السطحية الدافئة و بالتالي تحل محله المياه الباردة الآتية من أعماق الأطلسي، بالإضافة إلى انحراف الرياح الجنوبية في هذه المنطقة لتصبح رياحا غربية⁽¹⁾.

تتخلل إفريقيا الغربية عدة أنهار، هذه الأخيرة لها أهمية في تاريخ المنطقة، تشمل كل من نهر السنغال، النيجر و غمبيا، إضافة إلى وجود أنهار أخرى مثل نهر الكازامانس، أنهار الجنوب، نهر الداومومي و الفولتا⁽²⁾؛ و تعتبر كتلة الفوتاجالون مصدرا رئيسيا للمياه في هذه المنطقة، نظرا لكثرة أمطارها و لتركيباتها الجيولوجية التي تسمح بتخزين المياه، إضافة إلى وجود هضبة بغينيا الليبيرية الواقعة في الجزء الجنوبي من الفوتاجالون، من هذه المناطق الجبلية تنبع أكثر أنهار إفريقيا الغربية و أهمها:

- **نهر النيجر^(*)**: يعتبر ثالث أنهار إفريقيا من حيث الكبر بعد النيل و الكونغو⁽³⁾، ينبع من السفوح الشمالية لهضبة الفوتاجالون أقصى الجنوب الغربي، يمتد حتى الشمال الشرقي حيث تنبكتو⁽⁴⁾، في مساره يلتقي النيجر بروافد أخرى مثل نياتان و ميلو و أخيرا يتصل بأهم روافده و هو نهر بنوي (Benoué)، لتلتحم مياههما إلى الجنوب و يصب في بحر دلتا⁽⁵⁾.

(1). نفسه، 15.

(2). إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 20 .

(*) **نهر النيجر**: لنهر النيجر عدة أسماء أكثرها شيوعا: جوليبا (Joliba) و تعني بلغة الماندينغو ' النهر العظيم' و قد أطلق المستعمرون الأوائل على مجموعة الأنهار المتصلة به اسم أنهار الزيت، لأن المنطقة اشتهرت بإنتاج أجود أنواع الزيوت. و قد تضاربت الآراء بخصوص منابع نهر النيجر و اتجاهه، فابن بطوطة شاهد النيجر يتجه نحو الشرق و الحسن الوزان أكد بأن النهر يسير نحو الغرب، فطلت المشكلة حتى القرن الثامن عشر و من الرحلات التي أثبتت سير النهر من الغرب نحو الشرق ، نجد **منغو بارك (Mungo Bark)** الذي استطاع أن يصل إلى فكرة أن النيجر يتجه نحو الشرق و أن نهرى السنغال و غامبيا يجريان غربا و هي غير متصلة بعضها البعض. للمزيد أنظر:

- ابن بطوطة محمد بن عبد الله، **تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)**، ج4، تح، محمد عبد

الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة و النشر و التوزيع، حارة حريك، ط1، د.ت، ص 269.

- الحسن الوزان بن محمد الفاسي، **وصف إفريقيا** ، ج2، تر، محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي ، لبنان، 1998م، ص 161.

- إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 20.

(3). شوقي الجميل و عبد الله عبد الرازق إبراهيم، **تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر**، دار الزهراء للنشر و التوزيع ، الرياض، ط2، 2002م، ص 29.

(4). إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 20.

(5). حوتية، توات و الأزواد، ج2، ص 439.



يتكون في بدايته بجنوب باماكو من عدد من المجاري التي تنتشر في مساحات واسعة، مكونة ما يسمى بالدلتا الداخلية للنيجر، يتحول إلى بحيرة عظيمة في موسم الفيضان، و يسير حتى يصل تنبكتو، بعدها تتحد مجاريه و تتشكل ثنية عظيمة نحو الجنوب تسمى ثنية النيجر، تشمل كل من ساحل العاج، غينيا و داهومي، ليصب في المحيط الأطلسي⁽¹⁾.

- **نهر السنغال:** ينبع كذلك من هضبة الفوتاجالون في جنوب غينيا، يكون الحدود الطبيعية بين السنغال و موريتانيا⁽²⁾، يتجه شمالا ثم غربا نحو المحيط الأطلسي⁽³⁾ و قد تكوّن في بدايته باتخاذ مجرى محدد له في الزمن الثالث، حين انحسر خليج السنغال و نتيجة تجمع الكتلان الرملية تم انحراف المجرى عن المصب نحو الجنوب و قد عملت الرياح التجارية المنتظمة إلى جانب التيارات البحرية على بناء كثيب ساحلي ضخيم، يمتاز هذا النهر بانحدار مجراه التدريجي في المنطقة المستوية الساحلية و هو قليل العمق بنسبة ثلاثة أمتار⁽⁴⁾، يصب في المحيط الأطلسي عند سانت لويس⁽⁵⁾.

- **نهر غامبيا(*):** من أفضل أنهار إفريقيا الغربية، لكونه صالح للملاحة في حدود دولة غامبيا، كما يعتبر المدخل الرئيسي لأفريقيا الغربية، إذ يخترق السافانا^(**) التي تعتبر أكثر مناطق إفريقيا ارتيادا⁽⁶⁾.

بالإضافة إلى هذه الأنهار السالفة الذكر ، يوجد أنهار أخرى مثل نهر السالوم و الكازمانس، كما يوجد في منطقة خليج غينيا عدة أنهار هي باناما، كفالي و كوميه و هي جميعا تصب في خليج غينيا ، أما نهر الفولتا فيشبه في اتجاهه و خصائصه نهر النيجر⁽⁷⁾.

(1). إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 20-21.

(2). أحمد نجم الدين فليجة، المرجع السابق، ص 217.

(3). إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 24.

(4). أحمد نجم الدين فليجة، المرجع السابق، ص 148.

(5). نعيم قداح، المرجع السابق، ص 6.

(*) . يعتبر وسيلة نقل رئيسية لمعظم الإنتاج الاقتصادي لغامبيا لصالح الملاحة فيه و لامتداده الشريطي للبلاد بعرض قدره 24 كلم و طول 470 كلم ، مع العلم أن موقع القرى بعيدة عن النهر لوجود مستنقعات و غابات على ضفافه . أنظر:

- عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 19.

(**) . **السافانا (Savana):** فسيفساء من الغطاء النباتي الذي يتألف من النباتات المدارية و غير المدارية بصفة رئيسية. للمزيد أنظر:

- جورج بيار، المرجع السابق، ص 443.

(6). إلهام محمد علي ذهني، المرجع السابق، ص 24.

(7). شوقي الجمل، تاريخ كشف إفريقيا و استعمارها، د.د.ن، القاهرة، 1971م، ص 16-17 .



يساير الغطاء النباتي الظروف المناخية للمنطقة، لا غرابة أن توزيع النبات الطبيعي في المنطقة يكون بصيغة معقدة، ذلك أن هناك فروقاً محليةً في مجموعات النباتات، هذه الفروق ذات أهمية كبيرة للسكان لأنهم يستدلون منها على نوعية التربة و عن موارد المياه الجوفية.

يُعد النبات الطبيعي نتاج تفاعل بين المناخ و التربة، لذلك كانت المناطق التي تسقط بها الأمطار طوال العام، تكثر فيها الأشجار الطويلة الدائمة الخضرة، تتركز بشكل كثيف في الجزء الجنوبي من إفريقيا الغربية، مع الاتجاه شمالاً تقل كمية الأمطار و يقل معها الغطاء النباتي، أين تنتشر السافانا الفقيرة و تتداخل مع الأشجار، كما تنتشر في هذا الإقليم حشائش فصلية ذات قيمة اقتصادية محدودة، على هوامش جنوب الصحراء يوجد نطاق يمتد من الغرب إلى الشرق، تسود فيه حشائش الإستبس التي تنمو في فترة المطر⁽¹⁾.

إذن، يعتبر الإطار الجغرافي الذي تطرقنا إلى خصائصه الطبيعية، هو مجال دراستنا التاريخية لأحداث وقعت خلال القرن التاسع عشر و النصف الأول من القرن العشرين في شقها التجاري، و السؤال المطروح: ما طبيعة العلاقات التجارية التي ربطت هذا الفضاء الجغرافي ضمن متغيرات القرن التاسع عشر؟.

(1). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 22.

المفصل الأول:

العلاقات التجارية

بين الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية

قبيل الاحتلال الفرنسي لهما

(1800-1850م)

المبحث الأول: القوافل التجارية و مسالكها.

المبحث الثاني: عناصر التبادل التجاري.

المبحث الثالث: التجارة الداخلية و الخارجية للإقليمين.

المبحث الرابع: الدوافع الحقيقية للاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية

و إفريقيا الغربية.



تعتبر عملية نقل التجارة بالقوافل عبر الصحراء الجزائرية، قديمة قدم العلاقات التي نسجت ما بين ضفتي الصحراء؛ ففي الوقت الذي كان العالم الغربي يجهل خباياها، قامت قوافل تجارية عبر العصور باختراق الصحراء لتبلغ بلاد السودان و تعتبر التجارة أساس هذا الاتصال الذي استمر إلى الفترة المعاصرة.

في هذا الفصل سنحاول التعرف بوجه التحديد على طبيعة العلاقات التجارية بين الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية قبيل التوغل الفرنسي بهما، خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر؛ من خلال التعرف على القبائل التي كانت تمارس التجارة آنذاك، الطرق التي كانت تسلكها، طبيعة تجارتها الداخلية و الخارجية، وصولا إلى الحديث عن متغيرات القرن التاسع عشر و الدوافع الحقيقية للاهتمام الفرنسي بالمنطقتين.

المبحث الأول: القوافل التجارية و مسالكها.

1. خصائص و مميزات القوافل التجارية:

تعتبر عملية نقل التجارة بالقوافل، طريقة عالمية قديمة أشير إليها في الكتابات القديمة⁽¹⁾، إذ تعتبر الأساس الذي يُعتمد عليه في شق فيافي الصحراء، لأنها أضمن و آمن وسيلة لمجابهة مخاطر الطريق و الحفاظ على حياة التاجر و أمواله و أمتعته⁽²⁾، لذلك يتم الالتجاء إلى نظام القوافل.

القافلة تعني الرفقة القفال في السفر و قد ذكر بعض علماء اللغة أن القافلة تعني العير كذلك، كما ذكر البعض الآخر أن العير يُقصد بها الإبل⁽³⁾، فكلمة العير استخدمت للدلالة على القافلة و الإبل و هو دليل تلازمهما.

إلا أن بعض الإشارات الأثرية و التاريخية؛ تعكس لنا صور تجارة القوافل بالحمير للفترات التي سبقت تدجين الإبل و استخدامه على نطاق واسع للنقل الصحراوي⁽⁴⁾.

(1). علي جواد، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، د.د.ن، بغداد، ط2، 1993، ص 319.

(2). عثمان المنصوري، التجارة في المغرب في القرن السادس عشر (مساهمة في تاريخ المغرب الاقتصادي)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص 150-151.

(3). علي جواد، المرجع السابق، ص 317.

(4). رضا جواد الهاشمي، « تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم»، مقال نشر في كتاب تجارة القوافل و دورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، تحت إشراف، أحمد إبراهيم دياب، معهد البحوث و الدراسات العربية، بغداد، 1984، ص 7.



القوافل نوعان؛ منها القوافل التجارية التي تتكون من مجموعة تجار لا يهتمهم سوى مصلحة الطريق و القافلة السيارة أو النجع(*)، قد ينظم بعض التجار إليها مستفيدين من حمايتها، لكن سيرها أبطأ من الأولى.

القوافل التجارية تتفاوت من حيث عدد الأشخاص المشاركين فيها أقلها اثنان و كثيرا ما يرتبط العدد بأمن الطريق⁽¹⁾، لذا يتحكم في عدد القافلة كمية الأموال، البضائع و نوعيتها و بالتالي زيادة أو نقص عدد حراسها.

يتم التقاء هؤلاء التجار في مكان معين، قد يكون أحد المراكز التجارية مثل توات: إذ يكون الانطلاق من مكان معلوم، يتجمع فيه التجار القادمون من كل جهة مُحمّلين ببضائع مختلفة، كما يأتي تجار آخرون إلى نفس المكان بمواد أو بضائع أخرى، لاستعمالها من طرف التجار المسافرين إلى بلاد السودان مثل: الجمال، المواشي، المواد الغذائية، الخيام و الأسلحة،... الخ⁽²⁾.

لقوافل التجارية تنظيمات و قوانين داخلية تتحكم في سيرها؛ فأثناء التجمع يتم تنظيم القافلة التجارية التي تتكون من مجموعة أشخاص⁽³⁾، فتشكل في هيكلتها هرما قمته القائد ثم التجار و الحراس و الدليل و أخيرا المواشي و البضائع؛ **فالقائد** (***) يخضع له المسافرون، هذه مهمة لا تعطى إلا للمعروفين بشجاعتهم و بقوتهم و بأسهم ، فهو دماغها المفكر و قلبها النابض، على حركاته و أعماله يتوقف مصير القافلة و مصير الأموال التي توضع تحت تصرفه⁽⁴⁾، له وظائف منها تنظيم القافلة⁽⁵⁾ و قيادتها إلى أن تصل، معالجة المرضى، الفصل بين المتخاصمين و القيام بالمفاوضات اللازمة مع القبائل المتواجدة على تخوم الصحراء.

(*) **قوافل النجع**: عبارة عن قبائل رُحل يتنقلون من منطقة إلى أخرى بحثا عن الكأ و الماء و الاستراحة تسمى منتجعات. أنظر :

- جماعة من المختصين، معجم النفائس الكبير، تحت إشراف، أ.د. أحمد أبو حافة، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، ط1، 2007، ص 1957.

(1). محمد حوتية، « توات و القوافل التجارية»، مقال نشر في كتاب طريق القوافل، مطابع عمار قرني، باتنة، 2001، ص 36.

(2). نفسه ، ص 35.

(3). Julien BRACHET, «Le négoce caravanier au Sahara central , histoire évolution des pratiques et enjeux chez les Touaregs Kel Air (Niger)», Les Cahiers d'Outre-Mer, Ver1, 2008, p 119.

(***) لقب قائد القافلة في الكتابات الجاهلية بزعيم القافلة أو زعيم السوق. أنظر :

- عثمان المنصوري، المرجع السابق، ص 153.

(4). علي جواد، المرجع السابق، ص 322.

(5). Julien BRACHET, Op.cit, p 121.



تُعهد حراسة القوافل إلى حراس أشداء أقوياء منذ مغادرتها ؛ حيث يقومون بحمل أسلحتهم لمقاومة المعتدين و غالبا ما تعمل على استرضاء شيوخ القبائل، ذلك بتقديم حق المرور للرؤساء و هدايا و عطايا مناسبة، عقد العقود و الموثيق و إلا تعرضت أموال القافلة إلى أخطار⁽¹⁾، بهذا الصدد يذكر الوزان أن القوافل تدفع إتاوة إلى أمراء القبائل الصحراوية قطعة قماش تساوي دينارا عن كل حمل⁽²⁾.

كما تعتمد القوافل على الدليل⁽³⁾ و غالبا ما يكون من سكان الصحراء الملمين بخبايا الصحراء، مما يُعطي نوعًا من الأمن و الاطمئنان للمسافرين، إلى جانب الدليل هناك بعض القوافل التي تقوم باستئجار حامية مكونة من القبائل الرُحّل الصحراوية؛ لا يقتصر الأمر على الأمن فقط و إنما هذه القبائل هي التي تتحكم في ينابيع المياه و الآبار⁽⁴⁾، التي حفرها التجار على أطراف معظم شبكات تنقلهم للتزود بالمياه الصالحة للشرب⁽⁵⁾.

تعتمد القوافل على وسائل للسفر؛ هي الجمال^(*)، الخيول، الحمير و البغال⁽⁶⁾، لحمل البضائع و الزاد⁽⁷⁾، غير أن الجمال هي أحسن وسيلة للنقل في الصحراء، لتحمله المشاق و العطش، هذه الميزة التي تُفرد بها عما سواه من الحيوانات⁽⁸⁾.

(1). علي جواد ، المرجع السابق ، ص 319.

(2). الحسن الوزان بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا ، ج1، تر، محمد حجي ،محمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ص 49.

(3). Julien BRACHET , Op.cit, p 122.

(4). عثمان المنصوري، المرجع السابق، ص 154.

(5). بشار قويدر، « القوافل التجارية المغربية (طبيعة التجارة و آثارها)»، مقال نشر في كتاب طريق القوافل، مطابع عمار فرني، باتنة، 2001، ص 17.

(*) الجمال: حيوان دخيل على الصحراء الكبرى، منذ القرن الثالث الميلادي، هو ذو ستام واحد و أماكن تواجده يمتد من الصحراء الغربية على حدود المحيط الأطلسي حتى حدود العراق و إيران ، وطن الجمال في كل مكان في العالم هو الصحراء لأنه لا يتحمل الرطوبة و لا الأرض الخصبية، من مميزاتة تحمله للعطش أياما بل أسابيع متوالية، كما له القدرة على المشي مسافات طويلة دون أن يناله التعب. للمزيد أنظر:

- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 33، 42.

- خديجة الراجحي، « التجارة الصحراوية ثوابت و متغيرات»، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، د.ت، هامش رقم: 03، ص 92.

(6). العربي الزبير، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1972، ص 75.

(7). عثمان المنصوري، المرجع السابق، ص 155.

(8). علي جواد، المرجع السابق ، ص 320-321.



تُنظَّم القوافل أوقات معينة للسفر؛ إذ تنطلق مرتين في السنة، مرة في بداية الخريف و مرة في الربيع، يرى **الوزان** أن أنسب وقت للسفر هو الشتاء، هذا لتجنب العواصف الرملية التي تغطي الآبار و استغلال المراعي للجمال و اتقاء الحر، كما ذكر **فلاترز (Flatters)** أن أحسن الأشهر للسفر عبر الصحراء هو شهر ديسمبر⁽¹⁾. مثل قوافل السودان تبدأ رحلتها إلى واحة توات في بداية السنة فقط، إذ يتجمع التجار و يشكلون قافلة كبيرة مع بعض الحراس ضد هجوم الطوارق، فتصنف الجمال صفوفا وراء بعضها و كل صف فيه مائة بعير لعبور الصحراء⁽²⁾.

تبدأ القافلة سيرها في الساعات الأخيرة من الليل، حتى يزداد حر الشمس تتوقف القافلة و تخفف أحمال الجمال و تُقام الخيام و ينامون إلى وقت العصر، ثم يُستأنف المشي إلى حلول الظلام⁽³⁾، مثلا قوافل توات في الشتاء تبدأ سيرها في الفترة الصباحية لتستريح الإبل في الليل، أما في فصل الصيف فإنها تبدأ سيرها من السادسة مساء إلى الصباح.

أثناء السير لا بد للقوافل من محطات و منازل تنزل بها ، لتستريح و تُريح دوابها من التعب و التزود بالماء و الزاد⁽⁴⁾، بما أن المنازل تتوقف أبعادها على الماء فإذا وُجد الماء في مواضع متقاربة قامت مستوطنات متقاربة و العكس، هنا يأتي دور الدليل في معرفة هذه الأماكن، مع الإشارة أن الماء قد لا يهتمها، إذا كانت مزودة به و إنما الاستراحة تتوقف على التعب و مقدار ما تتحملة الدواب من مشقة السفر البعيد ، لهذا كانوا يقطعون طرقهم بمراحل^(*) و منازل الاستراحة قد تكون مأهولة و بها ماء و قد يكون في العراء.

لعبور الصحراء هناك عدد من النقاط تتحكم في خط سير القوافل، لعل أهمها أماكن توفر المياه، أمن الطريق و وفرة الأسواق، كما تتلوي القوافل بسبب الظروف الطبيعية و الصحية⁽⁵⁾.

(1). V. Derrécagaix , **Exploration du Sahara , les deux missions du lieutenant-Colonel Flatters**, Imp. Emile Martinet, Paris, 1882, p 72.

(2). الأغواطي ، المصدر السابق، ص 95.

(3). عثمان المنصوري، المرجع السابق، ص 153.

(4). محمد حوتية ، توات و تجارة، ص 324.

(*) **المرحلة**: هي المنزل بين المنزلين و هو ما يفسر لنا أن كلمة المراحل التي نجدها في الكتابات القديمة بمثابة قياس الزمن و تساوي يوم. أنظر:

- محمد حوتية ، توات و تجارة، ص 36.

(5). نفسه ، ص 36



من المصاعب التي تعانيتها القوافل في الصحراء؛ نقص نُقْط الماء و مخاطر العواصف الرملية التي تترد من الآبار و بالتالي تهتك بالرجال و الدواب⁽¹⁾، للإشارة فإنه لا يختلف وضع القوافل المتجهة شرقا عن القوافل المتجهة جنوبا، فالخط الرابط بين فاس و مصر عبر ليبيا أسوأ من طريق فاس و تنبكتو، بسبب ملوحة الماء و طبيعة أراضيها الرملية⁽²⁾.

عادة ما يحصل كبار التجار على ضمانات للأمن بعدما يدفعون إتاوة مهمة لقبائل الرحل، هذه الحماية تتخذ شكل اتفاقية يقوم بتحريرها صاحب المنطقة، بموجبها يصبح مسؤولاً عن كل ضرر يلحقه مواطنوه بمصالح التاجر المحمي و عملية التعاقد غالبا ما تُختم بحفلة يقيمها التاجر المحمي؛ إذ يقوم بذبح خروف على باب الحامي الذي يكون عادة أميراً أو شيخ القبيلة، أو شيخ طريقة تتمتع بتقدير و احترام عام في المنطقة⁽³⁾.

و قد كان الطوارق^(*) يسيطرون على طرق التجارة في المناطق الجنوبية و كانوا يمدون القوافل المارة على أراضيهم بأدلاء و مرشدين مسلحين لحمايتهم، مقابل أتاوى تُقدر قيمتها على أساس قيمة البضائع التي تنقلها القوافل، غير أن بعض القوافل تصطحب معها مرشدين لكن الطوارق يتعرضون لها ليثبتوا

(1). عثمان المنصوري، المرجع السابق، ص 154.

(2). الوزان، المصدر السابق، ص 61.

(3). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 49-50.

(*) **الطوارق**: لقد اختلف المؤرخون في تسمية الطوارق؛ فمنهم من يرى أن اسم الطوارق مشتق من كلمة ترك، لكون العرب المغاربة اعتنقوا الإسلام ثم ارتدوا عنه عدة مرات و منهم من يرجع أصل الكلمة من تماشق أو تمازغ و تعني باللغة البربرية الرجال الأحرار، حيث تجتمع جل الدراسات أن أصول الطوارق ترجع إلى صنهاجة و كلمة الطوارق تنقسم إلى قسمين **توا**؛ بمعنى شعب و **رق**؛ أي أنهم تركوا الدين المسيحي واعتنقوا الإسلام، يتكلمون اللهجة الأمازيغية القديمة تسمى تماهاك أو تماجاك، أو لغة التفناغ، يضع الطوارق كلمة "كيل" و تعني "بنو أو أهل" للتعريف بفروعهم و أشهرها: كيل اقرص، كيل إيليميدن، كيل أطرام، أزجر، كيل الأهقار، كيل تقريقت، كيل آير و تمرقدا، ينقسمون إلى عديد من القبائل و كل قبيلة تنقسم إلى أفخاذ و عشائر، لكن الرحل منهم ينقسمون اجتماعيا إلى أسباط نبلاء و أتباع و عبيد من الزوج، مثل طوارق الأهقار يتكونون من ثلاث قبائل و هي "كُيل رولة" و "كيل تبغيه ملت" و "كيل طيطوق"، و شعب الطوارق يعيش مثل جميع القبائل الرحل على الماشية و قليل من الزراعة. انظر:

- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 176-179.

- إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912م)، مطابع روية، الجزائر، 1996، ص 23.

- عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 24.



سلطانهم على أراضيهم⁽¹⁾ و هكذا كان الشعانية^(*) جيرانهم في الشمال يفرضون سلطانهم على حركات التبادل التجاري قرونًا عديدةً.

أما عن تنظيم القوافل في إفريقيا الغربية، فهي تشبه التنظيم المعمول به في شمال إفريقيا، فكان ممارسة التجارة الخارجية من جميع الفئات يتجمعون معا في قوافل أشبه بفرق عسكرية مسلحة، لديها القائد، المرشد، أمين الصندوق و أمين الإمدادات و التموين، حراس، حاملون و سائقوا المواشي، فقوافل الهوسا مثلا كانت في القرن التاسع عشر، تتكون من عدد يتراوح ما بين ألف و ألفي فرد و من عدد مساو من الحمير، كانوا يسافرون لمدة خمس أو ست ساعات في اليوم يسلكون طرقًا تتوفر على الماء و كانوا يرسلون طلائع لاكتشاف قطاع الطرق للتفاوض معهم .

كانت الرحلة ذهابا و إيابا ما بين سوكتو و أشانتي، تستغرق ما بين ستة أشهر و سنة كاملة و كانت القوافل شبيهة بأسواق تتحرك ببطء، حيث تباع بعض بضائعها في الطريق و تدفع مقابل ما تحتاج إليه من مواد غذائية، كانت أعدادها ضخمة قبل الاستعمار، غير أنه خلال القرن العشرين تقلص عددها و بدأ ممارسة التجارة الخارجية يسافرون في مجموعات قليلة، حيث يرجع ذلك هوبكنز إلى تزايد حرية التنقل و أمان الأسواق، مما أتاح للمسافرين حرية اختيار أوسع الطرق، كما لم يعد من الضروري تحمل تكلفة الحراس و المرشدين لأمن الطريق⁽²⁾، غير أنه لو قارنا أوضاع القوافل التجارية العابرة للصحراء الجزائرية قبل و بعد الحقبة الاستعمارية، يمكن أن نستشف أن تضاؤل عدد القوافل التجارية كان بسبب التأثير المباشر على حرية التنقل و التجارة من قبل الفرنسيين الذين عملوا على تحويل التجارة لحسابهم.

الأکید أن أهمية القوافل التجارية، تكمن في أنها ساهمت بشكل فعال في حجم المبادلات التجارية، سواء كانت تلك القوافل مدفوعة من قبل سكان المدن أو من طرف حكامها، فإنها مثلت شريان الحياة

(1). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 182.

(*) قبيل الشعانية: يتكونون من ثلاث فروع هي شعانية متليلي المعروفين بالبرازقة، و فرع المواصي بالمنيعه و فرع بوروية بورجلان ، حياتهم تشبه تلك التي يقوم بها الطوارق ؛ إذ تقوم على الانتجاع و يعودون إلى موطنهم الأصلي مرة في العام و بانتظام. بالنسبة للمناطق التي ينتجعون فيها الشعانية واسعة جدا؛ إذ تمتد إلى الحدود الليبية في غدامس و واحات فزان شرقا حتى العرق الغربي و من وادي ميزاب شمالا حتى عين صالح جنوبا، بينما يسيطر الطوارق على النشاط التجاري في المناطق التي تمتد جنوب هذا الشريط حتى بلاد السودان. أنظر:

- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 166.

- ناصر الدين سعيدوني، ورقلة و منطقتها، ص 75-76.

(2). هوبكنز، ص 123-124.



بالنسبة لقبائل و شعوب كثيرة من سكان الصحراء الجزائرية و سكان إفريقيا الغربية على حد سواء، كما تجاوزت منافعها الحدود الإفريقية لتسهم بشكل فعال في حجم المبادلات الدولية⁽¹⁾.

2. القوافل التجارية للصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية:

يقوم التنظيم الاقتصادي للقبائل الصحراوية الجزائرية، على هجرة البدو على طول الحافة الشمالية للصحراء، على مقربة من المناطق الفلاحية في الشمال (التل) مثل بني ميزاب ، كما تتناثر على طول الخط من الشرق إلى الغرب بما في ذلك بني ميزاب، شعانة متليلي، ورقلة و الطوارق في أقصى الجنوب، هؤلاء البدو يساهمون في الإنتاج الاقتصادي إلى جانب السكان المستقرين، أما عن القبائل التي تمارس التجارة في إفريقيا الغربية، هي تلك التي تقطن المدن الواقعة على الحدود بين السافانا و الصحراء الكبرى، لكونها تعتمد كلية على الإمدادات الخارجية للحصول على احتياجاتها الغذائية، فما هي أهم هذه القبائل التي مارست التجارة خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر؟.

أ. **قوافل سوافة:** هم مزيج من بطني عدوان وطرود، ينتشرون في مواقع متعددة من وادي سوف، منها قمار، الدبيلة، البهيمة مضافا إليها عميش، الرقيبة، وادي العلندة و غيرها من التجمعات السكانية التي ظهرت خلال القرن التاسع عشر⁽²⁾، لخصوصية طبيعة إقليمهم جعلتهم يولون اهتماما بالتجارة الداخلية و الخارجية و أهم الأسواق الخارجية التي يؤمونها هي أسواق تونس، غدامس، غات، المغرب، إفريقيا الغربية و داخليا كانوا يجوبون أسواق تفرت، ورقلة، غرداية وغيرها.

ب. **قوافل ورقلة :** تضم ثلاث قبائل كبرى أولها قبيلة المخادمة التي كان من ضمنها بنو حسان ، أولاد نصر، بنو خليفة، بنو ثور، العريمت، أولاد أحمد، مجال تنقلهم إلى جنوب شرق ورقلة في اتجاه غدامس و في فصل الشتاء يقصدون وادي زرقون و الشمال الغربي من غرداية⁽³⁾.

هناك قبيلة الشعانة بوروبة و مجال تنقلهم يمتد حتى غدامس جنوبا و إلى تماسين قرب تفرت شمالا و عين صالح جنوبا و إلى سفوح جبال القصور غربا ، بعد ثلاثة أشهر من التنقل تعود القوافل إلى ورقلة مع حلول فصل الخريف.

(1). بشار قويدر: المرجع السابق، ص 13.

(2). موسى بن موسى، الحركة الإصلاحية في بوادي سوف (نشأتها و تطورها 1900-1939م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ و الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006، ص 27.

(3). ناصر الدين سعيدوني، « ورقلة و منطقتها في العهد العثماني»، مقال نشر في مجلة الأصالة، عدد خاص عن تاريخ ورقلة - سدراتة، السنة السادسة، جانفي 1977، ص 74.



أما قبيلة سعيد غنبة و هي فرع من قبيلة سعيد القبيلة الأم، هؤلاء يقومون بجنى التمور من أكتوبر إلى جانفي ثم يتم شحنها إلى نقوسة⁽¹⁾.

ج. **قوافل بني ميزاب:** يقوم الرُّحْل منهم في فصل الشتاء و الربيع على الانتشار على الحواف الشمالية للصحراء، لرعي الغنم و الماعز في أماكن يتوفر فيها الغطاء النباتي، مع نهاية فصل الربيع يحملون سلعهم من الأصواف و المنسوجات و يسافرون بها إلى التل في موسم الحصاد، ليتم مبادلة بضائعهم بالحبوب و السلع الأخرى، في نهاية الصيف يرجع الرُّحْل إلى مواطنهم بالواحات في وقت جني التمور، خلال هذه الفترة تكون أسواق الصحراء نشطة جدا مثل أسواق التل، فيتم مبادلة منتجات التل و الصحراء⁽²⁾. الأمر الذي يخلق نوعًا من التكافل و التكتاتف بين الرحل والمستقرين، حيث يعتمد الرُّحْل على المستقرين لتخزين منتجاتهم و مبادلتها بمنتجات الواحات⁽³⁾.

د. **قوافل متليلي:** يمثلون شعابنة البرازقة ، هؤلاء يخرجون للانتجاع بالترتيب؛ إذ يخرج الأثرياء ذوو القطعان الكبيرة أولا ثمة البقية طوال الشتاء و الربيع حتى شهر أوت، ترفع الخيام و يعودون إلى متليلي لجني التمور خلال شهر سبتمبر و ديسمبر.

كما يتواجد هؤلاء في تينجورارين بزاوية الدباغ، تميمون، العرق، المطارفة و في توات يقطنون تساييت، بوعلي، نفيس و برقان، أما منطقة تيديكلت يقطنون بأولف و عين صالح.

يتجه شعابنة متليلي إلى أسواق غرداية و يشترون منها السروج و النعال و غير ذلك من المصنوعات الجلدية، في أوقات القحط و الشدة يضطر الرُّحْل من الشعابنة إلى بيع السجّاد الذي تنسجه نساؤهم للاستعمال المنزلي، كما يقومون في فصل الخريف ببيع منتجاتهم من الحيوانات، الجلود، الصوف، منتجات الألبان، ثياب الصوف و يشترون مقابل ذلك ما يحتاجون إليه من الحبوب، الشاي، القهوة، السكر، الأسلحة، التوابل و مصنوعات أخرى⁽⁴⁾.

هـ. **قوافل طوارق الأهقار:** طوارق الأهقار يتكونون من ثلاث قبائل و هي كيل رولة و تيغيه ملت و طيطوق، حيث تمثل الثروة الحيوانية و البساتين القاعدة الأولى لاقتصاد طوارق الأهقار، كما أن

(1). نفسه، ص 73.

(2). Donald C. Holsinger, « Trade routes of the Algerian Sahara in the XIXth Century », Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N° 30, 1980, p 59.

(3). Ibid, p 58-59.

(4). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 167.



للتجارة مكانتها خاصة تجارة الملح ، ففي شهر أفريل و ماي يرسل الطوارق خدمهم من السود إلى أمدرور لاستخراج الملح، ثم ينتقلون إلى تامسنة و الحدود الشمالية للنيجر لمبادلة الملح بالتمور، الحمير ، الجمال، الذرة، المنتجات المصنعة مثل الملابس، الأحذية، الأواني المنزلية و الأسلحة ، كما يصلون أسواق تيديكلت و توات⁽¹⁾.

و. **قوافل توات***: من القبائل المشتغلة بالتجارة بإقليم توات؛ نجد قبيلة أولاد زنان الذين يربون الإبل و يؤجرونها للتجار⁽²⁾ و قبيلة الخنافسة التي تسكن مع أولاد بن ناصر بعين صالح و ضواحيها و تعيش في تنافس دائم مع الطوارق⁽³⁾.

ز. **قوافل المشربية**: تعتبر من القوافل الهامة التي تأتي إلى إقليم تنجورارين و هذا بسبب توفر المراعي، وأهم قبائلها نذكر: قبائل أولاد منصور، أقرية، بني مطراف، البكاكرة، أولاد فارس، مغولية، أولاد سرور، سيدل، أولاد تومي، مقان، فراحدة، أولاد مبارك، أولاد أحمد، أولاد مسعود، و مخازن الشفعة⁽⁴⁾، فقوافل المشربية تتميز بكثرة المشاركين من القبائل المختلفة و أكثرها عددا قبائل البكاكرة و أقلها عددا قبيلة بني مطراف.

ح. **قوافل البيض**: تضم عدة قبائل منها قبائل من منطقة لبيض سيدي الشيخ و هي قبيلة طراي و أولاد زياد الغرابة و سكان لبيض سيد الشيخ و هناك قبائل لمنطقة جريفيل، هؤلاء كانوا يتوجهون إلى إقليم تنجورارين و أحيانا إلى قصور توات كقصر تمنطيط.

ط. **قوافل عين الصفراء**: هذه القوافل تصل أسواق تينجورارين عبر وادي الناموس، حيث تدوم مدة التبادل التجاري خمسة و عشرين يومًا، أهم القبائل التي تنظم إلى هذه القافلة نذكر قبيلة أولاد عيسى، أجديرات، شروين، تساييت، أوفروت، دلدول، أولاد سعيد، جنتور، تاونزة و حيحة⁽⁵⁾.

(1). نفسه، ص 181.

(*) **توات**: تقع في الجنوب الغربي من الصحراء الجزائرية ، حيث تبعد عن الجزائر العاصمة حوالي 1.500 كلم، بحكم موقعها كواحة وسط الصحراء جعلها حلقة وصل بين الشمال الإفريقي و بين السودان الغربي، حيث عملت على تزويد التجار بما يلزمهم من ماء و غذاء و تعتبر ملتقى تجار الشمال و تجار السودان منذ زمن سحيق. انظر:

- الهادي المبروك الدالي، المرجع السابق، ص 300-301.

(2). حوتية ، توات و الأزواد، ج1، ص 171.

(3). الزبيري، التجارة الخارجية، ص 161.

(4). حوتية، توات و الأزواد ، ج1، ص 152، 154.

(5). نفسه، ص 155 ، 157-159.



أما عن إفريقيا الغربية، فإن التجار الذين يمارسون التجارة الخارجية كانوا أقل عددا و أكثر تخصصا من التجار الذين كانت أنشطتهم تقتصر على الأسواق المحلية، يمكن تقسيمهم إلى أربعة مجموعات فرعية على أساس نوع التخصص:

أ. المجموعة الأولى: تمثل تجار المواسم و المناسبات؛ إذ يقومون برحلات قليلة و غالبا ما تكون في موسم الجفاف، حاملين معهم الأقمشة أو الملح أو جوزة الكولا بغية كسب مقدار محدد من المال هؤلاء لم تكن لهم دوافع ممارسة التجارة الخارجية.

ب. المجموعة الثانية: تمثل التجار المنتظمين الذين تتكامل عملياتهم التجارية، على نمط معين من النشاط الإنتاجي، مثل حدادي الكوروكو في جنوب مالي.

ج. المجموعة الثالثة: تمثل تجار محترفين على درجة عالية من التخصص، ليس من باب الإنتاج و إنما يسيطرون مباشرة على إنتاج السلع التي يتاجرون فيها، ذلك عن طريق استخدام الأقارب و الرقيق لتشغيل شبكة من الفروع على طول الطرق التجارية الرئيسية⁽¹⁾.

كانت المجموعتان الرئيسيتان من ممارسي التجارة الخارجية هما:

- تجار الديولا^(*): منشأ الديولا هم الماندي، هؤلاء كان لهم الدور الرئيسي في تطوير و تبادل التجارة في غرب إفريقيا⁽²⁾، فالماندي كانت لهم أهمية خاصة في الجزء الغربي من إفريقيا الغربية، بالرغم من أنهم كانوا يتاجرون في الجنوب الشرقي، على مسافات بعيدة تصل إلى غابات ساحل العاج.

(1). هوبكنز، ص 120.

(*) الديولا: يعرف الديولا باسم الفيلوب (Felup) و تدل كلمة الديولا على معنى التجار و قد اشتهروا بالتجارة، ينتشر هؤلاء في مساحة كبيرة من غرب إفريقيا؛ من النيجر إلى السنغال و قد أتوا من شمال إفريقيا إلى السنغال في القرن التاسع و في القرن السابع عشر اتجهوا نحو التشاد تاركين جماعات منهم بين الزنوج، يجتمعون في شكل جاليات صغيرة في ثنية النيجر، فولتا العليا و ساحل الذهب، منهم من اعتنق الإسلام و منهم من بقي على وثنيته و قد ساهم هذا العنصر في تنشيط المبادلات التجارية بين البريطانيين المتمركزين في الساحل الأطلسي. أنظر:

- عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 33.

(2). بوفيل، تجارة الذهب و سكان المغرب الكبير، تر. الهادي أبو لقمة و محمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط2، 1988، ص 396.

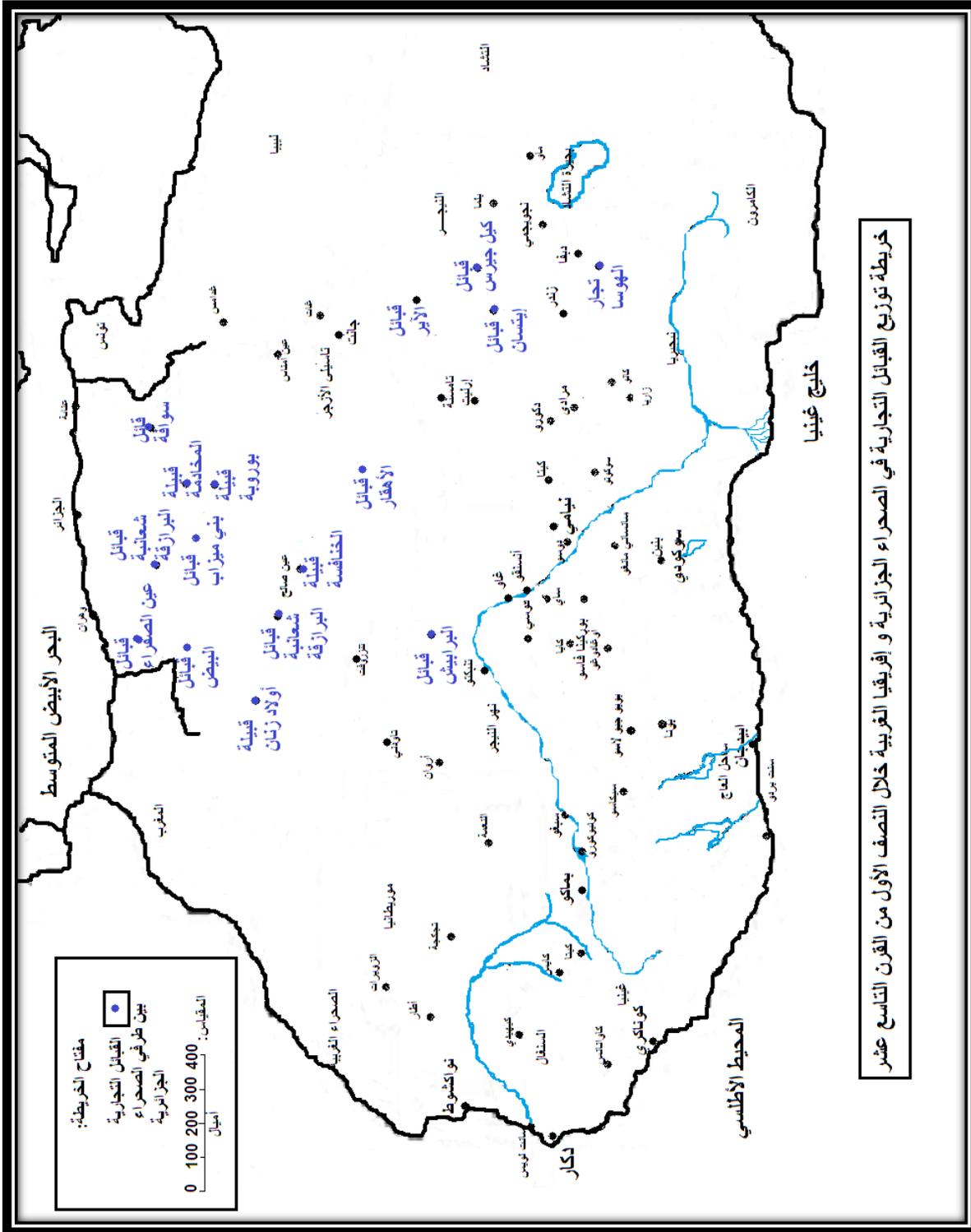


- تجار الهوسا: كانوا مهيمنين على الجزء الشرقي من إفريقيا الغربية، ينتشرون من قاعدتهم في نيجيريا الشمالية في اتجاه الجنوب الغربي حتى ساحل الذهب⁽¹⁾، حيث يذكر بوفيل أن الهوسا يقطنون غربي نهر النيجر و العديد من المراكز الصحراوية شمال غانا⁽²⁾.
- قوافل الكونتاس و البرابيش: ينتمون إلى منطقة تنبكتو و إلى قبائل تقع على شواطئ بحيرة فاجيبان، هذه القبائل تمارس التجارة عبر الصحراء و تعتبر أروان نقطة التقاء هؤلاء التجار الذين يشتركون في قافلة مع طوارق النيجر و يتجهون نحو أسواق توات⁽³⁾.

(1). هوبكنز، ص 121.

(2). بوفيل، المصدر السابق، ص 397.

(3). هوبكنز، ص 92.



(1)

(1). تم إنجاز الخريطة اعتمادا على خريطة:

- René Chudeau , « **Etudes sur le Sahara et le Soudan** », Annales de Géographie, 17^e Année, N°. 91 (15 janvier 1908), p 50-55.



3. مسالك القوافل التجارية:

إن الشريط الممتد من توات إلى غدامس و غات و من تنبكتو و جني إلى كانو، يمثل البداية النهائية للعلاقات التجارية بين قوافل الصحراء الجزائرية و غرب إفريقيا، خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر و أهم الطرق التي كانت تسلكها هذه القوافل خلال هذه الحقبة هناك:

أ. **طريق قسنطينة و كانو** : يمر عبر باتنة و بسكرة و يتفرع إلى طريقين واحد يؤدي إلى الوادي و الآخر إلى تفرت و ورقلة ، هذان الطريقان يصلان كلاً من غدامس و غات⁽¹⁾.

الطريق الأول ؛ يمر من وادي سوف إلى عميش الواقعة على الحدود الجنوبية من الوادي و منها إلى غدامس، الطريق الثاني؛ يمر بسيدي خويلد، حاسي الناقة، العين و منها إلى منطقة العاقر، تليه محطة الطيبات، بعدها يتم الاتجاه نحو الأبتز ، وادي سوف و منها إلى غدامس⁽²⁾، عبر طريق غدامس؛ يمكن الوصول إلى كانو عبر آير و زندر ثم كاتسنا وصولاً إلى المحطة الأخيرة و هي كانو⁽³⁾.

هناك طريق ينطلق من تفرت و يتجه نحو الشمال ليمر بمحطة الفيض^(*)، أين ينضم تجارٌ بسكرة للقافلة و يتجه نحو الجنوب الشرقي ليصل كونين^(**) و يتجه نحو الجنوب إلى أسواق غدامس مروراً بمحلة⁽⁴⁾ البئر الجديد^(***).

(1). الزبيري، التجارة الخارجية ، ص 173.

(2). الأغواطي، المصدر السابق، ص 95-97.

(3). بوفيل، 391.

(*) . مدينة صغيرة تبعد على بسكرة بعشرين ميلاً، يذهب إليها عن طريق سيدي عقبة و عين الناقة. أنظر:

- الزبيري، التجارة الخارجية، هامش رقم 1، ص 156.

(**) . تبعد عن مدينة الوادي بحوالي ميلين و نصف و تقع في منتصف الطريق بين قمار و الوادي. أنظر:

- نفسه، هامش رقم 2، ص 156.

(4). نفسه، ص 156.

(***) . مجموعة من الواحات يحدها شمالاً الزاب و شرقاً الوادي و غرباً وادي ميزاب و تشتمل على تفرت و تماسين و نقوسة. أنظر:

- نفسه، هامش رقم: 03، ص 156.



ب. طريق غات و آير؛ هذا الطريق يلتقي في منتصفه عند أزوا (Azawa) بالطريق الواصل إلى مركز توات، أين يعبر هضبة الأهفار و يمر بالطريق العام الذي يصل آير عبر نقطة تقاطع إفران (Ifrwan)⁽¹⁾.

ت. طريق بسكرة و أقدز: يبدأ من جنوب بسكرة نحو وادي سوف، غدامس ، غات ، جبادو ، بلما و أقاديم⁽²⁾.

ج. طريق بسكرة ، تنبكتو و جني : هناك طريق يمر من بسكرة إلى تفرت و منها إلى تماسين ثم إلى مكان يسمى مطماط، نقوسة ، ورقلة و منها يتجه نحو وسط الصحراء في ميزاب و منها إلى متليلي، ثم إلى المنيعه و منها إلى تميمون، عين صالح، تيط، أولف، أقبلي، ولان ، تانزروفت، بير مغندن ، بير تانتينا، المبروك ، أبو عجايه ، تنبكتو و من تنبكتو إلى سانساندي ثم سيغو و منها إلى جني⁽³⁾.

د. طريق لمدية و توات : يمتد من المدية، بوسعادة⁽⁴⁾، الأغواط و يمر عبر رأس الشعب ، ثم سافل الفياض ، الخدم، اللفحات و منها إلى متليلي بغرداية، الثماد ، الشارف وصولا إلى المنيعه، عن طريق المنيعه يمكن الاتجاه شرقا نحو ورقلة⁽⁵⁾، كما يمكن الاتجاه غربا نحو توات.

من الطرق المؤدية نحو توات عبر المنيعه، يتم المرور أولا عبر أولان و منها نحو الأحمر ، بئر المهل إلى بئر اللفعاية ، بئر الزرق ، بئر بودمام و منها إلى تميمون؛ جنوب تميمون نجد طريق نحو أوقروت و أولف و جنوب أولف تقع قرية تيط و في غربها طريق توات الحناء، بعد توات تأتي عين صالح في الجنوب⁽⁶⁾.

(1). بوفيل، ص 390-391.

(2). يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية، ص 42.

(3). L'abbé Barges, **Le Sahara et le Soudan, documents historique et géographiques**, Just Rouvier libraire-éditeur, Paris, 1853, p 5-11.

(4). Donald , Op.cit, p 59.

(5). الأغواط، المصدر السابق، ص 89-92.

(6). نفسه، ص 92-94.



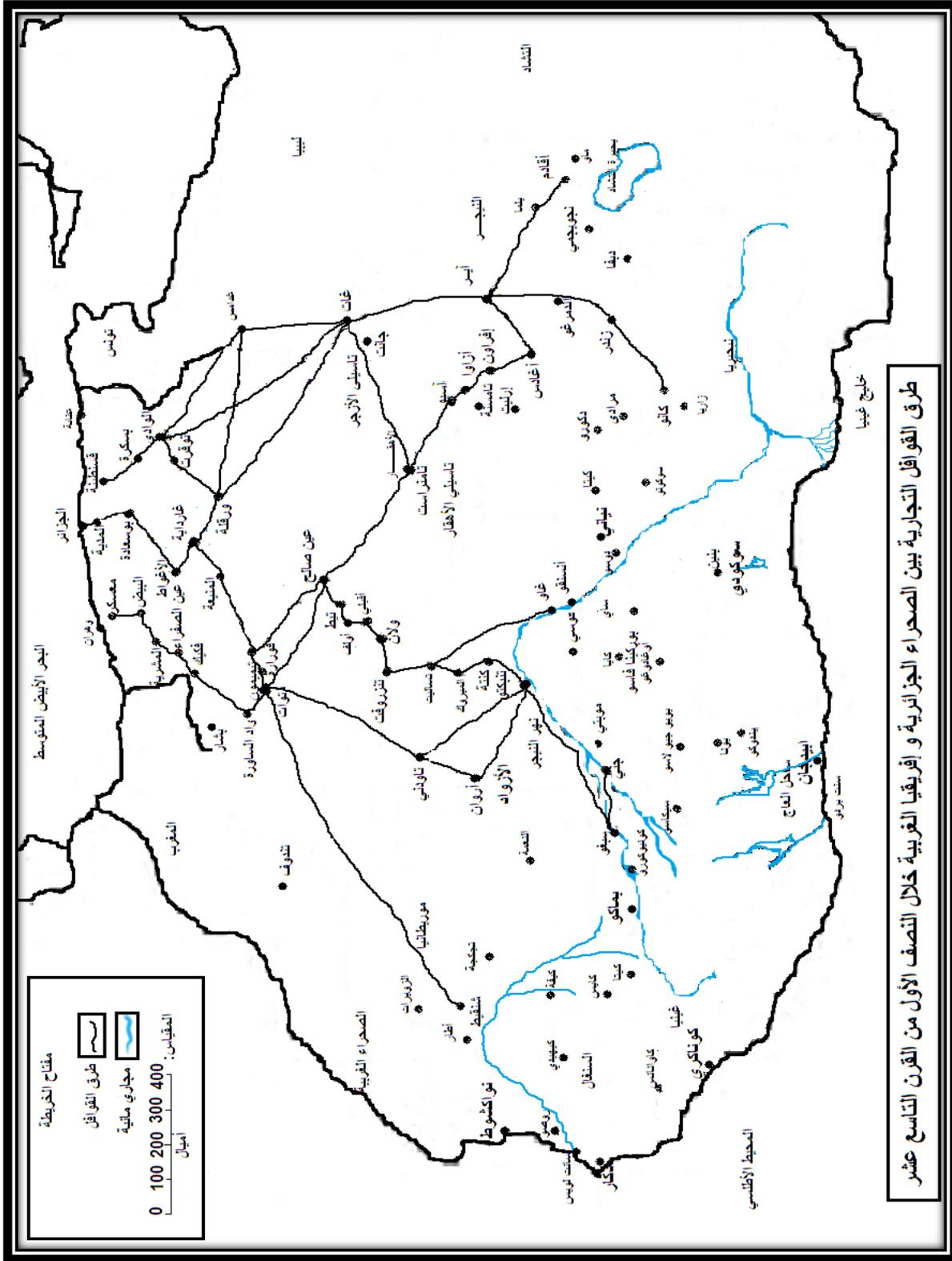
- هـ. طريق معسكر و توات: يمر عبر البيض⁽¹⁾، عين الصفراء، فكيك، واد زوزفانة، ايجلي، وادي الساورة، توات؛ لهذا الطريق فرع آخر شرق الأول يبدأ من خيثر، لبيض سيدي الشيخ، المنقب إلى توات⁽²⁾. هناك عدة مسالك ارتبطت بإقليم توات من كل الجهات و هي:
- طريق رقان و تنبكتو؛ حيث تسير القوافل عبر حاسي حسدة، حاسي اليوز المالح، بير الذهب، تنصر، صيطي، طرفية، تليف، تاودني وصولا إلى تنبكتو.
 - طريق أقبلي و أماهور؛ حيث يتم المرور عبر أقبلي مراقن، والن، الأربعمائه، تجنوت، أشوراد، أناقيس و أماهور.
 - طريق أولف إلى غاو؛ حيث يعبر مراقن، والن، تنزروفت، البرج، حاسي ياكنتليس، تساليت، أقاهوك، أنافيف، تبرشات، تنكورت، تنقارا، أوراغن، غاو.
 - هناك طريق قورارة باتجاه الغرب نحو شنقيط⁽³⁾.
 - طريق تيميمون و جني؛ عبر عين صالح، تيط، أولف، أقبلي، ولان، تانزروفت، بير مغندن، بير تانتيناه، المبروك، أبو عجايه، تنبكتو، سانساندي، سيغو و جني⁽⁴⁾.

(1). Donald , Op.cit, p 59.

(2). يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية، ص 41.

(3). الأغواطي، المصدر السابق، ص 94.

(4). L'abbé Barges, Op.cit, p 5-11.



(1)

(1). أنجزت الخريطة اعتماد على خرائط:

- بوفيل: المصدر السابق، ص 392.

- René Chudeau , Op.cit, p 50-55.



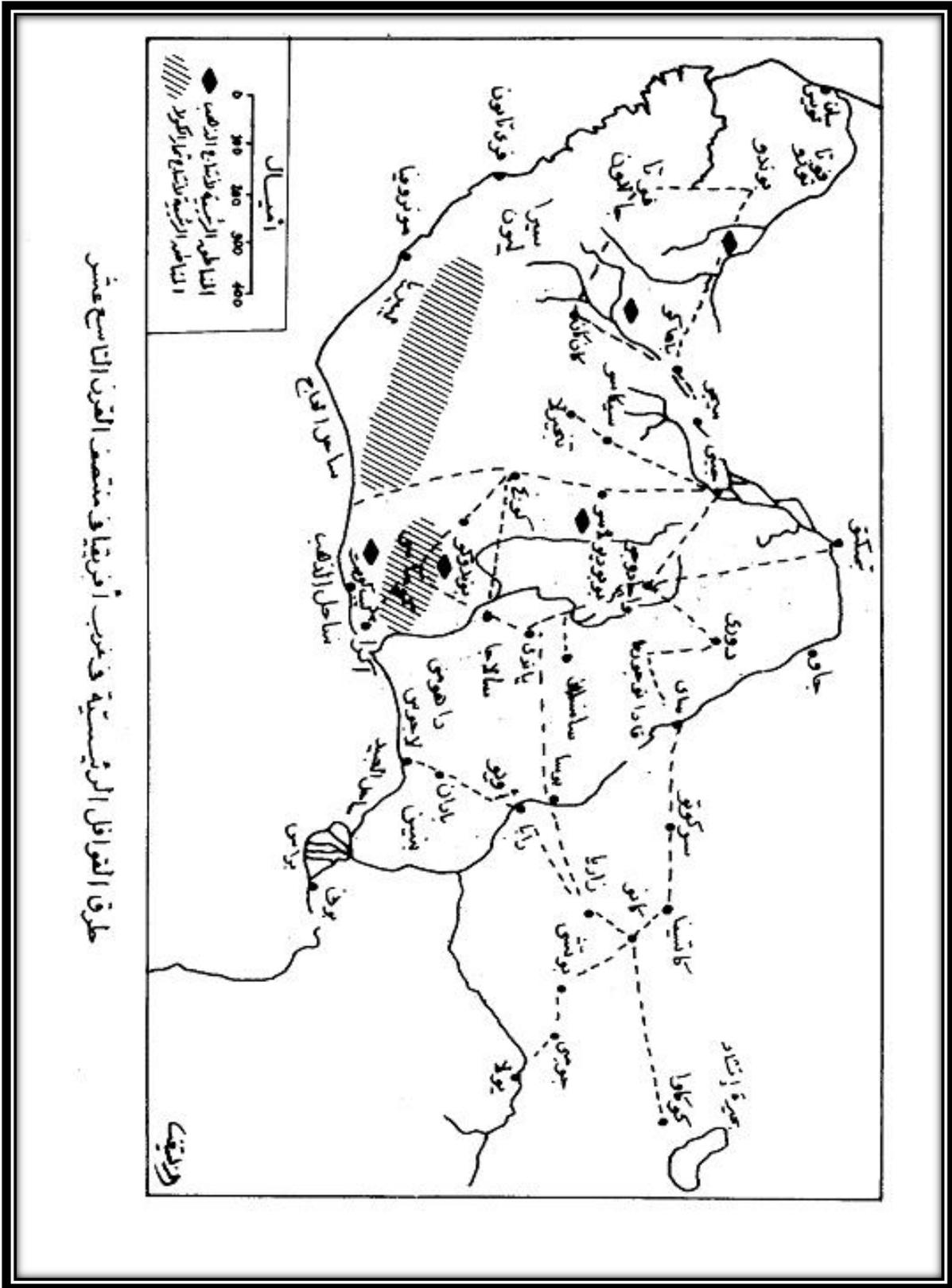
- خلال القرن الخامس عشر، تم إنشاء شبكة معقدة من الطرق التجارية، من أجل الوصول إلى الجزر المتناثرة جغرافيا، كما كانت هناك مجموعة من الطرق الطويلة التي تصل الشمال بالجنوب، لأن هذه الطرق تخترق المناطق الجغرافية الرئيسية التي تمتد من الغرب إلى الشرق في أحزمة تكاد أن تكون متوازية و هكذا كان الرعاة على الحدود بين الصحراء الكبرى و السافانا يمارسون التجارة مع مزارعي السافانا، كما يوجد طريق آخر يمتد من الغرب إلى الشرق يربط مناطق السافانا و الغابات⁽¹⁾ و من بين هذه الطرق:
- طريق تاوديني الذي يتجه مباشرة نحو أروان (Arawan)⁽²⁾، ليلتقي مع طريقين آخرين يسير أولهما جهة توات و مبروك و ينتهي عند تنبكتو، أما الثاني فيتجه شمالا من مدينة سانسدينغ (Sansanding) على نهر النيجر الأعلى حتى تنبكتو⁽³⁾.
 - الطريق الذي يربط كانو و باداجرى غير محدد تماما للتجارة، فالمدينتان منفصلتان بجزام من الغابات تسكنه اليوروبا و بعض القبائل الأخرى، لكنه طريق خطير مما جعل نقل التجارة عبره غير محددة، إذ يتم إتباع طريق على الضفة اليسرى للنهر عبر يورى إلى شمال غرب الهوسا، حيث يلتقي بطريق الكولا الرئيسي القادم من جوانجا إلى كانو، هذه أهم الطرق التجارية التي تقود إلى الهوسا من الغرب و تلتقي كلها بالقرب من حيحا.
 - كما أن هناك طريق النيجر نحو أعالي النهر عند إيلو، من كومي اتخذ طريق نحو الشمال الشرقي عبر برنين جوارى و زاريا إلى كانو⁽⁴⁾.

(1). هوبكنز، ص 115 - 117.

(2). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 168.

(3). بوفيل، ص 387.

(4). رياض زاهر، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا و أثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1968، ص 310-311.



(1)

(1). بوفيل، ص 392.



إضافة إلى المسالك النهريّة التي تُعتبر أرخص وسيلة لنقل السلع عبر مسافات طويلة، إلا أن الملاحة بأنهار إفريقيا الغربية صعبة لوجود شلالات خطيرة، حيث كان بعضها يفيض في موسم الأمطار مع افتقار البعض الآخر للماء في موسم الجفاف، يعتبر النقل المائي التجاري ذات أهمية في نهر النيجر و السنغال و قطاعات أخرى من نهر الفولتا، كما كان الممر المائي الداخلي الأكثر حركة هو قطاع الوسط من نهر النيجر الذي يربط تنبكتو بجني و غاوا، ففي هذا الجزء كان يستخدم العديد من قوارب الكنو(*) و بفضل مجمع النيجر الأوسط أصبح واحدا من أكبر مراكز التجارة في إفريقيا الغربية⁽¹⁾.

(1). نفسه، ص 145.

(*) قوارب الكنو: هي زوارق طويلة خفيفة و مديية الطرفين تُقاد بمجداف، يستعمل هذا النوع من القوارب لكونه أفضلهم لتجاوز المصاعب و قد كان طول البعض منها يبلغ ثمانين قدما أو أكثر، يستطيع حمل مائة فرد. أنظر: - هوبكنز، ص 145.



المبحث الثاني: عناصر التبادل التجاري.

1. وسائل التبادل التجاري.

أ. المكاييل و الموازين و المقاييس.

يعتبر استعمال المكاييل و الموازين و المقاييس ضرورياً لضبط حجم المواد التجارية و تحديد مقاديرها و قيمتها تختلف حسب نوع المواد من مكان إلى آخر، يمكن تقسيمها إلى ما يلي:

1. المكاييل: لكيال الحبوب و ما شابهها من المواد اليابسة و كذا المواد السائلة مثل الزيت و العسل⁽¹⁾، من بين المكاييل التي كانت سائدة في كل من الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية يوجد:

- المد: كان من المكاييل السائدة بالمنطقتين، حيث يذكر الونشريسي أن أهل المغرب كانوا يُخرجون زكاة الفطر بهذا المد القروي و هناك عدة أنواع منه المد النبوي الذي يُجلب من المدينة و تؤدي به الصدقات أو الزكاة و هو على نوعين؛ المد الصغير و الكبير⁽²⁾، يساوي حفنة يدين متوسطتين، يستعمله التجار و العامة عند كيال المواد الجافة كالتمر و الحبوب ، كما يكثر استعماله عند إخراج زكاة الفطر⁽³⁾.

- الصاع^(*): هو مقياس معروف منذ القدم، يساوي الصاع الشرعي أربعة حفنات⁽⁴⁾، أي أربعة أضعاف المد⁽⁵⁾، ما يعادل 3 كلغ، مع العلم أن صاع الحبوب المستعمل في مدينة الجزائر يتراوح ما بين 60 و 80 لترا حسبما حدده الفرنسيون سنة 1830م⁽⁶⁾.

(1). عثمان المنصوري، المرجع السابق، ص 74.

(2). كمال أبو مصطفى، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة للنشر و التوزيع، الإسكندرية، 1997، ص 81.

(3). حوتية ، توات و الأزواد، ج1، ص 161.

(*) . يختلف وزنه حسب المواد و الجهات ، فصاع الحبوب يساوي 106 كلغ و صاع الملح يساوي 135 كلغ. أنظر:

- عبد الله بن محمد الشويهد، قانون أسواق مدينة الجزائر (1107-1117هـ/1695-1705م)، تحقيق و تقديم و تعليق، ناصر الدين سعيدوني، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2006، هامش: 02، ص 67.

(4). كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 82.

(5). حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 161.

(6). الشويهد، المصدر السابق، هامش رقم: 01، ص 43.



- **النقاصة:** تستعمل لكييل السمن و الزيت، سعتها لتر واحد تقريبا و مثلها نصف نقاصة و ربع نقاصة ، كلا النقاصتين تحمل معلما يبين الكيل. عند الميزابين يتم وضع علامة ضبطها من طرف حلقة العزابة بمسجد البلدة⁽¹⁾.

كما تُستعمل **القصة** بإقليم توات و تُعادل 2.5 كلغ⁽²⁾. **المزود**^(*)؛ يعادل 50 أو 80 كلغ حسب المادة الموضوعة فيه. **الحمل**؛ يعادل 60 صاعا⁽³⁾. **المرطة**؛ تساوي أربعة صيعان⁽⁴⁾.

2. الموازين: تنقسم بدورها إلى قسمين:

أ. **موازين المواد الثقيلة:** من الموازين الثقيلة نجد **الرطل**^(**)؛ يساوي في الغالب 500 غرام⁽⁵⁾ و **الربع**؛ يستعمل لوزن عدد من المنتجات المختلفة، مثل القمح، اللحم، الشمع و السكر ، بما أن القنطار يعادل 100 رطل، فإن الربع يتحدد أساسا على قيمة الرطل و بالتالي اختلافه يكون باختلاف قيمة الرطل، الربع يعادل 25 رطلا. أما القنطار؛ يساوي مائة رطل⁽⁶⁾، استعمل في وزن الملح، البارود، النحاس ، الصمغ، العقيق و السكر⁽⁷⁾.

(1) . يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 48.

(2) . حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 161.

(*) . يسمى أيضا المودي، يساوي ما يحمله العبد من حبوب و غيرها في كيس من الجلد. أنظر:

- عبد القادر زبادية، مملكة السنغاي، ص 199.

(3) . حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 161

(4) . عبد الكامل عطية ، المرجع السابق، ص 162.

(**) . هو من الأوزان التي عُرفت ببلاد المغرب منذ القديم و توجد له أوزان مماثلة في الدول الأوروبية. أنظر:

- حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 165.

(5) . نفسه، ص 165

(6) . عبد الكامل عطية ، المرجع السابق، ص 162.

(7) . عثمان المنصوري، المرجع السابق، ص 81 - 84.



ب. موازين المواد الخفيفة و الدقيقة: لقد اهتم التجار بما لوزن الأشياء الثمينة كالفضة و الذهب التي توزن بميزان صغير و هي غير مؤشرة من طرف السلطة لكنها مراقبة من قبل وجهاء المدينة، منها الأوقية التي تعادل في المتوسط 27.5 غرام، أو جزء من اثني عشر جزء من الرطل العادي⁽¹⁾، حيث يباع تراب الذهب بتيميون وزن المثقال^(*) بالأوقية⁽²⁾.

كما تتخذ الأوزان الدقيقة التي تُستعمل في وزن مسحوق الذهب أشكالاً و معايير متباينة، في الحقيقة هي أجزاء من المثقال الذي كان يعادل 4 غ، هذه الأوزان تحمل في إفريقيا الغربية أسماء محلية، هي الباني، الصود، الثلث، الدياري، العروبو و العروباس⁽³⁾.

لقد وجد بارث أثناء مروره بإفريقيا الغربية أن المثقال لا يزال مستعملاً بكثرة في تنبكتو و يساوي وزن 96 حبة قمح⁽⁴⁾ و هي نفس القيمة التي يساويها في أسواق مدينة الجزائر حسب ما أشار إليه سعيدوني⁽⁵⁾، إضافة إلى السرة؛ و تساوي خمسة عشر وزنة أي مائة مثقال و الوزنة؛ تساوي 6 مثاقيل و ثلثين⁽⁶⁾.

3. المقاييس: تستعمل المقاييس لقياس الأثواب و المنسوجات و ما شابهها، لقياس الطول والمسافات.

أ. مقاييس الأثواب و المنسوجات: من المقاييس التي كانت مستعملة حينها يوجد الشبر؛ هو المسافة بين الخنصر و الإبهام، عندما تكون اليد اليمنى مفتوحة، ما يعادل 21.5 سم . الذراع؛ هو وحدة قياس الطول و يحدد الذراع ما بين المرفق و نهاية الوسطى، يساوي 50 سم. القامة؛ هي طول الرجل المتوسط، تساوي 1.70 سم . الفتر؛ هو المسافة بين السبابة و الإبهام في حالة انفتاح اليد اليمنى ، يساوي 17 سم .

(1) . نفسه، هامش رقم: 05، ص 41.

(2) . رابح رمضان، « جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بالصحراء الجزائرية من خلال رحلة الأغواطي»، مقال نشر في كتاب المنتدى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، مطبعة منصور ، الوادي، 2012، ص 202.

(3) . حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 164 - 165.

(*) . يوزن به الذهب، الجواهر، الروائح و أدوات الزينة الثمينة . أنظر:

- الشويهد، المصدر السابق، هامش رقم: 04، ص 42.

(4) . حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 165.

(5) . الشويهد، المصدر السابق، هامش رقم 4، ص 42.

(6) . الزبيري، التجارة الخارجية، هامش رقم: 02، ص 167.



ب. مقاييس الطول و المسافات: منها القدم؛ لقياس الأرض و تحسب قدمًا بعد أخرى، يستعمل بكثرة لمعرفة وقت الزوال. الحبل؛ لقياس الأرض و طوله 10 أمتار. البريد؛ ساعة واحدة بالسير المتوسط بالحصان⁽¹⁾. الفرسخ؛ تقاس به المسافات الطويلة، يساوي ثلاثة أميال أي:

$5.760 = 3 \times 1.920$ متر تقريباً⁽²⁾ و الميل؛ يعادل عند العرب 2.000 ذراع و 10.000 خطوة عند الرومان، اعتماداً على الذراع، يساوي 67 سم .

ج. مقاييس أخرى: تعتبر الحبة؛ وحدة لقياس الماء و هي عبارة عن ثقب في لوحة من النحاس تساوي حجم الإبهام، طولها تسعة ملم؛ يمر بها في الدقيقة الواحدة ثلاث لترات من الماء⁽³⁾.

2. نظم التعامل التجاري و أهم العملات المستعملة.

أ. نظم التعامل التجاري:

- المقايضة (Troc)^(*): كانت المقايضة أهم أساليب التعامل التجاري السائد في الأسواق بالمنطقتين، تعود إلى فترات بعيدة من التاريخ السحيق، إذ يؤكد لنا الوزن خلال القرن السادس عشر انتشار أسلوب المقايضة⁽⁴⁾، فهي لم تقتصر على التجارة الداخلية بل التجارة الخارجية أيضاً، حيث يصدر الملح مقابل التبر و ملح البارود مقابل كريات مدفعية.

نجد عند الونشريسسي الكثير من النوازل المتعلقة بمبادلة الطعام بالطعام أي الحبوب بالدقيق⁽⁵⁾ أو الزيت بالزيت و استعمال المواد الفلاحية للرد على الدينار⁽⁶⁾، مثلاً تعتمد توات

(1). حوتية، توات و الأزواد ، ج1 ، ص 163 - 164.

(2). عبد الكامل عطية ، المرجع السابق، ص 162.

(3). حوتية، توات و الأزواد ، ج1، ص 163 .

(*) المقايضة: كان تبادل السلع بين ضفتي الصحراء الكبرى يعود إلى عصور قديمة و قد ذكرها المؤرخ هيرودوت الإغريقي و سماها "التجارة الصامتة"، بسبب عدم وجود لغة مشتركة بين الطرفين ، فكان تجار الشمال يضعون ما يحملونه من سلع في مكان متعارف عليه ثم يتعدون قليلاً عن المكان، فيأتي الأهالي من الجنوب و يضعون ما يرون أنه مقابل لثمن سلعة أهل الشمال ، ثم يتعدون قليلاً حتى يعطوا فرصة لتجار الشمال أن يقرروا إن كان الثمن مناسب لسلتهم، حيث يأخذون ما يرونه يقابل سلعتهم دون تحاور مباشر و قد استمرت هذه الطريقة إلى أن انتشر الإسلام في ربوع تلك المناطق أين أصبح التواصل مباشراً. أنظر:

- هوبكنز، ص 132.

- خديجة الراحي، المرجع السابق، ص 92.

- رابع رمضان، المرجع السابق، هامش رقم: 30، ص 210.

(4). الوزن، المصدر السابق، ج2، ص 191.

(5). كمال أبو مصطفى، المرجع السابق، ص 35.

(6). نفسه، ص 67.



بأسواقها مبادلة السلع ببعضها و غالبا ما تخضع عملية التحديد للعرض و الطلب و السعر اليومي للسلعة، من تمر و حناء و مصنوعات يدوية مقابل السلع التي يجلبها تجار الشمال كالصابون، الشمع، الدقيق، الخرفان، الزيوت، السمن و الصوف المغرول⁽¹⁾.

- **الودع:** كان التعامل بالودع منتشرا في منطقة إفريقيا الغربية و قد ذكر الجغرافيون و الرحالة أنه من العملات الكثيرة التداول بينهم، تختلف قيمته النقدية من وقت لآخر؛ الودعة الواحدة يمثل ثمنها بالذهب حوالي 0.35 فرنك، إذ يستعمل الودع لشراء الأشياء البسيطة كما استخدمونه أيضا كنقد في معاملاتهم التجارية اليومية، يعد بالمئات و الآلاف و قد شاهد الوزن عمليات البيع و الشراء بنسبة كبيرة يدفع فيها الودع كعملة محلية⁽²⁾، هذا ما يؤكد لنا توارث استعمال هذه العملة عبر قرون و بقي التعامل بالودع في مختلف مناطق إفريقيا الغربية حتى أواخر القرن التاسع عشر⁽³⁾، خاصة في حوض النيجر حيث كانت قيمته تنخفض و ترتفع حسب قلة و كثرة المواد الغذائية⁽⁴⁾، نستثني نيجيريا الشرقية و ساحل غينيا العليا و أراضيها الداخلية (من السنغال حتى ليبيريا) التي كانت تستخدم النقود الحديدية المختلفة.

كما كانت القضبان و الأسلاك النحاسية متداولة في الجزء الشرقي من دلتا النيجر و كان القماش و العملات المعدنية موجودة في أجزاء كثيرة من إفريقيا الغربية أين فشل الودع التغلغل فيها⁽⁵⁾.

- **الملح:** كان يتم تقطيعه إلى قطع مختلفة الأحجام و الأشكال، يستعمل في البيع و الشراء، هناك قطع تساوي 160 فرنكا، قطع تساوي 240 فرنكا، قطع تساوي 320 فرنك، الملاحظ أن تجارة الملح تكاد تكون محتكرة من طرف البدو الرحل الصحراويين⁽⁶⁾، إذ يقوم الطوارق بمبادلة الملح بالتمور، الحمير، الجمال و الذرة⁽⁷⁾، في الوقت الذي كان الأفارقة يولون قيمة رفيعة للملح، لأن أهمية الذهب عندهم تتحدد بمقدار قوته الشرائية، لكونه السلعة التي لا يمكن الاستغناء عنها لبقاء آدمية الإنسان نفسه.

(1). فنج محمود فنج، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر، ديوان المطبوعات الجامعية، د.م.ن، د.ت، ص 81.

(2). الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 192.

(3). هوبكنز، ص 135.

(4). عبد القادر زبادية، مملكة السنغاي، ص 209 .

(5). هوبكنز، ص 135.

(6). يحي بوعزيز، « طريق القوافل و الأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن التاسع عشر»، مقال نشر في كتاب تجارة القوافل و دورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، تحت إشراف، أحمد ابراهيم دياب، معهد البحوث و الدراسات العربية، بغداد، 1984، ص 136.

(7). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 182.



ب. العملات المسكوكة:

تعتبر العملة(*) وسيلة دفع أخرى استعملت بالمنطقتين، بالنسبة للجزائر فإن العملة التي كانت تضرب بدار السكة⁽¹⁾ كانت على شكل مستدير و هي على نوعين من المعادن؛ السبائك الذهبية والفضية، غير أن الفضة كانت أكثر المعادن طلبا و كانت تستورد من مناطق أخرى⁽²⁾. انقسمت العملة الجزائرية إلى نقود ذهبية و فضية؛ النقود الذهبية تشمل السكة، نصف السكة، ربع السكة و السلطاني، أما النقود الفضية فهي البوجو، ربع بوجو و زوج بوجو بالإضافة إلى النقود النحاسية المتمثلة في خربة و غرامس صغار، زوج غرامس صغار و دراهم صغار، بالإضافة إلى النقود المغربية المتمثلة في البندقي، العشراوي، نصف البندقي، نصف العشراوي، المثقال، الموزونة، الفللس و الدرهم، هذه النقود غالبا ما تحمل شكلاً مستديراً تماشياً مع مسكوكات الخلافة العثمانية⁽³⁾. كانت المعاملات الاقتصادية بمنطقة الصحراء الجزائرية تتم بعملة متعددة(**)، عند المزايين يستخدمون عملة خاصة بالمنطقة، مع العلم أن هناك غموضاً حول مكان ضرب السكة المحلية، إذ لم تُشر المصادر المكتوبة أو المادية المتوفرة إلى وجود دار أو ورشات لصناعة النقود⁽⁴⁾.

(*) هي مقياس لكل تعامل مالي سواء على المستوى المحلي أو الخارجي، أنظر:

- ناصر الدين سعيدوني، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830م)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985، ص 189.

(1). نفسه، ص 189.

(2). نفسه، ص 162.

(3). حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 163.

(**) بدأ سك العملة العثمانية في الجزائر بمجرد تولي عروج بربروس على مدينة الجزائر، حيث كانت هناك داران لضرب السكة واحدة بتلمسان توقفت في بداية القرن السابع عشر، أما الدار الثانية فقد تأسست بمدينة الجزائر بقصور الجينية، ثم تحولت إلى حصون القصبية على عهد الداوي علي خوجة سنة 1817م، ترسيخاً لمشروع توحيد القطر الجزائري و تأطيره بمؤسسات مركزية، في سنة 1820م أمر الأمير ببناء دار السكة في القصبية. أول قطعة نقدية عثمانية مسكوكة في الجزائر كانت " السلطاني" و هي من الذهب الجيد، تحمل اسم السلطان العثماني و تاريخ توليته على وجهه و مكان الضرب و تاريخه على الوجه الآخر. هذه الدنانير السلطانية حافظت على قيمتها حتى القرن التاسع عشر. أنظر:

- الشويهد، المصدر السابق، ص 40.

- بلقاسم بن خليفة، « واقع النشاط الاقتصادي لمجتمع وادي سوف خلال القرن التاسع عشر»، مقال نشر في كتاب أعمال

الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال

المصادر المحلية، مطبعة منصور، الوادي، 2012، ص 250-251.

(4). نفسه، ص 251-252.



من العملات التي شاع استعمالها في التجارة الصحراوية، بعضها محلي و البعض الآخر مستورد من الخارج و أهمها: **الدرهم**؛ يعرف عادة بالبوجو ، قدرت قيمته سنة 1830م ب 1,883 فرنك⁽¹⁾، له أجزاء: ربع بوجو يساوي 0,47 فرنك، ثمن بوجو يساوي 0,23 فرنك، **الدينار**^(*)؛ قدرت قيمته سنة 1830م ب : 5,40 فرنك⁽²⁾ و تساوي 40 درهما . **السلطاني**^(**)؛ يساوي 8,90 فرنك⁽³⁾ و نصف سلطاني يساوي 2,75 فرنك. **الموزونة**؛ تساوي 29 درهما . **الريال بجة الإسباني و الريال التونسي**؛ يساوي تقريبا القرش العثماني و هو النموذج الذي جاء منه الدولار و هو قطعة فيها 23,36 غ من الفضة الخالصة⁽⁴⁾.

كما انتشرت عملة حديدية في غينيا و عملة نحاسية حمراء رقيقة و غليظة ذات قيمة منخفضة جدا، تساوي 400 قطعة رقيقة منها دوخة واحدة. كما تعتبر **الدراخمة**؛ عملة مستوردة من الخارج. يعود اختلاف تسمية العملات العثمانية بين مختلف أقطار الأيالة، إلى أن تلك القطع المضروبة لم تحمل اسم القطعة، لذلك من الصعوبة الجزم في التسمية الحقيقية للعملة المستعملة في الوثائق المحلية، خاصة في المناطق الصحراوية⁽⁵⁾، مع العلم أنه في كثير من المناطق الصحراوية للجزائر نجد انتشار عملة الجزائر و عملة فاس، يبدو أن سبب انتشار عملة فاس في هذه المناطق كان نتيجة انحصار المد العثماني نحو الجنوب، أضف إلى ذلك جودة العملة الفاسية و رداءة العملة العثمانية⁽⁶⁾.

إن ما تمّ ملاحظته أن العلاقات التجارية لكل منطقة من مناطق الصحراء الجزائرية، يضيف عليها نوع من العملات المستعملة، ففي بني ميزاب تكشف لنا مصادرهم المحلية العملات التي كانت سائدة خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر، باعتبار أن جل تعاملاتهم كانت مع التل، فقد حرص المزابيون

(1). يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 56.

(*) **الدينار**: عملة نقدية متميزة بارتفاع قيمتها و إقبال الناس على اقتنائها، كانت تضرب في عهد الموحدين من الذهب ثم أصبحت من الفضة ، فعرفت عند الناس بالدوبله ثم الدبلون و ظلت مستعملة لجودتها. **أنظر** :

- الشويهد، المصدر السابق، ص 39.

(2). نفسه، ص 39.

(**) **السلطاني**: قطعة نقدية تعرف عادة بسلطاني الجزائر أو سكة الجزائر، وزنها المتوسط 3,25 غ و قيمتها 4,50 ريال بوجو (11 فرنك) أعيد ضربها في أواخر العهد العثماني فأصبحت تعرف بالسكة الجديدة و لها أجزاء؛ نصف سلطاني و ربع سلطاني. **أنظر**:

- الشويهد، المصدر السابق، هامش رقم 05، ص 42.

(3). نفسه، هامش رقم: 05، ص 42.

(4). بلقاسم بن خليفة، المرجع السابق، ص 252 - 253.

(5). نفسه، ص 256.

(6). رابع رمضان، المرجع السابق، ص 201-202.



اعتماد ما تسكه الأيالة من عملات، حيث صدر سنة 1827م قانون يقضي باعتماد السكة الجديدة المضروبة من طرف الأيالة، كما جاءت إشارة إلى عملة السلطاني لإحدى المعاملات الاقتصادية للسيد: أبي بكر بن باب بن ابراهيم و الحاج داود بن سليمان بن الحاج أحمد امناسن، من خلال إحدى المعاملات التي تعود إلى 1778م⁽¹⁾.

نفس الشيء بالنسبة لمنطقة الأغواط، فهي تعتمد عملة الجزائر و فاس كما أشار إلى ذلك الأغواطي⁽²⁾ و إذا اتجهنا شرقاً نجد ورقة تعتمد العملة الجزائرية و الريال التونسي و الدورو الإسباني ، حيث يفيدنا العياشي بهذا الصدد أن هناك عملة محلية بورقلة وصفها بأنها تتكون من دراهم فضية يعادل كل 24 درهما منها ريالاً واحداً و ذلك لما فيها من نحاس كثير⁽³⁾ و إذا اتجهنا نحو الجنوب الغربي نجد ثورارة تعتمد عملة فاس⁽⁴⁾، بالنسبة لطوارق الأهقار كانت عملتهم قماش الشقة^(*).

عن إقليم توات يتعاملون بالعملة النقدية إلى جانب المقايضة، حيث تستعمل النقد المحلي أو الخارجي، هذه المعاملات غالباً ما تكون بين التاجر و المستهلك، يوجد سمسرة و وكالات تجارية لإتمام العمليات التجارية لحساب غيرها، بموجب توكيلات صادرة عن قاضي المدينة، كما تتوفر على صرّافين يقومون بصرف العملات الأجنبية⁽⁵⁾.

أما عن إفريقيا الغربية، يذكر هوبكنز أن هذه الأخيرة قد أخفقت في تطوير النظام النقدي لتسهيل التبادل، كما نجد رأياً آخر يدلي بأن هناك عملات مختلفة، غير أنها لم تكن تتمتع بخصائص النقود الحديثة أو تؤدي نفس وظائفها، ذلك لكون السلع التي تدخل السوق يتم تبادلها عن طريق المقايضة.

هذه العملات يمكن تصنيفها كعملات انتقالية بين المقايضة الصرفة و الأنظمة النقدية للمجتمعات الصناعية المتقدمة من ناحية أخرى، فهناك عملات ذات غرض عام تستهدف المساعدة على تحقيق السيولة و هناك عملات ذات غرض خاص تستهدف التحكم في السيولة، لا يمكن أن تستخدم إلا لشراء

(1). بلقاسم بن خليفة، المرجع السابق، ص 253.

(2). الأغواطي، المصدر السابق، ص 88.

(3). ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 93 .

(4). الأغواطي، المصدر السابق، ص 94.

(*) الشقة: قطعة قماش تعرض للبيع عادة ملفوفة على قطعة من الخشب. أنظر:

- الشويهد، المصدر السابق، هامش رقم: 04، ص 47.

- أنظر للجدول الخاص بالسلع التي يشتريها الطوارق مقابل عملة الشقة . الملحق رقم 02.

(5). فوج محمود فوج، المرجع السابق، ص 81 .



مدى محدود من السلع غير قابلة للتحويل إلى عملات أخرى، مع العلم أن العملات الرئيسية في إفريقيا الغربية كانت عملات ذات غرض عام و كانت لها خاصية النقود الحديثة⁽¹⁾.

3. الأسعار:

إن معالجة موضوع الأسعار مرتبط بمشاكل النقود و المكاييل، فالأسعار تختلف باختلاف الأماكن و التجار، حيث يتم تحديد السعر بتزايد عدد السكان و زيادة الإنتاج، كما أن نوعية البضاعة تحدد السعر، إضافة إلى عوامل تتدخل في تحديد الأسعار منها ما يفرض على التجار من مصاريف النقل، بعد المسافة، ضرائب حق العبور و المكوس كما يلي:

المكوس	المناطق
خلال الذهب 4,5 فرنك و 1 فرنك خلال العودة،	في غات
20 فرنك للحمولة،	في أغاديس
خلال الذهب 25 فرنك للحمولة و خلال العودة 20 فرنك،	في كانو
خلال العودة يدفع التجار لحمولة العاج و ريش النعام 20 فرنك و باقي البضائع 10 فرنك للحمولة،	في زندر
كانت قوافل بني عباس تذهب إلى مدينة الجزائر و عند وصولهم باب عزون يدفعون 58 درهما على كل حمل ⁽²⁾ ،	في مدينة الجزائر
40 فرنك،	من غدامس إلى الواد
30 فرنك،	من غدامس إلى غات
30 فرنك،	من غدامس إلى توات
100 فرنك،	من غات إلى السودان
90 فرنك ⁽³⁾ ،	من توات إلى تنبكتو
كان التجار يدفعون 5 محبوبات لطوارق الأهقار و 10 محبوبات أو نصف مثقال لعرب البراييش، بذلك تكلف حمولة 150 كلغ من الجزائر إلى تنبكتو ب	من توات إلى تنبكتو

(1). هوبكنز، ص 139.

(2). الشويهيد، المصدر السابق، ص 106.

(3). Bonnemain, « Voyage à R'adamès », R.A.C, décembre 1859, , Imp. de CH.LAHURE et C^{IE}, Paris , 1859, p 125 .



380 فرنكا، أي 250 فرنك ل: 100 كلغ⁽¹⁾.

بالنسبة لتكاليف النقل في إفريقيا الغربية كانت غالية، خاصة التحميل فوق الرؤوس لكونه عمل شاق فهو باهظ التكلفة بوجه خاص، فتكلفة النقل تتجاوز الربح على المبيعات و بالتالي يستعمل فقط في أجزاء الغابات و لا يعتمدونه في التجارة الخارجية، يعتبر النقل النهري أحسن الأساليب التي يعتمدها الأفارقة لأنه أقل تكلفة.

كما أن بعد المسافة يحدد أسعار السلع، فالملاحظ أن سعر الأقمشة المستوردة من تنبكتو أعلى من مثيله في الساحل، بما يتراوح من مرتين إلى ثلاث مرات و نصف، كما كانت جوزة الكولا أواخر القرن تباع للوحدة في منطقة الإنتاج ب جوانجا ب 5 وحدات ودع و تباع في التشاد ما بين 250 و 300 وحدة من الودع التي تبعد عن جوانجا قرابة 1250 ميلا⁽²⁾.

لمعرفة أكثر التفاصيل حول الفارق الكبير بين أسعار المنتجات في منطقة الإنتاج و بعد تسويقها بالأسواق الخارجية، هناك جدولان يتضمنان واردات و صادرات الشرق الجزائري مع أسواق كاتسنا كما يلي:

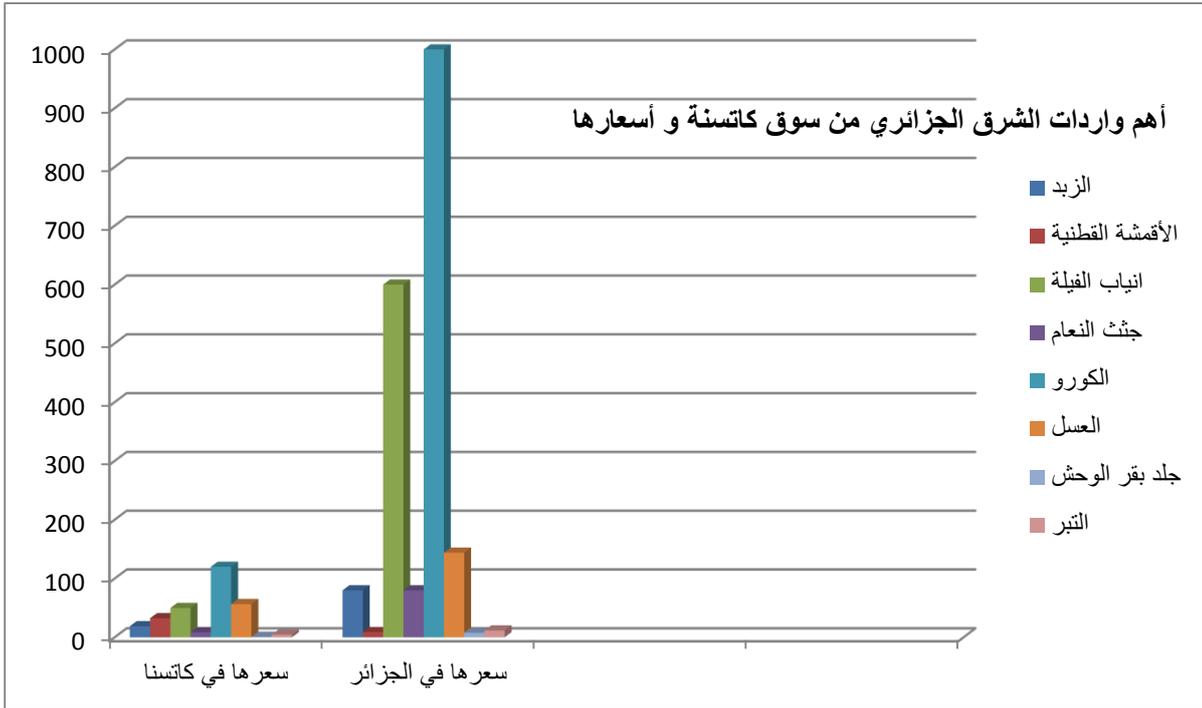
- جدول أهم واردات الشرق الجزائري من أسواق كاتسنة:

اسم المادة	وحدة القبض	سعرها في كاتسنا	سعرها في الجزائر	نسبة الفائدة
الزبد	الوزنة	19 فرنك	80 فرنك	320%
الأقمشة القطنية	القطعة	32,5 فرنك	9 فرنك	180%
أنياب الفيلة	القنطار	50 فرنك	600 فرنك	1.100%
جثث النعام	الوحدة	8,75 فرنك	80 فرنك	800%
الكورو	القنطار	120 فرنك	1.000 فرنك	740%
العسل	القطار	56,56 فرنك	144 فرنك	170%
جلد بقر الوحش	الواحد	0,9 فرنك	8 فرنك	790%
التبر	غرام	4,6 فرنك	11,70 فرنك	165% ⁽³⁾

(1). يحي بوعزيز، طريق القوافل، ص 140.

(2). هويكنز، ص 146.

(3). الزبيري، التجارة الخارجية، ص 170.



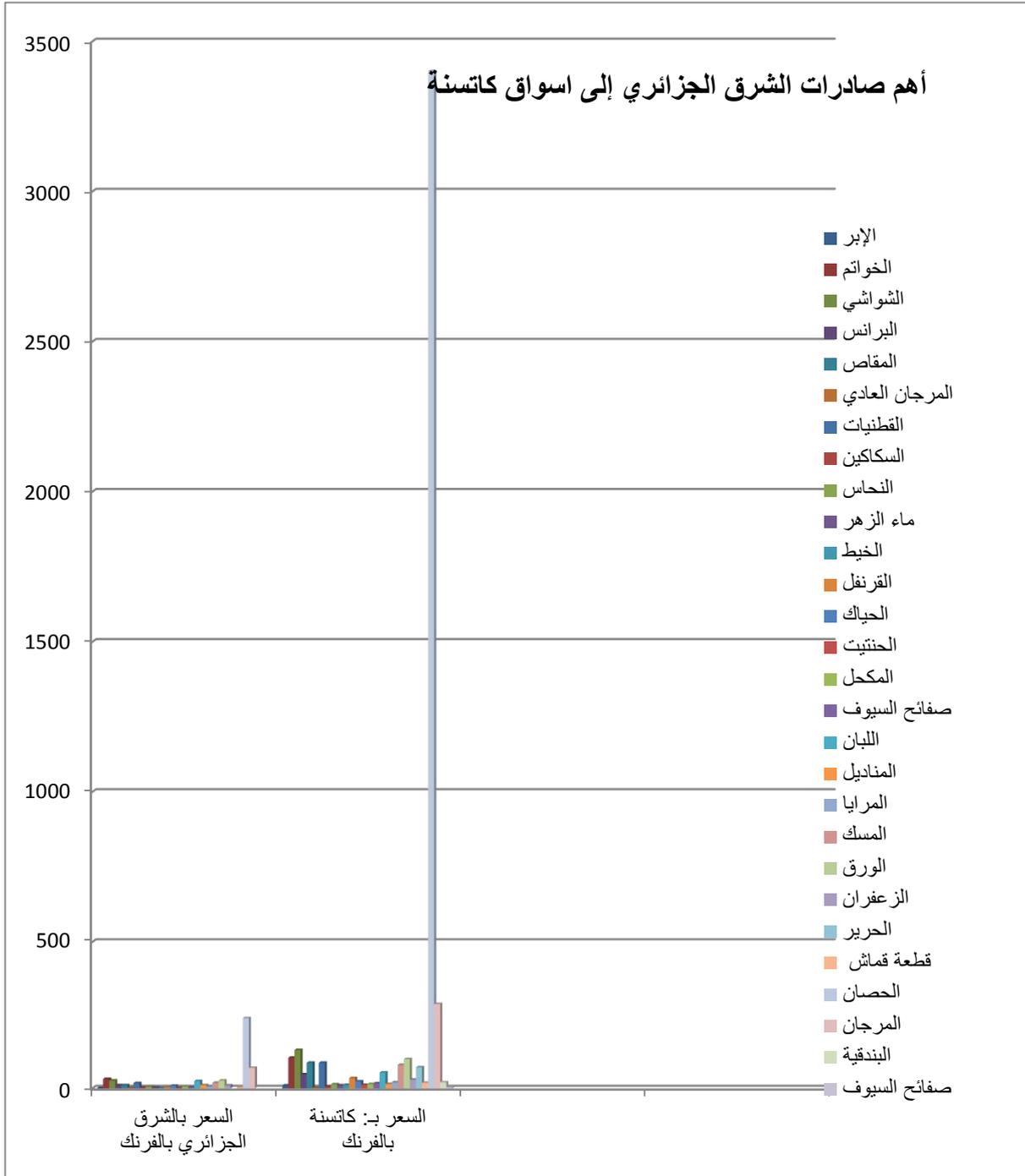
- جدول خاص بأهم صادرات الشرق الجزائري إلى أسواق كاتسنة:

اسم المادة	وحدة القياس	السعر بالشرق الجزائري بالفرنك	السعر بكاتسنة بالفرنك	نسبة الفائدة
الإبر	المائة	0,9	10	% 1.000
الخواتم	المائة	32,40	105	% 215
الشواشي	المائة	27	131,25	% 388
البرانس	الواحد	10,80	48	% 332
المقاص	الواحد	10,80	87,50	% 685
المرجان العادي	الوزنة	1,80	2	% 1.000
القطنيات	القطعة	18	87,50	%384
السكاكين	الواحد	3	6	% 100
النحاس	الكلف	5,40	14	% 160
ماء الزهر	الزجاجة	2,70	10,5	% 290
الخيط		1	12	% 1.100



القرنفل	الكلف	3,60	35	% 850
الحياك	الواحد	9	24	% 170
الخنثيت	الكلف	1,80	12	% 560
المكحل	الكلف	5,40	15	% 180
صفائح السيوف	الواحدة	3 إلى 4	17,50	% 350
اللبان	الكلف	25	54	% 116
المناديل	الواحد	10,80	15	% 45
المرايا	الواحدة	6,30	21	% 225
المسك	الوزنة	19	80	% 320
الورق		27	100	% 270
الزعفران	الوزنة	10	30	% 200
الحزير	الكلف		72	% 350
قطعة قماش مالمطبة قطنية ذات مقياس 22 مترا	القطعة	3,5	19	
الحصان	الواحد	240	3400	%90
المرجان	الكلف	ما بين 40 و 70	أكثر من 288	
البنادق	الواحدة		21 فرنك	
صفائح السيوف	الواحدة		ما بين 3 و 4 ⁽¹⁾	

(1). نفسه، ص 168.



من خلال الجدولين و المخططين، نستنتج أن هناك تبايناً في الأسعار بين أسواق الشمال و أسواق إفريقيا الغربية، هذا يرجع لعدة أسباب منها؛ كمية السلع المعروضة في السوق، نوعية و جودة السلع، تكاليف الإنتاج و النقل، فالسلع القادمة من أوروبا غالية الثمن و كذا تكاليف النقل الصحراوي.



بالنسبة لأرباح التجارة الصحراوية، فإن فوائد بيع الحصان في السودان يعادل 90 %، أي من 3.400 فرنك؛ منها ألف فرنك مصاريف الطريق و الباقي 2.400 فرنك، منها 2.160 فرنك ربح صافي⁽¹⁾.

كما أن الكيل من الملح الجيد الذي يستخرج من ملاحه أمدرور في شمال الأهقار يباع مقايضة من ستة إلى ثمانية أكيال من الذرة في آير، لكن هذه النسبة ترتفع لتصبح تساوي 40 كيلا في الدامرفو و حمولة 175 كلغ كانت تنقل من قسنطينة إلى أسواق إفريقيا الغربية بـ 150 فرنك و يُصرف عليها نفس المبلغ أثناء الطريق،⁽²⁾ نفس الشيء بالنسبة لبلما فقد كانت تباع لوحًا من الملح بفرنكين و عند نقله إلى زندر بالنيجر يباع من 10 إلى 12 فرنك⁽³⁾. لذلك كان التجار يعمدون إلى تسويق المواد الخفيفة لمضاعفة الأرباح.

4. السلع و البضائع المتبادلة:

أ. سلع الصحراء الجزائرية.

– الأقمشة المختلفة: تعتبر المنتجات الصوفية من أهم مصادر الثروة في صحراء الجزائر، حيث يصنع منها البرانس، القنادر، الحنابل و غيرها من الألبسة و الأغطية⁽⁴⁾، إضافة إلى الأقمشة القطنية و الحريرية التي تجلب من أسواق تونس، الأقمشة الكتانية، أشهر هذه الأقمشة الجوخ و الشاش ذات الألوان المختلفة من الأبيض، الأحمر، الأسود و الأخضر⁽⁵⁾.

– المرجان (Corail): هو مرجان الصناديق الذي يشتريه الأجانب، أو من طرف الأعيان الذين يتلقون سنويا كمية معينة من الشركات المستغلة للصيد في سواحل الشرق الجزائري⁽⁶⁾.

– أدوات الزينة: مثل الحلبي و هو عبارة عن حبات تستعمل كعقود للنساء، العطور، الزجاج ، الفخار و التحف⁽⁷⁾.

(1). يحي بوعزيز، طريق القوافل، ص 138.

(2). الزبيري، التجارة الخارجية، هامش رقم: 01، ص 170.

(3). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 51.

(4). الزبيري، التجارة الخارجية، ص 166.

(5). إلياس بن عمر الحاج، مدينة وارجلان (دراسة في النشاط الاقتصادي و الحياة الفكرية في الفترة 4 - 10 هـ / 10 - 16 م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، 2008-2009، ص 92.

(6). الزبيري، التجارة الخارجية، ص 166.

(7). بشار قويدري، المرجع السابق، ص 13-14.



- الحبوب: إن وفرة إنتاجيته بالجزائر بمختلف أنواعه، جعل من هذه المادة العنصر الأساسي في المبادلات التجارية الدولية عموماً و الصحراوية على وجه الخصوص، فكان يسوق إلى إفريقيا الغربية و هو غالي الثمن، لذلك شكل غذاء أساسياً للأغنياء فقط.
- التمور: كان يُحمل من الواحات الصحراوية مثل تڤرت ، الوادي، بسكرة، ورقلة و توات⁽¹⁾، إلى أسواق إفريقيا الغربية بكميات كبيرة.
- الزيوت: أجودها ما يعصر في نواحي بسكرة و جبال الأوراس، غير أنها لا تنتج منه إلا كميات قليلة، مما جعل تجار سوف يستوردون منه كميات كبيرة من أسواق الجريد، لكون المسافة بعيدة مما يترتب عنها مصاريف كثيرة، فإنها تصل إلى أسواق إفريقيا الغربية بأثمان لا تطاق. عن زيوت القبائل فتأخذ طريق الجزائر و ترسل إلى أسواق المنبوعة و منها يقوم الطوارق بنقلها إلى أسواق تنبكتو⁽²⁾.
- الفواكه الجافة: كانت إفريقيا الغربية تعاني من قلة إنتاج الفواكه الرطبة، فكانت تكتفي بجلبه من بلاد الزاب و ورقلة⁽³⁾.
- الأسلحة المختلفة: تشتمل على الأسلحة النارية المستوردة من فرنسا و إنجلترا أو الأسلحة المصنوعة في تڤرت و وادي ميزاب⁽⁴⁾، كذلك البارود^(*)، الدروع، الخود، الخناجر، السهام و التروس⁽⁵⁾.
- الأدوات الحديدية : منها القدور، السكاكين، الأقفال، الأواني المنزلية⁽⁶⁾ و النحاس.
- المواد الزجاجية: مصايح زيتية، مرايا و خردوات مختلفة تأتي من برشلونة، البندقية و ميلان.

(1). نفسه ، ص 13.

(2). الزبيرى، التجارة الخارجية، ص 165.

(3). إلياس بن عمر الحاج، المرجع السابق، ص 91.

(4). الزبيرى، التجارة الخارجية، ص 166.

(*) البارود: يقوم سكان الصحراء بصناعة البارود؛ حيث يجمعون التراب من الأرض أو من الملاط في القرى المهدامة ، هذا التراب في الأصل يتكون من مادة مالحة يوضع في صحن و يصب عليه الماء، ثم يغلى ذلك الماء ثم يؤخذ رطل منه و يخلط مع أربعة أرطال من الكبريت و أربعة أرطال من الفحم المستخرج من شجرة الدفلى، هذه العناصر المختلفة تخلط جميعاً في غضون أربعة ساعات فتصير باروداً. أنظر:

- الأغواطي، المصدر السابق، ص 90-91.

(5). إلياس بن عمر الحاج، المرجع السابق، ص 92.

(6). حوتية، توات و القوافل، ص 61.



- بعض أنواع الحيوانات: تتمثل في البغال التي لاقت رواجاً كبيراً بأسواق إفريقيا الغربية و الجمال التي أتوا عليها بسبب تعبها و كبر سنها، حيث يستبدلونها بجمال و أحمر أكثر صحة و قوة⁽¹⁾، كما تعد الخيول من السلع التي لا تتوفر في السودان، لأن بلاد السودان مناخها حار جداً، لذا لا تربي الخيول بها فكانت ملكاً للأغنياء فقط و بقيت غالية الثمن.
- الكتب المخطوطة و المنسوخة: شاع رواجها في الصحراء بسبب انتشار الثقافة العربية الإسلامية هناك و الإقبال الشديد على اقتنائها بالمراكز التجارية الهامة مثل: تنبكتو، توات، ورقلة، غدامس، غات، جني و غيرها⁽²⁾.
- الملح^(*): يُستخرج الملح في الصحراء الجزائرية من قرية تاجمومت، التي بها جبل من الملح و هو محاذي لجبل عمور⁽³⁾، إضافة إلى العديد من السبخات^(**) المنتشرة بالصحراء الجزائرية؛ تمثل مستودعات و مناجم سطحية للملح، منها ورقلة التي تتوفر على سبخات من الملح، غير أن هذا الملح يستخدم محلياً⁽⁴⁾ بالإضافة إلى سبخة أمدرور بالأهقار.

(1). إلياس بن عمر الحاج، المرجع السابق، 92.

(2). بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، ص 135.

(*) . يعد الملح بالنسبة للسودانيين من أهم السلع التي لا تقل أهميته عن أهمية الذهب بالنسبة للمغاربة ، بل يرى بعض الباحثين أن الملح كان أهم من الذهب بالنسبة للأفارقة، ربما ترجع أهميته لقيمته الغذائية، نظراً لأن هذه المادة غير متوفرة بنسبة كافية في السودان، لذا كانوا يستبدلونه بالذهب، بل صار الملح في بعض الأحيان عملة شرائية حيث كانوا يقطعونه قطعاً و يتبايعون به و قد اشتهرت منطقة تغازي في الفترة الوسيطة كمصدر للقوافل المتجهة إلى بلاد السودان، هنا يصف لنا ابن بطوطة كيفية استخراج الملح بقوله: « يحفر عليه في الأرض فتوجد منه ألواح متراكمة كأنها قد نحتت و وضعت تحت الأرض يحمل الجمل منه لوحين». لكن تراجعت مكانتها فيما بعد و تحولوا إلى تاودني، التي لم تكن بديلاً كافياً. أنظر:

- ابن بطوطة، المصدر السابق، ج4، ص 271.

- هوبكنز، ص 92.

- بشار قويدري، المرجع السابق، ص 14.

(3). الأغواطي، المصدر السابق، ص 88.

(**) . إن تجمع المياه التي تجري على سطح الأرض، تحمل معها رواسب الملح تستقر في مستنقعات دون أن تتسرب إلى جوف الأرض، تتعرض تحت تأثير أشعة الشمس التي تسبب تبخر حاد للماء المحبوس، بذلك تتكون مستنقعات و مناجم سطحية للملح ، هذه السبخات كلما كانت كبيرة يطلق عليها اسم الشط. أنظر :

- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 54.

(4). رابح رمضان، المرجع السابق، ص 203.



عن إفريقيا الغربية يوجد بها الملح كمناجم رئيسية تقع في الصحراء الكبرى في أوليل بالغرب و بلما بالشرق، حيث كانت في يد الطوارق الذين يسيطرون على واحات المنطقة و قد تجاوزت صادراتها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى 50 ألف حمل جمل.

كما يستخرج الملح الصخري من تاودني(*)، و يسوّق في الطرف الجنوبي من منطقة ساحل العاج⁽¹⁾ و مختلف المناطق الصحراوية⁽²⁾، إلا أن أغلب الملح المستهلك كان ملحاً صحراوياً، فقد شهدت الصحراء على مدى تاريخها القديم و حتى المعاصر قدوم قوافل من الشمال إلى مملحة أيدجيل التي توجد غرب أدرار، المعروفة باسم تغازي الغربية التي ظلت قائمة إلى حدود القرن التاسع عشر، حيث يتم نقل الملح إلى أعالي السنغال و النيجر و ينقله تجار المنطقة بدورهم إلى شعوب المناطق الغابية⁽³⁾.

كما كانت هناك مناطق في إفريقيا الغربية يستخرج منها الملح مثل ملاحات تيجيدا(**) و هي غير بعيدة عن أغادس، دلول فوغا(Dallul Fogha)⁽⁴⁾ و مركزي دندي و كبي(Dendi et Kebbi)، حيث تظهر بعض السبخات في جهات مبعثرة ما بين السنغال و نهر النيجر يمكن الحصول على ملحها للاستهلاك المحلي. عن المناطق التي لا تستطيع توفير هذه المادة إلا عن طريق المبادلات، تلجأ إلى استخراجها بالطرق البدائية مثل إضرام النار في الحشائش و عيدان الذرة أو روث المواشي.

أما عن المجتمعات الواقعة على حدود الصحراء الكبرى فقد أشار الرحالة الفرنسي بنجر(Binger) خلال الثمانينات من القرن التاسع عشر، أنها لا تشكو نقص الملح، إذ تحصل عليه من خامات الصحراء أو شواطئ المحيط⁽⁵⁾.

(*) ملاحظة تاودني: تبعد بنحو 8 كلم عن تنبكتو هذا المنجم حل محل منجم تغازي، العمل فيه شاق و قاسي، إذ يصفه مونود بقوله: « إن العمل في المنجم (تاودني) يتطلب ثلاث أدوات : مجرفة لرفع الطين و النقاض و معول للحفر و آلة حادة لقطع ألواح الملح الخام لوضع كل لوح في قالب نهائي، هذا العمل يتطلب عمالاً أقوياء البنية لا يجسدون على مصيرهم». أنظر:

- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 56 .

(1). بوفيل، ص 388.

(2). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 56.

(3). خديجة الراجي، المرجع السابق، ص 112-113.

(**). تتم عملية استخراج الملح بهذه المنطقة بحفر حوض من الأرض قطره متران، ثم تُرمى فيه التربة المشبعة بالملح و الماء و يترك ثلاثة أيام و يؤخذ ذلك الماء المالح إلى حوض آخر محفور في الصخر حيث يترك ليتبخر بفعل حرارة الشمس لتتشكل ألواح من الملح. أنظر:

- إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 57.

(4). رياض زاهر، المرجع السابق، ص 305.

(5). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 56.



ب. سلع إفريقيا الغربية.

كان الرعاة على حدود الصحراء الكبرى و السافانا، يتاجرون في الماشية و منتجات الألبان و الملح مع أهل السافانا مقابل الدخان و الملابس، كما كانت منطقة السافانا في حد ذاتها تتاجر في الماشية، الأسماك المجففة، البوتاس و الملابس مع سكان الغابات الذين يحصلون منهم على الرقيق، جوزة الكولا، العاج، المصنوعات الحديدية و الملابس⁽¹⁾، بهذه المبادلات الداخلية تنتشر المنتجات في كامل أنحاء إفريقيا الغربية و بالتالي تصل إلى شمال إفريقيا بما فيها الصحراء الجزائرية و نذكر منها:

- **العاج:** كانت هذه المادة متوفرة بكميات كبيرة في إفريقيا الغربية، خاصة في الجهة الشرقية منها مثل كانو و البورنو، عادة يكون من أنياب الفيلة، وحيد القرن و فرس النهر. إذ كان يستعمل في صنع الأدوات المنزلية كأواني الشرب⁽²⁾ و كان التجار يُقيمون في ولاياتة لجمع العاج من سائر أقاليم السودان و يصدرونه إلى بلدان الشمال ثم إلى أوروبا.

- **ريش النعام:** كان يُستعمل كمراوح و أغطية للرأس، كما يستعمل في حشو الأرائك و الوسائد و قد شهدت هذه السلعة رواجاً كبيراً في أوروبا⁽³⁾ و تعد باريس أكبر سوق له، فيما بعد لم يعد محل اهتمامهم لسبب رواج فكرة إنسانية حول تعذيب هذا الحيوان، إضافة إلى ظهور وسائل للزينة فتم التخلي عنه، أما بيضه فيتخذ من محه أحد العناصر الهامة في تركيب الأدوية، كما كان يُتخذ للزينة لذا كان التجار يجلبونه بأثمان مرتفعة من الأسواق الخارجية⁽⁴⁾.

في عام 1788م سجل **فنتور دو باراديز (Venture de Paradis)** أن ريش النعام يمثل نسبة كبيرة من تجارة ريجنسي مع الجزائر و كان المزاربون يمارسون هذه التجارة و يصدر الكثير منه إلى فرنسا في النصف الثاني من القرن الثامن عشر⁽⁵⁾.

- **الجلود و الأقمشة القطنية:** كانت إفريقيا الغربية تقوم على صناعة كل من الأحذية، قرب المياه، السيور، السياط و أجمة الخيول من الجلود⁽⁶⁾، حيث توجد مراكز لتربية الماشية و يتم تصدير أنواع

(1). هوبكنز، ص 117.

(2). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 152.

(3). مفتاح يونس الرياض، المرجع السابق، ص 115.

(4). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 152-153.

(5). Donald, Op.cit, p 61.

(6). مفتاح يونس الرياض، المرجع السابق، ص 115.



كثيرة منها و أصبحت تعرف في أوروبا "بالجلد المراكشي"⁽¹⁾، كما كانت تنتج كميات معتبرة من الأقمشة القطنية ذات اللون الأزرق^(*)، منه ما يُحمل على شكل قطع و منه ما يجهر على شكل ملابس، من المناطق التي اشتهرت بهذه الصناعة نجد كانو، زندر و تنبكتو، حيث تساهم إفريقيا الغربية بتصديره إلى الأسواق الخارجية⁽²⁾.

- الكورو: هي فاكهة مالحة تزن الواحدة منها حوالي عشر غرامات، يستعملها الأفارقة مثل القهوة⁽³⁾.

- الزبد^(**): يستخرج من القطط البرية التي تعيش في السودان و تتغذى باللحم و هو على شكل عرق.

- الحشيش: هو نوع من المخدرات التي كان الأغنياء في الأيالة يتعاطونها، حيث يزرع في نواحي أحير بكميات كبيرة و يصدر منه أكثر من ألفي حمولة بعير سنويا⁽⁴⁾.

- الماشية: إن تربية الماشية داخل المجتمعات الرعوية لإفريقيا الغربية، لم تكن مجرد سلعة للاستهلاك و إنما كانت تمثل مورد رئيسي لرأس المال، فكانوا يبيعون اللبن و السماد للمجتمعات الزراعية⁽⁵⁾، في هذا الموضوع يشير الأغواطي أن شنقيط طعامهم الأساسي الألبان و لحوم الإبل، أما القمح غير معروف لديهم⁽⁶⁾.

(1). هوبكنز، ص 96.

(*) كان الطوارق يقبلون على شراء الثياب ذات اللون الأزرق، لأنه يطلق على الجسم مادة تسد مساماته التي تظل مفتوحة نتيجة الحر. انظر:

- الزبيري، التجارة الخارجية، ص 169.

(2). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 153.

(3). الزبيري، التجارة الخارجية، ص 169.

(**). عندما يُراد زبد القطط يقومون بتهيئتها فتخرج مادة على شكل عرق و يجمع في إناء ثم يباع لتجار الواحات. أنظر:

- الزبيري، التجارة الخارجية، ص 169.

(4). نفسه، ص 169.

(5). هوبكنز، ص 81-82.

(6). الأغواطي، المصدر السابق، ص 94.



- **الذهب**^(*): يشكل المادة الأساسية في الحركة التجارية بين المنطقتين، نظرا للطلب المتزايد عليه، فقد كانت إفريقيا الغربية إحدى المصادر العالمية لهذه المادة الثمينة، إذ يقوم السكان المحليون باستخراجه و تحضيره و نظرا لأهميته ظل هذا المعدن سرا مكتوما بين السودانين ، رغم الامتيازات التي كان يتمتع بها المغاربة في السودان، فإنهم كانوا يمنعونهم من التوغل في المناطق الغاية المتوفرة على الذهب، بهدف الحفاظ على احتكار ذلك المصدر التبري، الذي يتواجد في البامبوك التي تقع بين نهر السنغال الأعلى و فرعه الأيمن، بوري عند ملتقى نهر النيجر الأعلى و لوبي في الفولتا الأعلى و الأشانتي في منطقة ساحل الذهب، يزود معدن البامبوك و بوري بلاد المغرب أما الأشانتي فقد سيطرت عليه قبائل وثنية و فيما بعد سيطر عليه البرتغاليون و استغلوه لصالحهم.

يشير هوبكنز أنه خلال القرن السابع عشر كان يتم تصدير الذهب عبر المحيط الأطلسي و الصحراء⁽¹⁾، فكان عرب البرابيش في مالي أساس تجارتهم هو مبادلة الذهب بالملح داخليا و خارجيا، حتى الرحالة الفرنسي رافينال (**Raffenel**) يذكر لنا أنه عاني من نقص الملح فعمل على عقد نفس الصفقة⁽²⁾.

- **حبوب الكولا (Cola)**: كان سكان كانو يتحكمون في تجارة حبوب الكولا الثمينة، التي تأتي من جوانجا في ساحل الذهب و تعتبر من أهم السلع التي تخرق الجزء الشمالي الغربي لإفريقيا من غانا إلى شواطئ البحر المتوسط⁽³⁾. أما عن مسألة سلعة الرقيق نتطرق إليها في المبحث الأخير من الفصل.

(1). هوبكنز، ص 164.

(*) أشهر طريقة للبحث عن الذهب هي طريقة الفناجين، حيث يخرج الأهالي ليلا و في أيديهم فناجين سوداء و كلما شاهدوا بريقا سارعوا إليه و غطوه بها و عندما ينتهون من العملية يخلدون إلى النوم و في الصباح يؤمون أماكن الفناجين و كانوا يستعملون أدوات مغناطيسية لتصفية محصولهم. أنظر:

- الزيري، التجارة الخارجية ، ص 167.

(2). رياض زاهر، المرجع السابق، ص 304.

(3). نفسه، ص 310.



المبحث الثالث: التجارة الداخلية و الخارجية للإقليمين.

1. التجارة الداخلية.

أ. أسواق الصحراء الجزائرية:

يعطي هوبكنز تعريفاً للأسواق المحلية بقوله: « التجارة المحلية يقصد بها المعاملات التي تجري داخل دائرة يبلغ نصف قطرها حوالي عشرة أميال من منطقة الإنتاج. ذلك هو المدى الذي يمكن تغطيته في يوم واحد سيراً على القدمين أو على ظهر الحمار و سماح الوقت بتبادل المنتجات والعودة⁽¹⁾». »

فهي الأماكن التي يرتادها سكان المنطقة و في الغالب يوجد بها دكاكين ، أما معظم البضائع تعرض في العراء و غالباً ما يتم تبادل البضائع الرخيصة الأثمان⁽²⁾، كما تُعقد بها أسواق أسبوعية حيث تجتمع فيه العناصر و الأطراف المعنية بالتبادل التجاري، ما بين منتج للمواد و مستهلك لها و وسيط يحرص على الاستفادة من الطرفين، بذلك يحقق السوق تكاملاً بين مناطق الإنتاج و الاستهلاك، بحكم ضرورة الأسواق و أهميتها فهي تنتشر في المدن و البوادي للصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية و أهمها:

- **سوق الوادي:** هي عاصمة منطقة سوف، بها أكبر سوق و يؤمها التجار من مختلف الواحات، تشتمل على أكثر من ثلاثمائة حانوت ، تتوفر على التمور التي تنتجها من أنواعها الجيدة و التبغ و كذا بعض المصنوعات مثل المضلات التي تصنع من عسف النخيل و الأقمشة الصوفية العادية و قد عُرف سكانها بالمهارة في التجارة و تسيير القوافل عبر الكثبان الرملية المتنقلة⁽³⁾.

بالرغم من أن الوادي كانت تمثل همزة وصل بين الشمال و الجنوب، فإن اتصالاتها بقسنطينة لم تكن متعددة و إنما يكتفون بالذهاب إلى بسكرة أو تفرت لاستيراد ما يمكن أن يصدر إلى الخارج من منتوجات جزائرية، في المقابل كانوا يفضلون الذهاب إلى أسواق تونس لأنها الأقرب إليهم و تُقدّم لهم جميع المواد الأوروبية بأسعار لا تنافس، منها البزازة، المواد العطرية، الأقمشة الحريرية، الأسلحة و الكبريت.

(1). هوبكنز، ص 104.

(2). حوتية، توات و الازواد، ج1، ص 166.

(3). الزبير، التجارة الخارجية، ص 154-155.



كما أن حوالي مائة و خمسون من تجارها يتوجهون من حين لآخر إلى مدينة غدامس و يحملون إليها مختلف أنواع المصنوعات و المنتجات المحلية و الأجنبية و يجلبون منها العبيد، التبر، العاج، ريش النعام، البخور و الترون و غيرها مما تستورده غدامس من السودان⁽¹⁾.

من القوافل التي تصل أسواق سوف، هناك قوافل خنشلة و تبسة، حيث يحملون لها القمح و الشعير مقابل الحصول على التمر⁽²⁾.

- **سوق تقرت***: يعتبر ثالث أسواق الواحات بالشرق الجزائري بعد الوادي و ورقلة و بما أن وادي ريغ يقوم بصناعة الأقمشة الصوفية و إنتاج التمور بكثرة، فإن تجار تقرت يحملون منتجاتهم إلى الجنوب التونسي و يجلبون منها كثيرا من الأقمشة القطنية و العطرية و يوزعونها على الأسواق المحلية⁽³⁾.

كما أن لتجارهم علاقات مع أسواق غدامس، فكانوا يحملون معهم كل من المواد العطرية ، التمور، الحبوب، الزيوت و الأقمشة و يستبدلوها بالتبر، العبيد، ريش النعام و البخور السوداني⁽⁴⁾.

- **سوق الأغواط**: يشير الأغواطي في حديثه عن مدينة الأغواط؛ بأنها لا تتوفر على مكان مخصص للسوق و مع ذلك فإن التجارة رائجة بها عن طريق المحلات التجارية، ربما لكونها تنتج الفواكه بكثرة كالتين، العنب، السفرجل، الرمان و الإجاص⁽⁵⁾.

كما أشار فيرومنتين إلى الأغواط أثناء رحلته إلى هناك فذكر لنا؛ بأنها تتوفر على شارع وحيد للباعة، حيث تفتح به دكاكين صغيرة لبيع الألبسة و لوازم الخياطة، أو مفايزات صغيرة للنسيج و القماش و محلات الخياطة يفتحها ميزابيون و ورشات صغيرة يمارس فيها اليهود حرفة الحدادة و صناعة الحلبي الفضية و هناك سوقان للأحلاف و آخر لأولاد سرقين لبيع الأغنام، الماعز،

(1). نفسه، ص 155.

(2). بلقاسم بن خليفة، المرجع السابق، ص 246.

(*) هي مدينة الرخاء و الثروة و هي أهم عواصم وادي ريغ؛ يحيط بها سور تتخلله أبواب كثيرة و تشتمل على ثمانية و ثلاثين قرية أهمها كوينين التي يلتقي فيها الكثير من قوافل الناحية و التي تأخذ اتجاه بلاد الجريد. أنظر:

- الزبيري، التجارة الخارجية، ص 156.

(3). نفسه، ص 156.

(4). نفسه، ص 159.

(5). الأغواطي، المصدر السابق، ص 87-88.



الدجاج، مختلف المنتجات الفلاحية و الحاجيات الضرورية للسكان، كما أن حمام ابن سالم يكتسي طابعا تجاريا هاما يقصده الناس للاستحمام خاصة في المناسبات⁽¹⁾.

- سوق غرداية: تعتبر غرداية هي الأخرى إحدى المدن الصحراوية التي يوجد بها سوق كبير⁽²⁾، مما يدل على كثرة تجارها و اهتمام أهلها بالتجارة⁽³⁾، مثل المزايين الذين يُبادلون منتجاتهم مع قوافل البدو، فيقدم المزايين المنسوجات التي صنعتها أيدي المرأة المزايية و فائض محصول التمور، مقابل الصوف و السمن و غير ذلك من خيرات البادية⁽⁴⁾.

في فترات محددة من السنة يتحول الرُّحل من مربي المواشي إلى تجار، فيسيرون في قوافل لبيع منتجاتهم ، من عبيد، غبار الذهب باتجاه الشمال و عند عودتهم يحملون معهم الأقطان الأوروبية، زيت الزيتون، السلع النسيجية القبائلية، الحرير، الحبوب و العطور⁽⁵⁾ و يشترون ما يحتاجون إليه من تمر و ملابس من أسواق الواحات⁽⁶⁾.

يربط سوق غرداية بالتل ثلاثة طرق داخلية رئيسية، واحد يمتد من غرب معسكر و الأبيض و من الجهة الشرقية طريق قسنطينة و تقرت و من الوسط المدية و بوسعادة و الأغواط⁽⁷⁾ و من الجنوب طريق المنيعه، عبر هذه الطرق تصل القوافل الجزائرية هذا السوق بمختلف المنتجات.

يعتمد سكان الصحراء، على حبوب التل و السلع الأخرى الرئيسية و بالتالي لا يمكن أن تنقطع الصلات التجارية بين واحات الصحراء الشمالية و التل، فكان المزايين يتوجهون رفقة شعابنة متليلي إلى أسواق توات عبر المنيعه و يحملون معهم القمح، زيت الزيتون، الفاصوليا المجففة ثم يعودون محملين بالعبيد، غبار الذهب، الحناء، الشب، التترات و الجمال. فقد كانت هناك تجارة واسعة بين التل و ميزاب و توات و الطريق الشائع آنذاك هو طريق ميزاب عبر المنيعه و توات⁽⁸⁾.

(1). عيسى عطاشي، صورة الجزائر في أدب الرحالة الفرنسي أوجيفن فرومونتين، مطبعة بن سالم الأغواط، ط1، 2010، ص 81-83.

(2). الأغواط، المصدر السابق، ص 90.

(3). رابح رمضان، المرجع السابق، ص 201.

(4). يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 52.

(5). Donald , Op.cit , p 59.

(6). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 36.

(7). Donald , Op.cit, p 60.

(8). Ibid, p 59.



- **أسواق ورقلة :** كانت ورقلة مستودعا مؤقتا و سوقا استهلاكية لمنتجات الصحراء و التل و بلاد السودان، فالصحراء كانت تزودها بالتمور، الأصواف، الجلود، الملح، الحناء، المواشي و مختلف الأنسجة كالبرانس، الحياك، الأغطية، الحلبي الفضية، السيوف و السكاكين و كان التل يمدّها بالحبوب، الزيوت، الأسلحة و العطور مع بعض المنتجات المستوردة من أقمشة، قهوة، سكر، شاي و ورق، كما كان بلاد السودان يصدرها البخور، العاج، الفلفل، الفول السوداني مع كميات معتبرة من التبر و أعداد وفيرة من العبيد(*) .

- **أسواق توات:** تعتبر أسواق توات القلب النابض للإقليم، لذلك نجد أسواقها منتشرة في كل قصورها و من أهم أسواقها:

أ. **سوق تميمون:** بمنطقة فورارة، تعتبر منطقة عبور لمختلف المتاجر و السلع، لكونها تحتوي سوقا عظيما كما وصفها الأغواطي، حيث يَفدُ إليها التجار من مختلف الجهات و القرى، كما يوجد بها بعض الأسواق المتخصصة لبيع العبيد المجلوب من السودان و غبار الذهب بكميات كبيرة⁽¹⁾ و ريش النعام، العاج، اللحوم المجففة، الجلود بالإضافة إلى السلع المحلية من تمر على اختلاف أنواعها، الحناء، الأطباق، المصنوعات اليدوية مثل البرانس، الأغطية، الجير و الجبس . هذا السوق تقصده قوافل الصحراء الجزائرية في إطار التجارة الداخلية من المنيع، غرداية ، سعيدة، المشرية و عين الصفراء لمبادلة سلعها من القهوة، السكر، الشمع، الصابون، القمح، الدقيق، الفول الجاف، جزات الصوف و الفلفل الأسود بالسلع المحلية لهذا السوق .

ب. **سوق أدرار:** بمنطقة توات و هو من أنشط أسواق المنطقة بدايةً من القرن الثامن عشر، هذا السوق أخذ يزاحم سوق تمنطيط الذي اكتسب شهرةً لأمد طويل، إضافة إلى سوق آخر يقع أقصى جنوب توات و هو سوق رقان، الذي كان يُقام بمدينة تمدين و تكمن أهميته كونه يستقبل قوافل إفريقيا الغربية و كذا يعتبر السوق الرئيسي لقبائل تاودني، المبروك، أدرار ايفوغاس و اهميدان حيث يتم تبادل سلعها من الإبل، الحمير و خرفان الدمان مقابل التمور التواتية⁽²⁾ .

(*) هؤلاء العبيد أدوا دورا هاما في الحياة الاقتصادية لورقلة طيلة العهد العثماني. أنظر:

- ناصر الدين سعيدوني، ورقلة و منطقتها، ص 83-84.

(1). رابع رمضان، المرجع السابق، ص 201.

(2). فنج محمود فنج، المرجع السابق، ص 79-80.



ج. أسواق تيديكلت(*) : واقعة جنوب شرق إقليم توات، يرتكز هذا النشاط في عين صالح التي تحتل مكانة هامة في تجارة الصحراء في كافة الاتجاهات، سوقها الرئيسي واقع بأكبر قصورها هو قصر العرب الكبير، فكانت القوافل تضع حملاتها بهذا السوق إما لبيعها أو لاستئناف السير⁽²⁾، لشهرة السوق أقيمت به شركات تجارية كبرى لها غرف تجارية داخل هذا السوق و كانت السلع المعروضة متنوعة و رخيصة.

من إفريقيا الغربية يأتيها العبيد، ريش النعام، العاج، تراب الذهب، الأقطان، الأقمشة و من طرابلس و غات تأتيها بالقهوة، السكر، الفلفل الأحمر و من أسواق التل الجزائري تأتي السكاكين ، المرايا، ابر الخياطة، المجوهرات و من أسواق المغرب الأقصى تأتي الملابس المطرزة، الأسلحة النارية ، الخيل، بالإضافة إلى السلع المحلية. يبدو أن التجارة بها كانت مستمرة في نهاية القرن التاسع عشر، هذا حسب ما أشار إليه ديورتر الذي حث فرنسا على الاحتفاظ بخصوصيات هذا السوق بعد احتلاله⁽³⁾.

من القوافل التي تتردد على أسواق توات؛ نجد من المشرية أولاد منصور، أقرمة، أبكاكرة، أولاد فارس، أولاد سرور، أولاد تومي، الفراهدة و أولاد مسعود، هؤلاء يقصدون بقوافلهم قصر تساييت و هم محملون بالقمح، الشعير، الصوف، الزبدة، الشحم، اللحوم الجافة، الفول، الصابون، الزيت، السكر و القهوة ليعودوا من توات محملين بالتمور (الحميرة، تيناصر، تينهود، تقازة، أغمو و تينقور)⁽⁴⁾.

هناك قبائل الطوارق التي تصل أسواق عين صالح لبيع الجمال، الغنم، الماعز، الحمير، منتجات الألبان مثل السمن و بعض منتجات الآير من أسلحة و سروج و أكياس بهذه الأسواق⁽⁵⁾.

من الناحية الشمالية يأتي المزابيون من غرداية، لتبادل سلعها بالتمور التواتية في أسواق منطقة ثورارة لأنها الأقرب عن طريق تيلكورة و غالبا ما ينتهي مسارها بسوق تيميمون و من الجهة الغربية نجد القوافل القادمة من سعيدة، الأبيض سيدي الشيخ، مشرية و عين الصفاء فتقصد أسواق ثورارة و توات في كل

(*) . تعني باللهجة التارافية كف اليد .

(2) . فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 79.

(3) . نفسه، ص 80.

(4) . حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 171.

(5) . إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 48.



شهر ديسمبر من كل عام و تأتيها بالسلع الغذائية مقابل السلع التوتائية، هذه القوافل تسلك طريق قصر أولاد عيسى الذي يقع أقصى شمال غرب منطقة قورارة⁽¹⁾.

ب. أسواق إفريقيا الغربية:

لقد نشأت التجارة المحلية في إفريقيا الغربية عن إستراتيجية إنتاج الأسر المعيشية^(*) المحلية، فالهدف الأساسي لغالبية الأسر المعيشية، كان توفير المنتجات اللازمة للحفاظ على مستوياتها المعيشية المعتادة.

كان معظم التبادل المحلي يمارس في مكان السوق، فيعمل الرجال و النساء على جمع بضائعهم على بعد أربعة أو خمسة أميال من بيوتهم، هذه الأسواق في أغلبها تتوفر على بضع قطع من الملابس القطنية، القطن المغزول، البقول، الزيوت و السجاد و هي كلها منتجات منزلية⁽²⁾.

هذه الأنشطة تمارسها النسوة اللواتي يتنقلن جماعات كبيرة لبيع منتجاتهن، فهي عمليا ملحقة بالأسر المعيشية و في بعض المجتمعات ملحقة بالأنشطة الزراعية، إذن هذا النوع من التجارة يكون في القرى، لأن المدن تسودها أسواقاً يومية أو دورية متعاقبة⁽³⁾.

بالنسبة للأسواق اليومية، كانت تعقد في المدن الكبيرة ، بالإضافة إلى الأسواق الأسبوعية و هي الأكثر شيوعاً في الأسواق الإفريقية، حيث تنتشر أسواق الأربعاء أيام بصفة كبيرة، أما التجارة الخارجية و التي غالباً ما تكون أبعد من هذه المسافة، التي تتطلب اتخاذ ترتيبات المبيت في الخارج، أو إعادة توزيع العمل على الأسرة المعيشية، و بالتالي لا بد من الاستعانة بالحمالين و الوسطاء التجاريين.

(1). فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 83-84.

(*) كانت الأسر المعيشية تحاول إنتاج مقدار من المحاصيل التي تكفي لاستهلاكها و في بعض الأحيان يتم تخزين بعض المحاصيل لاستهلاكها في العام المقبل ، أو يتم المتاجرة بما حينما تكون القرى المجاورة تعاني نقصاً، هذا النمط من التجارة يمكن النظر إليه على أنه نظام لتعويض الخسائر التي يتم التعرض لها في أماكن أخرى، فالتجارة هنا تتم بلا دراسة مسبقة و تمارس حسب المتغيرات التي تطرأ في حينها غير أن هناك أسراً معيشية كانت تخطط بانتظام لإنتاجها من المواد الغذائية و المنتجات الحرفية للمساهمة بمقدار منها للتبادل التجاري؛ كان هذا النوع من التجارة سائدا نتيجة وجود احتياجات متكاملة داخل هذه المناطق و لم يكن من اللازم أن يكون هناك اختلاف في المنتجات، كما يمكن أن تزرع بعض القرى مواد غذائية تختلف عن المواد التي تنتجها قرية أخرى، مع الإشارة أنه لم يكن هناك تجانس دائم في الموارد البشرية، إذ بإمكان جماعة ممارسة التجارة في حين كان آخرون يحتاجون لتلك البضائع التي يعجزون عن إنتاجها لأنفسهم. أنظر:

- هوبكنز، ص 106.

(2). نفسه، ص 108.

(3). نفسه، ص 112.



من أهم الأسواق التي كانت منتشرة في إفريقيا الغربية هناك:

- **أسواق الآير و الدمرغو:** كانت القوافل التجارية تنتقل من آير إلى أجرام و كوار، فتحمل معها الدخان و الحبوب المتنوعة و منتجات مصنوعة مثل الأقمشة، أثناء عودتها تحمل القمح و التمر و قد قدرت حمولتها ذهابا بأربعمائة و خمسين طنا من البضائع و عند العودة ب ألف و أربعمائة طن⁽¹⁾.

- **أسواق تنبكتو:** بها أسواق عامرة بالدكاكين و المحلات التي تتسع لجميع مطالب الحياة، خاصة دكاكين بائعي الأقمشة القطنية و حائكها، كذلك صناع الأحذية و الجلود و هناك محلات الأطباء، القضاة، بائعي الذهب، ناسخي الكتب و بائعيها و حوانيت منتجات الحليب و مشتقاته و أسواق الجزائرين .

إضافة إلى أسواق أخرى لا تقل أهمية عن الأولى، مثل أسواق كاتسنا ، أروان و أسواق كانو التي كانت في القرن التاسع عشر أكثر أهمية من تنبكتو.

ج. التنظيمات التجارية و الوسطاء التجاريون :

كانت الأسواق العامة في الصحراء الجزائرية تخضع لرقابة قاضي البلدة، فهو يشرف على مراقبة الموازين و المكايل التي يستخدمها التجار للتأكد من صحتها و كذا فك النزاعات في البيع و الغش للسلع المبيعة و بذلك ساد الأمان بالأسواق التواتية⁽²⁾.

كما استقر بالمراكز التجارية لإفريقيا الغربية تجار من الجزائر لهدف مراقبة الأسواق المحلية و الاتصال بشركائهم أو موكلهم⁽³⁾، فعند وصول التجار إلى هذه المراكز يشرعون بالاتصال بالوكلاء المتخصصين الذين يساعدهم في تصريف سلعهم و شراء منتجات أخرى لرحلة العودة، فكان هؤلاء الوكلاء هم أصحاب الأملاك و السماسرة و كانوا تجار الجملة، يوفرون المخازن للسلع و الأراضي التي ترعى فيها الماشية والأماكن التي يقيم فيها التجار.

في إفريقيا الغربية هناك مجموعة من التنظيمات التجارية التي تمارس الرقابة على الأسعار و المنافسة، غير أنه بالنسبة للأسواق المحلية يتم تحديد الأسعار وفقا للعرض و الطلب، فقد حققت

(1). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 58.

(2). فنج محمود فنج، المرجع السابق، ص 81.

(3). بوفيل، ص 294.



تنظيمات التجار نجاحا أكبر في تمثيل مصالح أعضائها في المفاوضات مع سلطات الدولة و في المساعدة على فرض النظم المتعلقة بالأوزان و المقاييس و القوانين التي تحكم الديون و العقود و الوكالات⁽¹⁾.

أما السماسرة (Courtiers) فكانوا وكلاء بالعمولة و مترجمين ، إذ أن لهم دورًا جوهريًا كوسطاء بين البائعين و المشترين بالرغم من أنهم أحيانا يتاجرون لحسابهم، من السلع التي يكون التفاوض فيها بشكل كبير في مادتي الملح و الذهب، هذه المفاوضات عادة تجري في بيت المالك أو السمسار، كونهما يباشران أعمالهما على أساس الصلات الشخصية التي يتخللها الصدق و الأمانة و هذا أمر معروف على أهل السودان.

فقد لاحظ كلابرتون الذي زار كانو خلال عشرينات القرن الثامن عشر، أنه إذا نقلت أي سلعة إلى أي مكان بعيد دون الإطلاع على تلك السلعة و تم اكتشاف رداءتها تعاد على الفور مقابل مال الشراء⁽²⁾.

إن نظام التوزيع المحلي؛ لم يؤدي إلى الكساد بسبب تأثير الرأسمالية الحديثة، على النقيض من ذلك فإن مهارة التجار المحليين و قدرتهم على التكيف، كانت عونًا لهم على التوسع السريع للتجارة الداخلية خلال الحقبة الاستعمارية و بالرغم من الشكاوى المتكررة من طرف الموظفين الأجانب و الشركات الأجنبية من كثرة التجار المحليين، معتقدين أن الوسطاء كانوا تجارا مؤذيين غير أن نظام التوزيع لم تكن تعوزه الكفاءة، حيث كان يستخدم عددًا كبيرًا من الوسطاء، إذ لم تكن هناك طريقة أرخص لخدمة السوق، فمعظم المستهلكين فيه ذوو دخل منخفض و متفرقون في مستوطنات مختلفة، لذلك فالمنافسة التجارية في الأسواق المحلية كانت ضارية مقارنة مع مستوى الدخل الفردي الضئيل، هذه المنافسة على حد تعبير هوبكنز تعتبر « حد الكمال و هي غاية مثلى يندر وجودها في العالم الواقعي ، حتى في المجتمعات الصناعية⁽³⁾».

كما يوجد تجار رسميون يمارسون النشاط التجاري باسم الدولة، لأن الحاجة إلى الإيرادات كانت شاغلا مشتركًا لجميع الحكومات، ففي الأشناتي كانت التجارة يمارسها موظفون مثل الباتافو و في الداھومي كانت حقوق الملكية على التجارة تفوض لمجموعة من التجار شبه رسميين، مقابل حصة من الأرباح، في ممالك الموسى كان موظفون كبار يقومون بتنظيم قوافل ضخمة، هذه الممالك يمكن أن ينظر إليها في

(1). هوبكنز، ص 113.

(2). نفسه، ص 124-126.

(3). نفسه، ص 112-113.



تعاملاتها على اعتبارها منشآت ضخمة و كان لدى المؤسسة العامة إمكانية الحصول على رأس المال اللازم للتجارة الخارجية و لها ميزة تنافسية على تجار القطاع الخاص⁽¹⁾.

2. التجارة الخارجية.

إن التجارة العابرة للصحراء حسب بعض المؤرخين قد انتهت في القرن السادس عشر، على إثر توجه التجارة نحو الساحل الأطلسي، نتيجة الغزو المراكشي لمملكة السنغالي عام 1591م، غير أن هوبكنز يعتبر أن الغزو المراكشي لم يؤثر على جوانب حياتهم بصفة عامة في المنطقة و كل ما حدث هو مجرد حلول مجموعة من الضرائب محل مجموعة أخرى⁽²⁾. كما أوضح أن وصول الأوروبيين إلى الساحل الغربي لم يكن له تأثير على تجارة المناطق الداخلية، فقد ظلت التجارة عبر الصحراء الكبرى قائمة، بل و ازدادت قيمتها خلال القرن التاسع عشر و لم تبدأ في التدهور النهائي إلا بعد عام 1875م⁽³⁾.

خلال هذه الفترة كانت هناك العديد من قوافل واحات الشرق الجزائري و وسطه و غربه تصل أسواق جنوب الصحراء و نفس الشيء بالنسبة لقوافل الطرف الآخر.

و قد وصف كاروت (Carette) التجارة الصحراوية في عام 1840م، بأنها شبكة عملاقة على شكل ساعة رملية تنتشر في كل من الناحيتين الشمالية و الجنوبية و تلتقي في المنتصف عند توات، فهي ترتبط بأسواق بني ميزاب عبر المنيعه و غدامس، كما تعتبر هذه الأخيرة نقطة محورية مماثلة لها في الشرق و من أهم المراكز الشمالية التي تساهم في التجارة الصحراوية نجد قابس في الشرق و متليلي في الغرب⁽⁴⁾.

الحق أن الكتابات التاريخية تؤكد ما قاله كاروت خاصة بالنسبة لأسواق توات و غدامس، فهي مراكز تفريغ و شحن جل القوافل العابرة للصحراء من كل الجهات و في سياق الحديث عن المراكز نشير أن الصحراء الجزائرية تشكل مثلثًا تجاريًا إذ بها ثلاثة مراكز أساسية و هي: مركز ورقلة و يضم واحات الشرق الجزائري و مركز غرداية و يضم واحات الوسط و مركز توات يضم واحات الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية و هي كما يلي:

(1). نفسه، ص 121.

(2). نفسه، ص 159 - 160.

(3). نفسه، ص 159.

(4). Donald , Op.cit, p 60.



- **مركز توات*** : تعتبر توات من المراكز الصحراوية الهامة، بحكم موقعها الاستراتيجي، إذ تقع في الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية، مما جعلها حلقة وصل بين مراكز الشمال الإفريقي و بين إفريقيا الغربية، فهي محطة هامة للقوافل و مخزنٌ كبيرٌ للبضائع⁽¹⁾ في أسواق عين صالح، تيميمون و أدرار و غيرها، هذه الأسواق التي ظلت قائمة إلى نهاية القرن التاسع عشر.

من القوافل التي تترد على مركز توات، هناك قوافل تجارية قادمة من غدامس، غات، جنوب تونس و المغرب، حيث تضع حمولتها هناك لتباع أو تنقل إلى إفريقيا الغربية و كذلك قوافل إفريقيا الغربية مثل قوافل الأزواد و تنبكتو، ... الخ.

- **مركز غرداية**: يعتبر مركزا تجاريا هاما في شمال الصحراء و قد كشفت البحوث من خلال المحفوظات الفرنسية في القرن التاسع عشر ، أن بهذه المنطقة معلومات وفيرة حول التجارة، إلا أنها غير مدروسة و تتطلب وقتا و جهدا كبيرا لذلك.

حيث يُشدد **كاروت (Carette)** على أهمية غرداية في التجارة الجزائرية، باعتبارها مركزا تجاريا هاما يتصل بتونس عبر واحات الصحراء الشرقية الجزائرية و شمال الجزائر عبر بوسعادة و الأغواط و المغرب عبر تافيلالت و فكيك و إفريقيا جنوب الصحراء عبر مثليلي و المنيع⁽²⁾.

- **مركز ورقلة** : تشتهر ورقلة بكثرة النخيل و العبيد، فهي محطة تجارية هامة في الجنوب الشرقي الجزائري، باعتبارها تربط أقاليم المغرب و جهات التل بأقطار بلاد السودان⁽³⁾.

هناك كتابات تشير أن ورقلة فقدت الصدارة التجارية قبل فترة طويلة من الاحتلال الفرنسي للجزائر، في حين انتقلت إلى المزابيين بغرداية، لكون مجال تنقلهم كان بين التل و توات منذ القرن السابع عشر⁽⁴⁾.

من الأسواق الخارجية التي تجوبها قوافل واحات الشرق الجزائري، هناك أسواق غدامس و تونس مثل قوافل تفرت الذين لهم علاقات مع أسواق غدامس، فكانوا يحملون معهم المواد العطرية، التمور، الحبوب،

(*). إقليم توات: حاليا يقع ضمن امتداد أدرار (منطقة توات) و تيميمون (منطقة القورارة) و عين صالح (منطقة تيديكلت) سابقا. أنظر:

- فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 13.

(1). نفسه، ص 14.

(2). Donald ,Op.cit, p 57 .

(3). ناصر الدين سعيدوني، ورقلة و منطقتها، ص 83.

(4). Donald, Op.cit, p 60.



الزيوت، الأقمشة و يستبدلونها بالتبر، العبيد، ريش النعام و البخور السوداني⁽¹⁾، كما تصل أسواق إفريقيا الغربية مثل أحير، أغادس، كاتسنة، كانو، الهاوسا، تنبكتو و نوفي⁽²⁾.

هذه القوافل كانت تصل سوق غات بليبيا ، الذي يعقد مرة في السنة و يؤمه التجار من كل الجهات، فكانت القوافل الجزائرية ترحل إليه من تفرت، الوادي و ورقلة ثم تنضم إلى القوافل التونسية في مدينة غدامس و كان الطوارق يتخذون جميع التداوير حتى تصل القوافل في شهر واحد هو أكتوبر، و سبب التوجه نحو سوق غات هو رخص أسعارها و بالتالي تحقيق أرباح طائلة⁽³⁾.

نفس القوافل كانت تصل أسواق المغرب لكن بشكل محدود جدا، فكانت قسنطينة ترسل قوافلها إلى فاس عبر طريق الشمال الذي يمر بسطيف، الجزائر، وهران، تلمسان و وجدة، فتأتي منها بالأحذية الجلدية و الجلابيب و البرقع، أما بسكرة فكانت تتخذ طريق الوسط و تمر عبر الأغواط، البيض، الشلالة و فكيك لتستورد المشاط و الأقمشة القطنية المستوردة من أوروبا ، الخيل، مواد البزاة و الأسلحة. في حين تسلك قوافل ورقلة طريق الجنوب الذي يمر بالقرارة، غرداية، متليلي ثم فكيك لتصل إلى تافيلالت و يرجعون بالفيلاي و الخيل و الأسلحة⁽⁴⁾.

جنوبا نجد الطوارق الذين يمثلون العمق الاقتصادي في تجارة القوافل عبر الصحراء، حيث يقودون أغلب القوافل التجارية المتجهة من غدامس إلى تنبكتو و باقي مناطق إفريقيا الغربية⁽⁵⁾، إذ يتجمع الطوارق كل عام في دامرغو شمال سوكتو و يؤلفون قافلة من سبعمائة إلى ثمانمائة جمل و يأخذون طريقهم إلى زندر خلال شهر نوفمبر.

كانت قوافلهم تحمل معها الملح من سبخة أمدرور المرغوب فيه كثيرا، الأغنام، الماعز، الجمال، اللحوم، السمن، الجبن المجفف، الجلود و الألبسة الصوفية السودانية، ثم يبيعونها بالتبادل بقطع الشقة بالتمور، الكتان، أغلفة ، العمائم، المزود، الوسائد الجلدية، المهارس، قوارير الروائح، الشنة و الأرز في أسواق تيديكلت، أغادس، تنبكتو⁽⁶⁾.

(1). الزبيري، التجارة الخارجية، ص 159.

(2). نفسه، ص 172.

(3). نفسه، ص 180.

(4). نفسه، ص 175-176.

(5). عبد الكامل عطية ، المرجع السابق، ص 24.

(6). بوعزيز، تاريخ إفريقيا، ص 53.



في منطقة توات؛ تخرج قوافلهم مرتين في العام، الأولى في النصف الأول من السنة و الثانية في النصف الثاني و كان يجري تجمع القوافل في ضواحي قصر حاسي أودكار الواقعة بمقاطعة أقبلي التابعة لمنطقة تيديكلت مع تجار آخرين قادمين من هنا و هناك، ثم يتوجهون إلى أسواق تنبكتو⁽¹⁾، كما يتوجهون إلى أسواق غدامس و غات⁽²⁾.

من السلع التي كانت قوافل توات تحملها نحو إفريقيا الغربية هي القهوة، السكر، الملابس المطرزة، الأسلحة النارية، التمور، الحناء و التبغ التواتي و يبادلونها بالعبيد، ريش النعام، العاج ثم يعودون لعرضها بالأسواق التواتية و في غالب الأحيان يتوجهون نحو أسواق تافيلالت و مراکش لمبادلتها بالخيل و الأسلحة النارية⁽³⁾.

عن التجارة الخارجية لإفريقيا الغربية، فقد تم تشجيع الجماعات التي تقطن المناطق المجاورة للمراكز التجارية على الاستقرار فيها، ذلك لغرض توفير فرص الكسب من خلال الاشتغال في الحرف اليدوية التي يتطلبها استقبال القوافل، فعمل الكثيرون بالتجارة الداخلية و الخارجية ، فكان التجار في الداخل يقومون بمهمة جمع السلع من مختلف المناطق السودانية للمراكز الجنوبية حين وصول القوافل⁽⁴⁾.

في الحقبة ما قبل الاستعمار كانت القوافل تروح و تجيء بانتظام متخمة بحمولاتها مارة بمستودعات تجارية تقع كثرتها عند نقاط تداخل بين مناطق جغرافية مختلفة، كان أحد خطوط هذه الأسواق يجري من الغرب إلى الشرق عبر حدود الصحراء الكبرى و السافانا و أهم هذه المراكز في إفريقيا الغربية هي:

- مركز أروان: هي محطة هامة للقوافل القادمة من الجزائر عبر طريق توات، منها يتمكن التجار من التزود بالمواد التجارية و الماء و الكلاً لحيواناتهم و يأخذون قسطاً من الراحة و يتبادلون منتجات إفريقيا الغربية التي تحملها قوافلهم من الجنوب و القوافل التي تأتي من غدامس، توات و تندوف⁽⁵⁾.

(1). حوتية، توات و القوافل، ص 35.

(2). M . Bonnemain, Op.cit, p

(3). فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 82- 83 ، أنظر كذلك: حوتية ، توات و الأزواد، ج1، ص 171.

(4). بوفيل، ص 294.

(5). حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 168.



- مركز جني(*) : كانت مركزا تجاريا هاما، اشتهرت بتجارة الذهب و الرقيق و الملح، نظرا لموقعها الاستراتيجي، فهي محاطة بالمياه و بالتالي توفرت على عوامل ازدهارها الاقتصادي، كانت تستخدم القوارب في نقل الملح من تنبكتو إلى جني عبر نهر النيجر، كما كانت تحمل الذهب و الرقيق أثناء عودتها إلى تنبكتو، بذلك مثلت جني همزة وصل بين تجارة الملح و الذهب و عن طريقها وصلت تجارة إفريقيا الشمالية إلى إقليم الغابات⁽¹⁾.

- مركز تنبكتو(*) : تقع تنبكتو على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى ما يعرف بمنحى نهر النيجر⁽²⁾، تعتبر ملتقى الطرق التي تمر منها القوافل التجارية عبر الصحراء ، كما أنها تطل على نهر النيجر الذي يمتد ليصب في المحيط الأطلسي، بذلك جمعت بين القوافل البرية و النهرية فصارت ملتقى حركة تجارية تفد إليها من مصر، المغرب، الجزائر، طرابلس عبر الصحراء، إضافة إلى المناطق الممتدة حتى المحيط الأطلسي.

(*) جني: تأسست في القرن 3 هـ و ازدهرت في عهدي مالي و السنغاي، يقول عنها عبد الرحمان السعدي: « هي سوق عظيم من أسواق المسلمين و فيها يلتقي أرباب الملح من معدن تغازي وأرباب الذهب، ابتدأت في الكفر في أواسط القرن الثاني من الهجرة النبوية، ثم أسلموا عند تمام السادس». يبدو أن لإسلام المنطقة دور في التجارة الصحراوية بالمدينة، ذلك ما نستنتجه من استقرار التجار و المثقفين المسلمين بالمنطقة، حيث أوضح السعدي أن الحركة التجارية ازدهرت بالمدينة بعد اعتناقها للإسلام « و قد ساق الله تعالى لهذه المدينة المباركة سكانا من العلماء و الصالحين من غير أهله من قبائل شقي و بلاد شقي». أنظر:

- السعدي، المصدر السابق، ص 11، 16.

(1). حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 168.

(*) تنبكتو: يقول عنها عبد الرحمان السعدي: « مسقط رأسي و بغية نفسي، ما دنستها عبادة أوثان و لا سجد على أديمها قط لغير الرحمان، مأوى العلماء و العابدين و مآلف الأولياء و الزاهدين و ملتقى الفلك و السيار». فهي مدينة إسلامية منذ نشأتها في أواخر القرن الخامس الهجري على يد طوارق مقشرين الذين «جعلوها خزانة لمتاعهم و زروعهم»، إلى أن صارت «مسلكاً للسالكين في ذهابهم و رجوعهم». يشير السعدي إلى أن أول من كان يتردد على تنبكتو هم تجار السراقولي، و من المرجح أنهم توافدوا عليها بعد سقوط كومي صالح (عاصمة غانة في العصر الوسيط) في القرن الحادي عشر الميلادي. و في القرن 7 هـ / 13 م أصبحت تنبكتو و جني محوراً للحياة التجارية بالسودان الغربي، حيث «سكن فيها الأخيار من العلماء و الصالحين و ذوو الأموال من كل قبيلة و من كل بلد من أهل مصر، فزان، غدامس، توات، درعة، تفالنت، فاس، سوس، يبط إلى غير ذلك». مع استقرار التجار و العلماء العرب، ازدهرت التجارة و الثقافة إلى أن أصبحت تنبكتو منارة للعلم بالسودان الغربي. أنظر:

- السعدي، المصدر السابق، ص 21 .

(2). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 142 .



المدينة لم تكن تنتج أو تصنع شيئاً؛ إذ انصب اعتمادها على استيراد حاجياتها من الغذاء و على تجارة العبور التي تشكل مورد رخائها ، بحيث كانت القوافل الآتية من الساحل تحمل السلع الأوروبية، حيث تستقبل عددا من القوافل الصغيرة التي تضم حوالي 100 بعير سنويا.

كانت علاقات تنبكتو زمن الرحالة بارث، تمتد ما بين منطقة ساحل العاج و نهرى السنغال و غامبيا اللذين عن طريقهما تفد معظم المنتجات البريطانية عبر مدينة باماكو، باختصار فإن المجال الجغرافي لتجارة تنبكتو و علاقاتها الخارجية كان مذهلاً⁽¹⁾.

بلغت تنبكتو ازدهارها الاقتصادي خلال القرن الخامس عشر ميلادي، غير أنها في النصف الأول من القرن التاسع عشر قد تدهورت حسب وصف روني كايي بقوله: « وجدت المدينة أقل ضخامة و عمراناً مما كنت أتوقع، كذلك وجدت أن تجارتها أقل نطاقاً مما اشتهرت به في أذهان الرأي العام⁽²⁾».

- مركز كانو: مدينة واقعة شمال نيجيريا ، لها مكانة تجارية هامة على المستوى المحلي و الإقليمي و الدولي مع مطلع القرن التاسع عشر ، إذ تعتمد على جانب من الأنشطة الصناعية الرئيسية مثل صنع الأقمشة و صباغتها و توزيعها و في مجال دبغ الجلود⁽³⁾، كان لموقع كانو الذي يتوسط منطقة زراعية يتوفر على كل احتياجات سكانها و فائضاً للتصدير، كذلك الصناعات المختلفة في مجال النسيج و الصباغة، فميزتها تكمن في العلاقة الوثيقة التي تجمع بين مهارات التجارة و التصنيع بدءاً من الأسر ، فقد كانت صناعاتها تنافس غات، مرزق، غدامس و طرابلس و قد وصلت حتى ساحل المحيط ، حيث يذكر بوفيل أن معظم الملابس المصنوعة في طرابلس، ترسل عبر غدامس نحو كانو لإعطائها الألوان التي تليق بها، بهذا كانت مدينة كانو خلال القرن التاسع عشر أكثر أهمية من مدينة تنبكتو، لأن معظم سكانها من قبائل الهاوسا (Hawsa) المشهورين بالتجارة⁽⁴⁾.

(1). بوفيل، ص 389-390.

(2). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 71.

(3). أجاي، « إفريقيا في مطلع القرن التاسع عشر، قضايا و توقعات » ، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام، مجلد 6، اليونسكو، تحت إشراف، ج.ف. آدي أجاي، مطبعة حسيب و أولاده، لبنان، ط1، 1996، ص 37.

(4). بوفيل، ص 394.



- مركز أقدز: تقع أقدز(*) في الشمال الشرقي من نيامي، إذ تبعد عنها بألف كيلومتر، خلال القرن التاسع عشر كانت لها مكانة تجارية كبيرة، إذ يعتمد دخل أقدز على جباية الضرائب، فتحصل على مبالغ هامة من التجار الوافدين إليها، من فزان، غدامس و زويلة و تنقل منها القوافل بضائعها المتمثلة في البخور و الذهب، كما يعتبر العلك من المواد الغالية الثمن التي تحملها القوافل لأقدز.

و في الجنوب كانت توجد سلسلة مماثلة من المراكز على الحدود بين السافانا و الغابات و كانت تشمل: مركز بونا، مركز بوندوكو، مركز بيغو، مركز أونيتشا، مركز الأشانتي، مركز سلجا، مركز كتنامبو. تعتبر غدامس من أهم المحطات التجارية التي كانت تصلها قوافل الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية، و هي ملتقى تجار المنطقتين و عن طريق غدامس تتجه قوافل سوافة و ورقلة باتجاه أسواق أفريقيا الغربية، إضافة إلى إقليم توات و بحكم أن الطوارق كانوا يسيطرون على المناطق التي تمتد ما بين توات و غدامس يجدر بنا التحدث عنها:

- مركز غدامس: يقع في الجنوب الغربي من مدينة طرابلس و هو ضمن نطاق ليبيا عند التقاء حدودها مع تونس و الجزائر⁽¹⁾، إذ يعتبر أحد المراكز التجارية الهامة بين الشمال و الجنوب و يرتبط تجاريا بمدينة تيبكتو، غاو، جني، أقدز، كانو و تادمكة، فصار محطة مهمة في بداية الطريق عبر المنطقة الوسطى من الصحراء الكبرى إلى إفريقيا الغربية، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر نشطت القوافل التجارية في أسواق كوكة، دكوة، زندر، كانو، سوكتو، كاتسينا، و تمتد هذه العلاقة التجارية من كانو نحو الشمال في اتجاه طرابلس عبر غات و مرزق و غدامس⁽²⁾.

نظرا لأهمية هذا المركز، كل سنة يصل غدامس أكثر من 300 جمل محملين بالسلع الأكثر تنوعا من السودان و عين صالح و الأهقار ، يتم توجيه جزء منه نحو سوف بعد التبادل⁽³⁾.

(*) أقدز: أطلق عليها الوزان اسم أغدس و قال عنها: « مدينة ميسورة بناها الملوك المحدثون في تخوم ليبيا، و هي مدينة السود التي تكاد تكون أشهر مدن البيض باستثناء ولاتة»، أغلب سكانها من العرب المغاربة الذين يشتغلون بالتجارة. أنظر:

- الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 171.

(1). المبروك الهادي الدالي، المرجع السابق، ص 269.

(2). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 136.

(3). بلقاسم بن خليفة، المرجع السابق، ص 247.



المبحث الرابع: الدوافع الحقيقية للاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية.

عرفت الصحراء الإفريقية على مدى عصور متلاحقة، مدًا تجاريًا واسعًا خاصة بين سكان المغرب الإسلامي و إفريقيا جنوب الصحراء، هذا النشاط التجاري استهوى الدول الأوروبية فعزمت على غزو الصحراء و استعمارها و أول شيء اهتموا به هو معرفة الطرق الصحراوية، المعالم الجغرافية و الاقتصادية للقارة مثل الأنهار، مواقع الجبال، البحيرات، توزيع السكان، أهم الدول، الأسواق، المنتجات الزراعية و الصناعية الرئيسية⁽¹⁾ و السؤال المطروح: بما أن فرنسا كانت من الدول الأوروبية التي تأخرت في مد نفوذها بإفريقيا، فهل كان لذلك خلفياته و ما هي الدوافع الحقيقية للاهتمام الفرنسي بالمجالين؟.

1. أسباب تأخر فرنسا عن المنافسة الأوروبية في إفريقيا:

بداية الاهتمام الأوروبي بالقارة، كان مع نهاية العصور الوسطى و بداية العصر الحديث، الذي يتوافق و الكشف الجغرافي، مع نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر، شوهد اشتداد في التنافس الاستعماري بين الفرنسيين، الانجليز و الألمان حول القارة الإفريقية، لغرض إيجاد مجالات لتصريف منتجاتهم الصناعية و توفير المواد الخام للصناعة، فكان الانجليز أول من أبدى اهتماما بإفريقيا و الصحراء.

عملت الدول الأوروبية على إنشاء عدة جمعيات جغرافية و علمية، تكفلت بإرسال البعثات الاستكشافية و تحملت نفقات الرحلات؛ من بين هذه الجمعيات على سبيل المثال الجمعية الإفريقية البريطانية (The African Association) التي تأسست عام 1788م، حيث قامت في البداية بإرسال ثلاثة رحالة هم: هورن مان الألماني، لوكاس و ليد بارد في رحلات متتابعة تحت رعايتها.

مع الإشارة أن تأسيس بريطانيا لبعض المراكز التجارية يعود إلى سنة 1730م بنهر غامبيا، من هذه الناحية كان يتم إرسال البعثات إلى دواخل إفريقيا من بينهم هيو تون؛ الذي بدأ رحلته سنة 1790م من مصب نهر غامبيا و توغل نحو الداخل و الرحالة الإسكتلندي منغو بارك؛ الذي كانت مهمته التعرف على مجرى نهر النيجر، هذا الرحالة الذي صحح بعض المفاهيم عن إفريقيا للأوروبيين كونها بلاد الوحوش، كما أعطى حقائق جغرافية و حضارية لها.

(1). أجاوي، المرجع السابق، ص 27.



ما بين سنتي 1824م و 1825م قام المغامر الفرنسي روني كاييه برحلة من نهر السنغال حتى وصل تنبكتو و منها عرج إلى شمال إفريقيا، هذا الرحالة يعتبر أول مغامر فرنسي يخوض مثل هذه المغامرة في الصحراء الإفريقية⁽¹⁾.

إن المناطق التي تم كشفها من قبل الانجليز و الألمان، لم يكن الفرنسيون غير مكترئين بها، بل إن اهتمام الفرنسيين بها كان قديما، يرجع إلى عهد لويس الرابع عشر في القرن السابع عشر⁽²⁾، الذي وضع مخططا للوصول إلى تنبكتو عن طريق السنغال، إلا أن هذا المشروع تأجل إلى ما بعد ثلاثة قرون على عهده⁽³⁾ و كان هذا التاريخ في أعقاب هزيمة فرنسا أمام الألمان؛ إذ قرر الفرنسيون الدخول إلى مسرح المنافسة و المشاركة في عملية الكشف و الاستغلال، فعملوا على وضع خطة لاستعادة وضعهم بإقامة إمبراطورية في إفريقيا و اشتد حماسهم بعد احتلال الجزائر سنة 1830م.

2. دوافع اهتمام فرنسا بالإقليمين:

أ. تحولات التجارة التقليدية في غرب إفريقيا:

بعد أن قررت بريطانيا تحريم تجارة الرقيق و استبدالها بالتجارة المشروعة بداية القرن التاسع عشر، تلقت مساندة من طرف بعض الدول الأوروبية مثل فرنسا، هذا التغيير كانت له خلفياته و السؤال المطروح: ما هي حسابات و نوايا الدول الأوروبية من وراء هذا الإلغاء؟.

إن التجارة عبر الصحراء أدت إلى جذب إفريقيا إلى التجارة الدولية في القرون الوسطى، لكن مع تطور التجارة عبر البحار أواخر القرن الخامس عشر، أشرك القارة في خلق علاقات تجارية واسعة الأطراف مع العالم الجديد و أوروبا ، ففي القرون الثلاثة السابقة للثورة الصناعية انتشرت تجارة الرقيق بشكل كبير عبر المحيط الأطلسي.

خلال القرن السادس عشر ظهر ما يسمى بالتجارة المثلثية على سواحل إفريقيا الغربية، فكانت أوروبا تأخذ منتجاتها إلى هناك و تقايضها بالعبيد الذين تأخذهم إلى العالم الجديد، في المقابل تأخذ

(1). إبراهيم مياسي، "الاهتمام الفرنسي بالصحراء"، مقال نشر في كتاب طريق القوافل، مطابع فربي عمار، باتنة، 2001، ص 81.

(2). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 69.

(3). نفسه، ص 68.



منتجات الزراعة المدارية و تباعها في أوروبا⁽¹⁾، حيث تفيدنا أحد التقديرات أن تجارة إفريقيا الغربية المحمولة بحرا، قد بلغت ذروتها أواخر القرن الثامن عشر و تساوي حوالي أربعة ملايين جنيه إسترليني في السنة⁽²⁾.

لكن مع نهاية هذا القرن بدأ الشعور يتبلور في أوروبا، حول الجرائم التي يرتكبها الأوروبيون في تجارة الرقيق، من الذين كانوا في طليعة هذا الأمر عدد من الفلاسفة مثل فولتير و اثنين من القساوسة الفرنسيين اللذين أنشأ "جمعية أصدقاء السود" و قاموا بحركة كبيرة لتحرير العبيد، كما ظهرت حركة مناوئة للرق في إنجلترا لكن هذه الحركة لم تشكل أي تأثير على الرأي العام⁽³⁾.

إلا أن الواقع يُقر بأن التطور الصناعي في أوروبا، فرض عليها تغيير نظرتها للمنطقة من ممول ليد العاملة إلى ممول للمواد الأولية الزراعية التي تزخر بها⁽⁴⁾، كما أن بريطانيا ذاتها سجلت بطالة بين البيض نتيجة الاستعمال الواسع للآلة، الأمر الذي جر عنه الاستغناء عن اليد العاملة للسود، عند هذه النقطة التفت المصالح الاقتصادية و السياسية، فدفعت بالحكومة البريطانية إلى انتهاج سياسة القمع ضد تجار الرقيق في مستعمراتها الواقعة على ضفاف المحيط الأطلسي، فلم تكد تحل سنة 1772م حتى حرمت الحكومة البريطانية الرقيق في بريطانيا و في سنة 1807م طبقت إجراءات لمنع هذه التجارة في مستعمراتها⁽⁵⁾.

بعد أن أصبح محظورا على الرعايا البريطانيين الاشتغال بتجارة الرقيق⁽⁶⁾ و قررت الدول الأوروبية إلغاء هذه التجارة، أخذت إفريقيا الغربية تواجه إيجاد صادرات بديلة، ففي الوقت الذي كانت فيه الصادرات تعتمد بشكل كبير على تصدير عامل واحد، و هو الأيدي العاملة⁽⁷⁾ أصبح للأرض أهمية.

كما أن الانتقال من اقتصاد الكفاف إلى الاقتصاد النقدي، مقابل عملة نقدية أو سلعة مستوردة، يبدو أنها ظهرت في بعض المناطق بطريقة تلقائية بين الأسر المعيشية في القرن التاسع عشر و قبل

(1). مسعودة قاسي، تجارة زيت النخيل و التنافس البريطاني و الفرنسي في خليج غينيا القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2009-2010، هامش رقم 03 ص 43.

(2). هويكنز، ص 172.

(3). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 357-358.

(4). مسعودة قاسي، المرجع السابق، ص 37.

(5). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 357-358.

(6). هويكنز، ص 242-227.

(7). نفسه، ص 172-176.



دخول الأوروبيين و يرجع الفضل إلى التجار العرب، حيث كانت تنتج هذه المحاصيل (القول السوداني، زيت النخيل، القطن)⁽¹⁾، لكن في نطاق صغير نظرا لإمكاناتها المادية و أدواتها التقليدية⁽²⁾.

و عليه فإن فرض الإدارة الاستعمارية لم يكن سببه إنتاج المحاصيل النقدية، إنما عملوا على توسيع مناطق إنتاجه عن طريق فرض الضرائب و مد السكك الحديدية و شق الطرق لتوسيع شبكاتها، مما يسّر على المصدر نقل المحصول إلى المدن الساحلية و منها نحو الخارج، في نفس الوقت أدخل المستعمر بعض المحاصيل النقدية مثل البن و الكاكاو و كانت أسعارها مرتفعة، مما أحدث تغييراً في المركز الاقتصادي للمزارعين⁽³⁾.

يمكن اعتبار بداية القرن مؤشرا لانتشار هذه الزراعة، حيث أصبح زيت النخيل^(*) هو السلعة الأساسية المصدرة في القرن التاسع عشر، هذه التجارة مكنت صغار الفلاحين و التجار للمرة الأولى، من القيام بدور هام في اقتصاد التبادل عبر البحار⁽⁴⁾.

صدرت أولى حمولات زيت النخيل من منطقة دلتا النيجر^(**) عام 1785م قدرت بـ 55 طن بسعر 45 جنيه للطن، تزايد الطلب عليه في الثلاثينات القرن التاسع عشر خاصة من طرف بريطانيا⁽⁵⁾.

(1). أحمد طاهر، إفريقيا فصول من الماضي و الحاضر، دار المعارف، القاهرة، 1975، ص 183.

(2). نفسه، ص 253-254.

(3). نفسه، ص 183.

(*) تم اكتشاف مادة زيت النخيل من قبل البرتغاليين في غرب إفريقيا عام 1466م و وصلت حمولتها إلى أوروبا في القرن السادس عشر، لكن لم تعرف كمادة صناعية بل غذائية، كما استخدمه الأهالي كغذاء أو كدواء لبعض الأمراض، كما استعمل من طرف تجار الرقيق لضمان سلامة بضاعتهم من العبيد أثناء السفر، مع نهاية القرن الثامن عشر و بداية القرن التاسع عشر بدأت تعرف كمادة صناعية، فاستخدم في صناعة الصابون و زيوت التشحيم و الشموع، ينتشر زيت النخيل في المناطق الاستوائية الرطبة و بالضبط في غرب إفريقيا بين خطي عرض 12° جنوبا و 16° شمالا، بين أنغولا و غامبيا على طول الحزام الساحلي، ينتشر في المناطق الغابية من الكونغو إلى الحدود الجنوبية لواڤاي. أنظر:

- هوبكنز، ص 261.

- مسعودة قاسي، المرجع السابق، ص 36، 25.

(4). هوبكنز، ص 253-254.

(**) تعد منطقة دلتا النيجر من أهم المناطق التجارية لمادة زيت النخيل، يوجد بها أهم الموانئ مثل بوني، براس و نون و هو صالح للملاحة، كان معروف بأنهار زيت النخيل. أنظر:

- مسعودة قاسي، المرجع السابق، هامش رقم: 04، ص 26.

(5). نفسه، ص 26.



بعد توسُّع حجم التجارة المشروعة في القرن التاسع عشر، أعطى الدفع للصناعات الخدمائية لتوفير وسائل النقل و السكن، كما أدى تنمية المحاصيل البستانية القابلة للتسويق، تزويد المراكز التجارية الأكبر حجما بالمواد الغذائية، مع العلم أن هناك مناطق كثيرة كانت تقوم بتصدير السلع المشروعة جنبا إلى جنب مع الرقيق حتى قرابة منتصف القرن التاسع عشر، و قد وصلت واردات المملكة المتحدة من زيت النخيل في إفريقيا الغربية كما يلي:

السنة	1810م	1830	1842	1853	1855
زيت لنخيل	ألف طن	10 آلاف طن	20 ألف طن	30 طن	40 طن ⁽¹⁾

كان الأفارقة يحصلون على صادرات المملكة المتحدة من السلع القطنية التي زادت بمقدار ثلاثين مرة في فترة قصيرة ما بين 1816-1820م و 1846-1850م و كانت الزيادة في جزء منها انعكاسا للارتفاع في قيمة التجارة، يدلي هوبكنز أن توسع الصادرات و الواردات كان نتيجة تراجع تجارة الرقيق و انتشار التجارة المشروعة، فالزيوت النباتية أصبحت السلع الأساسية للتجارة المشروعة، فكان زيت النخيل هو السلعة الرائدة في التصدير بداية القرن، و بعدها لب النخيل و الفول السوداني في النصف الثاني من القرن⁽²⁾، هذه المنتجات كانت استجابة للنمو الصناعي في أوروبا الذي أدى إلى زيادة الطلب على الزيوت و الدهون.

كانت واردات إفريقيا الغربية عبر المحيط الأطلسي، مع فرنسا و بريطانيا خاصة هي السلع القطنية، الصوفية، الخمر، الملح، الحديد، الأدوات المعدنية، التبغ، البنادق و الخراطيش.

ب. احتلال الجزائر:

يعود اهتمام فرنسا بالصحراء الجزائرية على الأرجح إلى بداية الاحتلال، بالاستناد إلى الترتيب الكرونولوجي للأحداث التاريخية التي تمس هذه المناطق، مثل تشكل لجنة الاستكشاف العلمي بالجزائر عام 1837م من أجل ؛ القيام بدراسة التجارة الصحراوية من خلال معرفة المبادلات، أنواع السلع، وسائل الدفع، المراكز التجارية، طرق منافذها خارج الصحراء⁽³⁾.

(1). هوبكنز، ص 257-259.

(2). نفسه، ص 260.

(3). جمال فنان ، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر ، الجزائر، 1994، ص



كما بينت الدراسات اللتان وضعهما كاروت (Carette) حول الأهمية التجارية للصحراء، عن طريق استقائه للمعلومات من طرف أصحابها⁽¹⁾.

في حين نشر دوماس عام 1845م كتاب بعنوان: الصحراء الجزائرية، قدم فيه دراسة حول نسبة تقدم الفرنسيين في تعرفهم على الصحراء خلال ذلك الوقت، كما تحدث عن الجهود المبذولة للحصول على أكبر قدر ممكن من المعلومات حول هذه المناطق الصحراوية قبل التوغل فيها⁽²⁾.

كما أكد على أهمية التجارة في الجنوب و أوضح أن بسكرة تعد مركزا تجاريا هاما للتجار العرب الوافدين من بوسعادة، أولاد نايل، تفرت، وادي سوف، ... الخ، لهذا يقتضي توسيع الاحتلال جنوبا لتوسيع تجارتهم إلى داخل إفريقيا⁽³⁾.

فيما بعد أشار فيرو (Feraud) إلى أهمية ورقة التجارة بقوله: « أنه باحتلال ورقة يمكن إقامة إدارة فرنسية قوية أساسها السوق التجارية التي ستكون هامة للأوروبيين و العرب و المزابيين و السود و اليهود⁽⁴⁾ ».

إضافة إلى الدراسات المقدمة، ظهرت عدة مشاريع بهذا الخصوص، أهمها ما قام به بوديشون (Bodichon) الذي تصور أهمية مشروع الربط بين الجزائر و تنبكتو، على اعتبار أن سكان الجنوب بأمس الحاجة إلى المواد الغذائية التي تأتيهم من الشمال، بالإضافة إلى إمكانية فتح طريق الصحراء بل و عبورها نحو السودان و بالتالي استثثار فرنسا على تجارة الصحراء و دواخل إفريقيا، فهي بإمكانها أن تجعل من الموانئ الجزائرية منافذ لتجارة السودان و إفريقيا الغربية و من الواحات مراكز عبور لها، كما يمثل السودان قوة استهلاكية هائلة تقدر بـ 20 مليون نسمة و ستصبح سوقا ضخمة للمنتجات الصناعية الفرنسية⁽⁵⁾.

منذ عام 1844م أصدر البرلمان الفرنسي قانونا يقضي بمد منطقة الاحتلال نحو الجنوب و الارتكاز حول مراكز المبادلات التجارية بين الشمال و الجنوب في كل من سبدو، سعيدة، تيارت

(1). E. Carette, **Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algérie Méridionale**, T.8, Imp. Royole, Paris , 1844, p 159-161.

(2).Daumas, **le Sahara Algérien (études, géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie)**, S.M.E, Paris, 1845, p 6 .

(3). Numa Broc , **Op.cit**, p 304.

(4). Daumas, **Op.cit**, p 9 .

(5). جمال فنان، المرجع السابق، ص 141-142.



و بوغار، حيث تم تتويج تلك السنة باحتلال بسكرة التي كانت مفتاح التجارة الصحراوية من الجهة الشرقية⁽¹⁾.

أما غرب إفريقيا؛ بعد اعتلاء نابليون الثالث العرش الفرنسي عام 1848م، أعلنت حكومته استمرار سياستها لتطوير التجارة مع السنغال و مد النفوذ الفرنسي من نهر السنغال نحو الداخل⁽²⁾.

في وقت لاحق قامت الجمعية الإنجليزية بإرسال هنري بارث الألماني؛ من أجل تنظيم تجارة لها في السودان و الصحراء ، فبدأ رحلته من طرابلس من أجل الوصول إلى نهر النيجر رفقة جيمس رشادسون و أوفروانغ، فوصلوا إلى بورنو و هناك افترقوا، فقصد بارث بحيرة التشاد ثم بحيرة يولا و منها اتجه نحو الغرب فوصل إلى كاتسنا، ثم سوكوتو و واصل طريقه حتى وصل نهر النيجر و اتجه شمالا نحو تنبكتو التي وصلها في شهر سبتمبر 1853م، بعد ثمانية أشهر تقريبا غادرها و عاد إلى طرابلس ثم لندن⁽³⁾.

بعد أن قدم بارث للعالم معلومات جغرافية و تاريخية دقيقة حول الصحراء و التشاد، كتب مقالا قبل وفاته بقليل و نشره في نشرة الجمعية الجغرافية بباريس؛ حث فيه فرنسا على القيام بعمل جبار و واسع في الصحراء الإفريقية و طلب منها أن تستحوذ على هذه المناطق و تربطها بالجزائر، في نفس الوقت عليها أن تفهم عقلية سكان تلك المناطق و تحترم معتقداتهم خاصة الدين الإسلامي ، لذلك يستحسن اختيار روادها لهذه المهمة، مع استعمال أساليب متعددة معهم، بحمل السيف و البدقية بيد و الكتاب و القلم بيد أخرى⁽⁴⁾.

إن المتتبع لمسار السياسة الفرنسية خلال فترة تواجدها بهذه المناطق، يدرك مدى تنفيذ هذه التوصيات؛ ففي سنة 1855م قدمت الجمعية الجغرافية بباريس مبلغا بستة آلاف فرنك، للذي يقوم برحلة من الجزائر إلى السنغال أو بالاتجاه المعاكس، بشرط أن يمر بتبكتو⁽⁵⁾ و يأتي بمعلومات دقيقة حول تنظيم القوافل و طرقها، مواردها الطبيعية و منتجاتها، أهم المراكز التجارية و سلعها و أسعارها، كما لا ننسى اهتمامها بالجانب الثقافي لهذه المجتمعات لأغراض استعمارية.

(1). نفسه، ص 140.

(2). فيج. جي دي، المرجع السابق، ص 312.

(3). إبراهيم مياسي، الإهتمام الفرنسي، ص 85-86.

(4). نفسه، ص 85.

(5). نفسه، ص 86.



بهذا استغلت فرنسا كل السبل من أجل بلوغ هدفها الأساسي و الإستراتيجي و هو الغزو و التوسع الاستعماري من أجل السيطرة على التجارة الصحراوية و ما جاورها ، فتمحور اهتمامها حول أربع نقاط أساسية؛ في مرحلتها الأولى؛ حاولت التعرف على الإمكانيات الاقتصادية و البشرية و كشف مظاهرها الجغرافية و دراسة المجموعات السكانية و عاداتها و تقاليدها، في مرحلتها الثانية؛ اهتمت بوضع شبكة الخطوط الحديدية و أسلاك الهاتف لتسهيل سبل التنقل بين مستعمراتها، في مرحلتها الثالثة؛ اهتمت بمحاولة خلق بحر داخلي صحراوي، من أجل إحداث تغيير جذري للظروف الطبيعية و المناخية القاسية للصحراء⁽¹⁾.

في مرحلتها الرابعة، عملت فرنسا على ربط مناطق الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية، فأولت اهتماما خاصا ب توات و بلاد الطوارق، لهدف منافسة الدول الأوروبية في المجال التجاري فكانت الفترة ما بين 1850 -1914م في جلها محاولات للكشف و الغزو و تأسيس مراكز تجارية و تنشيطها. هذه المراحل سنتبع حيثياتها في الفصول الموالية.

في مرحلتها الأخيرة؛ حققت ما كانت تصبوا إليه، حيث مزجت بين التجارة البرية و البحرية و الجوية.

3. قوانين إلغاء تجارة الرقيق و تطبيقاته :

أ. عبر الصحراء:

حتى الثلث الأول من القرن التاسع عشر، كان تجار ورقلة يجلبون الرقيق^(*) الذي يسوق نحو الشمال، في الوقت الذي مارس حكام الأيالة الجزائرية نفوذهم على المنطقة، فأخذ أهالي المنطقة يحرصون

(1). بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، ص 75-78.

(*) كان الرقيق في العصور الوسطى محل اهتمام التجار و الملوك الميسورين على حد سواء، فقد كانوا قوة منتجة لا يمكن الاستغناء عنها في معظم المجالات الحيوية المرتبطة ارتباطا وثيقا بالحياة الاجتماعية آنذاك، فكانوا يستخدمونهم استخداما كبيرا في مجال العمل الجماعي كالنشاط الحربي و الزراعي و في البيوت و بالتالي وجدنا التجار يولون اهتماما بالغا بهذه البضاعة و يقدرون قيمتها حق تقدير ، فأقبل تجار الشمال على شراء الرقيق الذي تزخر به أسواق السودان بسبب الحملات التي تشنها الممالك القوية على القبائل الصغيرة و الحروب التوسعية بين الممالك التي حكمت السودان ضد جيرانها الوثنيين. حين زار ابن بطوطة منطقة تكدا التي يستخرج منها النحاس ليصنع منه قضبان، ذكر أنهم يشترون بغلاتها العبيد و الخدم، كما استعمل الرقيق كذلك وسيلة للأداء و عملة مقابل سلعة أخرى، إذ يذكر الوزان أن أهل السنغاي بداية القرن 16م يدفعون 15 رقيقا مقابل حصان واحد. أنظر:

- ابن بطوطة، المصدر السابق، ج4، ص 206.
- الوزان، المصدر السابق، ج2، ص 150.
- بشار قويدري ، المرجع السابق، ص 15-16.



على إبقاء العلاقات التجارية مع مدن الشمال، لأن رخاء المنطقة مرهون بإبقاء انتظام القوافل التجارية و زيادة حمولتها⁽¹⁾.

بعد احتلال فرنسا للجزائر قامت بإصدار عدة قوانين سنة 1847م تنص على تحريم تجارة الرقيق في الجزائر تحتوي على عدة نقاط رئيسية هي:

- إصدار قانون منع تجارة الرقيق في الجزائر و منع بيع و استيراد العبيد نحو الجزائر.
- تعلن الحكومة الفرنسية بتحرير العبيد في الجزائر بعد عقد اتفاق مع المالك أو السيد.
- منع تجارة العبيد على الأوروبيين المتواجدين بالجزائر و يهود الجزائر.
- منع بيع العبيد في الأسواق المدنية و العسكرية، مع منع شحن العبيد من الموانئ الجزائرية.
- يسمح للعبيد الذين ينتمون إلى المناطق المدنية و العسكرية بالتوجه إلى السلطات الفرنسية لتحريرهم من سيدهم⁽²⁾.

رغم المساعي التي اعتمدها باي تونس عام 1846م و ما قامت به كل من بريطانيا و إيطاليا و المراسيم السلطانية لإلغاء هذه التجارة ، إلا أنها انخفضت في ميناءي طرابلس و بنغازي و لكنها ظلت مستمرة في المناطق الخارجة عن الرقابة مثل غدامس، مرزق، غات، أوجلة، جالو و الجغبوب ذلك يجلب العبيد من البورنو، الوداي و بلاد الهاوسا و قد قدروا في عام 1889م بعدد يتراوح بين خمسمائة و ألف في عام و كان يجري استبدال هؤلاء العبيد بالإبل و المعز و البقر⁽³⁾.

(1). ناصر الدين سعيدوني، ورقلة و منطقتها، ص 84-85.

(2). جمعة بن زروال، « الرق في الجنوب الجزائري في بداية الاحتلال من خلال وثائق أرشيفية فرنسية »، مقال نشر في كتاب الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، مطبعة منصور ، الوادي، 2012، ص 327-328.

(3). ابتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911م، تر، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، ط2، 1991، ص 451.



نفس الأمر بالنسبة لتونس و الجنوب الجزائري و المغرب و السودان و مصر⁽¹⁾، إذ يذكر بوفيل أنه حتى سنة 1860م قدر المتوسط السنوي لعدد الرقيق الذين اجتازوا الصحراء يساوي 10.000 عبد، فكان نصيب الجزائر و تونس الربع منه⁽²⁾.

هناك بعض الإحصائيات لأسعار العبيد الذي يسوق عبر الصحراء خلال هذه الفترة كما يلي:

العبيد	إفريقيا الغربية	غدامس	تفرت	التل
العبد الأنثى (الأمّة)	من 150 إلى 200 فرنك	30 دورو	400 و 500 فرنك ⁽³⁾	3.000 فرنك
العبد الذكر	120 إلى 130 فرنك	30 دورو ⁽⁴⁾	150 و 250 فرنك	3.000 فرنك
العبيد الشاب القوي البنية	من 5 إلى 6 دورو	من 35 إلى 40 دورو ⁽⁵⁾		

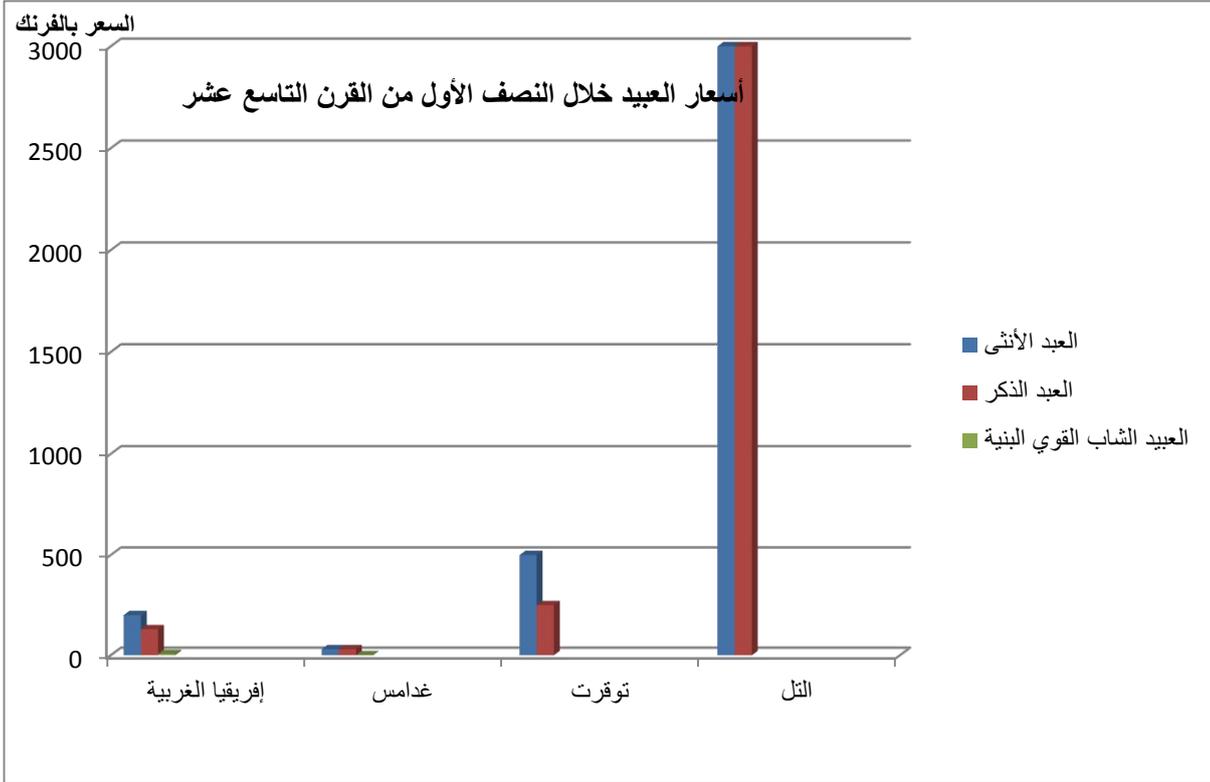
(1). نفسه ، ص 448.

(2). بوفيل، هامش رقم: 02 ص 403.

(3). الزبيري، التجارة الخارجية، ص 168.

(4). رابح رمضان، المرجع السابق، ص 202.

(5). Bonnemain, Op.cit, p 125 .



يرجع ارتفاع أسعار الرقيق عند بعض المؤرخين، نتيجة تزايد الطلب عليه بالمناطق الشمالية للخدمة في المنازل و كذا بسبب تراجع القرصنة و بالتالي تناقص الرقيق الأبيض، إضافة إلى تزايد تكاليف النقل بالصحراء أواخر القرن الثامن عشر، حيث أصبح يباع في تفرت للواحد منهم من 400 إلى 500 فرنك، و قد يرتفع هذا الثمن إلى 5.000 بوجو⁽¹⁾.

غير أنه حسب تحليلنا فإن سبب ارتفاع ثمن العبيد يعود إلى إلغاء تجارة الرقيق في بداية القرن التاسع عشر و استبداله بالتجارة المشروعة و بالتالي تضاعف عدد العبيد المصدر من طرف الأفارقة، مع تضاعف كميات الذهب المتدفق عبر الصحراء، الأمر الذي رفع أسعار العبيد إلى هذا الحد.

و الدليل على ذلك ما سجله جاكسون بداية القرن التاسع عشر و هاريس في نهاية القرن، حول الأثمان العالية التي تُدفع للهوسا في أسواق العبيد المحلية، ففي أيام دنهام رفض تجار الشمال المشتغلون بالتجارة مع بورنو، أن يدفعوا أمان تجارتهم إلا بالرقيق الذي أصبح تبعا لذلك أهم عملة في الدولة⁽²⁾ و هذا

(1). ناصر الدين سعيدوني، ورقة و منطقتها، ص 83-84.

(2). رياض زاهر، المرجع السابق، ص 314.



يدل على أن تجارة الرقيق بين طرفي الصحراء، بقيت مستمرة خلال القرن التاسع عشر و لكن غلاء السعر يدل على أن هناك رقابة شديدة على هذه التجارة.

ب. عبر المحيط الأطلسي:

تعود فكرة إلغاء الرقيق في فرنسا إلى سنة 1789م بعد نجاح الثورة الفرنسية مفادها التساوي بين جميع الأجناس، لكن في سنة 1793م أصدرت الجمعية الوطنية قرارا يقضي بعدم تطبيق مثل هذه القرارات في المستعمرات الفرنسية⁽¹⁾.

بعد أن تمكن الفرنسيون من استرجاع حصني القديس لويس و جوري سنة 1817م من بريطانيا استخدموهما كمراكز لفرض السيطرة الفرنسية هناك، حيث عملوا على التوغل داخلا إلى بامبوك كما أسسوا مراكز تجارية في الجنوب عند البريدا (Albreda) في غامبيا و بيساو بولاما الواقعة على ساحل غينيا.

هذه التوسعات كانت محيية للأمل، مع العلم أن تجارة الصمغ، الشمع، العاج، الجلود و العبيد آنذاك كانت متطورة و السبب يرجع إلى أن منطقة سينغامبيا لم تكن صالحة لتجارة العبيد و من جهة أخرى هناك منافسة قوية للتجار الأفارقة، الذين كانوا ينتمون إلى قبائل الماندي، التوكولور و الفولاني و هو ما أعاق التجارة الفرنسية آنذاك، فالدراسات تشير إلى أن الفرنسيين لم يحصلوا على أكثر من 1.000 عبد في السنة من منطقة السنغال رغم المجهودات التي قاموا بها⁽²⁾.

الحقيقة أن المناطق الواقعة بين السنغال و ساحل العاج، كانت تمارس تجارة الرقيق بنسبة قليلة، غير أن منطقة التصدير الرئيسية هي التي تمتد من ساحل الذهب شرقا إلى الكامرون (خليج غينيا)، ففي العقد التاسع من القرن الثامن عشر، كانت تجارة الرقيق عبر الأطلسي بلغت ذروتها و كانت الصادرات السنوية من مختلف قطاعات الساحل كما يلي:

المنطقة	عدد الرقيق	المنطقة	عدد الرقيق
سنغامبيا	2.200	ساحل الذهب	10.000
سيراليون	2.000	ساحل الرقيق إلى بنين	12.500
ساحل البوب ساحل العاج	4.000	من دلتا النيجر إلى الكاميرون	22.000 ⁽³⁾

(1). جمعة بن زروال، المرجع السابق، ص 327.

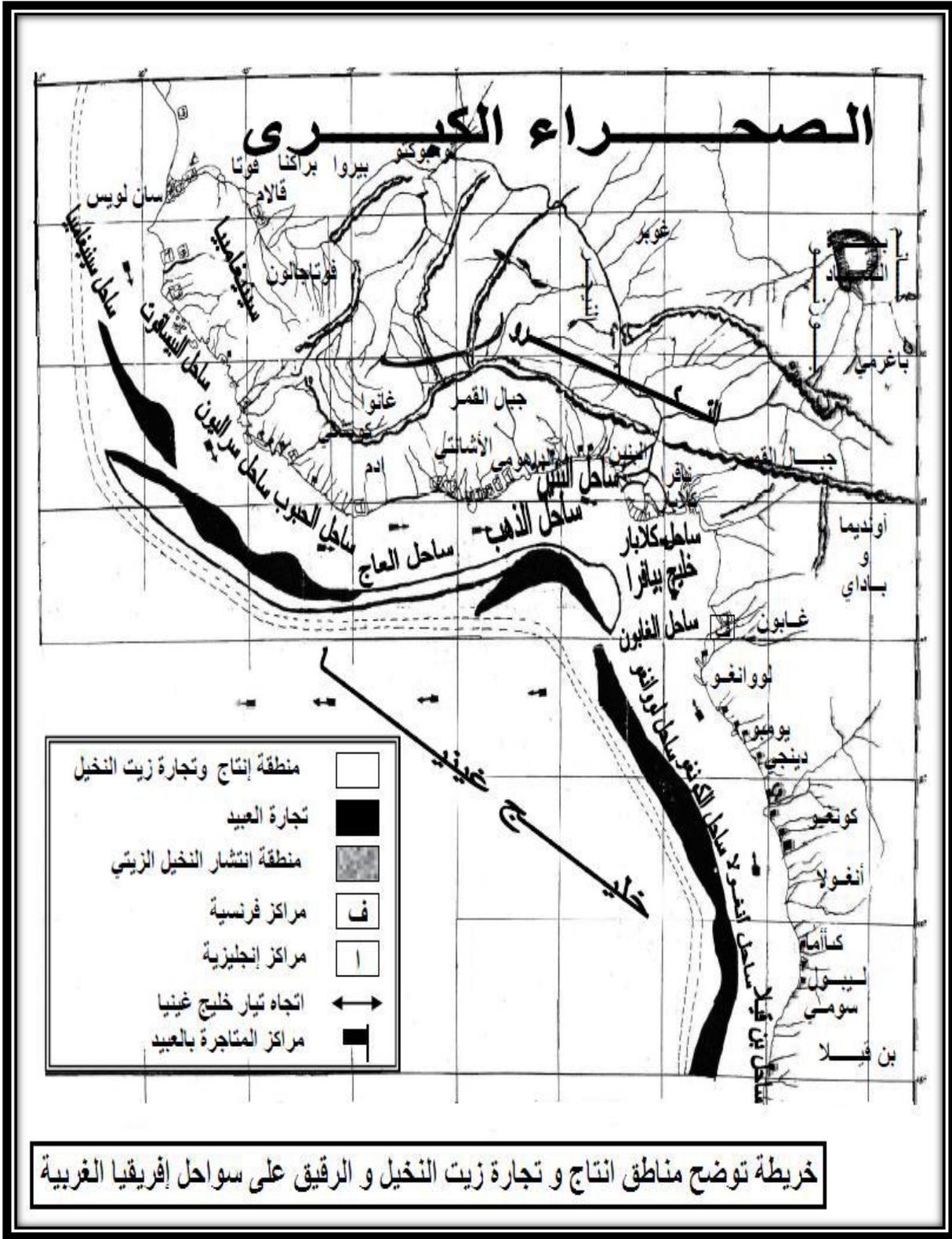
(2). فيج. جي دي، تاريخ غرب إفريقيا، تر، يوسف نصر، دار المعارف، مصر، ط1، 1982، ص 146-147.

(3). هوبكنز، ص 205.



من خلال هذه الأرقام نستنتج أن المنطقة الممتدة من ساحل الذهب إلى الكامرون كانت مسؤولة عن 82 % من تجارة الرقيق، غير أن المنطقة الواقعة غرب ساحل الذهب هي الأكثر أهمية، مع العلم أن صادرات الرقيق قبل عام 1700م كانت أقل بكثير من صادرات في عام 1800م، فكان القطاع الساحلي الأكثر أهمية هو القسم الفرعي من بنين حتى الكامرون⁽¹⁾.

(1). نفسه، ص 205 - 206.



(1)

(1). مسعودة قاسي، المرجع السابق، ص 141. نقلا عن:

- Bouet – Willaumez, **Commerce et traite des noirs aux cotes occidentales d’Afrique**, Imp. Nationale, Paris, 1978, S.P .



و قد وصلت صادرات فرنسا من الرقيق ما بين سنة 1701م إلى غاية 1810م حوالي 61.310 عبيد من سواحل المحيط الأطلسي⁽¹⁾، في حين نجد واردات تفرقت تقدر بـ : 500 عبد و ورقة 45 عبد⁽²⁾، هذا العدد قليل جدا مقارنة بالعدد الضخم الذي تصدره فرنسا.

هذا الأمر يوضحه أكثر هوبكنز حول مسألة تصدير الرقيق عبر الصحراء في أوائل القرن التاسع عشر، بقوله أن الرقيق المصدر شمالا عبر الصحراء الكبرى لا يمثل إلا قرابة عشرة آلاف سنويا، في مقابل 70 ألف سنويا عبر المحيط الأطلس، لأن هذه التجارة لم تكن أبدا ذات أهمية مثل المحيط الأطلسي حيث يفسر هذا الأمر بما حدث للجماعات الزنجية الكبيرة التي اختفت اليوم تقريبا من شمال إفريقيا و الشرق الأوسط⁽³⁾.

انطلاقا من هذه المعطيات فإن مسألة إلغاء الرقيق لم تكن حلا للدول المستعمرة، أمام الاندفاع التجاري مع مزارع العبيد المزدهرة و التكاليف الباهظة للعمل، الأمر الذي أدى إلى تزايد الطلب على العبيد و حسب ما أشار إليه سيمور درشر أن إلغاء الرقيق مسألة مدمرة للاقتصاد⁽⁴⁾، فلجأ المستعمرون إلى استخدام السخرة، رغم التزامهم بإلغاء الرق التي ظلت قائمة حتى القرن العشرين⁽⁵⁾.

من خلال دراستنا للعلاقات التجارية بين المنطقتين خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، تبين أنه حتى هذه الفترة بقيت التجارة تمارس بالقوافل، عبر مسالك صحراوية بعضها قديم و البعض الآخر جديد، تحكمت فيها متغيرات أمنية و تجارية مثل تراجع مكانة غاو التجارية بسبب انعدام الأمن و انتشار التجارة المشروعة بإفريقيا الغربية و احتلال الجزائر، هذه المتغيرات تجعلنا نطرح تساؤلا آخر و هو : ما هي الإستراتيجية التي اتبعتها فرنسا للتوغل في المجالين لتنفيذ مشروعها التجاري ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر؟.

(1). هوبكنز ، ص 182.

(2). إلياس بن عمر الحاج، المرجع السابق، ص 98.

(3). هوبكنز، ص 165 - 166.

(4). س. داجيه، « إلغاء تجارة الرقيق »، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام (القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانينياته)، مجلد 6 ، تحت إشراف، ج.ف. آدى آجابي، مطبعة حسيب و أولاده، لبنان، ط1، 1996، ص 96.

(5). هوبكنز ، ص 50.

الفصل الثاني:

مظاهر الاهتمام الفرنسي
بالصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية
(1850-1914 م)

المبحث الأول: رحلة بونمان و دورها في عملية الكشف التجاري
للصحراء.

المبحث الثاني: مممنا الكولونال Flatters نحو الأهمغار و دورهما في
الكشف الجغرافي للصحراء.

المبحث الثالث: استثمار السلطات الفرنسية للجزائريين في مهمة اختراق
الصحراء.

المبحث الرابع: توظيف البعد الثقافي و العسكري لاختراق الصحراء.



شهدت الجزائر بحلول ثلاثينات القرن التاسع عشر مدًا استعماريًا على شمالها، غير أن مشروعها الاستعماري يستوجب التوغل جنوبا لعبور الصحراء، هذا العمل يتطلب منها جهدا كبيرا لخصوصية الطبيعة الصحراوية و سكانها، فأخذت تفتعل كل الوسائل لبلوغ مرادها، الأمر الذي يحيلنا لطرح إشكالية لهذا الفصل كما يلي: تدافع الوسائل الفرنسية لعبور الصحراء الجزائرية و أهدافها.

المبحث الأول: رحلة بونمان و دورها في عملية الكشف التجاري للصحراء.

قد يتساءل البعض عن عدم عرض عدد كاف من الرحلات الفرنسية و الاقتصار فقط على رحلتين، هذا لهدف دراستها بشيء من التحليل لاستقراء النوايا الفرنسية و إبراز أهميتها للموضوع المدروس، و تعتبر رحلة بونمان و بعثتي فلاترس من الرحلات المهمة التي تعالج موضوعنا هذا، فيا ترى ماذا تكشف لنا رحلة بونمان؟ و ما هي نتائجها؟.

1. التعريف بصاحب الرحلة:

ولد بونمان فرانسوا لويس في باستيا (كورسيكا) بتاريخ: 18 أكتوبر 1817م، والده كان حاكما عسكريا ، نزل بالجزائر مع عائلته و استقروا بمدينة صغيرة، على ما يبدو بيئر مراد راييس الواقعة جنوب الجزائر العاصمة و هذا استنادا إلى ما قاله فوكون (Faucon) حين ذكر أن بونمان قد جذبته الحياة العربية بشكل غريب، فأخذ يخالط باستمرار الأهالي في مقهى شعبي بيئر مندرايس (Birmandreïs) (*) الذي يعتبر مدرسته الأولى، أين تعلم لغة البلد و تمكن منها بشكل جيد⁽¹⁾.

(*) كانت تدعى آنذاك بيرموندرايس و هو تحريف للتسمية العربية بيئر مراد راييس (Bir-Mourad-Rais).

(1). Faucon Narcisse , **Op cit**, p 88.



في أحد الأيام أتت مجموعة من فرسان قبيلة حجوط (Hadjouth)(*)، برئاسة الشيخ البشير أمام هذا المقهى و عند عودتها إلى مُعسكرها قام بونمان المعروف بفضوله و حبه للمغامرة ، فتبع هذه المجموعة من الخيالة، عند وصوله إلى هناك قام بن **علال (**)** (Ben-Allal) ، باستقبال هذا الشاب المسيحي في خيمته ومنحه اسما عربيا و هو **مصطفى (Mustapha)** ، هذا الاسم الذي ظهر في كتابات أبي القاسم سعد الله باسم مصطفى بونمان الجزائري، و أن حياته تشبه حياة إسماعيل بوضربة في مهنته و تكوينه.

منذ ذلك الحين أصبح بونمان بنفس منزلة **محمد بن علال (***)** الابن الصلب للشيخ. و قد عاش بونمان ظروفًا صعبة في البداية، لكنه حظي فيما بعد بإعجاب الجميع لأنه أصبح فارسًا لا يُشق له غبار،

(*) **قبائل حجوط**: هم خليط من الفرسان المغامرين، يسكنون قبائل متيجة الغربية و الوسطى ، كما تسكن قبائل بني علال متيجة الوسطى ، خلال العهد العثماني وُضعوا تحت أوامر خوجة الخيل التابع لدار السلطان و هم قبائل كثيرة القتال في الفترة الاستعمارية. للمزيد أنظر :

- Louis Rinn , **le royaume d'Alger sous le Dernier Dey** , Imp. libraire Editeur, Alger, 1900, p 22 ,27,
- Faucon Narcisse , Op.cit, p 87.
- Lacène Khelil El Berkani , **Au pays des Hadjoutes ou Hadjout, tribu et ville (1052-1952)**, T.1, S.M.E, S.L.E, S.D , p 5.

(**) **ابن علال**: ينتسب لإحدى أكبر العائلات الشريفة، التي تنحدر من سيدي علي مبارك الذي استقر في القرن 17 قرب زاوية القليعة ، في وسط متيجة ، للمزيد أنظر :

- Louis Rinn , Op.cit , p27

(***) **محمد بن علال بن مبارك**: ولد حوالي سنة 1814م تلقى تكوينًا دينيًا صوفيًا ، تربى على يد عمه الحاج محي الدين الصغير سيدي مبارك، شارك إلى جانب عمه في أكتوبر 1832م في معركة بوفاريك و هي أول مواجهة كبيرة ضد الجيش الفرنسي منذ الاستيلاء على العاصمة في جويلية 1830م، تم إلقاء القبض عليه فيم بعد و سجن في **العاصمة** لمدة عامين، ثم أطلق سراحه سنة 1834م بعد المعاهدة التي وقّعها الأمير عبد القادر مع الجنرال دي ميشال. و لكن السلم لم يدم فشارك محمد بن علال في عدة معارك ضد الفرنسيين إلى جانب عمه في سهول متيجة. تم استئناف الحرب بعد وفاة محي الدين الصغير في جويلية 1837م و خلف محمد بن علال عمه الحاج محي الدين في مليانة، أعاد تجديد الحلف الذي جمع بين عائلته و الأمير عبد القادر من أجل تنظيم المقاومة و أصبح بداية من 1837م خليفة الأمير في مليانة. استشهد في معركة واد المالح قرب الحدود المغربية على يد الجيش الفرنسي في 11 نوفمبر 1843م. أنظر :

- مؤلف مجهول، مليانة و وليها سيدي أحمد بن يوسف (دراسة خاصة بمدينة متوسطة في الجزائر)، د.د.ن، د.م.ن، د.ت، ص 143-144.

- محمد بن علال، مقال بالموقع الإلكتروني لبلدية القليعة.

- يوم: 25 ديسمبر 2014 ، على الساعة: 22 و 47 د. www.apcdekolea-dz.com



غير أن آثار تربيته الأولى جعلت بونمان يفهم بالفعل أنه يسير في الاتجاه الخاطئ و رأى أن طريقه لنيل عزته و شرفه هو الأنسب لشخصيته المغامرة.

في ديسمبر 1836م، انخرط كمتطوع في الفرقة الأهلية للدرك بالجزائر و كلف كمترجم عسكري مساعد و كان عمره تسعة عشر عاما. تقلد عدة مناصب منها رقيب في فرقة الصبايحية، إثر عودته من قسنطينة 1838م ، ثم قائد الفرقة الثالثة للصبايحية عام 1856م و بعد عودته من رحلته إلى غدامس عُيّن ضابطا في الفيلق عام 1857م.

في عام 1863م تمت ترقيته إلى قائد السرية خارج المصلحة التي كان يعمل بها و كان في كثير من الأحيان يكلف بالبعثات التي تستلزم الثقة و الخطورة ، هذه البعثات التي يضطلع بها دائما إلى أقصى درجات الارتياح في قيادتها⁽¹⁾.

في عام 1837م وقع بونمان في مواجهة مع فرسان حجوط ، مع واحد من أقوى الفرسان و هو الشيخ البشير وقد طلب منه الاستسلام و كان جريحا فقال له الشيخ البشير: « وداعا أخي مصطفى، يمكن لي الآن قتلك مثل الآخرين و لكن يجب أن تتذكر حق الخبز و الملح الذي أكلناه معا تحت خيمة بن علال [...] . اسمح لي أن ابتعد، لأنك تعرف جيدا أنني لن أستسلم أبدا⁽²⁾».

كما شارك في كثير من الحملات التي شنت على إقليم قسنطينة و قبائل الصحراء، خاصة المنطقة التي كانت تابعة للكولونال ديفو (Desvaux) في ثغرت. هناك كُلف من قبل المارشال راندون (Marechal Randon)^(*) للقيام ببعثة إلى غدامس وسط الصحراء في 26 نوفمبر 1856م⁽³⁾.

(1). faucon , Op.cit, p 91.

(2). Ibid, p 89.

(*) المارشال راندون: عمل المارشال راندون في معسكر كقائد المقاطعات العسكرية سنة 1841م و كقائد ملازم عام سنة 1848م، ثم مدير أعمال بالوزارة الحربية للجزائر ، استمر في استخدام حماسه و خبرته في خدمة المستعمرة السودانية، بفعل مؤهلاته العالية تم لفت الانتباه له، حيث استدعته الخلية الحربية سنة 1851م و قفل راجعا إلى الجزائر كحاكم عام 11 ديسمبر 1851م إلى غاية إنشاء إدارة خاصة للمستعمرات بالجزائر في 24 جوان 1858م. تميزت حكومته بإرسال شحنات كبيرة من الجيوش إلى بابل و قبائل جرجرة و حتى الجنوب باحتلال الأغواط و ثغرت و خضوع بني ميزاب و سوف حتى الصحراء الكبرى. توفي في جنيف 16 يناير 1871م. أنظر:

- Ibid, p 461-462 .

- أحميدة عميراي و آخرون، المرجع السابق، ص 45.

(3).Faucon ,Op.cit p 89-91.



بعد ثلاثين عاما من الكد المتواصل و البعثات الشاقة لبونمان؛ هذا الرجل الذي كان واحدا من تلك الفئات الاستثنائية التي خلقت للحرب في أفريقيا كما وصفه فوكون. توفي في كال (Calle) بتاريخ: 13 جانفي 1887م، بينما كان في مهمة تفتيشية.

حضر جنازته بعض ممثلي الطرق الصوفية من التيجانية و الرحمانية و بحضور المسؤولين الفرنسيين، أخذ التابوت على أكتافهم و هو يمر من واحد إلى آخر و تم حمله إلى مخيم الزيتون في جو منسجم من الصلاة و النشيد⁽¹⁾، كما ذكر سعد الله حول تشييع جنازته بأنهم حملوا النعش ثم وضعوه في عربة حملته في تابوت و قد دفن في الماء البارد خارج قسنطينة حيث كانت أملاكه⁽²⁾ (D'El-Ma-BERD) على مقربة من قسنطينة⁽³⁾.

و هنا يشك في شخصية مصطفى بونمان بقوله: « إن وجود الكنيسة و التابوت و العربة لا يدل على أن مصطفى بونمان كان من المسلمين⁽⁴⁾ ». حسب هذه المصادر يمكن القول بأن بونمان مسيحي و غير جزائري، عاش زنديقا و دفن وفق مزيج من الدين المسيحي و الإسلام⁽⁵⁾.

2. ظروف و دوافع الرحلة:

ظلت منطقة الصحراء خلال القرن التاسع عشر محل اهتمامات الفرنسيين⁽⁶⁾ و تعتبر التجارة أهم أسباب التوغل الفرنسي بالصحراء الجزائرية و تجلى ذلك في الطلب الذي قدمه راندون الحاكم العام للجزائر للرحالة الذي كان متواجدا بتقوت، فكلفه بالقيام ببعثة إلى غدامس لغرض معرفة أسعار منتجاتها، ليقدروا أسعار منتجاتهم أثناء التبادل التجاري⁽⁷⁾.

كان راندون (Randon) من المهتمين بالمنطقة بدليل أنه في فترة حكمه استطاع الجيش الفرنسي التوغل في الصحراء، بعد دخولهم الأغواط تم إمدادهم بـ 8 فيالق عسكرية مزودة بالمدافع و هو سلاح يفتقده الثوار فتم احتلالها، و جعلوا منها نقطة ارتكاز باعتبارها بوابة الصحراء كلها و أملا في

(1). Ibid , p 95.

(2). أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954م)، ج7، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2007، ص 462-463.

(3). faucon, Op.cit, p 95.

(4). أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج7، ص 462-463.

(5). faucon , Op cit , p 95.

(6). فارس كعوان، « الاستشراق الفرنسي و التراث التواتي (قراءة في رحلة عبد القادر بن أبي بكر التواتي بن هيبه الله) » ، مقال نشر بمجلة كان التاريخية الإلكترونية، السنة الرابعة، ع 12، يونيو 2011، ص 42.

(7). faucon , Op cit , p 90.



استمالة سكان الصحراء؛ عمد الفرنسيون إلى أسلوب الاتفاقيات و معاهدات الحماية مثلما حدث مع بني ميزاب سنة 1853م و النتيجة كانت التوغل جنوبا حتى مشارف تڤرت و سوف⁽¹⁾.

لقد حرصت فرنسا على منافسة الدول الأوروبية في مجال التجارة عبر الصحراء الكبرى و اعتبرت الصحراء الجزائرية بمثابة حجر الزاوية للتحكم في منافذها التجارية الأفقية و العمودية و هكذا جاءت رحلة **بوتمان** استجابة لهذا الغرض مستثمرين فيه معرفته للغة البلد.

هذه الرحلة تمت في غضون شهرين من يوم: 26 نوفمبر 1856م إلى غاية: 15 جانفي 1857م، و دونت بشكل نهائي من طرف صاحبها بالوادي في: 07 جانفي 1867م. بدأها صاحبها من تڤرت أين كان يقوم بشن حملات عسكرية على مناطق الصحراء يوم: 26 نوفمبر إلى واد سوف، هناك انضم إلى قافلة السوافة (Souafas)⁽²⁾، لأن الفرنسيين كانوا مهتمين بسوف بدليل الوصف الدقيق الذي قدمه الرحالة حول تنظيم قوافل سوف و التركيز على علاقات غدامس معهم و منتجاتهم.

عند وصولهم إلى غدامس ذهب بوتمان و جماعته إلى بيت الحاكم **عصمان باي Osman Bey**، فرحب بهم و تحدث إليه الرحالة حول ما يمكن أن توفره غدامس من موارد لتجار الجزائر و طلب من الحاكم الدخول في علاقات تجارية مع فرنسا، حيث برر له بأن هذا من مصلحته و مصلحة فرنسا، لأن التجارة هي الرابط بين الأمم و فرنسا لا تطلب سوى الحصول على علاقة معهم.

هنا ردّ عليه الحاكم بقوله: « إن غدامس إنتاجها قليل و لكن واحتهم هي مخزن لسلع السودان و تُسوّق إلى تونس، طرابلس و الشرق دون صعوبات في الطريق، كما تأخذ من الجزائر القمح والتمور التي نفتقدها⁽³⁾ ». بعدها تم استضافتهم بأمر من الحاكم عند أحد الأثرياء المقيمين في المدينة و بقوا فيها حتى عودتهم، ذلك البيت الذي شبهه الرحالة بالسجن⁽⁴⁾، ربما يعود ذلك إلى الشائعات التي وصلت الحاكم، أن المقصود من رحلته هي استكشاف المدينة و وضع مخطط لها و دراسة إمكانياتها للاستيلاء عليها⁽⁵⁾.

هذا ما جعل الرحالة في الغد يذهب إلى بيت الحاكم ليعلمه بمهمته لتبديد كل اشتباه به، فذكر أنه أخبر الحاكم بشأن الرسالة التي وصلته من وادي سوف قبل وصوله، فصارحه بأنه في خدمة فرنسا

(1). أحميدة عميراي و آخرون، المرجع السابق، ص 45-46.

(2). faucon, Op.cit , p 90.

(3). Bonnemain, Op.cit, p 118.

(4). Ibid, p 119.

(5). faucon, Op.cit, p 91.



وقال بأنه نقيب في فوج الصبايحية لدى الحاكم العام للجزائر، الذي وثق به و طلب منه أن يقوم بدراسة واستطلاع حول الطريق من وادي سوف إلى غدامس و تفحص كل شيء يتعلق بالمصالح التجارية في غدامس.

هنا يُبرر موقف فرنسا من هذا كله؛ بحجة أن الفرنسيين يعرفون أن نقص المياه يشكل عقبة رئيسية أمام تنقل القوافل بأمان و هي تريد مساعدة شعب الصحراء و صممت على حفر الآبار ، إذا كان ذلك ممكنا عبر الخطوط الأكثر شعبية⁽¹⁾. فتحدثا عن نهر تامرنة و وادي ريغ و ما يقدمانه من فوائد ، لهدف رواج التجارة و تسهيل عملية المعاملات بسرعة، مشيرا أن الفرنسيين يريدون أن يمتدوا إلى المناطق التي تحيط بالجزائر لتكون القاعدة للتحكم في ممتلكاتهم الأفريقية و هو يتمم و يقول أن الحاكم لا يفهم كلامه و لا يبصر حقيقة مهمته و بالفعل بعدما أنهى الرحالة كلامه أعرب الحاكم عن ارتياحه.

منذ ذلك اليوم أصبحت علاقتهما لطيفة جدا⁽²⁾ و بعد مكوثه هناك لمدة أسبوع قرر العودة لأن الأوامر التي تلقاها لا تسمح له بالبقاء أكثر من أسبوع في غدامس⁽³⁾، إلا أن إصرار الحاكم في بقاءه لمدة خمسة عشر يوما آخرين، جعل عودته إلى الجزائر تُستأنف يوم: 15 جانفي 1857م⁽⁴⁾ بدلا من: 24 ديسمبر 1856م⁽⁵⁾. خلال هذا الوقت استفاد الرحالة من معرفة أماكن المياه في جميع النقاط و جمع كل المعلومات الأساسية التي يبدو من المرجح أن تجعل مهمته ناجحة، رغم صعوبة هذه المهمة ، لأن الشعب الذي زاره لأول مرة كان كثير الأسئلة مقابل الرد على أسئلته⁽⁶⁾.

(1). Bonnemain , Op.cit, p 120.

(2).Ibid,p 120-121.

(3). Faucon, Op.cit, p 91.

(4). Bonnemain , Op.cit, p 117.

(5). Faucon, Op.cit , p 90.

(6). Bonnemain , Op.cit , p 132.



3. أهمية الرحلة تجاريا و نتائجها:

إن هذه الرحلة كنص تاريخي هامة جدا ، رغم صغر حجمها إلا أنها تحتوي على معلومات قيمة في جل جوانبها الاجتماعية، الثقافية ، العمرانية ، السياسية و الاقتصادية ، غير أنني اقتصر على ذكر أهميتها في جانبها التجاري، لخصوصية موضوع الدراسة، لإبراز أهمية الرحلة و ما قدمته لنا من معلومات في هذا الجانب خلال هذه الفترة المدروسة باعتبار أن غرض الرحلة تجاري في الأساس.

لقد غلب على هذه الرحلة الطابع التجاري، فصاحب الرحلة كان مكلفا من قبل المارشال راندون الحاكم العام للجزائر، ليجمع له أكبر قدر ممكن من المعلومات التي تهم الفرنسيين في هذا المجال وهكذا زدتنا هذه الرحلة بمعلومات هامة عن تنظيم القوافل و سيرها و الأخطار التي قد تتعرض لها وكيفية مواجهتها. ففي طريقه إلى غدامس رافق قافلة سوافة و قام بوصفها وصفا دقيقا كما لو أنها محورا أساسيا في رحلته؛ فيذكر أنها تتكون من رئيس ، دليل، تجار و جمال و بعدها أشار إلى وظيفة كل من الرئيس و الدليل؛ الرئيس مكلف بتسوية النزاعات و اتخاذ التدابير اللازمة في حالة تعرض القافلة للهجوم والدليل يوجه طريق القافلة و يبين أماكن التوقف و الاستراحة.

كما يبين لنا الرحالة نظام سير القوافل؛ فيقول أن التجار يسرون على الأقدام مع الدليل أمام الحيوانات المحملة بالأمتعة و الإبل تمشي من وراء، على مسافة من هؤلاء هناك جماعة من الخلف تراقب الإبل التي تخرج عن الطريق ، إضافة إلى وجود اثنين أو ثلاثة من الإبل مزودة بالمؤن⁽¹⁾ من تمر، دقيق، شعير ، لحوم الأغنام المجففة و قليل من الزيت و يضيف أن لكل تاجر اثنين من قرب الماعز مملوءة بالماء ، أما عن كلاً الإبل فتحصل عليه من المراعي في الطريق⁽²⁾.

و عن فترات سير القوافل يشير إلى أن القافلة تبدأ سيرها بعد شروق الشمس، ثم تستريح في مكان يخيم فيه كل تاجر مع سلعه و إبله حوله، حتى العصر تواصل سيرها، حيث يفيدنا بهذا الصدد أن هناك مدة استراحة في الصباح حوالي العاشرة صباحا لا تدوم أكثر من خمس و عشرين دقيقة.

عن مجابهة المخاطر؛ يذكر الرحالة أنه يتم تسليح جميع الرجال و في حالة الهجوم تتوقف القافلة و تضع البضائع و الإبل حولها و الأشخاص من وراء البضاعة و هنا يتم إضرام النار و إطلاقها. في ختام حديثه عن القوافل أشار إلى القافلة التي صاحبها، فذكر عددها الذي يتألف من خمسة عشرة فردا و قائد

(1). Ibid , p 116.

(2). Ibid, p 117.



اسمه أحمد بن التواتي (Ahmed Ben Touati) و دليل ، خمسة تجار و ثمانية إبل ، إضافة إلى خمسة و عشرين جملا محملين بالبضائع و ستة دواب مستخدمة للركوب⁽¹⁾.

كما تزودنا الرحلة بمعلومات هامة عن تنظيمات و قوانين غدامس، إذ يذكر الرحالة أن بها متجرا في وسطها على رأسه نقيب من مهامه رصد العملات و وزن النقود و غبار الذهب، أهمية غدامس لا تكمن في منتجاتها بل في التبادل التجاري، حيث أشار إلى أهم السلع و المبادلات التجارية بين غدامس و المتعاملين معها من سواقة، سودانيين، تونسيين، طرابلسيين و فيلاليين.

عن السلع التي يجلبها السوفيون ذكر أنهم يجلبون معهم كل من التبغ، القمح، الشعير، الزيت، التمور بنوعيهما دقلة نور، فارس و لحم الغزال . كما يجلب السودانيون أسنان الفيلة بكميات كبيرة، الأقمشة القطنية، جلود الماعز الفيلاي، البخور، غبار الذهب (Poudre d'Or) و الصمغ الأبيض.

و عن المبادلات التجارية يذكر صاحب الرحلة ما يحمله التونسيون و الطرابلسيون من أسواق غدامس إلى بلاد السودان من المرجان، الحرير بكميات هائلة، السكاكين و الأقمشة من كل الألوان، البرانس، الفساتين، الشاشيات، المصنوعات الزجاجية و التمور. بالإضافة إلى ذلك يشير الرحالة إلى أنه لا توجد أية قافلة عائدة من الجنوب بدون عبود و هم يباعون علنا في أسواق غدامس⁽²⁾.

كما تفيدنا الرحلة في معرفة وسائل التبادل التجاري المستعملة وقتها ، تحدث صاحب الرحلة عن المكاييل التي عادة تستعمل لكيل الحبوب و ما شابهها من المواد اليابسة و كذا المواد السائلة مثل الزيت و العسل، حيث أشار إلى مكيال يسمى الصاع (Saâ) في الجزائر يساوي 160 لترا، غير أنه في غدامس يساوي 120 لترا، يذكر أن سعر نفس الصاع من الفول السوداني يساوي: 1 فرنك و 50 سنتيم ، نفس الصاع من الشعير يساوي: 75 فرنك، كما حدد المكيال (la Livre) كيل القهوة و السكر.

أما عن الأوزان⁽³⁾؛ فيذكر الميثقال (Mitkal) لوزن غبار الذهب و سبائك الذهب المنصهر، أما عن العملة فذكر الفرنك و الدورو و لم يشر مطلقا للمقايضة.

(1). Ibid, p116- 117.

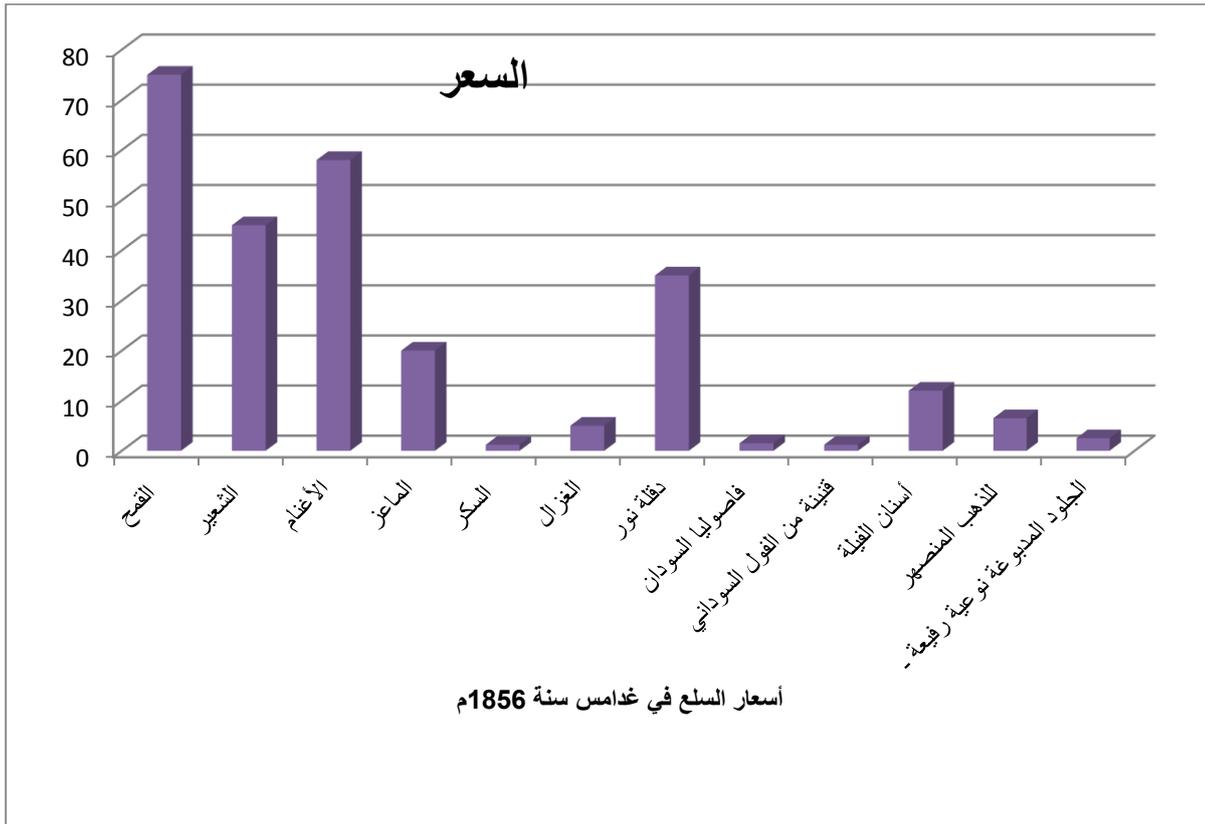
(2). Ibid, p 124 - 125.

(3). Ibid, p 125.



عن الأسعار؛ سنة 1856م، أفادنا الرحالة بشيء من التفصيل عنها ، فتطرق إلى ذكر أسعار كل السلع التي تصل غدامس من الشمال كما يلي:

المادة	السعر	المادة	السعر
صّاع 120 لتر من القمح	75 فرنك	الأغنام	58 فرنك
صّاع 120 لتر من الشعير	45 فرنك	الماعز	20 فرنك
دقلة نور	35 فرنك	الغزال	5 فرنك
قنينة من فاصوليا السودان	1,50 فرنك	50 كيل من أسنان الفيلة	600 فرنك
قنينة من الفول السوداني	1,20 فرنك	1 مثقال للذهب المنصهر	6,50 فرنك
ليرة من السكر	1,20 فرنك	الجلود المدبوغة نوعية رقيقة . ⁽¹⁾	2,50 فرنك



من خلال الجدول و المخطط البياني نستنتج أن السلع التي تصل غدامس من الشمال و السودان تكون غالية الثمن نتيجة بعد المسافة، كما أن بعض المنتجات مصدرها الشمال مثل الحبوب التي تصل الصحراء، الأمر الذي يفسر غلاءها.

(1). Ibid , p 126.



كما أشار الرحالة أن أسعار بعض السلع تتغير من مكان إلى مكان و بالأخص تجارة العبيد، إذ ذكر أن سعر الشاب القوي قيمته من 5 إلى 6 دورو (Dourou) و عند وصولهم إلى الواحة يدفعون 35- 40 دورو لسبب اقترابهم من مواقع الماء، كذلك مسحوق الذهب يباع في قسنطينة 22 فرنك ل 1 مثقال، في حين يباع في غدامس ب 11 فرنك⁽¹⁾ و هذا يدل على نسبة الفوائد الكبيرة التي يحصل عليها التجار من الأسواق الغدامسية.

كما تفيدنا الرحلة في ذكرها لأهم المراكز التجارية التي كانت تتعامل معها قبائل صحرائنا الجزائرية مثل غدامس، تنبكتو، المغرب و غات ، غير أن غدامس ليست سوى محطة تخزين بين شمال إفريقيا ووسطها و أهم هذه المراكز هي غات لأنها أكبر أسواق إفريقيا الذي يدوم أربعين يوماً، أين يتم إيداع جميع منتجات القوافل من الشمال و الجنوب.

يبدو أن صاحب الرحلة لم يترك شيئاً يتعلق بالتجارة إلا و ذكره، بالإضافة إلى ذكر السلع وأسعارها و وسائل التبادل التجاري، تحدث عن الضرائب فيقول أن غدامس تدفع ضريبة كل ثلاثة أشهر للباشا في طرابلس تدعى اللزمة (Lezma) و تقدر ب: 9.000 فرنك بالإضافة إلى ذلك؛ الحاكم يحصل على فوائد أخرى مثل:

- بيع الزنوج ب: 35 فرنك،

- الإبل ب: 5 فرنك،

- دخول و خروج الإبل ب: 10 فرنك من المنطقة⁽²⁾، ...إلخ.

هذا ما يفسر لنا حماية الطوارق للسلع المارة مقابل أتاوى تقدمها القوافل، فيذكر الرحالة أسعار نقل البضائع وفقاً لمعلومات يقدمها النقيب التجاري في غدامس للتجار مثل:

- من غدامس إلى الواد ب 40 فرنك ل 200 كلم،

- من غدامس إلى غات ب: 30 فرنك،

- من توات إلى تنبكتو ب 90 فرنك⁽³⁾، ...إلخ.

(1). Ibid, p 126-125.

(2). Ibid, p 126-127.

(3). Ibid, p 125.



من خلال ما تقدم نستنتج أن هذه الرحلة لا تخلو من فوائد تاريخية هامة، فالرحالة قدم لنا وصفا دقيقا حول تنظيم القوافل و المسالك المؤدية إلى جهة غات و غدامس ، فقد ركز على المسالك المؤدية بجهة الصحراء الجزائرية و السودان، باعتبارها محل اهتمام الفرنسيين ، محمدا الهدف و هو غات لأنها أكبر أسواق السودان ، كما أوضح بدقة أسعار كل السلع و فصل بين سلع الشمال و سلع السودان.

هذه الرحلة أتت بنتائج قيّمة، الأمر الذي حفز فرنسا على بعث رَحالة آخرين إلى غدامس في وقت لاحق مثل **دوفيري (Duveyrier)** ⁽¹⁾، للتعرف بشكل كامل على البنية الاجتماعية و الدينية و النفسية لسكانها ⁽²⁾، بدليل ما ورد في رحلة بونمان أنه تأسف كثيرا لأنه لم يستطع زيارة كل البلاد و تمنى أن يزورها أحد آخر ليقدم معلومات عن هذه القبائل بشيء من التفصيل أكثر مما ذكره ⁽³⁾.

كما أن المعلومات التي جمعها عن القادة الرئيسيين للطوارق و حرص سكان غدامس و حاكمها على فتح علاقات تجارية مع الجزائر الفرنسية ⁽⁴⁾. تجلّى ذلك في استدعاء زعيم الطوارق الديني الشيخ عثمان لزيارة العاصمة و قسنطينة خلال حكم المارشال راندون و مرة أخرى في عهد المارشال الدوق دومالاكوف بيسلي لزيارة العاصمة و باريس، و بعد التأثير فيه قبل هو و الشيخ اينوخون و تم إمضاء المعاهدة التجارية من طرف الشيخ اينوخون نيابة عن القبائل الأخرى ⁽⁵⁾.

(1). Faucon, Op.cit, p 91.

(2). فارس كعوان، المرجع السابق، ص 42.

(3). Bonnemain , Op.cit, p 130.

(4). Ibid, p 131.

(5). يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية (من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين) و يليه الاستعمار الأوروبي في إفريقيا و آسيا و جزر المحيطات، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 54.



المبحث الثاني: مهمتا الكولونال (Flatters) نحو الأهقار و دورهما في الكشف

الجغرافي للصحراء.

بعد سلسلة من البعثات الاستكشافية نحو الصحراء التي مثلها الضباط و بعض المغامرين الفرنسيين و العملاء الجزائريين، ظهرت فكرة مد خط حديدي عبر الصحراء في ستينات القرن التاسع عشر، لهدف نقل البضائع و اختصار الزمن الذي كانت تستغرقه القوافل، لكن قبل الاهتداء إلى هذا السبيل، أسأل هذا المشروع حبرا كثيرا و نقاشا طويلا بين محبذ و مشكك للمشروع⁽¹⁾، ختم بإرسال فلانز رفقة طاقم من المهندسين لرسم الخطوط الأولى لطريق السكك الحديدية عبر ورقلة و الأهقار. و السؤال المطروح: لماذا اختير طريق الأهقار لعبور السكك الحديدية؟.

1. التعريف بصاحب الرحلة:

ولد بول فلانز في لافال بفرنسا في: 16 سبتمبر 1832م، دخل الكلية العسكرية سان سير في: 07 نوفمبر 1851م، تخرج منها برتبة ملازم في: 8 نوفمبر 1854م⁽²⁾، عُين ملازمًا للفرقة الثالثة (Zouaves) في: 23 أبريل 1855م و تحصل على وسام بعد زمن قليل بفضل اعتقاله لقائد وجنديين روسيين و زجّ بهما في السجن.

بعد دخوله إلى الجزائر، تمكن في ظرف قياسي من الدخول إلى فئة المستخدمين الخاصة بشؤون الأهالي⁽³⁾، فدخل في خدمة الشؤون العربية يوم: 1 جويلية 1856م و عُين كنائب في مكتب قسنطينة تابع لمنطقة تاقيطونت (Takitount) في 23 فيفري 1858م ، ثم لمنطقة تاوريرت ايغيل في 1 مارس 1859م.

بعدها عاد إلى وطنه في: 15 أبريل 1859م للمشاركة في الحملة الإيطالية، ثم عاد إلى الجزائر وأصبح رئيسا للمكتب العربي في تبسة (Tébassa) بتاريخ: 22 جويلية 1860م⁽⁴⁾. بعدها تمت ترقيته إلى نقيب سنة 1861م ، ثم رئيسا لمكتب العرب في سعيدة سنة 1865م ، كما أختير كقائد

(1). جمال فنان، المرجع السابق، ص 143.

(2). faucon , Op.cit , p 247.

(3). V .Derregagaix , Op.cit, p 130.

(4). faucon , Op.cit, p 247.



عسكري في الأغواط سنة 1876م، لأنه كان يعرف كيف يتعامل مع قبائل البدو الرحل و يقيم علاقات معها⁽¹⁾ و أخيرا عُيِّنَ مقدم كولونال في: 03 ماي 1879م.

كان **فلاترز** يتمتع بميزات عديدة أهمها إتقانه للعربية و اللهجة البربرية، ملاحظ دقيق في جغرافية البلدان و تواريخها⁽²⁾، مما أهله لاختياره من طرف الوزارة الحربية الفرنسية، للإشراف على مشروع استكشافي لجغرافية و طرق الصحراء الوسطى⁽³⁾، لربط الصحراء بالسودان عبر الجزائر بخط السكك الحديدية⁽⁴⁾.

بفضل تميزه بشخصية قوية؛ أدى مهامه بكل تفران لصالح بلاده، فقام برحلتين ما بين 1880م و 1881م ، إلى أن باغته الموت و قتل من طرق الطوارق في تينتراين بالصحراء بتاريخ: 16 فيفري 1881م⁽⁵⁾، هاتان الرحلتان اللتان قدّم فيهما فوائد جمة للجغرافيا، جعلت شركة الجغرافيا و فرنسا كلها تعترف بهذا العمل القيم الذي أزاح غموض هذه المناطق و تخليدا لأعمال البعثة اقترحت الحكومة تشييد نصب تذكاري لهؤلاء في ورقلة⁽⁶⁾.

2. ظروف و دوافع الرحلة:

تعود أبوية هذا المشروع للسيد **دو بونشال (M.Duponchal)** الذي نشر تقريرا حول الفوائد التجارية التي يمكن لفرنسا أن تجنيها من خلال انجاز هذا المشروع و أعطى مثلا على الولايات المتحدة الأمريكية التي ربطت الساحل الشرقي بالبحر، بخط السكة الحديدية على مسافة 3.000 كلم⁽⁷⁾، لهذا اتجهت أنظارها إلى إرسال بعثات علمية متخصصة للبحث عن أنجع السبل لتحقيق هذا المشروع وهكذا بدأ عهد جديد لعمليات الكشف، انطلقت ببعثتي **فلاترز** نحو الصحراء.

(1). Ibid, p 248 .

(2). Ibid, p 248.

(3). V .Derregaix , Op.cit, p 130.

(4). faucon , Op.cit, p 248.

(5). V .Derregaix , Op.cit, p 131.

(6). Ibid, p 129.

(7). حسن مرموري، الطوارق بين السلطة التقليدية و الإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010، ص 233.



لقد تمت البعثتان حسب ما ذكر ديريكافيس (**Derregagaix**)^(*) من ورقة إلى الأهفار و دامت الأولى أربعة أشهر؛ من: 19 جانفي 1880م إلى غاية: 17 ماي 1880م و الثانية دامت شهرين و نصف فكانت من: 04 ديسمبر 1880م إلى تاريخ وفاته بالصحراء يوم: 16 فيفري 1881م.

باعتبار أن صاحب الرحلة مات قبل أن يتم رحلته، أرّخ ديريكافيس لهذه الرحلة من خلال الوثائق التي جمعت من طرف قائد الأغواط و القنصل العام في طرابلس (**Feraud**) و المهندس (**Fournié**)^(*) و دوفيرييه، هذا حتى يتم التمكن من تقريب المعلومات، حيث قدمها لنا في شكل ملخص لإظهار أهم نتائج الرحلة و ما قدمه فلاترز و فريقه للعلوم الجغرافية.

بعد أن مدّت فرنسا خطوط السكك الحديدية في شمال الجزائر، أزمعت على تكملة هذا المشروع عبر الصحراء و بعد اقتراح مجموعة من المشاريع من طرف المهندسين و الخبراء، تم التوصل إلى إحداث ثلاثة خطوط و هي: الخط الشرقي عبر غدامس ، الخط الأوسط من ورقلة إلى أمقيد و منه نحو النيجر أو بحيرة التشاد، الخط الغربي عبر توات، بعد مباحثات فيما بينهم، وقع الاختيار على الطريق الأوسط لاعتبارات سياسية تم تسطير برنامج له للتوغل الهادئ عند الطوارق⁽²⁾.

كان السيد دو فريسين (**De Frecine**) على رأس قطاع الأشغال العمومية، فرأى أنّ من واجبه تأليف لجنة من المهندسين للقيام بتفحص إمكانيات ربط الجزائر بالسودان بالسكة الحديدية و بعد شهر سلّمت اللجنة تقريرها و توصلت إلى نتيجة مفادها؛ القيام بدراسة فورية لمشروع قبلي خاص بربط السكة الحديدية بين بسكرة و ورقلة على مسافة 300 كلم ، مع القيام باستكشافات فردية للربط بين

^(*). ديريكافيس: ولد فيكتور برنارد ديريكافيس في بايون (Bayonne) بتاريخ 14 أكتوبر 1833م، عمل في المجال الطبوغرافي بالجزائر، ففي سنة 1863م عمل في بسكرة و في سنة 1864م عمل بالجلفة. أنظر:

- J.Ganz (photographe), Victor Bernard Derrecagaix Avant 1883, Bruxelles, Paris, 20 février 1883.

^(*). فوري (**Fournié**): كان المهندس فوري في تلك الفترة مديرا لإنشاء السكك الحديدية لدى وزارة الأشغال العمومية و قد عُين مقررا للجنة الفرعية الأولى و مكلفا بتنفيذ قرارات الوزارة فيما يخص استكشاف الصحراء، فكانت معظم الأوامر التي تلقاها فلاترز مصدرها فوري، بعد ذلك أصبح صديقهم و سندا لهم ، فكان له الفضل في العديد من الأفكار لأداء هذين الاستكشافين و في النتائج التي تسجلها الجغرافيا اليوم . أنظر:

- V.Derregagaix , Op.cit, p 13.

⁽¹⁾. Ibid, p 131.

⁽²⁾. مياسي، الاحتلال الفرنسي، ص 441-442.



ورقلة و النيجر⁽¹⁾، للحصول على أحسن النتائج كُلف الكولونال فلاترز بتنفيذ هذا البرنامج للسير من الجزائر باتجاه ورقلة و منها صوب الأهقار و النيجر و بحيرة التشاد⁽²⁾.

في 7 نوفمبر اسند دو فريسين لفلاترز مهمة استطلاعية و استكشافية، لتسطير خط سكة حديدية بين الجزائر و بلاد السودان، مع توطيد العلاقة مع الطوارق للحصول على دعمهم⁽³⁾ و قد جاء هذا التكليف على شكل تعليمات كما يلي:

- أعلمكم أنه وفقا لرأي اللجنة العليا التي اجتمعت من أجل دراسة المسائل المتعلقة بوضع مواصلات بالسكة الحديدية من الجزائر إلى دواخل السودان، أكلفكم بقيادة استطلاع تحت حراسة الأهالي، للبحث في تسطير لطريق السكة الحديدية يصل إلى السودان بين النيجر و بحيرة التشاد.
- عليكم أن تكونوا في علاقة مع قادة الطوارق، فعليكم أن تسعوا إلى الحصول على دعمهم ومساندتهم.

- أَدْعُوكُمْ فِي أَقْرَبِ الْأَجَالِ إِلَى إِعْلَامِي بِأَسْسِ تَنْظِيمِ الرِّحْلَةِ وَ هَيْكَلَتِهَا وَ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي تَحَافِظُونَ بِهَا عَلَى الطَّابَعِ السَّلْمِيِّ وَ هُوَ الشَّرْطُ الْأَسَاسِيُّ لِلْمَهْمَةِ.

في نهاية ديسمبر 1879م كان كل شيء على ما يرام، فتشكلت البعثة من عشرة أعضاء منهم: فلاترز (Fletters)؛ رئيس البعثة، ماسو (Masson)؛ مكلف بتفاصيل التنظيم و السير و تحرير الخرائط، برينجر (Beringer)؛ مكلف بتخطيط و تسطير الطريق، روش (Roch)؛ جيولوجي، (Guiard)؛ متخصص في الطبيعة و التاريخ الطبيعي، و برنارد (Bernard)؛ مكلف بالملاحظات الطبوغرافية⁽⁴⁾،... الخ.

في بداية جانفي 1880م غادروا باريس و وصلوا إلى الجزائر يوم: 12 جانفي و منها شقُّوا طريقهم نحو قسنطينة و بسكرة، و منها إلى تڤرت⁽⁵⁾، هنا تم تبديل بعض الحيوانات و بعض الرجال، في 18 فيفري ذهبت البعثة للتخييم في تاملاحت البعيدة عن تماسين (Temacin) بحوالي 1 كلم، أين

(1).V. Derregagaix , Op.cit, p 4.

(2). Ibid, p 9.

(3). Ibid, p 10.

(4). Ibid , p 10, 12.

(5). Ibid , p13 -14.



ذهب فلاترز لزيارة المرابطين سي محمد الصغير و سي معمر بن حاج علي؛ هما وليان للطريقة التيجانية لكسب دعمهما⁽¹⁾.

في الغد استأنفت القافلة طريقها نحو ورقلة بعد تغيير في بعض عناصرها و توزيعهم إلى فرقتين: أحدهما سارت تحت قيادة ماسو Masson في الطريق المعروف من الملاح (Mellah)، الحجيرة-El (Hadjira)، نقوسة (Ngoussa) ثم ورقلة (Ouargla)⁽²⁾ و الفرقة الثانية ذهبت لدراسة المنطقة غير المكتشفة لواد إيغرغار الواقعة بين تشرت و ورقلة .

حيث كان ضمن الأهداف المسطرة لهذه الرحلة؛ فحاولت الذهاب إلى الجزء الشمالي لوادي إيغرغار لغرض استكمال معلومات خارطة قيادة الأركان ثم تقدموا إلى حاسي ولد ميلود (Hassi Ould Miloud) و سلكوا طريق واد إيغرغار⁽³⁾ و اتجهوا غربا حتى بلغوا منطقة حاسي ربايعة، حاسي حفرة شاوش(*) ثم ورقلة⁽⁴⁾.

خلال تواجد فلاترز في ورقلة اهتم بالإجراءات الخاصة بتسهيل رحلته نحو الجنوب، أكثر شيء كان يهيمه هو اختيار مرشدين و الحصول على وسائل النقل بثمن معقول و قد طلب الشعابنة من الرحالة أن تكون لهم القيادة التامة دون القبائل الأخرى، فنصحوه بالتوجه إلى غات عبر تمانين، من هذه النقطة يرسل خمسة أو ستة رجال مع مقدم تيجاني بيوم أو يومين لتنفذ المسالك، إذا نجحت المفاوضات مع طوارق الأهقار يمكن له عبور أراضيهم و إلا فإنهم ينحدرون باتجاه الشرق إلى بلاد الأزجر ، لأن غات تعتبر كميناء في الصحراء و منها يمكن تنظيم الرحلة إلى بلاد السودان⁵، الأمر الذي يؤكد خطر طريق الأهقار على البعثة.

(1). Ibid , p 16.

(2). Ibid, p 17.

(3). Ibid , p 19.

(*) حفرة شاوش: أستمد اسمها من حادث وقع في ورقلة ، سببه دفع ضريبة معتادة في هذه المنطقة باسم الغفارة (حق حماية الجنوب) لباي تونس الذي كان كل سنة يرسل شاوش ليحصل عليها (نقود أو سلع)، في أحد المرات بعد استلامه للمال عاد أدراجه فقام الشيخ بوروبة جد شعابنة ورقلة بتتبعه و بلغه في الحفرة فقتله و أخذ المال، فأصبح الشيخ بوروبة هو من يأخذ الغفرة " أي غفرة ورقلة بدله"، فسميت المنطقة بهذا الاسم، هذه الضريبة كانت ورقلة تأخذها من غدامس، كما كان العرابة من الأغواط يحصلون عليها في الغرب من متليلي وميزاب و الطوارق كانوا يحصلون عليها من غات و غدامس ، ... الخ ، عند مجيء الفرنسيين ألغوها و استبدلوها بشرطة الطريق. أنظر:

- Ibid , p 20-22.

(4). Ibid , p 20.

(5). Ibid , p 26-27.



أمام حماس الشعانبة لهذه الفكرة عمل فلاترز الذي لم تكن له مصلحة في بلوغ غات، بتقليل عدد الشعانبة في البعثة، كما أخبر قائدهم بأن حضوره لم يعد ضروريا، في نفس الوقت استعان بعدد من القبائل الأخرى منها بني ثور و صرح بأن أربعين جمالا و عشرون رجلا من المهاري للحراسة يكفون للرحلة.

في 04 مارس تكونت القافلة بشكل نهائي؛ اشتملت على ثلاثين رجلا للحراسة و دليل و رؤساء فرق الجمالة لأكثر من خمسين جمالا⁽¹⁾، في الغد انطلقت القافلة باتجاه تماننين، فاتبعوا الطريق الذي سلكه بوضربة و عند وصولهم إلى واد سميهرى (Smihri) تم تخييمهم هناك و اغتتموا الفرصة لتجميع المعلومات حول الطرقات، أين عرفوا بأن الطريق المباشر من ورقلة إلى عين صالح يمر عبر واد ميه^(*)(2).

من مجيرة (Medjira) توجهت البعثة نحو جريبية (Djeribia) و في حاسي الملاح (Hassi El Malah) دخلوا منطقة الكتبان الكبيرة التي يبلغ طولها 80 م⁽³⁾، ثم فج دمران (Feidj Damran)، من عين طيبة (Ain Taiba) اتبعوا طريقا مسدودا نسبيا عبر فج علندة (Feidj Alenda)، مرورا إلى أراضي قاسي^(**) واسعة ممتدة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، حتى وصلوا إلى سبخة البيوض، هنا بقوا يومي 25 و 26 مارس لتقصي معلومات حول الاتجاهات التي تمهم، بعدها غادرت البعثة باتجاه تماننين و بحيرة منغوغ (Menkhough)⁽⁴⁾.

مكثت البعثة في تماننين إلى غاية 1 أفريل؛ للبحث عن وسائل الدخول إلى الأهقار و التفاوض مع أهلها، لكن لم يلاحظ أي مخيم للطوارق في الجوار، فقرر فلاترز إرسال **صغير بن شيخ (Ceghir ben Chikh)** للطوارق لحمل رسائل فلاترز و مرابطي التيجانية إلى رئيس قبيلة ايفوغاس، تماننين و كذا رسائل **للشيخ اخنوخن و لرؤساء أوراغن (Ourghen)** ومغزاتن (Maghasaten)، لكن الصغير أبطأ عليه فضل الرحالة أنه خانه.

(1). Ibid, p 28.

(*) . واد ميه: يعني واد ذو المئة ينبوع. أنظر:

- Ibid , p 37.

(2). Ibid, p 33-34.

(3). Ibid, p 38.

(**) . أراضي صلبة تسمى القاسي. أنظر:

- Ibid, p 30.

(4). Ibid , p 42-43.



فتوجهت البعثة باتجاه منغوغ التي تعتبر آخر نقطة تصلها البعثة الأولى، حيث سلكوا طريق الخنفوسة (khanfousa) و تمكنوا من الحصول على بعض المعلومات حول الخط من الخنفوسة إلى تاهوهايت (Tahohait) ، في الاتجاه جنوب غرب⁽¹⁾ و بلغت واد توسكرين (Touskirin) ثم جبل السمامي (Djebel Samani)، ثم واد تانفوخ (Oued Tanefokh)، واد لمنو (Iemenou) حتى وصلوا إلى عين الحجاج (Ain hadjadj)⁽²⁾.

هنا التقى فلانترز بترقيين من الإيفوغاس^(*)، فأخبروه بأن الصغير قد بلغ رسائله⁽³⁾، كما أخبروه بأن الطريق نحو غات آمنة ، هنا وقع فلانترز في حيرة من أمره، بين التوجه نحو غات من أجل الدخول إلى وسط بلاد الأزجر و مصاعب العودة إلى الخلف للذهاب إلى أفلاش و تاهوهايت كما كان يرغب، من جهة أخرى كان متخوفا من رد فعل طوارق الأهقار الذين لم يتمكن من التفاهم معهم.

في الأخير قرر التوجه في الطريق جنوب شرق حيث وصلوا إلى واد سامن (Samen) ثم داية (daia) حتى بلغوا هضبة أزجار ثم مروا إلى (Tharkar Neraba) أين التقى بوفد من الشخصيات و أعيان لكل قبيلة من الإيفوغاس (Ifoghas) و مفساتن (Magasaten)^(**)، وفقا للرسائل التي استلموها من طرف صغير بن الشيخ ، فتحدث فلانترز مع قائد الطوارق الذي أخبره بأن الطوارق يدركون الفائدة من إقامة علاقات تجارية بين السودان و الجزائر عبر الصحراء، لكنهم لم يبرموا أي اتفاقية معه قبل مقابلة اينخون⁽⁴⁾، إلا اتفاقية حسن الصداقة، كما وافقوا على ذهاب البعثة إلى بحيرة منغوغ، التي تعتبر آخر نقطة تصل إليها البعثة الأولى.

(1). Ibid, p46, 51.

(2). Ibid, p 52-53.

(*) . الإيفوغاس (Ifoghas): تعود جذور هذه القبيلة إلى أضع و هم يتوزعون في مختلف مناطق الأزجر، تماسنين، جانت، اغارغان، فيوت. أنظر:

- حسن مرموري، المرجع السابق، ص 384.

(3). V .Derregagaix , Op.cit, p 53, 56.

(**) . مفساتن: تقيم هذه القبيلة في شرق غدامس. أنظر:

- حسن مرموري، المرجع السابق، ص 386.

(4). V .Derregagaix , Op.cit, p 55-57.



لكون الأزجار(*) لا يستطيعون تقديم أي شيء للبعثة قبل موافقة رأي اخنوخن، الذي كان خاضعا لسلطة الأتراك، فأجمعت البعثة على العودة إلى ورقلة ، حيث وصلت يوم 17 ماي و استقبلت من طرف خليفة الآغا و مهندسي البعثة .

بعدها عادوا إلى باريس، فعرض فلانترز أهم النقاط حول مشاهداته من الناحية التقنية؛ حيث تم إبداء رأيه بشأن الطريق الملائم لخط السكك الحديدية و حدد نقاط الماء و أهمية أراضي الملح و حدد بدقة الوضعية السياسية لطوارق الأزجر و طبيعة إقليمهم و وضع خريطة للجزء الكبير من بلاد طوارق الأزجر ولشريط أراضي بحوالي 100 كلم كعرض متوسط جنوب ورقلة 32° إلى غاية 26° ، كما وضع خريطة بمعلومات دقيقة عبر أماكن العبور بعدة خطوط غرب الأهقار و باتجاه توات، كما قدم معلومات في الجيولوجيا، الهيدرولوجيا، علم النبات و خصوصيات المنطقة و خلص إلى وجوب معاودة الاستكشاف في شهر أكتوبر إلى الأهقار، مع غلاف مالي مضاعف للرحلة⁽¹⁾.

للأسف هذه الخرائط لم يتم نشرها من طرف ديريكافيس (Derrécagaix)، فقط ما أشار إليه في نهاية الرحلة بقوله : « أن هذا الملخص من الرحلة قد يكون غير كامل، إن لم نرفقه ببيبلوغرافيا قصيرة تبين لنا كيف كان رحالتنا⁽²⁾»، كما أشار إلى أن هناك معلومات نشرت في جريدة (Le monde Illustré) يوم 4 جوان.

بعد مناقشات اللجنة العليا التي تمت في 28 جوان 1880م، أبدت رضاها على تلك الأعمال، لهذه الاعتبارات جعلت اللجنة الفرعية الأولى و الثالثة تصدر رأيا باستمرار الاستكشاف، لكن بشكل أكثر تركيز يتضمن الاتجاه نحو أمقيد تاهوهايت و الأهقار و السعي للحصول على مساندة شيخ الأهقار إهتاغن و رؤساء القبائل الأخرى⁽³⁾.

في شهر أكتوبر 1880م غادر فلانترز فرنسا للمرة الثانية، ليذهب إلى الأغواط لأخذ جماله و عتاده الذي أرسل له من الجزائر، في 18 نوفمبر اكتملت القافلة تقريبا و تجمع أعضاء البعثة، فأخذوا

(*) من القبائل البارزة للأزجر، نجد قبائل الإيفوغاس الذين يستحذون على 40 خيمة، أهم شخصياتهم عبد الحاكم، اهندبول، أوخا، و قبيلة المرابطين أولاد سيدي موسى و تتضمن 45 خيمة و قبيلة أزجر يمثلها الحاج اخنوخن الذي له سلطة على الأزجر. كما أن هناك 400 خيمة أيمغاد (Imrhads) و هم يشكلون طبقة العبيد يعيشون تحت سلطة القبائل السالفة الذكر، أما قبائل الأهقار ليس لهم سوى 120 خيمة و قائدهم إهتاغن. للمزيد أنظر:

- Ibid, p 61.

(1). Ibid, p 71- 72.

(2). Ibid, p 130.

(3). Ibid, p 73.



طريقهم إلى ورقلة لهدف شراء الجمال و المؤونة، هذه المرة لم يكن ل فلاترز سوى جمالين مسلحين و خدم، كما اختار من سكان جنوب الجزائر أولئك الذين شاركوا في الرحلة الأولى، إضافة إلى سبعة مرشدين من الشعابنة و مقدم من التيجانية و أربعة من الطوارق⁽¹⁾ و تم تقسيم القافلة إلى ستة فروع ، كل فرع متصل بعضو أو عضوين، حسب مهامهم للإتيان بأحسن النتائج للمشروع.

عند مغادرة فلاترز ورقلة استلم رسالة من السيد فيرو (Feraud)^(*) ينصحه بشأن الرحلة نحو الأهفار، فذكر له أن رئيس طوارق الأهفار ذهب إلى رئيس الأزر ايجنوخن و أتبه بقبول معاودة البعثة استكشافها، لكن فلاترز لم يأبه بذلك و أسند الأمر لبعض مناورات تجار توات، غات و غدامس المعادين لمشاريع توسعهم التجاري، فقرر صرف النظر عنهم مع الاهتمام بتدوين هذه المعلومات في يومياته.

في 04 ديسمبر 1880م غادرت القافلة ورقلة إلى حاسي اينفل (Hassi Inifel)، تتبعت القافلة طريق جنوب جنوب غرب يؤدي إلى عين صالح، هذه المرة اتبعت البعثة مجرى وادي ميه (Oued Mia)، حيث صعدت القافلة من جديد إلى وادي زميلة إلى غاية منخفضات سبخة ترفاية، ثم ملقط السياب (Melgatessiab) و منها إلى القليعة (Goleah)⁽²⁾، ثم حاسي مسقم (Hassi Mesegguem)، ثم أمقيد (Amguid) في واد ايغرغار⁽³⁾.

هنا تعرضت البعثة إلى صعوبة الولوج إلى كتلة الأهفار، لكون السهول الجافة الممتدة إلى جنوب أمقيد يجعل من الصعب أو من المستحيل الدخول إلى هذه الكتلة مباشرة و بالتالي عليهم أن يدوروا حول

(1). Ibid, p 77-78.

(*) فيرو (Feraud): ولد في نيس 5 فيفري 1829م و درس في كلية تولون، ذهب إلى الجزائر في عام 1845م ، عمل في بداية الأمر كمساعد كاتب في الإدارة المدنية الجزائرية ، ثم تعلم العربية سريعا فأصبح مترجما في عام 1848م و أرسل إلى بجاية يوم 20 جويلية بصفته مترجما مدنيا و مسؤول عن تنظيم إدارة هذه الدائرة. أصبح مساعد مترجم عسكري من الدرجة الأولى في 24 جانفي 1853م و من الدرجة الثانية في 16 أوت 1857م، بعدها تم تعيينه مترجم للحكومة العسكرية العامة الجزائر ابتداء من 19 فيفري 1872م، لكونه يتقن اللهجات العربية ووظف لتأدية مهام مختلفة منها: الاستطلاع، المسح، البعثات "الدبلوماسية" لرؤساء القبائل الجزائرية. في عام 1876م ذهب فيرو إلى ليبيا و عمل هناك لحساب فرنسا إلى حين اختيار لأداء منصب ديبلوماسي أكبر بالمغرب فترك طرابلس في 4 نوفمبر 1884م و ذهب إلى المغرب فتوفي بها في 19 ديسمبر 1888م. للمزيد أنظر:

- Charles Féraud, « **l'archéologie et l'histoire de l'Algérie** », Article sur le site: www.tabbourt.com (Bibliographie du Maghreb antique et médiéval), Le : 21 Mars 2015 , à : 21:30.

(2). V .Derregagaix , Op.cit, p 79-82.

(3). Ibid, p 80.



التاسيلي شرقا باتجاه أزجار و غات⁽¹⁾، بعد فترة في أمقيد قرر فلاترز أن يكون هو المرشد فترك ماصو (Masson) و باقي القافلة في أمقيد و سحب معه روش (Roch) و برينجر (Bringer) والمرشال (Pobbequin) وخمسة رجال متجهين مباشرة نحو الجنوب ، فجانَب هضبة التاسيلي وفي الغد وصل الرحالة إلى وادي تاجرت (Oued Tedjert)، ثم تابع السير مباشرة إلى الجنوب الغربي بإتجاه الكمفوسة (Kamfousa).

عند عودة فلاترز إلى مخيمه ب ايغلاشن (Ighellechen) (*)، كانت تنتظره مفاجأة بوصول مبعوثه الشيخ بوجمعة يخبره بقبول اهتاغن بعبور أراضيهم نحو السودان و بعث له مرشدين، هنا أرسل فلاترز للسيد ماصو يأمره بقيادة القافلة إلى ايغلاشن، بعد وصول القافلة غادر فلاترز خيمته مع مرشديه الجدد و تقدم أولا عبر الايجيري (Eguéré) و وادي تاجرت حتى رأت القافلة رأس تاهوهايت ثم الكودية المسماة شاه (Chah) ورأس توفريغ (Toufrigh) الذي يحيط به وادي أودن (Oudan)، فخيما في مكان يسمى عين زلمان تيخسين (Inzelman Tikhsin) ⁽²⁾ بالقرب من سبخة أمدغور (Amadghour).

هنا راسل فرنسا و طمأنهم عن الأوضاع في الصحراء، كما كتب للمهندس (Fournié) وأخبره بأنه يستطيع أخذ طريق أمدغور و آسيو، فإذا وصلوا إلى آسيو يمكن بلوغ بلاد الهاوسا، كما يذكر في يومياته أنه عبر بلاد الطوارق كلها و كذلك بلاد الكلوي (Keloui) أزيان أو السودان الشمالية ويأمل إذا سارت الأمور بشكل حسن أن يذهبوا إلى البحر عبر سوكتو و مصب النيجر و يعودون عبر غات إذا تعكرت الأمور.

غير أن هذه الأحلام تبخرت بمفاجأة الطوارق و قتلهم لهم و ذلك حوالي 16 فيفري 1881م بعد مشيهم من سبعة إلى ثمانية أيام إلى شمال بلاد آير في تينترابين (Tintarabin)، فلم ينجوا منهم سوى عشرون من البعثة و قد وصلوا إلى ورقلة بشق النفس حاملين معهم الخبر المشؤوم الذي بلغ فوراً إلى باريس⁽³⁾.

(1). Ibid, p 107, 110.

(*) ايغلاشن: ليس اسم مكان، إنما هو عبارة عن مروج خضراء في الواد، يوجد منها الكثير و جمعها ابقلاشن موجودة في الأيجيري (Eguéré). أنظر:

- Ibid, p 65.

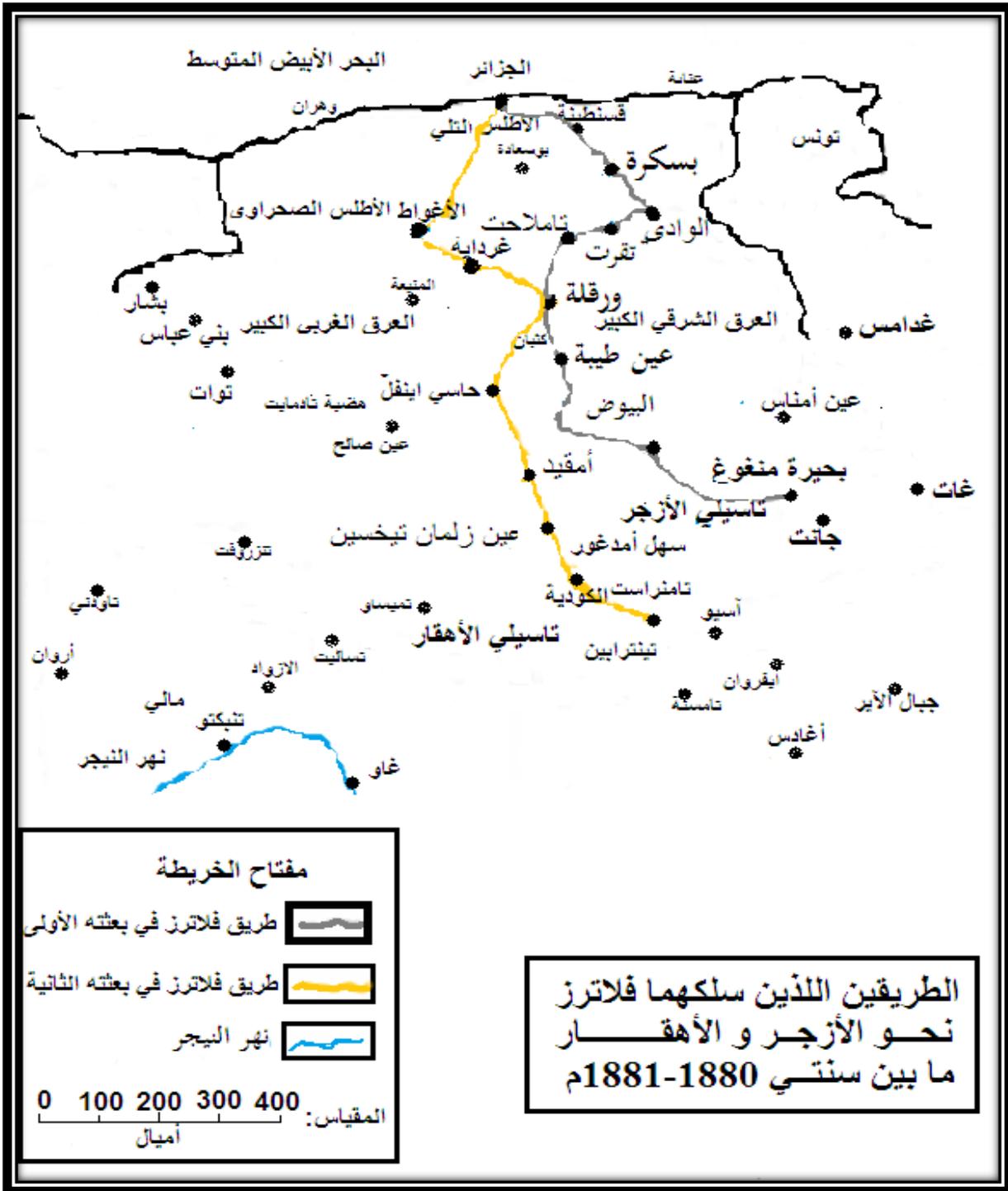
(2). Ibid, p 116-122.

(3). Ibid, p 122, 127.



هكذا كانت أحداث هذه البعثة بمثابة صدمة عنيفة للعمليات الاستكشافية في الصحراء، بذلك تعطلت الاستكشافات لمدة طويلة، لكنها ما لبثت أن انطلقت من جديد و بكل قوة رغم مخاطرها⁽¹⁾ وترتب عنها انعكاسات على كل المستويات.

(1). إبراهيم مياشي، الاهتمام الفرنسي، ص 92.



(1)

(1). أنجزت الخريطة اعتماد على خرائط:

- إبراهيم مياي، الاحتلال الفرنسي، ص 614.

- René Chudeau , « **Etudes sur le Sahara et le Soudan** », Annales de Géographie, 17e Année, No. 91 (15 janvier 1908), p 50-55.
- Charles Simond , **les français en Afrique au XIX^e siècle**, Librairie d'Education de la jeunesse, Paris, S.A. p 104.



3. أهمية الرحلة جغرافيا و تقنيا و نتائجها:

لقد غلب على هذه الرحلة الطابع الجغرافي بالدرجة الأولى، فصاحب الرحلة كان ضمن غرفة العلوم الجغرافية الذين كانوا يسيرون باتجاه السودان، باحثين عن طرق تجارية قديمة تربط السودان بالجزائر ويدرسون في نفس الوقت موارد الأرض في السودان⁽¹⁾، فيا ترى ما هي الفوائد التي قدمتها هذه الرحلة للعلوم الجغرافية عامة و لجغرافية الصحراء الجزائرية خاصة؟.

- جغرافيا:

أولى ملاحظات فلاترز في رحلته الأولى كانت في ورقة حول الأودية الجافة، فيذكر أن هناك سلسلة من الأحواض تفصل بينها عتبات من الرمال قد ثبتتها نباتات غزيرة، حيث أكد أنه لا توجد طبقة للأودية بقوله: « إنه نظام مشابه لنظام واد غير (Oued Ghir) [...] ، فإن هناك فقط تتابع لمستنقعات مالحة أو بحيرات، فهي عبارة عن أحواض قليلة الامتداد و الكثبان تحتل خمس أسداس الواد⁽²⁾». هذه الملاحظة التي صححت الخطأ الذي بقي متداولاً أمدا طويلا.

كما زودتنا الرحلة بمعلومات قيمة حول بعض الأودية، أهمها وادي ايغرغار (Oued Igharghar) و وادي ميه (Oued Mia)، اللذان كانا محل اهتمام البعثة، حيث تم اكتشاف أعالي نهر إيغرغار و روافده في أمقيد ما وراء سبخة أمدغور؛ إذ لاحظ الرحالة في حاسي ولد ميلود حول وادي ايغرغار شريط من الكثبان، حتى أنه من الصعب تخيل مكان منخفض تتجمع فيه المياه، كما أن غموض وادي ايغرغار يبدأ من أعالي وادي البيوض⁽³⁾.

عند وصول فلاترز إلى توسكرين، لاحظ وادي ايغرغار قد تلاشى باتجاه الكثيب، هنا يميل إلى تفسير بأنه ينتهي هنا، في كل الحالات لم يجد أي شيء مشابه للمجرى على خارطة دوفيري من توسكرين (Toukirin) إلى واد اغرغار⁽⁴⁾، غير أن روش (Roch) يذكر أنه إلى جنوب أمقيد بقليل وادي ايغرغار يتسع على عرض 50 كلم على الأقل و هو عبارة عن هضبة واسعة من الرق (حصى من الكوارتز)⁽⁵⁾، الأمر الذي يفسر لنا بأن وادي ايغرغار يظهر و يختفي في الكثبان الرملية.

(1). V .Derregagaix , Op.cit, p 3.

(2). Ibid, p

(3). Ibid, p 17-20.

(4). Ibid, p 51-52.

(5). Ibid, p 125.



كما أفادتنا الرحلة الثانية حول خصوصيات واد ميه (Oued Mia) و روافده اليمنى ، إذ رأت البعثة أنهم كلما اتجهوا جنوبا لاحظوا تحول وادي ميه، أول ملاحظة أنه غير محدد و بعد ذلك أحد ضفافه تحدد، فبعد رشاق العيطل (Rechag El ITEL) يظهر الواد بشكل جلي، في ملتقى فرع خشابة الواد تغطيه الكثبان الرملية فيبدو مسدودا و بين منطقة رشاق العيطل و السجرة الطويلة (Sedjerat Touila) ينعدم فيها واد ميه⁽¹⁾.

في حاسي اينيفل (Inifel) واد ميه يستمر نحو الأعلى في الاتجاه غرب جنوب غرب عبر تلماس البقم (Tilmas el Beguem) ، مشري النسا (Mechra Ennsa)، مشري البيوض (Mechra el Abiodh)، مشري العاتن (Mechra el Aten) ، ميات نخل فركنة (Miatnekhel Ferkna) ، نزيمان (Nziman) ، حمدي (Hamdi)، بروغن (Broughen)، فويرات الذياب (Gouirat Eddiab) ، حاسي منقار (Hassi Mongar) ، الجدياء (El Djeddiad) و زاوية كحلة (Zaouia Kahla) و هي عين صالح و منها يأخذ الاتجاه الجنوبي الغربي مرورا بمقيم القفول (Mekiem el Gfoul)، الذي على بعد 4 كلم تتلاقى جبال صغيرة و كثبان وادي مسدلي (Oued Meseddeli) مع وادي ميه⁽²⁾. و يعتبر وادي عين سوقسي (Oued Insokki) أهم روافد وادي ميه، هذا الأخير الذي يعتبر لطريق عين صالح أهم من وادي ميه نفسه⁽³⁾.

من خلال هذه الرحلة تم تصحيح خطأ جغرافي لوادي تيشمي (Oued Tigmi) على اعتبار أنه غير موجود أصلا و وادي ماسين (Oued Massin) الذي يبدو أنه مجموعة من منحدرات نازلة من الكودية (Coudiat) في الجنوب عددها معتبر، هذه المنحدرات تبلغ وادي منتفة (Oued Mentga) ، حيث يأخذ الاتجاه جنوب غرب ثم الجنوب و يختفي في الرق قبل منجم الآليون (Alun) الذي يبعد بـ 30 كلم عن تيونغيغين (Tiounghighin).

كما ورد في الرحلة وادي الحجاج (Oued el Hadjadj)، الذي يجري في المتوسط كل ثلاث سنوات لمدة أربعة أو خمسة أيام على امتداد 7 و 8 كلم، عادة في الخريف و الشتاء، يجذب حوضه ربح

(1). Ibid, p 83.

(2). Ibid, p 84.

(3). Ibid, p 98.



الجنوب فيأتي بالمطر و ريح الشرق بالرمال و ريح الشمال بالبرد و الرياح الجنوبية الغربية أو الغربية بالشهيلي و حسب الأهالي فهو حار لا تمضي سنة فيه بلا مطر⁽¹⁾.

إضافة إلى هذه الأودية أشارت تقارير و مصادر الرحلة إلى مجموعة أخرى آتية من الجنوب الغربي وتنتهي في أرض صحراوية تكثر فيها الكثبان و هي وادي تنرسال، وادي جوقران، وادي غلقة ، وادي عيطلو، وادي حساني، وادي ايغرغار، وادي علندة و وادي أولوفي، ... الخ.

كما أنه من وادي مسيد شمالا إلى مسقم جنوبا، عبارة عن شبكة منحدرات تتجمع مثنى مثنى ، ثلاث ثلاث تُكوّن وديان لا تقل عن واحد و عشرين منها: وادي مسيد أولا، ثم الوديان الخمسة داية ناج، داية الفراس، داية بن لكحل، غكرة الذياب، وادي تينرسال، وادي جايرين، وادي جقران، الذي يحتل وسط بلاد مادر مع عدة رؤوس من الوديان مثل وديان أجرام، تسنيات، وادي الصغير، وادي الغلقة، وادي عيطلو، وادي الحساني، وادي ايغرغار، وديان السبان ، وديان عالم، وادي سوف، وادي علندة، وادي أولوفي⁽²⁾.

إن المتأمل في كثرة هذه الوديان يخلص إلى القول أن الصحراء جنة خضراء غير أنها جافة طوال العام فهي تسيل عند هطول الأمطار ثم تختفي تاركة آثارها، إلا أن الثروة المائية في الصحراء ليست سطحية و إنما جوفية، فحسب فلاترز يكفي حفر بعض الأمتار التي لا تتجاوز 15 متر فيتم العثور على الماء .

كما تقدم لنا الرحلة معلومات في غاية الأهمية حول جيولوجية الأرض التي عبروها ، مثل الهضاب المحيطة بالتاسيلي و ايروان و مويدر و أيجيري؛ حيث ذكرت كتلة الأهقار المتمركزة باتجاه خط الاستواء 24° ؛ تبدأ باتجاه شمال وادي ايغرغار في اتجاه ورقلة و باتجاه الجنوب ، بين وادي ايغرغار و توات هناك هضبتان و بينهما سهلٌ واسعٌ و هضبة الشمال ينبع منها وادي ميه الذي يمر إلى ورقلة ، و هضبة الجنوب هي هضبة مويدر (Mouydir) ، هاتيان الهضبتان تعتبران مصادر لعدة أودية تجري في توات لتلتحق بواد غير، كما أن هذه الروافد تختفي في الرمال باتجاه الغرب، لتبلغ أماكن استخراج الملح في أدرار و في وسط الصحراء توجد هضبة تنزروفت⁽³⁾.

باتجاه الشرق؛ تمتد الصحراء بهضبات ذات طبيعة متشابهة، تمثل مجموعة من الأراضي المرتفعة الخالية من السكان، في الوسط هناك مضيق تيمساو (Timissao) الذي يُتخذ كمر، يعبره واد رافد من

(1). Ibid, p 94, 103.

(2). Ibid, p 93-94.

(3). Ibid, p 30-31.



النيجر ينزل بين هضبي مويدير و الأهقار، عبر هذا الواد يمكن الذهاب من تماننين إلى النيجر دون وجود رمال.

كما أفادتنا الرحلة بمعلومات مهمة حول منطقة اينيفل؛ التي تتكون من طبقة طباشيرية منحدرية قليلا إلى الشمال شمال شرق، أي باتجاه وسط الحوض الكبير الذي سطحه يتمثل في وادي رهير و ورقلة ، هذه الهضبة أو الحمادة جد ممزقة، تتخللها أودية موجهة تقريبا إلى الشمال شمال شرق حمادة عارية و عقيمة بدون ماء، الأودية فيها تشتمل على القليل من النبات و لا تشتمل على مياه، إلا في الغدير لوقت معين بعد نزول المطر ، أو في أحواض جوفية وسط الرمال أي رمال طمي الأنهار، مثل نهر عين سقي ، تلماس سدرات و حاسي أولوغي⁽¹⁾.

كما أن انحدارات التاسيلي تنتمي إلى الطبقة الديفونية و نفس الشيء بالنسبة لمنحدرات مويدير⁽²⁾، فقد ذكرت معلومات جغرافية غزيرة حول هذه المنطقة، لكن لا يسعنا المجال لذكرها كلها فقط اقتصرنا على ذكر أمثلة.

- الجانب التقني و خصوصياته الإستراتيجية:

قبل رسم طريق للسكة الحديدية في الصحراء جنوب ورقلة ، رأى الفرنسيون أنه يجب إعادة تيار القوافل التجارية الذي كان يربط ورقلة ، زندر، كانو و كاتسنه (بلاد الهاوسا) و بين ورقلة و تنبكتو باتجاه النيجر.

هذان الخطان يسيران معا من ورقلة إلى أغلاشم (Aghellachem) أين يفترقان، فطريق النيجر الذي كان يمر على تيمساو (Timissao) كان يصل في القديم مدينة غاو، يجب أن يمر الآن على تنبكتو و الطريق الثاني لبلاد الهاوسا كان يمر عبر سبخة أمدغور التي بها منجم غير قابل للنفاذ من الأملاح بشرق الأهقار و مدينة أقدز (Acadez)⁽³⁾.

إن المتتبع لمسار الرحلة، يدرك أن البعثة اتبعت الطريق الذي يربط ورقلة بهذه المناطق لدراسة طبوغرافيتها، و معاينة العقبات التي تعترض مسار السكة الحديدية، حيث ذكر فلاترز أنه يمكن إعداد خط دون صعوبة إلى أكثر من 4.000 كلم جنوب ورقلة ، عبر القاسي و الحمادة و الرق.

(1). Ibid, p 100.

(2). Ibid, p 125.

(3). Ibid, p 7.



عند وصول فلاترز إلى منطقة قاسي مخنزة؛ ذكر أن هذا القاسي له أهمية من حيث الاتصالات الصحراوية، ابتداء من ورقلة ليس هناك أي ممر صعب عبر كتلة التضاريس و بالتالي يمكن اختياره كطريق للسكة الحديدية، ثم أشار بعد ذلك إلى الاتجاه نحو البيوض عبر ترفاية، بوروبة، فح دمران و مخنزة⁽¹⁾.

في وسط الأهقار؛ تم معاينة صعوبات هذه الوجهة بالنسبة لوضع السكك الحديدية و الطرقات المؤدية من أعالي ايغرغار إلى عين صالح و تيمساو، من خلال المعلومات التي تم جمعها حول طبيعة هذه الأرض، تم رسم مخططين أحدهما من الشرق، ينطلق من ورقلة لبلوغ قاسي (Gassi) ليلتحق باغرغار بالقرب من تمانين، بعد ذلك يصعد من جديد إلى هذا الواد و رافده تادمكة، ثم ينزل باتجاه النيجر عبر وادي اينماجن (Inemadjen) و مضيق تيمساو، وصولا إلى سوق تادمكة (Tadmerka) (*) و رسم تخطيطي آخر باتجاه الغرب ينطلق من ورقلة إلى القليعة، هضبة تادمايت، ثم توات و تنزروفت⁽²⁾.

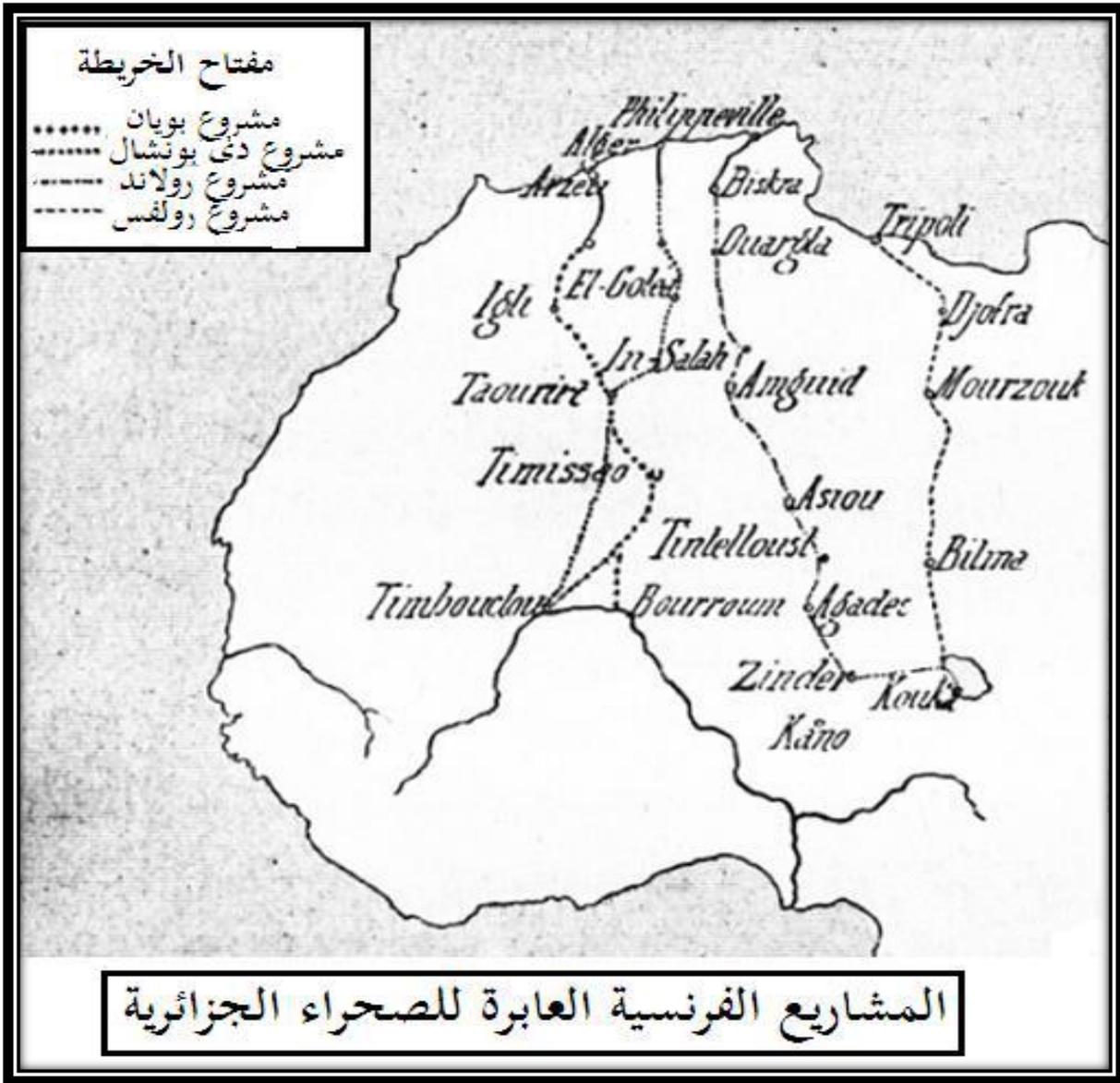
حسب ما أشارت إليه الرحلة أنه تم إعداد خريطة لكل البلدان التي عبروها على أساس معلومات واضحة و مشاهدة للمناطق الشرقية و الغربية و التي وسعت معارفهم الجغرافية حول الدرجة 32° لخط عرض شمالا بالقرب من الدرجة 24°، كما تم وضع مخططين لمسار السكة الحديدية حسب المعلومات التي اشرنا إليها أعلاه.

(1). Ibid, p 43.

(*) هي العاصمة القديمة للطوارق دمرت في القرن السادس عشر. أنظر:

- Ibid, p 32.

(2). Ibid, p 31-32.



(1)

من خلال هذه الخريطة، نستنتج أن الدراسات التي تم مناقشتها قبل القيام بالرحلة لهدف وضع السكك الحديدية، تم تنفيذها من قبل فلاترز تباعا لمطابقة مسار هذه الخطوط التي اقترحها فلاترز مع رحلته.

- تجاريا:

جاءت معلومات هذه الرحلة مقتضبة جدا في مجالها التجاري و هذا راجع لدوافع الرحلة، إلا أنها أشارت إلى العلاقات التجارية بين عين صالح و بلاد السودان، التي لا زالت قائمة حتى ذلك الوقت، فذكر الرحالة أنها مدينة تجارية و الثروة الأساسية لها هي تجارة العبيد من السودان إلى الساحل المتوسطي ، إذ

(1). Henri Schirmer , **le Sahara**, Imp. librairie Hachette et C^{IE}, Paris, 1893, p 403.



تذهب قافلتان إلى السودان عبر أقبلي و تنزروفت و تنفصلان في مكان يسمى أوليميدن (Aoulimmiden)، إحداهما تذهب إلى الهاوسا و الأخرى تجتمع بقافلة المغرب الكبيرة و تذهب إلى تنبكتو، أما تجار غدامس فيلتحقون بتجار عين صالح للذهاب إلى السودان الغربي.

كما توضح لنا الرحلة واقع التجارة في الصحراء الجزائرية و صعوباتها، حيث تذكر أن بضائع السودان يتم تصريفها إلى المغرب و إلى طرابلس، لأن مصاريف الجمارك و التخزين و السوق، تكون أقل ارتفاعا مما هي عليه في الجزائر، من ناحية أخرى البضائع الأوروبية تدخل إلى منطقة طرابلس، بشكل كبير عن طريق التجار الإنجليز، هنا يقول الرحالة: « لا نرى أي مزايا تحصل عليها بضائع عين صالح من تيار تجاري باتجاه الجزائر أين تمنع الكمبيالة و بالتالي لا يجب البحث في مكان آخر عن أسباب الراج الكثيف بالطرق التجارية للصحراء الجزائرية⁽¹⁾».

مهما يكن من أمر؛ فإن المعلومات التي قدمت للعلوم الجغرافية كانت في غاية الأهمية، فقد تم استكشاف أعالي نهر ايغرغار و روافده في أمقيد ما وراء سبخة أمدغور و وادي ميه و روافده اليمنى و طريق القوافل من ورقلة إلى عين صالح و معاينة صعوبات هذه الوجهة بالنسبة لوضع السكك الحديدية، كما أن استكشاف هضبة تادمايت، ايراون، مويدر و الأيجري، جمع معلومات حول وادي بوثة أو أقراية إلى غاية حواف هضبة تنزروفت، و الطرقات المؤدية من أعالي ايغرغار إلى عين صالح و تيمساو، إعداد خريطة لكل البلدان التي عبروها على أساس معلومات واضحة و مشاهدة للمناطق الشرقية و الغربية، التي وسعت معارفهم الجغرافية حول الدرجة 32° لخط عرض شمالا بالقرب من الدرجة 24°.

في الأخير تزودنا الرحلة بمفاهيم جغرافية، هيدروليكية، نباتية و غابية للمناطق التي تم عبورها، كما أنها تركت لنا معلومات حول تبادل السلع التي تمون تجارة القوافل بين السودان من جهة و المغرب و طرابلس من جهة أخرى⁽²⁾.

بعد سنة 1881م شهدت إفريقيا انطلاقة جديدة في القارة الإفريقية، فيتحول مركز الثقل إلى الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية و هو ما سيكون له انعكاس خطير حول التجارة عبر الصحراء و يتحول جنوب الجزائر من منطقة عبور إلى منطقة معزولة و محاصرة، ليلتهم جميع أجزاء هذه المناطق عند استحكام السيطرة عليها سنة 1914م.

(1). V .Derregagaix , Op cit, p 96-97.

(2). Ibid, p 128-129.



المبحث الثالث: استثمار السلطات الفرنسية للجزائريين في مهمة اختراق الصحراء.

في الفترة الاستعمارية عمل الكثير من الجزائريين في خدمة الاستعمار الفرنسي، كجواسيس و عيون لنقل أخبار المناطق التي زاروها للفرنسيين، ليسهل الأمر عليهم دخولها فيما بعد، فجاءت رحلاتهم وفق رغبة و أهداف سلطات الاحتلال الفرنسي؛ يعتبر الأغواطي أحد الرحالة الجزائريين المستهدفين من قبل الإنجليز قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر و خلال العهد الفرنسي وُظف العديد من الجزائريين في مهمة اختراق الصحراء أمثال الحاج البشير، إسماعيل بوضربة، الجباري، الحاج عبد القادر أبو بكر التواتي، الشيخ محمد الطيب و غيرهم من الرحالة.

و السؤال المطروح: لماذا أقحمت فرنسا بعض الجزائريين في مهمة اختراق الصحراء و إلى أي مدى ساهمت هذه الرحلات في تثمين معارف فرنسا حول الصحراء و السودان و نتائجها؟ .

1. رحلة الحاج عبد القادر أبي بكر التواتي نحو السودان.

في الفترة التي كُلف فيها أبي بكر التواتي(*) برحلة نحو السودان، كان الشمال الجزائري بكامله وقسم هام من الجنوب الشرقي للجزائر قد احتُلَّ، فبدأت اهتمامات الفرنسيين بالتوغل في كامل الصحراء الجزائرية و بهذا بدأت اتصالاتهم ببعض الأهالي للتعرف على طبيعة البلاد و سكانها⁽¹⁾ و مواردها الاقتصادية، فكان الرحالة هدفا لأداء أحد هذه المهام، فإنا ترى ما هي المهمة التي أسندت له؟ و ما هي خلفياتها الحقيقية؟.

أ. ظروف و دوافع الرحلة:

في إطار المسح الأنثروبولوجي، الطبوغرافي و الاقتصادي للصحراء خاصة و لإفريقيا عامة، قُدمت دراسات عديدة من طرف الفرنسيين حول هذه المناطق أمثال غوتيه و الجنرال دوماس و غيرهم، إلا أنه لا تزال هذه المناطق غير معروفة بشكل كبير و لأهمية هذه المناطق في المشاريع الفرنسية أُستدعي الرحالة لتفرت للقاء الفرنسي (Du Coudet) المعروف باسم حجي عبد الحميد باي، الذي طلب منه تدوين أجدية الطوارق و قائمة بأسماء قادة الأهالي للمناطق الصحراوية، كما كلفه الضابط بواسوني (Boissonet) بنفس الطلب، إضافة إلى معلومات أخرى نكتشف حيثياتها من خلال الرحلة.

(*) هو سيدي الحاج عبد القادر بن أبي بكر بن هبة الله الشريف التواتي، مولود بقرية تيديكلت بمنطقة آولف. أنظر:

- L'abbé Barges, Op.cit, p 4.

(1). فارس كعوان، المرجع السابق، ص 42.



Prononciation.	Arabe.	Tifinag.	Français.
<i>Elif</i>	ا	ⵏ	A.
<i>Bè</i>	ب	ⵓ	B.
<i>Tè</i>	ت	ⵜ	T.
<i>Thè</i>	ث	ⵜ	Th.
<i>Djim</i>	ج	ⵝ	Dj.
<i>Eha</i>	ح	ⵃ	Hh.
<i>Kha</i>	خ	ⵃ	Kh.
<i>Dal</i>	د	ⵎ	D.
<i>Dhal</i>	ذ	ⵎ	Dh.
<i>Rè</i>	ر	ⵔ	R.
<i>Zè</i>	ز	ⵔ	Z.
<i>Tta</i>	ط	ⵓ	Tt.
<i>Zha</i>	ظ	ⵓ	Zh.
<i>Kaf</i>	ك	ⵏ	K.
<i>Lam</i>	ل	ⵏ	L.
<i>Mim</i>	م	ⵏ	M.
<i>Noun</i>	ن	ⵏ	N.
<i>Ssad</i>	ص	ⵏ	Ss.
<i>Ddad</i>	ض	ⵏ	Dd.
<i>Aïn</i>	ع	ⵏ	V.
<i>Ghraïn</i>	غ	ⵏ	Ghr.
<i>Fé</i>	ف	ⵏ	F.
<i>Qaf</i>	ق	ⵏ	Q.
<i>Sin</i>	س	ⵏ	S.
<i>Chin</i>	ش	ⵏ	Ch.
<i>Hè</i>	هـ	ⵏ	H.
<i>Waou</i>	و	ⵏ	W.
<i>Lam-elif</i>	لا	ⵏ	La.
<i>Yè</i>	ي	ⵏ	Y.

أبجدية الطوارق التي دونها الحاج عبد القادر أبي بكر التواتي

(1)

(1). L'abbé Barges, Op.cit, p 7.



هذه الرحلة حسب ما ورد في نصها تمت سنة 1266هـ / 1849م، و دونت سنة 1268هـ / 1851م، بدأها صاحبها من مسقط رأسه و اتجه نحو تفرت و منها نحو قسنطينة، أين قابل بواسوني و أعطاه مبلغ قدره: 500 فرنك كمصاريف الرحلة، من هذه المصاريف اشترى سلعا بقيمة 140 فرنك ، ثم عاد إلى بسكرة و منها سلك طريقه إلى تفرت و تماسين، أين أجرى اتفاقا مع الشعابنة ليصحبهم إلى ورقلة ، لكن عند وصوله إلى مطماط تعرضت القافلة إلى هجوم شنته قبيلة سعيد أولاد عامر، فسلبوا القافلة بالكامل و لم يتركوا لصاحب الرحلة غير قميصه⁽¹⁾.

عند وصولهم إلى نقوسة، استقبلهم شيخ المدينة و أكرم وفادتهم و منحهم ثيابا جديدة، من نقوسة توجهت القافلة نحو ورقلة و ميزاب و منها توجهوا إلى متليلي و القليعة^(*)، ثم اتجهوا نحو الغرب باتجاه تميمون، وصولا إلى أولف، أين عكف الرحالة على تحرير نص الرحلة⁽²⁾.

يوصل الرحالة طريقه نحو السودان؛ من عين صالح إلى تيط (Tyt)، ثم أولف (Aoulef) و آقبلي (Agably)، الغرابة (Al-ghrabah)، ولآن (Ouellen) ، أين تحدث الرحالة مع سكان ولآن (Ouelen) بشأن الفرنسيين في أمور حكمهم و عدلهم، فتقبل الجميع قدوم الفرنسيين و استقبلهم بالترحاب و حسن المعاملة⁽³⁾، هذه المحادثة ما هي إلا محاولة جس النبض لمعرفة موقف هؤلاء من الفرنسيين.

(1) . Ibid, p 6.

(*) . القليعة: هي مدينة صغيرة أنشأت على جبل و يسكنها شعابنة الماضي. أنظر:

- Ibid, p 5.

(2) . Ibid, p 7-6.

(3) . Ibid, p 10-11.



بعدها دخل أراضي تنزروفت و اتجهوا جنوبا نحو بير امغانان (Byr-Emghanan)، بير تانتينة (Byr-Tantynah)، ثم يأتي بلاد الطوارق من جهة اليسار ، حيث وصلوا إلى دشرة تسمى المبروك (El-Mabrouk) ، أبو عجائية (Abou-Adjebât) التي يسكنها البرابيش (Berabiche) وكننة (Kontah) (*) و منها نحو تنبكتو (**)، سانساندي (Sansandé)، سيغو (Schégou) و جني (Djenné)⁽¹⁾.

من خلال هذه الرحلة يتجلى لنا بوضوح مدى اهتمام فرنسا بالطوارق منذ البداية، حيث كثفت البعثات إلى تلك الجهة؛ لدراسة مختلف جوانبها السياسية، الاقتصادية، الاجتماعية و الثقافية و أفضل مثال على ذلك ما كتبه هنري دوفيرييه في كتابه "طوارق الشمال"، حيث درس منطقتهم التي يسكنونها من حيث مصادر المياه، التضاريس واستعرض قبائلهم المختلفة، التقسيمات القبلية، إنتاجهم الفلاحي، نشاطهم الرعوي، تاريخهم السياسي و عاداتهم، كما أن رحلة فلانترز إلى الأهقار ما هي إلا تنويع لرحلات سابقة مفادها عبور الصحراء عبر أراضي الطوارق و الاستيلاء على محاورها الإستراتيجية لتجسيد أغراضها الاقتصادية و الاستعمارية.

(*) كتننة: أصل قبيلة كتننة حسب الروايات الشفوية و المصادر المحلية يعود إلى عقبة بن نافع فاتح شمال إفريقيا، بعد وفاته تفرق نسله في مختلف مناطق بلاد المغرب، استقرت قبيلة كتننة بالصحراء بعد أن أصبحت الأوضاع غير ملائمة في المناطق الشمالية خلال القرنين 13م و 14 م ، فارتبط تاريخ كتننة بإقليم توات، ثم انتقلوا بعد ذلك إلى إفريقيا الغربية، عبر الطرق التجارية الصحراوية الرابطة بين توات و إفريقيا الغربية، حيث حملوا معهم لواء الدعوة الإسلامية استقروا بالأزواد. للمزيد أنظر:

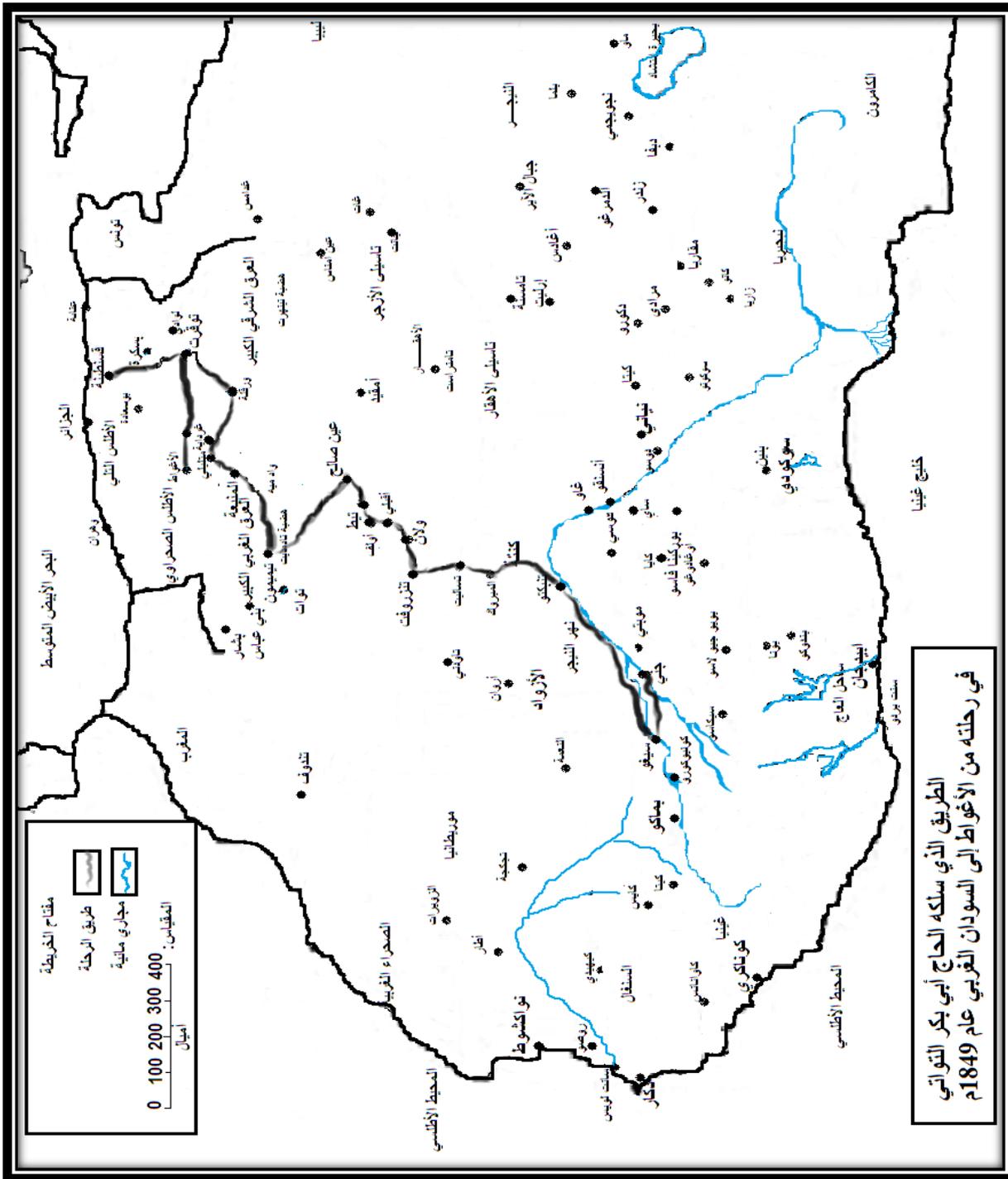
- حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 66-69.

(**) يذكر الرحالة أن طوارق منطقة تنبكتو هم كتننة (Contah)، البرابيش (les Berâbisch) ، أفلاذ (les Agled) ، تادماقت (les Tedmagt) ، أوليمدن (les Oulimeden) و بنتافوني (les Benta-Founy) ، تمتد أراضيهم من جني إلى زبرام (Zabram) قرب سيقو (Segtou) . أنظر:

- L'Abbé Barges, Op.cit, p 10.

- حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 66.

(1). L'Abbé Barges, Op.cit, p 11.



(1)

(1). أنجزت الخريطة اعتماد على خرائط:

- محمد حوتية، توات و الأزواد، ج2، ص 609، 613.

- R.Chudeau , Études sur le Sahara et le Soudan, p 50-55.



ب. أهمية الرحلة جغرافيا و اقتصاديا:

رغم ما قاله الرحالة حول تكليفه بمهمة جمع المعلومات حول قادة القبائل و موافاتهم لأبجدية الطوارق، إلا أن الرحلة عاجلت أيضا الجانب الجغرافي و الاقتصادي و هذا دليل على اهتمام الفرنسيين بهذا المجال و هكذا زودتنا الرحلة بمعلومات هامة حول الطرق و المسالك الصحراوية و قدم لنا الرحالة وصفا لطبيعة الأراضي التي مر بها و مواردها الاقتصادية بأسمائها المحلية .

- جغرافيا:

يذكر صاحب الرحلة عددا من منابع المياه التي مر بها، حيث أشار إلى منابع المياه الوفيرة بورقلة وهي مدفونة بالرمال، إذ لا تظهر في الغالب إلا في أماكن محدودة، ففي طريقه إلى القليعة رأى بئر الزرار وماؤها عذب، أما في السودان فقد صادف بئرين هما بئر امغانان (Byr-Emghanan) وبئر تانتينة (Byr-Tantynah) ، كما تفيدنا الرحلة بوجود بحيرة عميقة ماؤها مالح و بها أسماك، هذه البحيرة تقع جنوب تماسين بورقلة ، و توجد بحيرة أخرى بين تفرت و تماسين، لكنها أقل ملحوحة يعيش فيها الإوز.

أشار الرحالة إلى مجموع الوديان التي تسقي منطقة توات و أهمها وادي ايتل (Oued Itel) ، الذي يجري باتجاه الشرق و الغرب و عند الابتعاد عن حواف هذا الوادي نجد روبة تسمى القعدة (Al-Kâadah)، هي غير بعيدة عن وادي الأبيض (L'OUED-Abiadh) و وادي لوبيباد (l'Oued-Loubibed) ، وادي الطلح (Oued-et-Talh)، مياه هذه الأودية لا تجري بشكل ظاهري، لكن يكفي أن نحفر قليلا في الرمال حتى نجد مياهها⁽¹⁾.

يذكر الرحالة كذلك أسماء النباتات و الأشجار التي تنمو بالمناطق التي زارها و الملفت للنظر أنه يقدمها لنا بلغات تلك المناطق و منافعها الطبية و أماكن تواجدها، فعن الأشجار التي تنتج الصمغ العربي فهي تنمو في غابات تنبكتو، سكاها يسمونها فريقيايا (Fringaia)، الشجرة التي تنتج بخارًا سودانيا يسمونها داشي (Dâschy) و يمنحون للراتينج اسم شجرة ثوراري يالباركة- (Thourâry) (Yalbarcah)، الشجرة التي تنتج اللبان يسمونها هانو (Hanou) ، الشجرة التي تنتج راتنج شبيه بصمغ جاوة يسمونها حاثولي (Hatholy)، شجرة اللبان الأسود تسمى ميداشي (Medâschy) حيث تستعمل ثمارها لصناعة زيت يلين البشرة و يحارب جرب الأبقار و الجمال.

(1). L'Abbé Barges, Op.cit, p 20- 21.



كما ينمو بها شجرة تسمى كوكة (Kouka) ، ثمارها بحجم البطيخ الأصفر و لحاؤها صلب مثل لحاء اليقطينة، عندما تكسر نجد بداخلها مادة طحينية، يقومون بنقع هذه المادة في الماء فيصبح الماء حامضا، أما أوراقها فإنها تطهى و تؤكل مثل الملوخية، كما أن هناك شجرة تسمى تفوشية (Tefouchia) و شجرة كينبا (Kinba) مذاق فاكهتها كالفلفل (البهار)⁽¹⁾.

عن النباتات التي تنمو في ورقلة هي: (l'Alenda) ، البلبال (le belbâl) ، الضمران (le dhemran) ، الدررين (le deryn) و عن نباتات و أشجار ثقلت و تماسين هي نفسها أشجار ورقلة .

في توات تنمو نباتات الأودن (le ouden) ، الطلح (le talh) ، الثمات (le themat)، الأتلو (l'étel)، الرتم (le retem)، أبو رشاح (l'abou recbah) ، الحنظل و الدررين يوجد في الأودية و الأماكن الرطبة و الأماكن التي تغطيها الرمال و في السبخات و عن الأشجار بالمنطقة فهي (L'Alenda), (l'Azal), و الطارفة، عندما تكثر الأمطار في فصل الربيع ينبت الحنظل، الفول، القلقلان (Kolkolan) و البتين (Bétyn)⁽²⁾.

كما يحدد صاحب الرحلة المسافات بين المناطق بمسيرة الأيام، حيث يقدر المسافة بين متليلي وميزاب بنصف يوم من المسير، من متليلي إلى القليعة خمسة أيام⁽³⁾، من تنبكتو إلى سانساندي عبر البر تقدر بثمانية أيام، و للذهاب من سانساندي إلى سيغو مسافة يوم براء، كما لا يوجد نهر للملاحة بين سانساندي و تنبكتو، أما بلوغ جني يستوجب عبور النهر، نفس الشيء بالنسبة لمدينة هانباري (Hanbaré)⁽⁴⁾.

- اقتصاديا:

يفيدنا الرحالة في هذا الجانب بوجود بعض الثروات المعدنية الموجودة بالمناطق التي عبرها، حيث ذكر حجر القط، الطلق، البلور، الرخام الأخضر، الأحمر، الأسود، حجر الشب، الكبريت النطرون والملح، أما الأحجار الكريمة فقد أحصى خمسة و عشرين نوعا، كما فصل في هذه الأنواع مثل الياقوت

(1). Ibid, p 11-15.

(2). Ibid, p 20-21.

(3). Ibid, p 6.

(4). Ibid, p 11.



وأنواعه ؛ الأحمر، البنفسجي، الزيتي، السماوي، الأبيض، الأخضر، الزمرد و العقيق و هناك نوعان من الماس الأبيض و الأزرق.

عن الأحجار الأكثر قيمة هناك الياقوت ثم الأحجار الكريمة ثم الماس و عين القط (الليّاع) و هذا حسب تقييم التجار⁽¹⁾. فيما يتعلق بمناجم الذهب فإنه يوجد في سيغو (Schegou)، كركاري (Kerkâry)، ملي (Melly)، غرانات (Ghranât) و بيتا (Bitta)⁽²⁾.

عن منتجات السودان هناك جلود الأبقار التي يسميها العرب آقلابو (Aghlabou)، فتدبغ من طرف الزوج و تسمى في تنبكتو ياتا (Yâta)، كما أن خشب الأشجار السالف ذكرها يصنع منها الأقداح و الطاسات و الكتان الأسود يصنع منه لباسٌ يسمى لاغوبو (Laghrbou) ، الجبة العربية تسمى تارفيدي (Targuîdy) ، السروال يسمى إكرابي (Ekraby) بلغة الطوارق و آندو (Andou) بلغة آفناوي (Afnâouy)⁽³⁾.

بالإضافة إلى ذكر المعادن و بعض المنتجات، أشار الرحالة إلى أهم الأسواق المنتشرة في توات، أهمها تيميمون و التي يرتادها رجال حميان الشراقة، أولاد زياد، الدراق، زراين، الظراف، الغياشر، ذوو أولاد سي الشيخ، أحمد و لحضر و الشعابنة ، في الجهة الغربية هناك سوق تيمي الذي يؤم أسواقه الفلان و أهل الغراب (غرب إفريقيا)، كما يرتاد سوق تمنطيط أهل ساهل، العرب، البدو، الجكانة، أولاد الحاج و سكان سوف⁽⁴⁾.

من خلال ما تم عرضه يبدو أن صاحب الرحلة كان على اطلاع بأمور الصحراء و عارفا لبعض اللغات و اللهجات الصحراوية و الإفريقية⁽⁵⁾، الأمر الذي أكسب رحلته أهمية كبيرة، كما نوه بذلك القس بارجيس الذي قال إنها عمل مفيد و نافع للتعرف على أحوال الصحراء الجزائرية و السودان الغربي حول جوانب سياسية، تاريخية ، اقتصادية و جغرافية.

نستنتج مما سبق أن معلومات الرحلة جاءت غزيرة في الجانب الاقتصادي ، الأمر الذي يوضح لنا تكليف الضابط بواسوني و بالتالي هدف الرحلة كان إفادة السلطات الفرنسية بأبجدية الطوارق و قائمة بأسماء قادة الصحراء من أجل إقامة علاقات معهم، كما أن التعرف على مواردها الاقتصادية بأسمائها

(1). Ibid, p 12-13.

(2). Ibid, p 11.

(3). Ibid, p 15-16.

(4). Ibid, p 15.

(5). فارس كعوان، المرجع السابق، ص 42.



المحلية، كان بمثابة إحصاء و تنقيب على ما تتوفر عليه هذه المناطق للسيطرة على منتجاتها و التجارة الفرنسية في هذه المناطق.

2. رحلة إسماعيل بوضرية إلى غات:

بعد العمل الكشفي الذي قام به الرحالة بونمان نحو غدامس ، توصل إلى نتيجة مفادها أن غات هي المحور الأساسي للتجارة و ليس غدامس، إذ يذكر الرحالة أن غدامس ليست سوى محطة تخزين بين شمال إفريقيا و وسطها و أن غات هو أكبر أسواق السودان، الذي يدوم لمدة أربعين يوما ، أين يتم إيداع جميع منتجات قوافل الشمال و الجنوب⁽¹⁾، الأمر الذي جعل فرنسا ترسل إسماعيل بوضرية إلى غات وبعده دوفيرييه، فما هي دواعي اختيار إسماعيل بوضرية لهذه الرحلة و ما هي حيثياتها و نتائجها؟.

أ. التعريف بصاحب الرحلة:

ولد بوضرية بمرسيليا في 25 جانفي 1823م، من أم فرنسية و أب جزائري مسلم و هو محمد بوضرية أحد كبار تجار الجزائر، درس في مؤسسة (le Grand Louis) ، انخرط في الجيش الإفريقي في 28 فيفري 1853م، بين عامي 1854-1855م شارك في الحملة الفرنسية على تفرت (الجنوب القسنطيني)⁽²⁾ و أصبح مترجما عسكريا⁽³⁾.

لكون الرحالة من أصول جزائرية؛ فقد استغلت فرنسا هذه الميزة و قام المارشال راندون بتكليفه عام 1858م بمهمة استكشافية من الأغواط إلى غات، لاكتشاف شمال أجزر و الوصول إلى غات، لاختبار زعمائهم في موضوع تسهيل ربط علاقات تجارية بين غات و الجزائر⁽⁴⁾.

بعدها عاد بوضرية إلى الأغواط في 1 ديسمبر 1858م بعد أن جمع معلومات في غاية الأهمية، خاصة تلك التي تتعلق بالجانب الجغرافي و التجاري⁽⁵⁾، حاملا معه أفكاراً مهمة حول إمكانية الشروع في عمل تجاري مريح مع هذه المناطق الصحراوية⁽⁶⁾.

(1). Bonnemain, Op.cit, p 131.

(2). faucon, Op.cit, p 101.

(3). I. Boudierba, « Voyage à R'at », R.A.C, décembre 1859, , Imp. de CH.LAURE et C^{IE}, Paris , 1859, p 241.

(4). faucon , Op.cit, p 101- 102.

(5). Boudierba , Op.cit, p 241.

(6). faucon , Op.cit, p 102.



ب. ظروف و دافع الرحلة:

هذه الرحلة تمت في غضون أربعة أشهر، من الفاتح أوت 1858م، إلى غاية الفاتح من ديسمبر 1858م، ابتدأت الرحلة من الأغواط أين كان بوضربة مترجما عسكريا لدى المكتب العربي ، حيث توجه إلى تفرت للقاء الشيخ عثمان الذي كان دليل القافلة.

توجهت القافلة نحو نفوسة (Negouça)⁽¹⁾ و منها إلى الرويسات (Rouissat) الواقعة غرب ورقلة مرورا بسلوسل زنون (Slossel Dzanoun)، سلوسل أزال (Slossel Azâl) ، حتى بلغوا منطقة كبيرة من الكثبان الرملية تسمى ألوج (El-Oudje)⁽²⁾؛ و هي منطقة واسعة تمتد من نفزة بتونس إلى القليعة، حتى وصلوا إلى عين طيبة التي تقع جنوب جرييع على بعد حوالي 112 كلم و منها إلى البيوض .

بعدها سلكوا طريق جنوب جنوب شرق نحو شعبة البيوض⁽³⁾ و تماسنين و هي نقطة التقاء كل القوافل التي تأتي من غدامس و توات نحو غات و منها إلى الطير (Tir)، خنفوسة، توسكرين (Touskirine) التي تشكل طرفا كبيرا من هضبة أزجار و منها مالوا نحو تابلالت⁽⁴⁾، عين الحجاج ثم وادي تاجران (Oued Tadjeran) في الاتجاه الجنوبي الشرقي .

من وادي تيجوجلت (Oued Tidjoujelt) و وادي ايليزي (Oued Ilizi) وصلوا إلى عقلة سيدي علي النحاوي (Aglet-Sidi-Aly-Elnahoui) الواقعة في وادي إليزي، ثم وادي تاخمالت (Oued Takhmalet) و منها نحو وادي تارات (OuedTarat) ، إداريت إيتيجرن (Idarit Itedjeren) ، وادي تيخسين (Oued T ikhessin) ، مسيكة (Msika) و قصر لجنون (Ksar-el-djenoun) و هو جزء من سلسلة صخور متوازية لجمال تمر إلى جنوب غات و في يوم 26 سبتمبر تم الوصول إلى نقطة الهدف و هي غات⁽⁵⁾.

عند وصول الرحالة إلى غات؛ لاحظ نفورا من قبل أناسها لأنهم أقسموا على عدم دخولهم المدينة فتم غلق الأبواب و سدّ كل الثغرات، لكن **الجنوخن** ذكر للطوارق بأنه مسلم، فتم استقبالهم بعد ذلك⁽⁶⁾؛

(1). Boudërba, Op.cit, p 241-243.

(2). Ibid, p 246, 252.

(3). Ibid, p 254, 261, 264.

(4). Ibid, p 268-270.

(5). Ibid, p 272-273, 277-278.

(6). Ibid, p 280, 282.



وسبب هذا التوتر أن رسائل وصلت من مرزق تذكر بأن: « الفرنسيين يرغبون في الاستيلاء على غات، احذروا من سي عثمان لقد باع نفسه للفرنسيين و إذا أتوا للهجوم عليكم أخبرونا حتى نأتي لإنقاذكم⁽¹⁾».

بعد أن اجتمع الرحالة مع اخنوخن، قام بسرد رسالته التي أتى لتبليغها، فذكر أن فرنسا ترغب في التعرف على نسبة الأمن و الأهمية التجارية للمنطقة، قبل أن تستثمر أموالها في هذا الطريق، مضيفا أن فرنسا في نيتها تسهيل التجارة بين مفوضي الجزائر، غدامس، غات و بلدان أخرى و ليس غرضها التدخل في شؤونهم الداخلية و احتكار التجارة للاستحواذ على الأرباح حسب الأقاويل المنتشرة هناك و أنهم سوف يستفيدون من علاقاتهم مع فرنسا و جماهم المستعملة في النقل سوف توفر لهم ضعف ما توفره حاليا دون احتساب الحبوب، الزبدة، القماش من كل الأنواع و القطع النقدية، كما حثه على أن هذه المزاي كلها يحاول البعض حرمانكم منها تحت ذريعة الدين و هذا لتلبية مصالحهم الخاصة⁽²⁾.

بعد المناقشة التي دارت بينهما استحسنت اخنوخن فكرة توسيع علاقاته مع مراكز إفريقيا، لأن أرباحه ستزيد حسب عدد القوافل التي تعبر بلاده، هذه الخطابات تركت انطبعا حسنا لدى شعب الطوارق^(*)، حيث رغبوا في إقامة علاقات مع الجزائر.

بعد هذه المقابلة يذكر الرحالة أنه افترق مع اخنوخن كأصدقاء، بعد أن أعطاه الأمان و الاحترام في بلده. في فترة إقامته التقى ببعض التجار من غدامس ، فقام بشرح الفوائد التي يمكن الحصول عليها أثناء ترددهم على أسواق الجزائر، كما التقى بتاجر من جربة اسمه **يونس (Younes)** ، فذكر أن له علاقات مع تجار غدامس، طرابلس و السودان و كان على علم بمزاي تجارة الجنوب من خلال علاقاته مع الجزائر، فطلب منه الرحالة أن يقيم علاقات تجارية مع الفرنسيين⁽³⁾.

(1). Ibid, p 283.

(2). Ibid, p 283-285.

(*) . يذكر الرحالة أن سكان الطوارق يتكونون من جنسين مختلفين؛ الجنس الأول غاز و هو جنس الأهغار (Ihoggar) (شرفاء) والجنس الآخر محتل و مقهور و هم الإمغاد (Im'rad) (أصول مشتركة) و هم عبيد للغزاة، يدفعون للسيد مستحقات سنوية حوالي 1/10 من السلع التي يأتون بها من بلد آخر، في المقابل السيد الشريف يحميهم من المخاطر. أما عن نوع هذين الجنسين مختلف؛ الأهغار ينتمون إلى الجنس القوقازي و الأمغاد إلى الجنس الزنجي. للمزيد أنظر:

- Ibid, p 288-289.

- راجع الملحق رقم: 02.

(3). Ibid, p 286.



من جهة أخرى عمل سي عثمان على مقابلة الحاج أحمد، الذي يقيم بغات و له نفوذ بين أهاليها، فقام بإقناعه بمسألة المزايا التي ستحصل عليها غات من خلال ربطها بعلاقات مع فرنسا، فلم يبارحه حتى أكد الحاج أحمد نواياهم الحسنة تجاه فرنسا⁽¹⁾.

خلال الجولات التفقدية التي قام بها الرحالة لمعاينة سوق غات، لاحظ رواج السلع الإنجليزية، مع العلم أن ما وصلت إليه إنجلترا استغرق وقتا طويلا؛ فقبل تصريف منتجاتها عبر طرابلس حاولت معرفة من يحمل بضائعها عبر هذه الطرق إلى وسط إفريقيا، فوقع اختيارها على تجار غدامس، مع استقرار بعض الإنجليز هناك لتصريف منتجاتهم ، بهذا الصدد يؤكد الرحالة أن تجارة وسط إفريقيا حقيقة و أن الإنجليز هم الذين يمتكرونها، فمنتجاتهم تصل إلى هذه البقاع عبر غينيا، سينغامبيا (Sénégal) ، المغرب، طرابلس و مصر.

هنا تبادر إلى ذهن الرحالة تطبيق الفرنسيين فكرة الإنجليز و مشروعهم، فرأى أن قبيلتي الشعابنة وسوف، يؤدون نفس الدور الذي أداه الغدامسيون، فهم يتحملون متاعب الرحلة و الفرنسيون يجنون المال والأرباح و يتم تقاسمها بالنصف من 30 % إلى 40 %، بعد التعرف على بضائعهم في غدامس و توات قد يأتون للبحث عنها عندهم و بالتالي يجب أن يكون لتجارهم ممثليها في ميزاب و ورقلة⁽²⁾، الأمر الذي يفسر لنا معاهدة الحماية مع بني ميزاب و كذا الاهتمام الفرنسي بورقلة من خلال المذكرة المسلمة للجنة الجغرافيا من طرف السيد دولاسب (De Lesseps) يخبر السيد دوفيري ما يلي: « إن إنشاء خط سكة حديدية من الجزائر إلى ورقلة لشيء ممتاز تقوم به فرنسا، لقد كانت ورقلة منذ مائتي أو ثلاثمائة سنة المستودع الكبير للبضائع و نتيجة لأحداث سياسية تحول تجار قوافل الهاوسا ونبكتو باتجاه طرابلس و طنجة، لكن اليوم لا يمكن أن تؤثر في ازدهار ورقلة⁽³⁾ ». «

بعد إنهاء الرحالة مهمته، رغب في البقاء و مشاهدة قوافل السودان تحط رحالها بغات التي لن تصل إلا بعد شهر، لكن ظروفًا عديدة فرضت على الرحالة مغادرة المكان، أهمها سوء حالة الجمال و سوء الأوضاع بالجنوب الجزائري، مما اضطر توجه اخنوخن نحو توات فصحب الرحالة في طريقه⁽⁴⁾ و كان ذلك يوم: 04 أكتوبر فعبر الطريق التي سلكها قبلا، من غات نحو عين حجاج، تابلالت، تاير، تماسنين

(1). Ibid, p 285, 291.

(2). Ibid, p 305.

(3). V. Derregaux ,Op.cit, p 6.

(4). Boudarba, Op.cit, p 299-300.



جربيع، البيوض، عين طيبة لمويلح، الرويسات، ورقلة و وصل الأغواط يوم 01 ديسمبر ، أين استقبل استقبالًا حارًا من طرف ضباط الفرقة العسكرية.

ج. أهمية الرحلة جغرافيا و تجاريا:

- جغرافيا:

يصف لنا الرحالة الصحراء؛ على قدر امتدادها و جفافها، إلا أنها ليست أكثر بشاعة مما نتوقع، تقريبا في كل مكان يوجد الماء، فقط يكفي الحفر على عمق صغير لإيجاده، حتى في مناطق القاسي يمكن الحصول عليه على عمق 15 أو 16 مترا⁽¹⁾ و هو الأمر الذي أكده البكري في القرن الحادي عشر ميلادي و فلاترز في ثمانينات القرن التاسع عشر.

لقد أفادنا الرحالة بمصادر المياه الموجودة عبر الطريق الذي سلكه، فمثلا بغرب نقوسة بها ثلاثة وثلاثون بئرا ارتوازيا، أقدمها بئر ترمونات (Termounet) و في الجزء الجنوبي عدد كبير من الآبار التي عمقها المتوسط يبلغ خمسة متر⁽²⁾.

في طريق وادي تارات (Oued Tarat)، هناك بئران تُسميان تانيت ملت (Tanit Melet) واقعتان على سفوح سلسلة صغيرة من الكثبان مياهها مالحة و عمقها 3 أمتار وهي على مستوى 1,5 متر حرارتها 23° و حرارة الهواء 29°⁽³⁾ و تُعتبر بئر مجير (Medjir) مأوى للقوافل القادمة من ورقلة ، مياهها جد غزيرة و جل المناطق المجاورة لها غنية بمراعي الجمال⁽⁴⁾.

كما تحدث الرحالة عن الجانب الجيولوجي للمناطق التي عبرها، فمثلا منطقة ألوج (El-oudje) التي تمتد من نفزة (Nefza) إلى القليعة (Guiléa)؛ هي عبارة عن سلسلة من الكثبان الرملية يبلغ ارتفاعها أحيانا من 50 إلى 100 متر و هي تشكل تتابع لسلاسل متوازية، في الجزء الجنوبي تتحول هذه السلاسل الكثبية إلى أودية يتسع عرضها من 7 إلى 8 كلم، تسمى القاسي (El-Gassi)، من بين الوديان التي تعبر هذه المنطقة وادي ميه (Oued-Elmia) من الجهة الغربية، حيث ينبع بالقرب من توات و يتجه نحو ورقلة ، من الجهة الشرقية نجد وادي لسود (Oued-Essoued) الذي يعتبر

(1). Ibid, p 303-304.

(2). Ibid, p 243, 246.

(3). Ibid, p 275.

(4). Ibid, p 250.



استمرار لوادي رير (Oued-R'ir) ، ينبع من جبل الأهقار و يستقبل مياه الجانب الغربي لهضبة أزجار (Azeguer) و مياه الجانب الشرقي لهضبة لمويدر (El-Moindyr).

مصدر مياه وادي رير باطنية قادمة من الهضاب الشمالية و الهضاب الجنوبية، حيث يوجد منحدران يربط بينهما؛ واحد يصعد إلى الشمال و الثاني ينزل إلى الجنوب، هذا الأخير لا يتوقف إلا في الجبال الموجودة جنوب غات⁽¹⁾، كما أن نهر ايعارغار (Vallée d'Ir'er'aren) يمتد إلى غاية غات (R'at).

بوادي تاخمال (Oued-Takhmalet) ؛ يوجد مصدر مائي يسمى تاجنوت (Tadjenout) يبلغ ارتفاعه أربعة أمتار⁽²⁾، كما أن بمنطقة عين الحجاج (Aïn-el-Hadjadje) أودية منها وادي تاجران (Oued-Tadgeran)، وادي أيتزونت (Oued-Aitzoniten)، السمان (Saman) و إنلال (Inalal)⁽³⁾.

كما يفيدنا الرحالة بمواقع المياه عبر الطريق التي سلكها، فذكر أن الطريق بين البيوض و تماسين خالية من الماء⁽⁴⁾، إلا أن المنطقة الواقعة بين توسكرين و غات بها مياه تنحدر من سفوح سلسلة هضاب الأزجار ، حيث يوجد منبع صغير عمقه 1,5 متر و مياهه قليلة الغزارة تطفو على نحو 50 سم من مستوى سطح الأرض، كما يوجد ينبوعان يسميان تانفوخ (Tanefokh) و كينوين (kinouin)⁽⁵⁾.

- تجاريا:

تحدث صاحب الرحلة عن التجارة في غات و القوافل التجارية التي تصلها ، فأعطى لنا صورة وافية حول هذه النقاط، خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر؛ إذ تعتبر غات مراكزًا تجاريًا تصله القوافل من كل الجهات؛ من غدامس، فزان، مصر، البورنو و الهاوسا و الجزائر، كما تشهد غات تنوعا في السلع والبضائع التي تُحمل إليها من هنا و هناك، حيث تصل إلى أكثر من 6.000 حمولة من كل الأنواع؛ حرير متنوع ، قماش من صوف، ورق، نحاس، مسك، حياك، شواشي، أسلحة من كل الأنواع، بنادق،

(1). Ibid, p 254.

(2). Ibid, p 269, 273.

(3). Ibid, p 272.

(4). Ibid, p 265.

(5). Ibid, p 270-271.



مسدسات، حديد، سكر ، قهوة، أحزمة من الصوف و من الحرير⁽¹⁾، معظم هذه البضائع هي منتجات انجليزية.

و عن السلع التي ترسلها أسواق صحرائنا الجزائرية و السودان نحو غات هي كما يلي:

المنطقة	المواد
توات	قماش من صوف، الحنة، التبغ و التبر الذي يأتي من تنبكتو
سوف و الشعانية	برانيس، حياك، قنادير، تبغ، الزبدة، الشحوم و القطع النقدية بـ 50 سنتيم المرغوبة في البلاد.
السودان	العاج، التبر، بقايا الحلبي الذهبية، جلد البقر، جلد الفهود، الساي ^(*) ، أحذية، سروج، الجمال، جلد أصفر و أحمر، جلد لقرب المياه، الذرى، الأرز، بجنور ، سلاح، رماح و خناجر ⁽²⁾ .

إضافة إلى السلع السالفة الذكر، فإن تجارة الرقيق لم تتوقف حتى ذلك الوقت، فحسب أقوال التجار أن غات كان يصلها من ثلاثة آلاف إلى أربعة آلاف عبيد و سعرهم في السوق ارتفع ثمنه ليصل إلى 250 و 300 فرنك، بينما كان في السابق من 100 إلى 150 فرنك، فحسب تصريح أحد تجار تنبكتو ؛ أن تجارة العبيد تعد أساس تجارة إفريقيا الوسطى و تجار القوافل الذين يعبرون غات⁽³⁾ و السؤال الذي يُطرح هنا إذا كان ما تم التصريح به حقيقة فما سر ارتفاع أسعار العبيد و ما موقف الإنجليز المتواجدين بالمنطقة من ذلك؟. هذا ما سيتضح من خلال دراستنا لهذه السلعة في الفصل الموالي.

لقد زودتنا هذه الرحلة بمعلومات حول وسائل التبادل التجاري مثل وسائل الدفع التي تتداول في غات كالنقود المصرية، التركية، التونسية، الدورو الاسباني و الفرنك، حيث يتم الحساب بالريال التونسي الذي يحمل اسم سييلي (Sbili) و يقدر بـ : 90 سنتيم و قطعة 5 فرنك تسمى (Cinquo)⁽⁴⁾، كما زودتنا بأسعار بعض السلع بغات و الجزائر و الأرباح التي يجنيها التجار من هذا السوق من خلال تصريح أحد تجار سوف كما يلي:

(1). Ibid, p 296-297.

(*) . قطعة قماش قطنية تسمى الساي. أنظر:

- Ibid, p 297.

(2). Ibid, p 297.

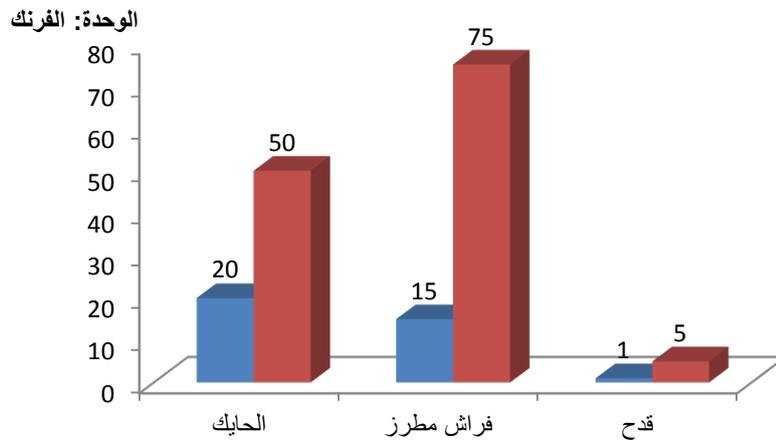
(3). Ibid, p 298.

(4). Ibid, p 297.



السلع	الأسعار في الجزائر	الأسعار في غات
الحايك	20 فرنك	من 45 إلى 50 فرنك
فرش مطرز	15 فرنك	75 فرنك
قدح من الحديد	1 فرنك	5 فرنك ⁽¹⁾

معدل الاسعار بالجزائر و غات سنة 1858م



من خلال الجدول و المخطط البياني نستنتج أن السلع التي تصل غات تباع بأثمان باهظة و هذا راجع لصعوبة الطرق الصحراوية و تكاليف النقل، مع الإشارة إلى أن ما صرح به التاجر السوي؛ أن أغلب السلع التي جلبها إلى غات كانت ذات صنع فرنسي و هو ما يفسر لنا غزو السلع الفرنسية أسواق شمال الصحراء في تلك الفترة، حيث أصبحت تشكل أكبر نسبة بالمقارنة إلى السلع الأخرى.

من النتائج التي توصلت إليها فرنسا من خلال هذه الرحلة؛ معرفة مدى أهمية التجارة الإنجليزية بهذه المنطقة و في ظل التنافس التجاري بينهما سعت فرنسا لانتهاج سياسة بريطانيا لجلب التجارة الصحراوية عبر الجزائر كما كانت في السابق.

لكون الطوارق يتوزعون بالصحراء الوسطى فهم الذين يتحكمون في منافذ عبور الصحراء، عاودت الرحلة من طرف الفرنسي دوفيرييه و ذلك للتأكد من رد فعل الطوارق تجاه الفرنسيين و من أجل ربط

¹. Ibid, p 298



علاقات تجارية بين فرنسا و الطوارق، النتيجة كانت تهيئة الأرضية لإبرام معاهدة غدامس التجارية، بعدها أُستثمرت هاتان الرحلتان من طرف فلاترز لرسم خطوط السكك الحديدية عبر منطقة الأهقار.

المبحث الرابع: توظيف البعد الثقافي و العسكري لاختراق الصحراء.

لقد تعددت الوسائل الفرنسية لبلوغ أهدافها، فكان للبعد الثقافي دور في تحقيق أهداف السياسة الفرنسية، أين أدركت فرنسا أن هذه المناطق كانت مرتعا للطرق الصوفية ، مع التباين العقائدي و اللغوي في بعض المناطق، كما أن أسطورة شعب الطوارق الذي لا يقهر استمات الفرنسيين من أجل اختراقهم، فتفاعلت فرنسا مع حيثيات هذه الجوانب لبلوغ هدفها.

و السؤال المطروح: كيف ساهم الجانب الثقافي في اختراق الصحراء؟ و لماذا الاهتمام ببلاد الطوارق عامة و توات خاصة؟ .

1. توظيف البعد الثقافي لأغراض استعمارية:

أ. استغلال و استمالة بعض القيادات و شيوخ الطرق الصوفية لاختراق الصحراء:

بعد الاحتلال الفرنسي لأجزاء هامة من الصحراء الشمالية و إحكامها بواسطة خلفاء محليين مثل أولاد سيدي الشيخ و في مقدمتهم الخليفة حمزة، أخذ الفرنسيون يهتمون بالصحراء فأرسلوا العديد من البعثات لاكتشافها، فكانت تتم بمساعدة أعيان المنطقة من رجال الدين و الدنيا، خاصة مقدمي الطريقة التيجانية و الطيبية و المواليين لها من الحكام، مثل عثمان بن الحاج البكري(*) من قبيلة الإيفوغاس، وايخنوخن أبرز قادة طوارق الأزر(1).

فقد استغل الفرنسيون عثمان بن الحاج البكري، الذي كان شيخا للطريقة التيجانية في تماسين التابعة لقبائل الأزر، لمساعدة دوفيرييه سنة 1860م في عملية التوغل في الصحراء لمعرفة المواقع الصالحة لمد خطوط السكك الحديدية نحو السودان و من ثمة مد نفوذهم التجاري و منافستهم للإنجليز(2).

(1). أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1860م-1900م، ج1، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، 2009، ص 142.
(*) صرح هذا الشيخ أثناء تواجده بباريس لزميل له من الطوارق، أنه نسب إليه الإسلام و المسيحية و القرآن و الأنجيل و التوراة، كما أظهر إعجابه بالحضارة المسيحية و قد تحدث عنه دوفيرييه و قال أنه أخذ من باريس مجموعة من الكتب الخاصة بالدين و الأدب و التاريخ كما أخذ بعض آلات الفلاحة لخدمة الأرض و حفر الآبار. للمزيد أنظر:

- نفسه، ص 143.

(2). نفسه، ص 143.



كما قدم هذا الشيخ مساعدات للقنصل الانجليزي الضابط لاسكندر غورده لانغ حيث رافقه إلى عين صالح، لكن بعد توغل الفرنسيين بالصحراء و حصولهم على مطالبهم من زعماء الأزر، عادوهم واتمموهم بالتعاون مع السنوسيين و حركة بوعمامة، فتلقوا ضربة قوية بعد مقتل الجاسوس شارل دي فوكو سنة 1916م⁽¹⁾.

من العائلات الصحراوية التي تأثرت بالسياسة الفرنسية، نذكر عائلة أولاد سيدي الشيخ^(*)، الذين كانوا على مر السنوات على رأس تجمعات كبيرة من السكان و الأرض، مثل الشعابنة، قبائل البيض، ورقلة متليلي، المنيع، أولاد مختار، المخادمة، عين صالح و جماعات أخرى من توات و غيرها، فقد ضمن هؤلاء أن الملك لا يزول و أن الفرنسيين سيقون في الشمال و من أبرزهم الخليفة حمزة الذي عينه الفرنسيون خليفة على الصحراء الجنوبية الممتدة من حدود المغرب إلى ورقلة، في وقت كانت الإدارة الفرنسية عاجزة عن التحكم في كل البلاد و هي سياسة مؤقتة ريثما يتفرغون لأمر الصحراء.

لقد قدم سيدي حمزة و ابنه أبو بكر في بداية الستينات، خدمات جليلة لفرنسا مكنتهم من احتلال المنيع، كما أعطوا رسائل الحماية لـ **دوفيرييه** سنة 1859م، لكي يمر من المنيع إلى غدامس، فقد كانت أهداف فرنسا هي استعمال الشيخية و التيجانية ضد تدخل السنوسية في الجنوب، كما كان

(1). نفسه، ص 144.

(*) **أولاد سيدي الشيخ**: هؤلاء نسب تاريخي و نسب روحي، فالنسب التاريخي يعود للخليفة أبي بكر الصديق، فقد جاءت العائلة من الحجاز في أزمنة غير معروفة و من أجدادهم المعروفين الشيخ عبد القادر بن محمد المعروف بـ بوسماحة المتوفي سنة 1614م و قيل أنه قبل وفاته أسس زاوية في البيض و أصبحت معروفة باسمه "سيدي الشيخ" و قد ترك ثمانية عشرة ولدا و توارث أبناؤه بركته و اتسعت دائرته وامتدت من جنوب الإقليم الوهراني حتى ورقلة و المنيع و الجنوب الغربي و من بين أبناءه سي الحاج بوحفص و الحاج عبد الحكم، هذان الأخوان كانوا في نزاع دائم حول أمور الدين و السياسة، بعد وفاة أبيهم انقسموا إلى قسمين؛ قسم استقر في قصر الأبيض سيدي الشيخ حول قبر أبيهم بزعامة الإبن الأكبر الحاج أبي حفص في الناحية الشرقية و أسسوا زاوية باسم أولاد سيدي الشيخ الشارقة و قسم استقر بالناحية الغربية من القصر بزعامة سيدي الحاج عبد الحكم و أسسوا زاوية باسم أولاد سيدي الشيخ الغرابية، بعد معاهدة لالة مغنية سنة 1845م التي تنص على فصل الحدود بين المغرب و فرنسا، تم تحديد الحدود الشمالية للجزائر و المغرب، هذه الحدود فصلت بين القسمين و أصبح القسم الأول تابع للجزائر و الجزء الثاني تابع للمغرب، أما نسبهم الروحي فهم قادية - شاذلية، فتذكر المصادر أن سيدي الشيخ كان من الملاكين الكبار و من أصحاب الدنيا و لهم سلسلة صوفية يتوارثونها و بذلك قيل عنهم ليس لهم طريقة صوفية مثل الطرق الأخرى، لكنهم مزيج من أهل الدنيا و الدين و قد استغلوا نفوذهم الروحي من أجل تكثير الأتباع و اكتساب حظوظ الدنيا و التنافس على السلطة و هو ما ظهر جليا خلال فترة الاحتلال الفرنسي للصحراء. للمزيد أنظر:

- مياسي، الاحتلال الفرنسي، ص 210-214.

- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1860م-1900م، ج1، ص 179-180.



الفرنسيون حريصون على أن يمهد لهم سيدي حمزة الطريق نحو توات و يتعاون مع الطييبة في توات التي لها نفوذ بها⁽¹⁾.

إلا أنه تباعا لسياسة فرنسا الجديدة المتمثلة في تقليص صلاحيات قادة العرب، من خليفة إلى باشاغا و صدور مرسوم سنة 1863م حول أراضي العروش و تملكها للأفراد⁽²⁾ الذي عَيَّر الموازين، فكان السبب المباشر لإعلان عائلة أولاد سيدي الشيخ الثورة في: 16 فيفري 1864م⁽³⁾.

مع أواخر عام 1866م اعتصم بعض أولاد سيدي الشيخ في واد غير، بزعامة سي حمزة و البعض الآخر بزعامة سليمان بن قدور و البعض الآخر بزعامة الشيخ بن الطيب و كذا سي أحمد بن حمزة الذي انسحب إلى تافيلالت و غادر سي لعلا المنيعة إلى وادي مقيدم⁽⁴⁾. و بعد معركة الشلالة تشتت رجال الثورة فاعتصم الثوار بالجنوب بين الحدود الجزائرية و المغربية، لمعاودة القتال عن طريق الكر و الفر و من بين هؤلاء أولاد سيدي سليمان و هم قسم من أولاد سيدي الشيخ الغرابية، لهذا انضموا إلى ثورة أولاد سيدي الشيخ بقيادة أحمد بن حمزة و سي سليمان بن قدور سنة 1867م⁽⁵⁾.

(1). نفسه، ص 181-182.

(2). نفسه، 184.

(3). نفسه، 147-148.

(4). مياسي، الاحتلال الفرنسي، ص 241.

(5). نفسه، ص 349.



لكون الفرنسيين كانوا حذرين في سياستهم من هذه العائلة؛ لأنها كانت تجمع بين القيادة الروحية والدينية و لها معرفة بالطرق التجارية مع المغرب و إفريقيا من جهة و الطرق الصوفية مثل البكائية والقادرية في كنتة و تنبكتو⁽¹⁾، لذا حاولت إبعاد خطر هؤلاء فبعثت أحد عملائها الجزائريين الحاج البشير^(*) إلى تافيلالت، حيث انطلق من الزهرة رفقة تجار تافيلالت الذين أتوا إلى تلمسان و توجه إلى الرحمة التي كان يجيم فيها سي أحمد بن حمزة^(**)، فأخبره بأن يتصرف بحكمة و يذهب إلى وهران ليطلب العفو من الفرنسيين باسم كل المنشقين، فطلب سي أحمد نصح الرحالة باعتباره صديق العائلة، لأنه تعب من تلك الحياة منذ أن فسخ أخوه سليمان علاقته مع الفرنسيين، فطلب منه الرحالة الدخول في طاعة فرنسا .

هنا رد عليه أحمد بن حمزة أن عليه مشورة عمه سي لعلا في توات⁽²⁾، فأمره بقيادة قافلة إلى توات متكونة من أربعة عشرة جملا منها ما هو محمل بالأسلحة و منها ما حمل بالكتب و أخرى تحمل صناديق ممتلئة بالنقود و عند وصوله إلى قبيلة لخنافسة تم تسليم الصناديق لسيدي عبد الحاكم و أعطاه في المقابل وصلا⁽³⁾. و عند ذهاب الرحالة عند أقاربه في وادي الرطب ينتظر قدوم سي لعلا هوجمت القرية، بطلب

(1). سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص 185.

(*) الحاج البشير: من مواليد 1813-1814م، في واد الرطب (بلاد الشرفة)، على مسافة قليلة من تافيلالت و قد كان من الذين يجيئون الأسفار، غادر واد الرطب و عمره سبعة عشرة سنة، فذهب إلى فاس و منها إلى مكناس و استقر أخيرا ب: تلمسان و تزوج هناك واشتغل لمدة إحدى عشرة سنة كبائع جوال لكسب قوت يومه، لما بلغ عمره ثلاثة و ثلاثون سنة ذهب لأداء مناسك الحج و لكون الطريق الصحراوي كان غير آمن، سلك الرحالة طريق وهران ليسافر منها إلى مرسيليا و منها تم نقله في باخرة إلى الإسكندرية و منها إلى مكة، حيث يذكر لنا فليب أنه ألح عليه أن يصف له عادات و تقاليد و حفلات المنطقة التي زارها، مثل مكة لكن الرحالة اكتفى بقوله أن رحلته دامت سنة و أنه عاد إلى تلمسان، بعدها مكث مدة طويلة في قرية الزهرة عند بني سنوس و هم بربر سكنوا جنوب غرب تلمسان على حدود المغرب، من حين لآخر كان الرحالة يقوم برحلة إلى سبدو و في كل مرة يقص روايات في غاية الدقة فالكل يعترف له بقوة الذاكرة ، حيث قيل عنه أنه لا يتردد في ذكر المسافات التي يقطعها أو في وصف الأماكن، فكان يدهشهم في طريقة عرضه للأحداث و الوقائع دون خلط و بترتيب، هنا يقول عنه فليب (Philippe) ما يلي: « كنت أندعش من طريقة نطقه و تلفظه النادر عند الرجل المثقف و كنت اعتقد بأنني أقرأ صفحات مرتبة من يومية مدونات كل مساء»، مع العلم أن هذا الرحالة لم يكن يعرف لا القراءة و لا الكتابة والدليل في ذلك أن الحاج البشير أتى عند فليب الذي أملى عليه رحلته و قال له أنه أتى من واد الرطب و روى له هذه الرحلة التي أسماها " رحلة الحاج البشير إلى تافيلالت سنة 1867م". للمزيد أنظر:

- F.FPhilippe, « Voyage d'El Hadj El Bachir au Tafilala en 1867 », R.A, Vol 55, 1911, p 255-257.

(**) . هو ابن سي حمزة الذي ينتمي إلى أولاد سيدي الشيخ الشراقة.

(2). Ibid, 260-265.

(3). Ibid, p 263-264.



من سي أحمد بن حمزة الذي غير رأيه بعد كشف حقيقة الرحالة، فطلبوا تسليم الرحالة الذي نجا بأعجوبة رغم المخاطر التي تعرض لها طوال طريق الفرار إلى أن وصل قرية الزهرة⁽¹⁾.

إضافة إلى عائلات عديدة و تشكيلات اجتماعية سهلت على الفرنسيين مد نفوذهم جنوبا، حيث تشير المصادر الفرنسية أن عائلة عبد العزيز مصري التي خدمت الفرنسيين، في أمور إخضاع الطوارق و الاستيلاء على تيميمون و كثير من الخدمات قدمت من طرف أفراد هذه العائلة⁽²⁾.

هناك مثال آخر ما قام به السعيد بن ادريس و أخوه محمد في السبعينات؛ فالأول كان آغا ورقلة و الثاني آغا تشرت ، هذه العائلة ساهمت في إلقاء القبض على بوشوشة في عين صالح سنة 1873م ، كما أن قيادات أخرى في الجنوب مثل عائلة الصحراوي آغا و عائلة ابن ضيف في بوسعادة و عائلة ابن الشريف في الجلفة و عائلة ابن شنوف في الصحراء، الأوراس و الحضنة و كثير من العائلات المنتفذة التي قدمت يد المساعدة للمشروع التوسعي الفرنسي في الصحراء⁽³⁾.

حتى الطريقة السنوسية لم تسلم من التأثير الفرنسي، فقد كان فيها من الموالين لفرنسا أمثال عبد المجربي أحد مفاوضي غات، الذي أتي إلى الأغواط و أثناء عودته روى بأنه استقبل من طرف الفرنسيين بحفاوة⁽⁴⁾ و هذا بنية جلب الفرنسيين للاستحواذ على غات، ليحصلوا على الطريق إلى بلاد السودان.

إن السياسة التي طُبِّقت على الجزائر نفسها التي طبقت على إفريقيا الغربية، فعندما احتلت فرنسا البلاد كانت لا تملك الإطارات الضرورية لذلك، فاعتمدت على الزعماء المحليين لإدارة الشؤون العامة، لكن في سنة 1910م، أعلن الوالي العام فولهوفن أن هذه الزعامات كانت تشكل حاجزا بين فرنسا و رعاياها، لذلك لا بد من إلغائها، فأصبح الرئيس أو الزعيم الإفريقي يمثل القائد و الباشاغا في الجزائر⁽⁵⁾.

أما عن الطرق الصوفية، فقد انتشرت الطريقة التيجانية في القارة الإفريقية، بفضل التكالب الأوروبي على القارة و تشجيع رجال الصوفية بالمال، لبسط نفوذهم و تشويه صورة الدين الإسلامي، كما وجدها الفرنسيون وسيلة للتفريق بينها و بين الطرق الأخرى، حتى لا يتحد المسلمون أمام محاولات فرنسا لتغريب

(1). Ibid, p 270-273.

(2). سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص 144-146.

(3). نفسه، ص 144-146.

(4). Boudierba, Op.cit, p 283.

(5). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 371.



هذه المناطق و هو ما حدث فعلا بين التيجانية و القادرية في الجنوب الجزائري بعين ماضي، ثم أُلقت بظلالها في غرب إفريقيا⁽¹⁾.

ب. مشروع إبطال فريضة الجهاد و الهجرة:

إن مشروع إبطال فريضة الجهاد التي جسدها فتوى قورارة، في الفضاء الصحراوي الجزائري و غرب إفريقيا، ما هي إلا مقاربة تاريخية لتوضيح ذلك الانسجام في سياسة التوسع الفرنسي، فقد عمدت إلى تثبت وحدة العقيدة و التراب، بذلك تحويل الدين الإسلامي من وسيلة دفاع عن الوطن إلى وسيلة إقناع بقبول الوجود الفرنسي و النموذج الأول هو:

- رحلة ليون روش^(*) إلى الحجاز سنة 1841م:

بعد الانتصارات التي حققها بيجو (Bugeaud) في حملته ضد الأمير عبد القادر، في مدينتي تاقدامت و معسكر في النصف الأخير من شهر ماي 1841م، فكر في إصدار فتوى من كبار علماء المسلمين تبطل فريضة الجهاد، هذه الفكرة التي اهتدى إليها كانت من آراء ليون روش، الذي وقع الاختيار عليه لأداء هذه المهمة⁽²⁾، فعمل روش على الاتصال بالعناصر المناوئة للأمير عبد القادر و على رأسهم شيخ الزاوية التيجانية التي كان الأمير قد حاصرها نتيجة موالاتها للفرنسيين و ذلك سنة 1838م بعين ماضي و بعد إقناع هذا التيجاني، قام باستدعاء العديد من الشيوخ الذين سيرافقون روش نحو الحجاز، كما تمكن من إقناع مجلس علماء القيروان، علماء الأزهر، الطائف و مكة للمصادقة على هذه الوثيقة ليرسلها روش إلى الجنرال بيجو.

(1). حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 212-213.

(*) ليون روش: ولد بمدينة غرونوبل (Grenoble) بفرنسا في 27 سبتمبر 1809م من أبوين فرنسيين، توفي في نفس المدينة في 26 جوان 1901م، درس في ثانوية غرونوبل و تورون التي نال بها شهادة البكالوريا سنة 1828م، ثم دخل معهد الحقوق في غرونوبل، لكن حبه للمغامرة جعله ينقطع عن الدراسة و اشتغل بالتجارة و قد كان أبوه روش ألفونس ملحقا بخدمات العتاد العسكري في الجزائر، كما أن له مزرعة بسهل متيجة فاستدعى ابنه لمساعدته فلبى ليون الطلب، فدخل الجزائر سنة 1832م و تعلم اللغة العربية و هو ما أهله لأن يُعيّن في منصب مترجم رئيسي محلف في الجيش الإفريقي من طرف المارشال كلوزيل سنة 1835م، مارس عدة أدوار خطيرة كالتجسس على إمكانيات الأمير عبد القادر حينما إلتحق بصفوفه مدعيا اعتناق الإسلام، حيث قام برحلة نحو الحجاز لهدف المصادقة على فتوى إبطال فريضة الجهاد. للمزيد أنظر:

- يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في المغرب و الجزائر 1832-1847م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص



هذه الرسالة فحواها؛ دعوة الجزائريين إلى مهادنة الفرنسيين و عدم التعرض للكفار الذين غزوا بلادهم بالقوة و ذلك إذا لم يتعرض هؤلاء إلى نساءهم و أطفالهم و دينهم، كما أنها تضمنت منع الهجرة خارج ديارهم، أو حمل السلاح ما داموا عاجزين عن إخراجهم، هذه الوثيقة علقت على جدران المساجد وأُقيمت في الخطب و نشرت في جريدة المبشر⁽¹⁾.

- فتوى قورارة:

قام أحد الشيوخ في منطقة الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية، بطرح عدة تساؤلات فقهية و أرسلها إلى علماء الإسلام في مكة، ليعرف حكم الشرع المحمدي في أمر العاجزين عن مجاهدة الكافر و إمكانية البقاء تحت سلطته إن لم يتعرض للمسلمين في دينهم و معتقداتهم.

و نص الفتوى كما يلي: « ما قولكم في أهل بلدة مسلمين استولى عليهم الكافر و صار حاكما عليهم و لم يتعرض لهم في أمور دينهم ، بل حثهم على إجراء أحكامهم الدينية و وظف عليهم قاضيا من أهل دينهم يجري عليهم الأحكام الشرعية و جعل له معاشا وافرا يُؤخذ على رأس كل شهر، فهل مع هذا يجب عليهم الهجرة أم لا؟ و هل تجب عليهم مقاومته و محاربتة مع عدم قدرتهم على ذلك أم لا؟ و هل بلدهم التي استولى عليها يقال لها دار حرب أم دار سلام؟ بينوا لنا بيانا شافيا و قاطعا للنزاع أيد الله بكم الدين⁽²⁾».

• جواب مفتي الشافعية بمكة المكرمة عن السؤالين الثاني و الثالث:

في فتوى الشيخ محمد بن سليمان الكردي محشي شرح ابن حجر؛ أن إقامة المسلمين بدار الكفر على أربعة أقسام: إما لازمة إذا قدروا على الامتناع عن الكفر و الاعتزال عنهم لأن موضعهم دار الإسلام، فإذا هاجروا صار دار حرب و إذا كان إظهار الدين و أحكام المسلمين فيه هلاك البلاد و قتل المسلمين وجبت الهجرة إلا للعاجز.

• جواب السؤال الثالث:

إن بلاد الإسلام لا تصير بالاستيلاء عليها دار حرب و الله أعلم ، أمر برقمه مفتي المالكية بمكة محمد عابد ابن المرحوم الشيخ حسين.

(1). عميراي، المرجع السابق، ص 88-92.

(2). نفسه، ص 93 .



الملاحظ أن هذه الفتاوى جاءت استجابة للمصالح الاستعمارية في المنطقة، فهناك غموض يكتنفها لقلة الاستدلال بما جاء في القرآن الكريم و السنة النبوية و ما يؤكد لنا ذلك أن المقيم العام بالجزائر **جول كامبون** في نفس السنة، قام بإصدار فتوى خلال موسم الحج عندما كلف أحد الحجاج الجزائريين وزوده بالهدايا و الاتصال بشيوخ المذاهب السنية المقيمين في مكة المكرمة، للحصول على فتوى حول موضوع الهجرة مقلدا ما فعله الجنرال **بيجو** و الغرض من ذلك هو مد نفوذ الفرنسيين في واحات توات و مجابهة حركة الهجرة التي لاحت في الأفق⁽¹⁾.

مهما يكن من أمر فإن هذه الفتاوى، ساهمت إلى حد بعيد في إحداث تصدع كبير في صفوف الجزائريين و خاصة ضعاف النفوس، الأمر الذي أدى بهم إلى التقاعس عن الجهاد و بالتالي فسح المجال للتوسع الفرنسي في الجنوب الغني بطرقه الدينية و التبشيرية المعروفة.

ج. الإرساليات التبشيرية و دورها الاستعماري:

بعد أن حصنت فرنسا نفسها بتعيين قياد موالين لها في كل من الوادي، تشرت ، ورقلة ، متليلي و الاغواط و بعد إبرام معاهدة الحماية مع بني ميزاب و الطوارق، فتحت المجال للإرساليات التبشيرية⁽²⁾، حيث عمل الفرنسيون على إنشاء جمعية سيدة إفريقيا عام 1868م، تُعرف بجمعية الآباء البيض (Les Pères Blancs) و مركزها في الجزائر و منها أخذوا على عاتقهم نشر الإرساليات في جميع أنحاء القارة⁽³⁾، فقد دعمت برجال دين مقتنعين بشرعية المشروع الاستعماري.

تم تأسيس مركز للآباء البيض بورقلة عام 1873م، فجعلته قاعدة لانطلاق البعثات الكشفية الموجهة للصحراء و السودان الغربي، فجاءها **شارل فيرو** للتنقيب و البحث التاريخي و الأثري سنة 1871م و 1872م، و **هارولد طاري**، الذي قام بحفريات في مدينة سدراتة الأثرية سنة 1881م⁽⁴⁾.

من المبشرين الذين مارسوا عملا فعالا في الصحراء الجزائرية خدمة للتوسع الفرنسي، يمكن أن نعطي مثلا على رحلة **دي فوكو**^(*) إلى الجنوب الجزائري، حيث أقام هذا الأخير ديرا للعبادة بمساعدة المجندين الجزائريين في بني عباس سنة 1901م ، هذا الدير كان له تأثير كبير على المنطقة، فكان حلقة وصل بين السلطة العسكرية الفرنسية و الجزائرية، كما أن تعيين **هنري لابرين (Henri Laperrine)** قائدا

(1). نفسه، ص 95-94.

(2). أحمد ذكار، حاضرة وارجلان و علاقاتها التجارية بالسودان الغربي من سنة 1591م إلى 1883م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية و الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، 2009، ص 132.

(3). أوليفر رولاند، موجز تاريخ إفريقيا، تر، أحمد صادق ، الدار المصرية للتأليف و الترجمة، مصر، 1965، ص 151.

(4). أحمد ذكار ، المرجع السابق، ص 152.



على منطقة واحات الصحراء الجزائرية، كان عاملا مسهلا على توغل دي فوكو (De Foucault) جنوبا سنة 1904م⁽¹⁾، خاصة بعد هزيمة كيل أهفار و انفتاح بلدهم أمام الفرنسيين⁽²⁾، فقد قال دي فوكو: « يمتلك لابرين القدرة على تسهيل دخولي و استقراري، لقد سمح لي بمرافقته في الدورية [...] اعتقد أنه لا يمكن أن يمنح مثل هذه التسهيلات لكاهن آخر غيري⁽³⁾».

بعد المحاولة الأولى التي قام بها دي فوكو للاستقرار بالأهفار سنة 1904م، لم تأت بثمارها نتيجة تخوف السكان من شخصه لأنه قد يكون جاسوسا لفرنسا، عاود الكرة في السنة الموالية فغادر بني عباس واتجه نحو توات، ليلتقي بالنقيب دينو (Dinaux) الذي كان رئيس ملحق بعين صالح، حيث قدمه لموسى ممثل كيل أهفار على أنه ناسك مسيحي، خادم الرب، يجب الوحدة و الصحراء، فأخذه موسى إلى تمنراست و استقر بها الرحالة و كان هذا بعد خضوع كيل أهفار للسلطات الفرنسية.

عمل أولا على تعلُّم اللهجة المحلية للطوارق للاتصال مع هذا المجتمع و تمرير رسالته المسيحية وإيصالها بسهولة، ثم ترجم الإنجيل إلى التارقية ، بعدها راح يخرق حياة الطوارق نساءً، رجالاً و أطفالاً لتمير الأفكار و الإيديولوجيات ، كما عمل على تعليمهم ما كانوا يجهلون من الخياطة، النسيج، بناء المنازل و الفلاحة ، بذلك زواج بين الأمور الدينية و الدنيوية⁽⁴⁾. أما المرحلة الثانية فتم العمل على تنصيرهم و تطويعهم لتقبل الاحتلال الفرنسي بعد أن حظي باحترام الجميع، الأمر الذي سهل للفرنسيين التوسع في الصحراء دون مقاومة، فقد كان السكان يحترمون الفرنسيين بما فيهم العسكريين مراعاة له⁽⁵⁾.

(*) دي فوكو: من موالد مدينة سترابورغ بفرنسا بتاريخ 15 سبتمبر 1858م، نشأ يتيما فكفله جده لأمه الذي كان ضابطا فرنسيا، فتأثر به كما تأثر بأسلافه الذين كان بينهم رهبانا خدموا الكنيسة الكاثوليكية، بعد حصوله على شهادة البكالوريا انخرط في الحياة العسكرية، في سنة 1878م التحق بمدرسة سومير للخيلة و من خلالها أرسل سنة 1880م إلى الجزائر و بعدها قدم استقالته و تخلى عن مركزه العسكري ليتفرغ لخدمة المسيحية و الاحتلال الفرنسي عن طريق التنصير ، توفي سنة 1916م. للمزيد أنظر:

- حسن مرموري، المرجع السابق، ص 253-257.

- أمحمد عميراي و آخرون، المرجع السابق، ص 111-113.

(1). نفسه، ص 119.

(2). حسن مرموري، المرجع السابق، ص 277.

(3). نفسه ، ص 278.

(4). نفسه، ص 285، 300.

(5). عميراي وآخرون، المرجع السابق، ص 119-125.



كما استعانت فرنسا في إفريقيا الغربية بالبعثات التبشيرية⁽¹⁾ و أشهرهم الكاردينال الفرنسي لافيغري⁽²⁾، الذي قام سنة 1868م بإنشاء جمعية تبشيرية من أجل إفريقيا، عرفت بجمعية الآباء البيض، مهمتها تنصير أبناء الغرب الإفريقي⁽³⁾، في أوائل عام 1876م وجه ثلاثة أعضاء من الجمعية إلى مدينة تمبكتو وضواحيها بقصد التنصير⁽⁴⁾. أيضا النشاط الكشفي للآباء البيض الذين استقروا بمدينة غدامس، تلبية لنداء الكاردينال لافيغري (Lavigerie) من أجل تنصير المسلمين ما بين 1876 - 1881م⁽⁵⁾.

كما كان من مناصري إنشاء مشروع السكك الحديدية و قد تمكن من إقناع رجال الأعمال حول إنجاح هذا المشروع و الأرباح التي يحققونها من خلال تسويق منتجاتهم مع الشعوب الإفريقية⁽⁶⁾، إضافة إلى ليولد سانجو أوسنفور في السنغال⁽⁷⁾، وليام وادي هاري الذي ظهر في ساحل العاج أوائل القرن العشرين⁽⁸⁾.

كما لا يفوتنا الإشارة إلى الكنائس التي أسسها الاستعمار الفرنسي في غرب إفريقيا، فنجد أقدم الكنائس الكاثوليكية بنيت في مالي خلال العهد الاستعماري الفرنسي مثل: باماكو و سيغو مدعمة بعشرات المنظمات و المؤسسات التي ترعى التنصير في مالي، منها شببية العمال الكاثوليك التي تعمل في مالي منذ عام 1939م⁽⁹⁾.

(1). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 372.

(2). شوقي الجمل و عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، المرجع السابق، ص 50.

(3). عثمان برايما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، مصر، ط1، 2000، ص 68.

(4). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 110-111.

(5). مياي، الاهتمام الفرنسي، ص 91.

(6). أحميدة عميراي و آخرون، المرجع السابق، ص 81.

(7). عبد العزيز الكحلوت، التنصير والاستعمار في إفريقيا السوداء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط2، 1992، ص 113-114.

(8). عبد الجليل شلي، معركة التبشير و الإسلام، حركات التبشير في آسيا و إفريقيا و أوروبا، مدرسة الخليج العربي، د.م.ن، ط1، 1989، ص 194.

(9). محمد فاضل علي باري و سعيد إبراهيم كريدية، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971، ص 178.



2. دوافع اهتمام فرنسا ببلاد الطوارق و توات:

أ. الطوارق(*):

ينقسم الطوارق إلى ثلاثة فروع أساسية: طوارق التاسيلي الأزجر، الأهقار و أدرار ايفوغاس و هي موزعة من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي، غير أن معظم الطوارق الذين يقدر عددهم بنحو مائة وأربعين ألف نسمة موزعين في مناطق أخرى لاسيما في آير و شمال السودان و شرقه و يعتبر الأهقار مركزهم⁽¹⁾.

تشير المصادر العربية أن الأهقار و الأزجر يقطنها الطوارق منذ القديم ، فالمعروف أن هذه المناطق مازالت تضم أكبر نسبة من الطوارق⁽²⁾ و القبائل التي نزحت إلى الآير مصدرها الشمال الشرقي أي من فزان؛ يضم الآير اليوم عدة قبائل تعيش فيه مثل كيل آوي (Kel Away)، كيل فروان (Kel Ferwen) ، كيل فاد (Kel Fade) ، الايكاسكازن (Ikaskazen) ، كيل تادال (Kel Tadale) ، و الإينوسوفة (Inussufa)⁽³⁾.

يتوزع الطوارق في النيجر على مناطق عديدة، منهم من يسكن الساحل الجنوبي للاقليم الممتد بين نهر النيجر و بحيرة التشاد خاصة بين الأزواغ و الكيتيس (Kutus) مرورا بالآدار، الغوبير (Gobir) و الدمرغو، كما يقيم طوارق الإوليمدن المنطقة الحدودية بين مالي و النيجر حاليا⁽⁴⁾.

(*) الأراضي التي ينتجعون فيها قديما شاسعة ، تمتد تقريبا حتى حدود ورفلة و القطرون شرقا و وراء خط سير من أولف إلى تنبكتو غربا و جنوبا حتى منعطف نهر النيجر و حدود نيجيريا الشمالية. أنظر:

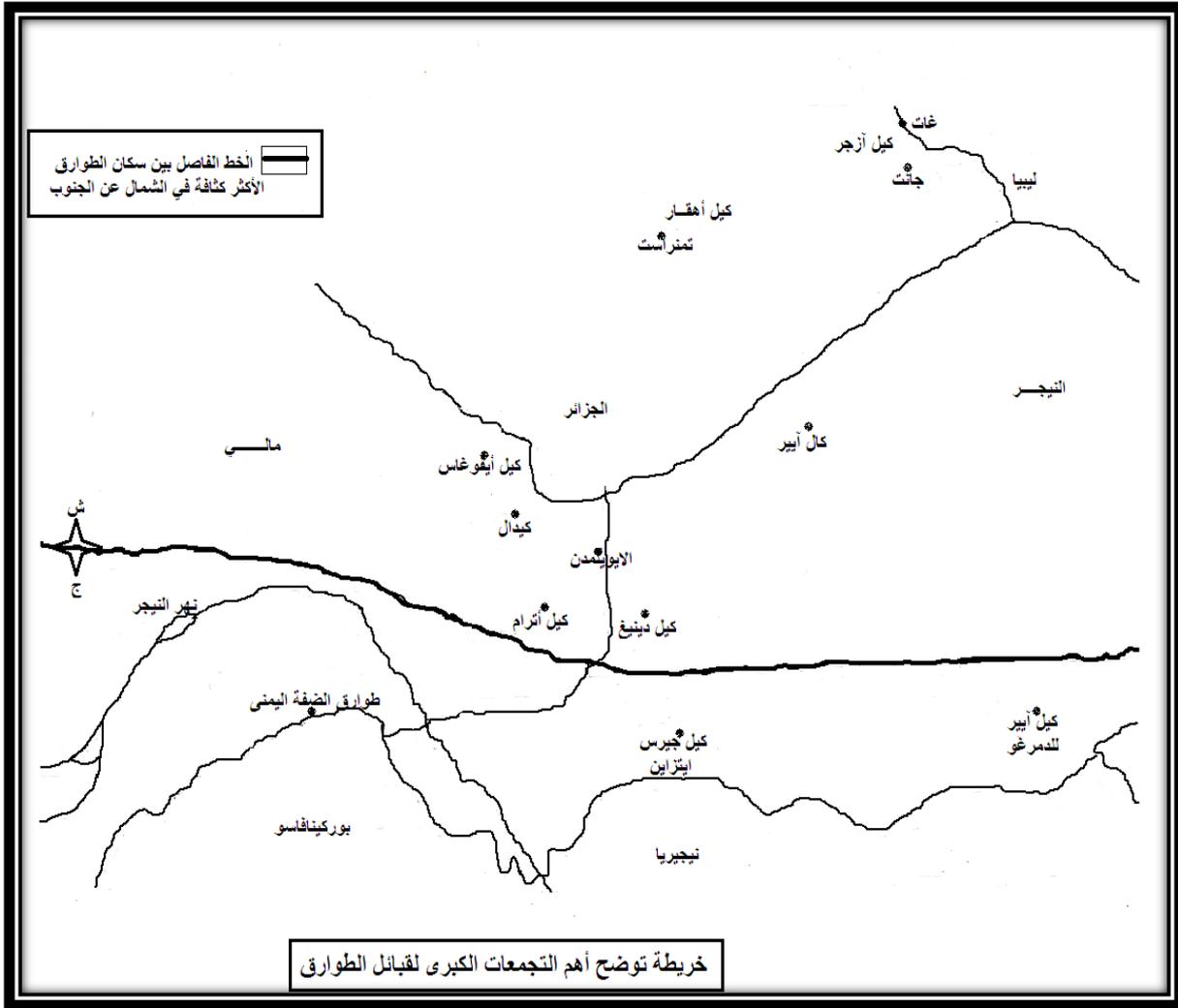
- إسماعيل العربي، « الحياة الاقتصادية و الاجتماعية عند طوارق الأهقار»، مقال نشر في مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، مارس 1971، ص 37-38.

(1). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 175-176.

(2). إبراهيم بتقة، مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر (1890-1920م)، رسالة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، الجزائر، 2009-2010، ص 27.

(3). نفسه، ص 31.

(4). نفسه، ص 42، 39.



(1)

هذه المناطق التي ينتشر فيها الطوارق كانت محل اهتمام الفرنسيين، فكان هناك تنوع في الرحالة الذين ارتادوا هذه البلاد، فمنهم الضباط، المترجمين، التجار، العملاء و المبشرين، من الرحالة الذين توجهوا نحو هذه المناطق نجد الرحالة دوفيرييه؛ لاكتشاف توات و الطوارق سنة 1859م و بين سنتي 1862 – 1867م⁽²⁾.

¹ . نفسه، ص 26. نقلا عن:

- Djibo Mallam Hamani : **Au carrefour du soudan et la berbérie le Sultanat Touareg de l'Ayar**, Vol 2, Thèse de doctorat d'état en lettres et science humaine, Université de Paris I, 1985, p 129.

² . مياسي، الاهتمام الفرنسي، ص 91.



اشتد هذا الاهتمام ابتداء من عقد الثمانينات، حيث شهدت الفترة ما بين 1885م و1914م، حركة واسعة في المجال الكشفي و العسكري للجنوب الجزائري، إفريقيا الغربية و وسطها على حد سواء و ذلك من أجل ربط مستعمراتها بعضها البعض.

مع العلم أن مقتل فلاترز و طاقمه سنة 1881م، تسبب في تعطيل الكشوفات و عرقلتها لمدة سنوات، لكن ما لبثت أن انطلقت و بقوة، فأكثرنا من إرسال الحملات العسكرية بعنوان الاستكشاف والاستعلام، فانكبوا على دراسة المنطقة من كل النواحي السياسية، العسكرية، الاقتصادية، الطبيعية والبشرية و توارد على المنطقة العديد من المغامرين و المرتزقة و حاول كل واحد منهم أن يدرس جانبا معيناً.

كما أسست الوزارة الحربية للمستعمرات سنة 1883م، لجنة خاصة من أجل البعثات الاستعمارية، و دعمت الجمعيات الجغرافية و مولت من طرف الغرف التجارية و الشخصيات السياسية و دور الصحافة لتطبيق سياسة الاحتلال و اكتساب ممتلكات جديدة، فكانت لجنة إفريقيا الفرنسية التي أنشأت سنة 1890م، من أكثر المجموعات التي اهتمت بشؤون هذه المناطق⁽¹⁾.

في ظل المستجدات التي طرأت حول مجال التوسع و المنافسة بين الدول الأوروبية، بعد مؤتمر برلين سارعت فرنسا لتكثيف المجال الكشفي من الاتجاهين عبر الجزائر و إفريقيا الغربية، للوصول إلى أفضل النتائج و تحقيق مشروعها التوسعي و التجاري، فكانت هناك رحلات عديدة خلال الفترة الممتدة ما بين 1885م و 1914م، نذكر البعض منها:

رحلة الملازم بالات (Marcel Palat)؛ لاكتشاف قصور تيديكلت سنة 1886م ، كما قام الضابط ميربي (Méry) برحلة إلى بلاد الطوارق أزجر؛ من أجل مناقشة مسألة حرية المرور للقوافل الفرنسية إلى بلاد السودان الأوسط⁽²⁾.

بعثة مونتاي (Monteil) ما بين 1890-1892م؛ هي أولى البعثات الاستكشافية في النيجر فكانت لغرض الكشف الجغرافي لمنعطف نهر النيجر، مع فتح طريق للربط بين الأملاك الفرنسية بالسودان مع الساحل الأطلسي و كذا الاستطلاع على الخط الذي يربط بين ساي و باروا و اكتشاف كانم و كوكيا و وداي لمد نفوذ فرنسا إلى هذه المناطق⁽³⁾.

(1). إبراهيم بتقة، المرجع السابق، ص 117-118.

(2). يحي بوعزيز، « اهتمامات الفرنسيين بالطوارق و منطقة الأهفار من خلال ما كتبوه »، مقال نشر بمجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، مارس 1971، ص 57.

(3). نفسه، ص 119.



بعثتي توتيه (Toutée) و هورست (Hourst) إلى مجرى نهر النيجر، اللذين تمكنا من دراسة المجرى و إمكانيات الملاحة فيه لأغراض تجارية.

كما أن بعثة بول فولي (Paul Voulet) و جوليان شانوان (Julien Chanoine)، جاءت بعد الاتفاقية الفرنسية الانجليزية يوم: 14 جوان 1898م و بموجبها حددت مناطق نفوذ الدولتين في السودان الفرنسي، حيث كُلف هذان الضابطان للذهاب و التعرف على خط التحديد الواقع بين نهر النيجر و بحيرة التشاد (ساي و باروا)، كما أن هدف الرحلة أيضا هو البحث عن كيفية التوغل في مناطق شرق التشاد⁽¹⁾.

بعثة فورو (Foureau) و لامي (Lamy)⁽²⁾؛ لاكتشاف بحيرة التشاد و إثبات قوة فرنسا على الطوارق، لأن هذه الرحلة جاءت بعد مقتل فلاترز، حيث انطلقت البعثة من ورقلة يوم 23 أكتوبر 1898م و قطعوا مسافة ألفي كيلومتر عبر الصحراء، حتى وصلوا إلى التشاد بعد عام كامل و تعتبر هذه الرحلة أول عبور من الصحراء الجزائرية إلى التشاد⁽³⁾.

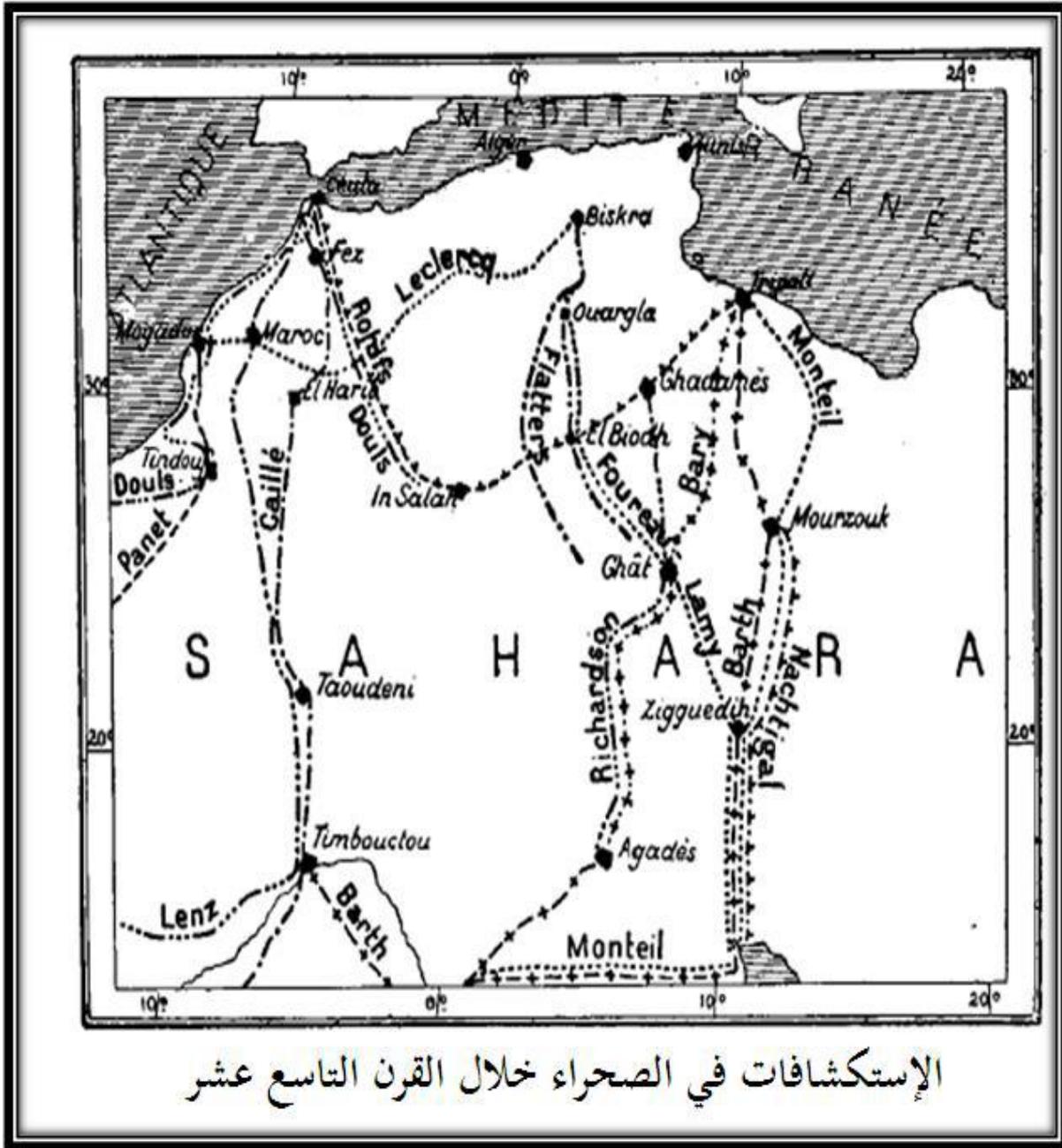
ختم القرن التاسع عشر ببعثة فلامون (flamand)؛ الذي قدم معلومات في غاية الأهمية حول الجيولوجية، الري الصحراوي، الجغرافيا الفزيائية و الفلكية و كذا الإمكانيات الاقتصادية للمنطقة و علاقة فرنسا بالصحراء و الشعوب السودانية⁽⁴⁾.

(1). إبراهيم بتقة، المرجع السابق، ص 131.

(2). حول هذه البعثة راجع: فلة موساوي القشاعي، « بعثة (Foureau) و (Lamy) و دورها الحقيقي في الصحراء»، مداخلة أقيمت في ملتقى البعثات المسيحية في الصحراء، عين صالح، 2011.

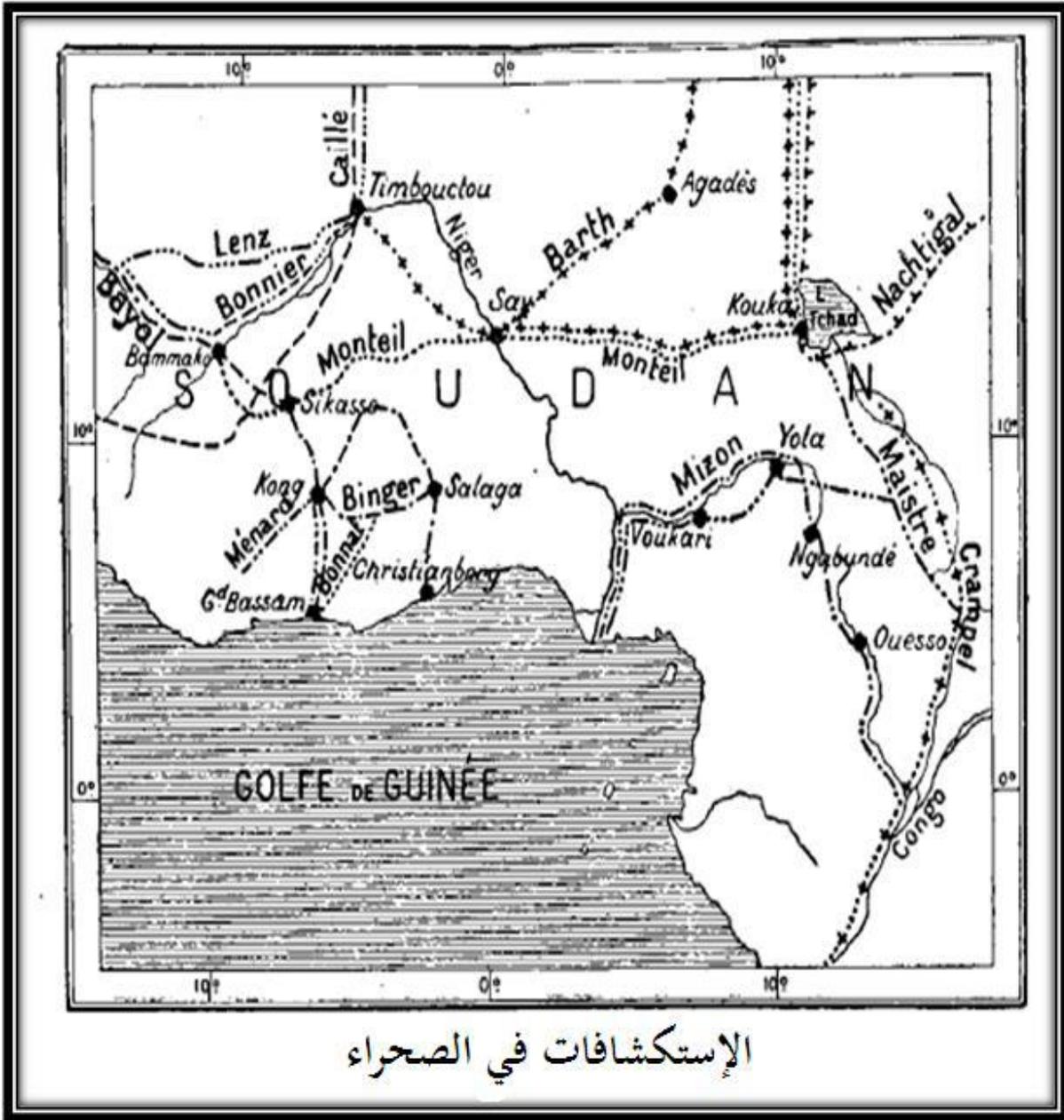
(3). مياسي، الاهتمام الفرنسي، ص 92.

(4). نفسه، ص 92-93.



(1)

(1). Charles Simond , **les français en Afrique au XIX^e siècle**, Librairie d'Education de la jeunesse, Paris, S.A, p 86.



(1)

لم يتوانَ الفرنسيون في استعمال كل الأساليب لعبور الصحراء، حيث كانت هناك بعثات تدعو الطوارق للخضوع، مثل التي قام بها برنار داتانو (**Bernard d'Attanoux**)؛ الذي أقنع بعض الطوارق بالخضوع للسلطات الفرنسية و في مطلع القرن العشرين استدرجوا أمينوكال الأهقار موسى آق أماستان للحضور إلى عين صالح في 20 جانفي 1904 م ، هذه الواقعة بمثابة بداية الخضوع للفرنسيين⁽²⁾.

(1). Ibid, p 104.

(2). يحي بوعزيز، اهتمامات الفرنسيين، ص 57.



من خلال الرحلات التي قام بها الفرنسيون، قُدمت دراسات عديدة بشأن الطوارق و توات، منها ما قام به **بروسلار** برحلتها فلاترز؛ حيث تحدث عن التوغل إلى بلاد السودان و شرح مشروع الخط الحديدي الذي سيربط الجزائر بالسودان و السنغال⁽¹⁾ و **ركز دريكافيس** على النتائج العلمية التي توصلت إليها بعثتا فلاترز، من خلال ما قدمه **فورنيي (Faurier)** و أظهر **برينجر (Beringer)** مجموعة رسائل واحدة من انيفل و الثانية من الايجيري و الثالثة خاصة بفلاترز، تحدثت عن المشاهدات الجديدة لهذه المناطق.

كما اعتنى **بيتريكس**؛ بتسجيل خصائص شعب الطوارق و الوسائل المستغلة لإخضاعه عن طريق فرقة أوليميدن و فرقة أدرار ايفوغاس⁽²⁾، كما تحدث **بول كاسون**؛ عن طبيعة الطوارق و الأقاليم الصحراوية و تجمعات السكان⁽³⁾.

اعتمد **بيسي (Besset)**؛ على مذكرات **فورو و لامي** و معلومات بعثتي فلاترز، فقدم دراسة جغرافية حول تيديكلت و سكانها، سلالاتهم، عاداتهم و تقاليدهم، كما درس بلاد الطوارق و المويدر، أدرار و تانزروفت.

يأتي في الأخير تقارير الحاكم العام **شارل جونار** و الحكومة العامة؛ حول الجنوب الجزائري وأقاصي الصحراء من النواحي السياسية، الاقتصادية، المالية، العدلية، الأشغال العامة، حركة الاستعمار و تقسيم المسؤوليات، ثم تقارير الحاكم العام **ستيف** باسم الحكومة العامة؛ التي تضمنت ثلاثة أجزاء قُدمت فيها دراسات حول واقع هذه المنطقة في شتى المجالات⁽⁴⁾.

من خلال هذه النماذج التي تطرقنا إليها نستنتج أن فرنسا تعرفت على مجاهل الصحراء خاصة وإفريقيا عامة، فكشفت عن التنظيم السياسي و التقليدي، العلاقات الداخلية و الخارجية لهذه المناطق⁽⁵⁾، النتيجة التي توصلت إليها فرنسا هي أن الطوارق هم المتحكمون في منافذ التجارة الصحراوية، فاستغلت الصراعات بين **كيل آزر** و **كيل أهقار** لتحويل التجارة لصالحها، ذلك بإعادة تنظيم التجارة عبر الصحراء لحسابها.

(1). Henri Brosselard-Faidherbe , **les deux missions Flatters au pays des Touareg Azdjer et Hoggar** , S.M.E, paris, V.2, 1889, p 304.

(2). Béatrix , **La Pénétration Saharienne Touareg**, Lavauzelle, Paris , 1911, p 5-63.

(3). Paul Carcassonne , « **Maures et Touareg** », Revue Franco-musulmane et Saharienne, 1902, p 34-35.

(4). بوعزيز، اهتمامات الفرنسيين، ص 66-67.

(5). حسن مرموري، المرجع السابق، ص 249-250.



ب. توات:

إن الاهتمام الفرنسي الذي شمل بلاد الطوارق قد شمل توات، حيث تم إرسال البعثات الكشفية إلى هناك من أجل دراسة مواردها الطبيعية و الاقتصادية و خصوصيات المنطقة تمهيدا لاحتلالها عسكريا و من ثمة استثمار موقعها الاستراتيجي لربط ضفتي الصحراء و احتكار تجارتها.

من الرحلات الكشفية إلى هذه المنطقة توجد رحلة بورين كولونيو (**Burin Colonieu**) عام 1857م، حيث تمت هذه الرحلة بمساعدة حمزة من أولاد سيدي الشيخ الشراقة، فتم رسم خرائط لعدة أماكن مختلفة.

كما قام حاكم البيض دو كولومب (**Decolombe**) برحلة إلى الجنوب الغربي سنة 1857م، حيث زار خلالها أقاليم تنجورارين و توات و تيديكلت، في نفس الوقت قام القائد كولونيو (**Colonieu**) و بوران (**Boran**) بالانضمام إلى قافلة سعيدة و البيض، لهدف اكتشاف تينجورارين و توات⁽¹⁾.

كما ذهب جيرار رولف (**Gérard Rohlfs**) سنة 1864م إلى وادي الساورة و توات، تيط و عين صالح و هو من حث فرنسا بمد نفوذها إلى هذه المنطقة بقوله: « قبل كل شيء يجب على الفرنسيين أن ينقلوا حدودهم حتى وادي الساورة، إذ من هناك تنطلق فعلا الثورات و الصعوبات و الفوضى التي يواجهها الفرنسيون و إذا لم يوصلوا نفوذهم و يحتلوا هذه الحدود الطبيعية التي يكوها وادي الساورة، فلن يكون هناك أي هدوء شامل و لا أي خضوع حقيقي بجنوب مقاطعة وهران⁽²⁾».

كما ذهب بول صوليه (**Paul Soleillet**) إلى منطقة تيديكلت عن طريق المنيع و قد نزل بشمال عين صالح و جاء بعده الملازم بالا (**Palat**) سنة 1885م إلى عين صالح و هدفه التوجه إلى السودان.

كما حاول فورو مواصلة معرفة منطقة تيديكلت و عين صالح التي نزل بها سنة 1890م، حيث نزل بحاسي أوليجن ثم توجه إلى الجبل الأبيض مع بداية سنة 1892م، ثم تقدم إلى سيغم فقام بوضع

(1). حوتية، توات و الأزواد، ج2، ص 433.

(2). أحمد العماري، توات في مشروع التوسع الفرنسي في المغرب من حوالي 1850 إلى 1902م (مساهمة في محاولة الكشف عن جذور المشروع و أبعاده و علاقته بمشروع السودان الغربي)، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس، ط1، 1988، ص 66. نقل عن:



خرائط على الطريق الرابط ما بين المنيعه و منطقة تيديكلت و ذلك حتى تتمكن السلطات الفرنسية من معرفة آبارها و مسالكه و هدف هذه الرحلة وضع اللمسات الأخيرة لعين صالح التي تم احتلالها مع بداية القرن العشرين⁽¹⁾.

من خلال هذه الرحلات نستنتج أنه منذ العقد السادس من القرن التاسع عشر، زاد اهتمام فرنسا بتوات لأهميتها التجارية في الربط بين الشمال و الجنوب و عبرها، التي عبّرت عنها الإحصائيات التي كانوا يقومون بها لتنشيط القوافل التجارية بين الشمال و الجنوب⁽²⁾.

كما عبّر الوزير الفرنسي ريبو (Ribot) لأعضاء اللجنة التي تكلفت بمد خط السكة الحديدية جنوب عين الصفراء سنة 1891م، عن الأهمية الإستراتيجية و الأمنية لتوات بالنسبة لفرنسا، لذلك يجب الإسراع في إنجاز هذا الخط.

ثم إن تحقيق الأمن بمنطقة الجنوب، موجهة بالأساس لخدمة الهدف الذي كان يحرك الإمبرياليين الفرنسيين، و هو تحقيق الربح عن طريق النشاط التجاري مع واحات الصحراء، خاصة واحات توات التي كانت لها شهرة في التجارة مع بلاد السودان، لذلك اهتم الفرنسيون منذ وصولهم للجزائر بتنشيط التجارة معها ، في البداية كانت ضعيفة نتيجة مقاطعة الأهالي لهم ، غير أن الفرنسيين استعملوا كل الوسائل لتنشيط هذه التجارة و من أهم الوسائل هي تأمين طرق القوافل بين الشمال و الجنوب و تسهيل المواصلات و تخفيض الأثمان و توفير المواد الضرورية لها خاصة الحبوب.

في سنة 1880م أسست فرنسا لجنة مختصة في تنظيم و تطوير تجارة القوافل ما بين أسواق الشمال و أسواق توات، فعملت على تقوية و تضخيم القوافل الجزائرية و تزويدها بكل السلع المطلوبة و توجيهها نحو توات، حتى تزداد الروابط التجارية بين توات و القوافل الجزائرية. و بهذا حققت ما كانت تصبو إليه حيث نمت المبادلات بين القبائل الجزائرية و أسواق توات نموا سريعا⁽³⁾.

كما أن تحول مسار المراكز التجارية بالسنغال، من تجارة الرقيق إلى التجارة المشروعة، أخذت الشركات الفرنسية التي كانت تعمل بالمراكز التجارية بغرب إفريقيا مثل شركة نور ماندي و شركة السنغال، بتحويل نشاطها في السلع المختلفة للتصدير و الاستيراد ، إلى تنشيط الخط الرابط بين النيجر و توات

(1). حوتية ، توات و الأزواد، ج2، ص 434-437.

(2). أحمد العماري، المرجع السابق، ص 66.

(3). نفسه، 68-69.



وربط تنبكتو بتوات⁽¹⁾ و بهذا تكون فرنسا قد حققت ما عجز عنه لويس الرابع عشر منذ ثلاثة قرون خلت.

3. احتلال الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية:

إن الصراع بين الدول الأوروبية عامة و بريطانيا و فرنسا خاصة، حول مناطق نفوذها في إفريقيا، أدى إلى عقد مؤتمر برلين 1884-1885م ، الذي أقر لفرنسا شمال إفريقيا الوسطى و بريطانيا جنوبها⁽²⁾. لتثبيت وجود فرنسا بالمنطقة، تم اتخاذ مستعمرة السنغال قاعدة للانطلاق نحو المناطق الداخلية، حيث بدأت مرحلة الغزو العسكري لغرب إفريقيا⁽³⁾ في عام 1886م، احتلت فرنسا كوناكري و أصبح لوجودها عام 1893م تأثير على ساحل إفريقيا الغربي، ففي هذا العام تأسست رسمياً مستعمرات ساحل العاج و غينيا الفرنسية الاستوائية⁽⁴⁾، حيث دخلت القوات الفرنسية الداھومي⁽⁵⁾ و ضمتها سنة 1900م، استولوا على سيفو سنة 1892م و جني و تنبكتو سنة 1894م، حتى تقدموا إلى مدينة ساي. بعد ساي (Say) أوقف الفرنسيون من طرف البريطانيين في بلاد الهوسا، و ما إن سيطر الفرنسيون على أعالي النيجر و وسطه؛ حتى قاموا بإحداث الربط بين نهر النيجر و ممتلكاتهم بالساحل ، كما تم وضع اتفاق بين فرنسا و بريطانيا سنة 1898م؛ حدد فيه حدود ضفاف نهر النيجر من ساي حتى باروا (Barroua) بالتشاد ، كحد فاصل بين الفرنسيين في الشمال و الإنجليز في جهة الجنوب⁽⁶⁾. فقد شهدت الفترة مما بين 1898 و 1899م، خضوع سكان نهر النيجر للفرنسيين و العديد من قبائل الطوارق المجاورة، منها احتلال الأزواغ و إخضاع طوارق الإوليميدن سنة 1903م، طوارق كيل جيرس و احتلال زندر و الدمرغو سنة 1903م و الآير سنة 1904م، كما احتلت أفندز في 19 سبتمبر 1904م⁽⁷⁾.

و هكذا أنشأت فرنسا منذ عام 1899م منطقة استعمارية واسعة في غرب إفريقيا تعرف باسم إفريقيا الغربية الفرنسية، أعادت تنظيمها سنة 1904م، فأصبحت تتألف من السنغال، موريتانيا، مالي،

(1). نفسه، ص 70-71.

(2). ابراهيم بتقة، المرجع السابق، ص 116 .

(3). الهام محمد علي ذهبي، المرجع السابق، ص 69-78.

(4). شوقي الجمل و عبد الله عبد الرزاق إبراهيم، دراسات في تاريخ إفريقيا، مكتبة الإسكندرية، مصر، د.ت، ص 67.

(5). محمد فاضل علي باري، سعيد إبراهيم كريدية ، المرجع السابق، ص 160.

(6). ابراهيم بتقة، المرجع السابق، ص 117.

(7). نفسه، ص 168.



فولتا العليا، النيجر، غينيا، ساحل العاج و الداوموي، كما أنشأت اتحاد حكومة عامة في سانت لويس بالسنغال و جعلت من مدينة دكار و مينائها عاصمة اقتصادية⁽¹⁾.

أما عن الصحراء الجزائرية، فقد بدأت قوات الاحتلال الفرنسي تكتسحها ابتداء من سنة 1837م، حيث تقدم **الدوق دومال** بقوات هائلة ليقتحم الزيبان و بعد صراع مع مجاهدي المنطقة، تمكنوا من بسط السيطرة عليها سنة 1844م، ثم توجهت فرنسا إلى بوابة أخرى للصحراء فرحفت نحو الأغواط التي وقعت في قبضة المستعمرة سنة 1852م، لتتوجه فرنسا نحو جنوب بسكرة و الأغواط فتم احتلال المناطق الإستراتيجية من وادي ريغ و وادي سوف و ورقلة حتى غرداية، هذه الواحات الأهلة بالسكان في الجنوب الشرقي و الوسطي من الجزائر هي المدخل الأولى للصحراء الكبرى.

توجهت بعد ذلك إلى الجنوب الغربي، فبدأت قوات الاحتلال تكتسح هذه المناطق في الربع الثالث من القرن التاسع عشر، فاصطدمت بقوات أولاد سيدي الشيخ و الشيخ بوعمامة، الذين وجدوا في التراب المغربي القواعد الخلفية لمعاركهم، مما نتج عنها تسوية الحدود بين المغرب و الجزائر، حيث تم رسم الحدود وفقا لاتفاقيات بين الجزائر و المغرب و بين الجزائر و مالي. فقسمت الحدود إلى ثلاثة أقسام، يمتد خط الحدود من البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى خط دائرة عرض 32° و هي شمالي العبادلة بداية الصحراء ووزعت القبائل كما يلي:

من القبائل التابعة للمغرب: الحيا، بنو كيل، المنبا، حميان، الجنبه، عمور الصحراء و أولاد سيدي الشيخ الغرابية، قصر فكيك، أما قبائل حميان ما عدا حميان الجنبه، عين الصفراء، عسله، تيوت، الشلالة، البيض، بوسمعون و مشرية و أولاد سيدي الشيخ الشراقة تابعة للجزائر⁽²⁾.

في الثمانينات و التسعينات من القرن التاسع عشر، قامت فرنسا بإجراءات توسعية سريعة في الجنوب الجزائري، لمناطق عين صالح، تيديكلت، تينجورارين و توات، فشرعت في تشييد حصون بالمنية كمراكز ارتكاز و منطلقات أمامية لحركة الزحف الاستعماري في الصحراء و أخيرا تم احتلال الأهقار والتاسيلي، ثم توجهت هذه العمليات التوسعية بالسير نحو تندوف التي احتلتها سنة 1934م⁽³⁾.

(1). يحي بوعزيز، الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا و آسيا و جزر المحيطات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د.ت، ص 42.

(2). حوتية، توات و الأزواد، ج 2، ص 446-447.

(3). مياسي، الاحتلال الفرنسي، ص 574-576.



أما عن الجنوب الليبي؛ بعد مساومات فرنسية مع الدول الأوروبية و خاصة بريطانيا، استطاعت فرنسا أن تسيطر على معظم أجزاء الصحراء الكبرى في نهاية القرن التاسع عشر، الأمر الذي جعلها فيما بعد تتطلع لاحتلال الجنوب الليبي من أجل أن تربطه بمستعمراتها في شمال إفريقيا.

الأمر الذي جعلها تصطدم بالدولة العثمانية صاحبة السيادة الشرعية على الجنوب الليبي و بعدها إيطاليا، لكن ظروفًا أتاحت لها الفرصة لتحقيق مشاريعها الاستعمارية، منها الحرب الإيطالية العثمانية والحرب العالمية الأولى، أين وضعت قاعدة عسكرية لها في التشاد لتكون نقطة انطلاق نحو الجنوب الليبي، باندلاع الحرب العالمية الثانية سُنحت لها الفرصة؛ لما تحالفت إيطاليا إلى جانب ألمانيا ضد الحلفاء، فانطلقت القوات الفرنسية من التشاد و احتلت الجنوب الليبي ما بين 1941م و 1943م بالتعاون مع القوات البريطانية، لتجعل فرنسا من الجنوب الليبي جسرا يصل مستعمراتها في الشمال الإفريقي و باقي مستعمراتها في إفريقيا للاستغلال الاقتصادي و السياسي⁽¹⁾.

في الأخير نستنتج إن مؤتمر برلين (Congre de Berlin) جاء تتويجا لجهود ومحاولات الدول الأوروبية لتنظيم عملية التكالب و السيطرة على القارة الإفريقية و يعتبر هذا المؤتمر خاتمة المطاف لذلك الصراع الأوروبي⁽²⁾، حول مناطق النفوذ الاقتصادي، حيث تحققت مساعي فرنسا في احتلال كل من الصحراء الجزائرية إفريقيا الغربية، بمساعدة أهل البلاد لهم من العملاء و الخونة، الذين باعوا وطنهم إما عن جهل أو قصد ، كما أن للوسائل الحديثة و الأساليب العلمية دور في ذلك و من ثمة الربط بين الضفتين تجاريا.

من خلال ما تم عرضه حول مظاهر الاهتمام الفرنسي بالإقليمين، نتساءل حول طبيعة المشاريع التي أنجزتها فرنسا و فعاليات الحركة التجارية بين الضفتين، فهل حققت فرنسا ما كانت تصبوا إليه، أم أن عقبات حالت دون تحقيق أهدافها؟ .

(1). رجائي ريادة، « الاحتلال الفرنسي للجنوب الليبي»، مقال نشر في مجلة المؤرخ العربي، جامعة اليرموك، الأردن، د.ت، ص 41-

.42

(2). فيج. جي دي ، المرجع السابق، ص 95.

الفصل الثالث:

المشاريع الفرنسية

و أنشطتها التجارية (1850-1945م)

المبحث الأول: المشاريع المسطرة للنقل و اختراق الصحراء.

المبحث الثاني: السياسة الفرنسية في التجارة بالإقليمين.

المبحث الثالث: الحركة التجارية في الصحراء الجزائرية.

المبحث الرابع: الحركة التجارية في إفريقيا الغربية الفرنسية.



يقول الدكتور ل. دايك: « إن التاريخ الحديث لغرب إفريقيا هو إلى حد بعيد تاريخ خمسة قرون من التجارة مع الأمم الأوروبية⁽¹⁾»، فهي المحرك الأساسي إن لم نقل المحرك الوحيد، في تاريخ إفريقيا خلال القرن التاسع عشر⁽²⁾.

الأمر الذي لا نقاش فيه بالنسبة للجزائر، ففي النصف الثاني من القرن التاسع عشر، بدأت أقدم فرنسا تطأ الصحراء الجزائرية خطوة خطوة، فلم تكتف بتنصيب القياد على المدن التي احتلتها و مطاردة الثائرين و إرسال بعثات كشفية، بل عملت على ربطهما بعدة اتفاقيات و مشاريع لربط أقاليم مستعمراتها في غرب إفريقيا بالجزائر، لهدف تسهيل الحركة التجارية بينهما، و الإشكالية المطروحة هنا: طبيعة المشاريع الفرنسية و أنشطتها التجارية بالإقليمين.

المبحث الأول: المشاريع المسطرة للنقل و اختراق الصحراء.

تعتبر طرق المواصلات الشرط الأول و الأساسي لتطوير التجارة و تغلغلها في أي بلد، الأمر الذي كانت فرنسا تدركه جيدا، فسارعت إلى دراسة و إنجاز مجموعة من المشاريع التي تخص النقل البري و البحري، فما هي مشاريعها و هل استطاعت فرنسا تنفيذها لربط أقاليمها التجارية؟.

1. طرق النقل البري:

أ. مد خطوط السكك الحديدية.

ظهرت فكرة ربط الجزائر و إفريقيا الغربية بخطوط السكك الحديدية، على غرار الخطوط العابرة للقارات الأخرى مثل الخط العابر لكندا سنة 1878-1886م، على مسافة أربعة آلاف و سبعمائة كلم، و الخط العابر لسيبيريا ما بين 1891-1898م على مسافة سبعة آلاف و خمسمائة كلم،... الخ.

غير أن أبوية هذا المشروع؛ تعود للمهندس دي بونشال (M.Duponchal) الذي قدم الدراسات الأولى في عام 1858م، حيث رأى أن هذا المشروع سوف يسمح لفرنسا بالتوغل داخل الأوطان السودانية و يربطها بالجزائر، بهذا ينافس خط إنجلترا من الكاب إلى القاهرة⁽³⁾ و يمنح لفرنسا سوقا جديدا بمائة مليون مستهلك، هذه الدراسة نشرت في كتاب سنة 1878م⁽⁴⁾.

(1). ج.ف.أ. أجاوي، المرجع السابق، ص 23.

(2). نفسه، ص 23.

(3). مياسي، الاحتلال الفرنسي، ص 437-438.

(4). مرموري، المرجع السابق، ص 233.



منذ ذلك الحين أولت فرنسا اهتماما بهذا المشروع، حيث قُدمت دراسات كثيرة لإنجاح هذا المشروع و أهمها؛ الدراسة التي قدمها **دوفيرييه، بروسلاز و ماج** لخدمة مشاريع الربط بين الجزائر و السنغال بواسطة القطار، كما اهتم كل من **شوازي، باروا، رولان و فيجيرير** بدراسة متنوعة طوبوغرافية جيولوجية، إحصائية، مناخية و صحية لكل مناطق الصحراء و درسوا الشروط اللازمة لمد خط حديدي بين الجزائر و السودان،... الخ⁽¹⁾.

كان هدف فرنسا واضحا من خلال سعيها الحثيث لإنجاح هذا المشروع، لما له من فوائد عديدة من الناحية السياسية، الاقتصادية و الحضارية، لا سيما الدروب الصحراوية عبر صحراء الجزائر التي تمثل حجر الزاوية لربط مستعمراتها بها⁽²⁾، فكانت فرنسا ترى فيه أداة فعالة لاستثمار أوسع بالقارة الإفريقية و تضمن لفرنسا السيطرة المطلقة سياسيا و عسكريا على الإمبراطورية المترامية الأطراف، كما تفتح شرايين و آفاق جديدة لكل المسافرين في العالم عبر القارة بطريق مباشر من البحر الأبيض المتوسط إلى رأس الرجاء الطيب⁽³⁾.

كما رأت أن هذا المشروع سيجلب لها كل تيارات التجارة الدولية إلى الصحراء الجزائرية، حسب دراسة السيد **رولون** مهندس المناجم؛ التي قدم فيها حسابات دقيقة حول الأرباح المتوقعة للخط الحديدي العابر للصحراء ب عشرة آلاف و خمسمائة فرنك، بينما مصاريف كل قطار يوميا ب خمسة آلاف فرنك ، حسب تقسيم السلع إلى أربعة أصناف برسوم متتالية:

- من 0 فرنك إلى 8 فرنك ،

- من 0 فرنك إلى 35 فرنك،

- من 0 فرنك إلى 25 فرنك،

- من 0 فرنك إلى 18 فرنك.

و بالتالي ثمن النقل من مرسيليا (Marseille) إلى خليج غينيا (Golfe de Guinée) و المحيط يقدر ب عشرة أضعاف من نقله من الجزائر و البحر الأبيض المتوسط عبر الخط العابر للصحراء، فهذا الخط سينافس الملاحة⁽⁴⁾.

(1). بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، ص 96-97.

(2). مياسي، الاحتلال الفرنسي، ص 438.

(3). نفسه، ص 444. أنظر كذلك: بوعزيز، طريق القوافل، ص 127.

(4). مياسي، الاحتلال الفرنسي، ص 443-444.



في سياق الحديث عن الأرباح التي ستجنيها فرنسا من خلال هذا المشروع، صرح **جول كومبون** أن فرنسا متمسكة بالمستعمرة الجزائرية و خاصة الصحراء الجزائرية، كما أوضح **ساباتاي** أن منطقة توات بها ثروة كبرى و ما يمكن أن تحصل عليه فرنسا أكثر من ذلك؛ فهناك حوالي عشرة ملايين نخلة و بالتالي يمكن أن توفر 200.000 طن من البضاعة سنويا، فمنطقة توات وحدها تساوي السكة الحديدية⁽¹⁾.

كما أصدر وزير الأشغال العمومية الفرنسي مجلداً بعنوان: " وثائق متعلقة بمهمة في الجنوب الجزائري " للسيد **بويان (Bouyenne)** مهندس في المناجم الجزائرية، تحدث فيه حول هدف السكة الذي يمثل استجابة لحاجيات المستعمر العسكرية، لبناء سياسة للإمبراطورية الفرنسية الناشئة في حوض البحر المتوسط و غرب إفريقيا، مفادها:

- القضاء على القوافل التجارية العابرة للصحراء.
- يجعل من هذه الخطوط محطات يستفيد منها خمسمائة ألف ساكن و تساهم في غرس سبعة ملايين نخلة.
- تختصر عنصر الزمن الذي تستغرقه القوافل ذهابا و إيابا، بالإضافة إلى مخاطر الطريق و الصحاري⁽²⁾.
- بعد تنفيذ مشاريع السكة الحديدية بشمال الجزائر التي انطلقت مند 1844م⁽³⁾، أخذت فرنسا تبحث حول إمكانيات لمدها المشروع عبر الصحراء، ابتداء من سنة 1878م قُدمت عدة اقتراحات من طرف المهندسين و الخبراء حول هذا المشروع ، من خلالها تم التوصل إلى إحداث ثلاثة خطوط و هي:
 - الخط الشرقي عبر غدامس.
 - الخط الأوسط من ورقلة إلى أمقيد و منه نحو النيجر و بحيرة التشاد .
 - الخط الغربي عبر توات.

بعد مباحثات فيما بينهم؛ توصلوا إلى أن طريق غدامس هو الطريق الطبيعي لبحيرة التشاد، و طريق توات هو الطريق الطبيعي لتنبكتو و النيجر، و بالتالي يمكن اعتماد الخط الأوسط الذي ينطلق من ورقلة نحو أمقيد و هنا يتفرع الخط إلى فرعين؛ واحد يتجه نحو النيجر و الآخر يتجه نحو بحيرة التشاد، كما

(1). أحميدة عميرواي آخرون، المرجع السابق، ص 83-85.

(2). حوتية، توات و الأزواد، ج2، ص 467-468.

(3). مياسي، الاحتلال الفرنسي، ص 438.



أخذت في اعتبارها مشاكل جيرانها، فمن جهة غدامس يتطلب على فرنسا التباحث مع الحكومة العثمانية بليبيا ليتنازلوا عن غدامس و غات و من الغرب يعتبر هذا الطريق طويلا بالرغم من أنه يمر على عدة واحات أهلة بالسكان، إلا أنه يمكن السيطرة عليه عن طريق المراقبة الدائمة⁽¹⁾.

بعد مناقشات؛ وقع الاختيار على الطريق الأوسط و تم تسطير برنامج له للتوغل الهادئ عند الطوارق⁽²⁾، فكلف الكولونال فلاترز سنة 1880م بتنفيذ هذا البرنامج ، حيث يسير من الجزائر باتجاه ورقلة و يتجه نحو الجنوب صوب الأهقار و منها إلى النيجر و بحيرة التشاد⁽³⁾.

من الخطوط المنجزة في الجزائر، في الجهة الشمالية هناك:

- من الجزائر العاصمة إلى وهران.
- من الجزائر و تيزي وزو إلى بوجي (بجاية) في بني منصور.
- من الجزائر إلى قسنطينة و سطيف.
- من قسنطينة إلى باتنة و بسكرة .
- من أرزيو في سعيدة إلى ملحق يعبر عين الصفراء.
- من وهران و تليلات (Tlélat) في سيدي بلعباس إلى رأس الماء.
- من وهران و عين تموشنت إلى تلمسان.
- من العظام في قالمة إلى قسنطينة و الآخر من قالمة إلى سوق أهراس على الحدود التونسية .
- من الكاف أم تابول (Om Theboul) إلى سعيدة و أرزيو للملاحة.
- من مستغانم و غليزان إلى تيارت⁽⁴⁾.

(1). نفسه، ص 439-442.

(2). نفسه، ص 441-442.

(3). V.Derrécaix , Op.cit, p 9 .

(4). Alfred Rambaud , **la france coloniale (histoire – géographie – commerce)**, Imp. charaire et cie, paris, 1893, p 119.



لما تم الانتهاء من الخط الساحلي الممتد من الحدود التونسية إلى الحدود المغربية تم التوجه صوب سفح الأطلس الصحراوي⁽¹⁾، لإنجاز الخطوط الثلاثة من عين الصفرة، الأغواط و بسكرة، كما يلي:

- من الشرق: هناك خط حديدي أنجز سنة 1941م يمتد من قسنطينة إلى بسكرة ثم تم وصله بخط ضيق نحو تفرت و ورقلة .

- من الوسط: هناك خط حديدي يمتد من الجزائر إلى الجلفة و هو خط ضيق ذو استعمال محدود.

- في الغرب: نجد طريق سعيدة و بشار الذي تم إنجازه سنة 1906م⁽²⁾.

لقد وصلت تكاليف السكك الحديدية في الجزائر عام 1884 إلى 16.154.222 فرنك. في عام 1890م إلى 24.660.765 فرنك، و ما يزيد على 3.694.000 فرنك خلال العام 1889م⁽³⁾.

نفس الأمر قامت به فرنسا في غرب إفريقيا، فقد سعت الجمهورية الفرنسية الثالثة لتحقيق سياستها التوسعية و ذلك بربط السنغال بالنيجر ، فقامت باكتشاف الأراضي الداخلية لكل من الداومي و ساحل العاج للربط بينها و بين النيجر، تمهيدا لربط إفريقيا الغربية بإفريقيا الشمالية و إفريقيا الاستوائية (من البحر المتوسط حتى الكونغو)⁽⁴⁾.

عملت على إنجاز معظم السكك الحديدية بهذا الإقليم قبل سنة 1914م، غير أن هذه الخطوط جاءت ضيقة و مفردة و ذات انحدارات حادة، هذا راجع لإنجازها بأقل التكاليف وفق نظرة عسكرية و من أهم هذه الخطوط نذكر ما يلي:

- خط دكار و باماكو في حوض النيجر.

- خط ابيجان و جدوجو في فولتا العليا.

- خط كوتونو و باماكو شمال الداومي.

(1). Ibid, p 119-120.

(2). الحاج موسى بن أعمار، بترول الصحراء بين حسابات الثروة في فرنسا و رهانات الثورة في الجزائر، د.د.ن، د.م.ن، 2008، ص 56.

(3). Alfred Rambaud , Op.cit, p 120.

(4). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 97.



- خط كوناكري و كانكن داخل غينيا و وسط هضبة فوتا جالون⁽¹⁾.

من الخطوط التي أولتها فرنسا اهتماما هي محاولة الربط بين السنغال و النيجر للوصول إلى بعض الخلجان عند مصب السنغال ، لاستحالة دخول السفن بها في كثير من الأحيان ، هذا الشريط الذي أودى حياة الكثيرين.

عبر هذا الخط يمكن التوغل إلى الداخل ، مما يجعلهم يسيطرون على كامل المنطقة من الغرب إلى الشرق، لتشكيل مستعمرة من السنغال إلى النيجر ، لهدف تحويل التجارة لصالحهم و ضمان فرص جديدة لصناعتهم بعد إلغاء تجارة الرقيق و قد وفقوا إلى حد ما في انجاح مخططاتهم.

بالفعل تمكن الفرنسيون عام 1906م من ربط كل من نهر النيجر و السنغال بسكة حديدية⁽²⁾، فتم مد خط يربط بين دكار و سانت لويس عند أعالي نهر السنغال و بين المدينة و كايس و باماكو بمبلغ خصص له قدره: 103 مليون فرنك.

تم الشروع في استغلاله ابتداء من سنة 1902م و بدأت ترتفع مداخيله من سنة إلى أخرى خاصة بين 1902 و 1906م، مما جر معه ارتفاع قيمة الحمولة عن 10 ملايين كلغ للبضائع المستوردة من محطة كايس بالسنغال إلى محطة باماكو.

ما يعاب على هذه الخطوط؛ هناك تذبذب بسبب عدم توفر البضائع بصورة دائمة، ذلك لأنها كانت غير متصلة بشبكة مع بقية المواصلات الأخرى، إضافة إلى ذلك أن جل الموانئ كانت تتعامل بالسفن الشراعية التقليدية و بالتالي عجزت عن التعامل مع حجم المنتجات التي كانت تحملها السكك الحديدية، مما حتم على السلطات الفرنسية احداث ترميمات جوهرية على الموانئ الرئيسية و استمرت حتى جلائها من هذه المناطق⁽³⁾.

(1). نفسه، ص 165.

(2). بوفيل، ص 404. أنظر كذلك: أحمد نجم الدين فليجة، المرجع السابق، ص 217.

(3). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 166-167.



ب. تعبيد الطرق:

يذكر بوفيل أن مع إحلال السلام في معظم ربوع الصحراء، عرفت المنطقة وسائل جديدة للنقل فتم إدخال السيارة إلى المناطق الصحراوية، هذه الوسيلة التي فتحت الطريق أمام سكان الواحات نحو الشمال⁽¹⁾ و بين ضفتي الصحراء، كما فتحت المجال أمام الباحثين عن الذهب الأسود و الخامات المعدنية الأخرى الضرورية لرمي أسس إقتصاد أساسه الصناعة الثقيلة.

لقد شجع النشاط التجاري و تيسيره إنشاء عدد من الطرقات التي لم تكن موجودة قبل 1830م، ففي إحصاء لسنة 1890م تم إنجاز 15.237 كلم من الطرق ذات الاستعمال المشترك، بما في ذلك ما يقرب من 3.000 كلم من الطرق الوطنية، هذه الطرقات أنجزت من قبل الجيش مع صيانة بعضها، غير أنها ما زالت ناقصة في العديد من النقاط البعيدة و هي في تحسن يوميا⁽²⁾.

من المنجزات التي قدمتها السلطات الفرنسية في غرداية، تعبيد طرق السيارات من سطافة إلى غرداية على بعد 82 كلم و ذلك سنة 1882م، تم استعماله في السنة الموالية، كذلك تم شق طريق من غرداية نحو الأغواط عبر وادي ميزاب ، ثم طريق من غرداية نحو ورقلة في نفس السنة⁽³⁾.

كما اهتمت السلطات الفرنسية بتعبيد الطرقات بسوف و بحلول سنة 1931م كانت توجد خمسة مسالك و هي:

- الوادي - نفطة، الوادي - بسكرة، الوادي - تفرت عبر الجامعة ، الوادي - نقرين، الوادي - تفرت عبر فرجان، المسالك الثلاثة الأولى هي الغالبة في الاستعمال و الطريق الرابع قلما يُستخدم أما الطريق الخامس فهو صعب المسلك و لا تعبره إلا سيارات خاصة مثل ترازاتلنتيك⁽⁴⁾.

(1). بوفيل، ص 406.

(2). M. Alfred Rambaud , Op.cit, p 118.

(3). يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 151.

(4). عثمان زقب، الأوضاع الإقتصادية و الإجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947م و تأثيرها على العلاقات مع تونس و ليبيا، رسالة ماجستير، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، باتنة، 2005-2006م، ص 118.



كما واصلت فرنسا عملية تعبيد الطرق البرية في الصحراء الجزائرية، للربط بين السكك الحديدية وطرق السيارات من الواحات الثلاث ورقلة، الأغواط و بشار، لتنتقل مسالك عابرة للصحراء ؛ واحد من كولومب بشار إلى غاو(*) عبر تنزروفت، و الطريق الثاني من الجزائر العاصمة إلى شرق إفريقيا عبر تفتت، ورقلة و الأهقار إلى نيامي و التشاد، هذا الطريق الذي رسمه فلاترس للسكة الحديدية فتم تعويضه بالطريق السيار.

كما مهدت بعض الطرق البرية في إفريقيا الغربية⁽¹⁾ للتوغل إلى الداخل، إلا أن الحكام الإفريقيين كانوا يعارضون هذه المشاريع و يعتبرونها اعتداء على ممتلكاتهم.

لقد رافق تعبيد الطرق إدخال السيارات من طرازات فورد الأسرع و الأرخص ثمنا و الأخف وزنا، التي وصلت إفريقيا الغربية عام 1918م، فكان لها دور في عملية النقل، في عام 1923م عبرت أول سيارة في الصحراء الكبرى من الجزائر إلى تنبكتو .

بحلول عام 1930م كانت الشركات التجارية للنقل بالسيارات، تعمل في المراكز الرئيسية للنشاط الاقتصادي في إفريقيا الغربية و الصحراء الكبرى، في عام 1940م كان لدى إفريقيا الغربية الفرنسية حوالي 10.000 سيارة مقارنة بستة عشر سيارة فقط سنة 1913م⁽²⁾.

ما يمكن قوله أن هذه الطرق جاءت نتيجة دوافع خلق أسس الاقتصاد التصديري، لأنه لم تكن سوى طرق قليلة تربط المستعمرات⁽³⁾ و بتعبير أدق ربط شبكة من الطرق التي يعيش فيها معظم السكان الأوروبيين⁽⁴⁾ و الشركات الاحتكارية⁽⁵⁾.

(*) على خط الطريق بين كولومب بشار- غاو، وضعت في الخدمة عشرين شاحنة ، ذات محركات الديزل GV 130، صالحة للمسافات الطويلة (1.000كم)، بسرعة 50 كلم في الساعة و سيارات بولمان (Cars Pullman) الجديدة الخاصة بالمسافرين. أنظر: - Robert Tinthoin , « **Évolution récente de l'économie Algérienne** » , Annales de Géographie, T. 51, N°.287, 1942, marge N°.01, p 201.

(1). شوقي الجمل و عبد الله عبد الرازق ابراهيم، المرجع السابق، ص 331.

(2). هوبكنز، ص 391.

(3). نفسه، ص 395.

(4). أحمد كساب و آخرون، « **الإقتصاد الإستعماري (شمال إفريقيا)** » ، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام (إفريقيا في ظل السيطرة الإستعمارية 1880-1935م) مجلد 7 ، اليونسكو ، تحت اشراف، أ. آدو بواهن، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، 1990 ، ص 439.

(5). اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 362.



2. النقل البحري:

أ. مشروع البحر الداخلي (مشروع خليج قابس) (Projet Golfe de Gabes):

إن مشروع البحر الداخلي؛ هو أيضا أحد المشاريع الصحراوية الذي لا يقل أهمية عن مشروع الخطوط الحديدية، خلفيات هذه الفكرة تعود إلى نجاح فيرديناند دوليسبس (Ferdinand de lesseps) عند حفره لقناة السويس (Canal de Suez) ، الأمر الذي حفزهم للبحث في خلق بحر داخلي صحراوي، لإحداث تغيير في الظروف الطبيعية القاسية و يسهل عليهم تنفيذ سياستهم التوسعية الاستعمارية و الاقتصادية⁽¹⁾.

لقد انطلقوا من بعض النظريات الجغرافية و مقاربات جيولوجية تعود إلى العصور القديمة، مفادها أن هناك بحرا داخليا يدعى بحيرة تريتون، التي تحدث عنها الرحالة اليوناني هيرودوت و سيلاكس، هذا البحر له ثلاثة منافذ إلى البحار المجاورة؛ واحد من البحر المتوسط عبر مجرى نهر الشلف و الثاني إلى المحيط الأطلسي غربا عبر ممر تازة و الثالث إلى خليج قابس بشرق تونس عبر شط فجاج⁽²⁾.

هذا البحر اختفت بعض أجزائه و بقي البعض الآخر على شكل أحواض و شطوط، أهمها أحواض الجريد، شط ملغيغ⁽³⁾ و الهضاب العليا، حيث تقع أحواض ملغيغ على انخفاض خمسة و عشرين مترا من مستوى سطح البحر، فراجت هذه الفكرة عند الجيولوجيين بخلق بحر داخلي في هذه النقطة، من أجل إحداث تغيير جذري في مناخها و بالتالي تغيير أوضاعها الاقتصادية.

نواة هذا البحر الداخلي ستكون أحواض شط الجريد و شط الغرسة و شط فجاج، حيث يتم حفر قناة بحرية تصل هذه الشطوط بمنخفض ملغيغ و بوادي ريغ في الغرب و بحوض ايغارغار في الجنوب عبر واد سوف⁽⁴⁾.

(1). بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، ص 99.

(2). نفسه، ص 100.

(3). Lanessan, Jean-Louis, **L'expansion coloniale de la France , étude économique , politique et géographique sur les établissements français**, Imp. générale lahure, Paris, 1886, p 7.

(4). بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، ص 101.



لقد تمس لهذا المشروع السيد فرانسوا رودير فشرع في وضع دراسات حوله منذ عام 1873م، بعد اعتماد الجمعية الوطنية ملفا لدراسة الشطوط دراسة علمية، ذهب رودير من قسنطينة إلى بسكرة و منها إلى أحواض ملغيغ و درس تاريخها و جغرافيتها الطبيعية و مستواها عن البحر.

على الرغم أن رودير اكتشف أن شط الجريد يقع فوق مستوى سطح البحر على عكس أحواض ملغيغ و الحضنة، إلا أنه لم يفقد الأمل في إنجاز هذا المشروع، لما له من نتائج حسنة على الجانب الاقتصادي، إذ يسمح البحر برفع منسوب المياه الجوفية في الشمال بالصحراء، كما أنه سيحدث تغيير في المناخ من الجفاف إلى الرطوبة، بفعل تبخر منسوب من المياه في الجو و بالتالي تساقط الأمطار و تلطيف جو الصحراء القاسي.

بعد هذه الدراسة قام رودير بإعداد ملفه و قدمه إلى المجلس العلمي في باريس، فتم تحويله إلى دوليسبس الذي استحسنه، لكن أعضاء المجلس تضاربت آراؤهم حول الغلاف المالي الذي يستنفذه هذا المشروع، في نهاية المطاف تم اعتماد غلاف مالي جديد سنة 1878م، للقيام بدراسات جيولوجية جديدة شارك فيها دوليسبس ، تألفت لجنة رسمية بين عامي 1881 و 1882م ترأسها دوفريسيني (De Freycinet) و اكتشفت أن تكاليف المشروع تزيد عن ثلاثة ملايين، كما أن عملية الحفر تستلزم أضعاف حفر قناة السويس.

في سنة 1883م سافر كل من رودير و دوليسبس إلى منطقة قابس لدراسة المشروع على الطبيعة، لكن بعد عودتهما تم معارضة هذا المشروع من طرف أعضاء الجمعية الفرنسية، من بينهم أوقست بوميل و كوسون اللذان يعرفان الجزائر و تونس حق المعرفة⁽¹⁾.

كما عمل كل من دوفريبيه و دي ليستر نفس العمل، حيث قاموا بتحديد أحواض الجريد التونسي كنواة لهذا البحر الداخلي، لأن المنطقة المحصورة بين خليج قابس شرقا و أولاد نايل و هضبة ميزاب و جبال الأوراس و النمامشة و تبسة و جبال مطماطة و الأهقار جنوبا، تشكل حوضا داخليا واسعا يدعى العرق الشرقي الكبير، هذه المنطقة تشتمل على عدد كبير من الأحواض و الشطوط، فمثلا في الجريد بتونس هناك شط فجاج و شط الجريد و شط الغرسة و هناك بالجزائر منخفض ملغيغ الذي يشتمل على شط عسلوج و شط ملغيغ و شط مروان.

(1). نفسه، ص 103 - 105.



في الشمال الغربي لمنخفض ملغيغ هناك شطوط تنحدر من الهضاب العليا أهمها شط الحصنة و الزاعر الشرقي و الغربي، كما أن بجنوب أحواض ملغيغ هناك شطوط تابعة لمنخفض واد ريغ و حوض ايغرغار الذي ينحدر من جبال الأهقار⁽¹⁾.

كما لا نستبعد ما قامت به بعثتي فلاترز أثناء الرحلتين، عندما اهتموا بوادي اغرغار و واد ميه، قد يكون الأمر خدمة لهذا المشروع.

بعد أن لقي مشروع رودير معارضة شديدة في أيامه، توفي سنة 1883م و بقي هذا المشروع يشغل بال الفرنسيين و تم إعادة فتح هذا الملف للنقاش سنة 1896م، من طرف هيئات علمية و رأسمالية، إلا أنه بقيت نفس الإشكاليات تُطرح ، مثل الغلاف المالي الضخم و الصعوبات التقنية و موقع شط الجريد فوق مستوى سطح البحر، ليغلق هذا الملف مرة أخرى حتى سنة 1952م-1953م.

حيث استتف من جديد بعد أن أكدت الحفريات خلال عملية البحث عن زيت البترول، على وجود صلة بين البحر المتوسط و منطقة الشطوط في العصر الجليدي ، هنا تم إحياء مشروع رودير و تمكنت الجمعية من إيصال ملف البحر الداخلي، إلى مكتب الجنرال ديغول عام 1958م ، تم اقتراح استعمال خمسين قنبلة هيدروجينية لشق قناة هذا البحر بين واحدة و أخرى بضعة ثوان، على أن يكون عمقها من 400 و 500 ياردة، تمتد عبر شط الجريد و يتم إقامة سد ضخم من توزر لتوليد الكهرباء و تنجز هذه القناة و البحر، في ظرف بضعة شهور بدلا من ثماني سنوات.

بعد عام 1959م واصل اتحاد التعدين الفرنسي هيرنست، بحث الموضوع مع وزارة الأشغال العامة للحكومة التونسية، لكن فرنسا كانت مهتمة بالحرب مع الجزائر⁽²⁾.

إن هذا المشروع بلغ اهتمام أهم أعمدة الجزائر آنذاك و هو الأمير عبد القادر، الذي رمى بدلوه و هو في منفاه بدمشق و أبدى تأييده للمشروع، هذا من خلال مكاتبتة ل : دوليسبس و تشجيعه على ذلك كما كتب لأهل قابس و المناطق المجاورة لها مبرزا الأهمية الكبيرة لهذا المشروع⁽³⁾.

إن ما يمكن الإشارة إليه؛ أن مراسلة الأمير ل دوليسبس لم تكن رغبة من الأمير، لكون دوليسبس استغل كل السبل لإنجاح هذا المشروع ، لأن نجاح هذا المشروع سيتسبب في هجرة السكان و ردم للعمران

(1). نفسه، ص 99-100.

(2). نفسه، ص 107-108.

(3). نفسه، ص 105-106.



و نهاية أكيدة للنخلة التي تعتبر رمز حضارة الصحراء، و يبقى السؤال مطروحا: أيعقل أن الأمير عبد القادر انساق وراء هذا المشروع و لم يحسب حسابا لهذه المتغيرات.

ب. النقل النهري:

عملت فرنسا في إفريقيا الغربية على تطوير المجاري المائية الداخلية، التي كانت تعوقها الشلالات و الجنادل بشدة، هذه العملية ساهمت في تنشيط الاقتصاد المحلي في بعض المناطق، حيث استخدمت بواخر مزودة بعجلات تجديف مثل النيجر و بنوي و السنغال، على الرغم من أن البواخر كانت ملكا لشركات القطاع الخاص، إلا أنها بذلت بعض المحاولات للتنسيق بين النقل النهري و السكك الحديدية، مثل السكك الحديدية التي تربط السنغال بياماكو، كانت هناك وصلة تربطها بالنيجر الأوسط، بذلك كانت تصل دكار، تنبكتو و غاو، غير أن هناك مناطق كثيرة لأفريقيا الغربية الفرنسية، مازالت حتى اليوم محرومة من وسائل النقل الحديثة⁽¹⁾.

كانت تعديلات الموانئ وثيقة الارتباط ببرنامج السكك الحديدية، فقد أخذت السفن البخارية تكشف عيوب موانئ إفريقيا الغربية، حيث لا يمكن التعامل مع سفن أكبر من السفن الشراعية التقليدية، فالسفن البخارية لم يكن لها تأثير على إنتاج الصادرات مثل السكك الحديدية⁽²⁾.

بحلول عام 1900م كان واضحا أن الموانئ القائمة عاجزة عن التعامل مع حجم المنتجات التي كانت تحملها السكك الحديدية، فأحدثت ترميمات على الموانئ الرئيسية و استمرت طيلة الفترة الاستعمارية مثل دكار، حيث قامت بإصلاح بعض الموانئ.

كما أنشأت موانئ جديدة مثل بورت، هاركورت و تاكورادي و النتيجة تدهور المراكز الصغيرة مثل باداجري، سانت لويس و كالابار، مع العلم تركيز تجارة التصدير كان في الموانئ التي تصلها السكك الحديدية، ففي العقد الرابع من القرن الماضي كان ما لا يقل عن 65% من مجموع تجارة إفريقيا الغربية عبر البحار تمر على دكار⁽³⁾.

(1). هوبكنز، ص 393-394.

(2). نفسه، ص 401.

(3). نفسه، ص 397.

3. عراقيل استكمال المشاريع العابرة للصحراء.

إن مشروع خطوط السكك الحديدية العابر للصحراء حال دون تحقيقه؛ فبعد تقديم تلك الدراسات و المقترحات، لم يتم من هذه المشاريع سوى ثلاثة خطوط تمتد إلى جنوب الجزائر و هي خط من قسنطينة إلى ورقلة عبر بسكرة و تفرت، و خط من البليدة إلى الجلفة عبر لمدية، و خط من المحمدية إلى بني عباس عبر سعيدة و بشار⁽¹⁾.

هذه الخطوط يفترض أن تمتد إلى باقي بلدان الصحراء الأخرى، في غرب إفريقيا و وسطها لتصل بشبكة النيجر و التشاد و شبكة السنغال و موريطانيا، لكن صعوبات كثيرة حالت دون تكملة هذا المشروع و يمكن حصرها في النقاط التالية:

- التكاليف الباهضة لهذا المشروع، مما ولد ردود فعل معاكسة لتكملة المشروع،
- الظروف الدولية التي تمر بها فرنسا آنذاك، من منافسة الإنجليز لها و كذا خسارتها للعديد من مستعمراتها، مع ردود فعل معاكسة لهذه المشاريع من طرف الأفارقة بصفة عامة⁽²⁾،
- تطوّر علم الطيران جعل الفرنسيين يجمعون عن تكملة هذه الخطوط، خاصة بعد أحداث الحربين العالميتين و حركات الاستقلال الوطنية بالقارة، التي طردتهم في نهاية المطاف⁽³⁾.

ما يمكن أن نشير إليه، أن الخطوط التي أنجزت قد استغرقت نصف قرن أو أكثر من ذلك و بالتالي فالخط العابر للصحراء يتطلب نفس الزمن، هذا المشروع الذي بقي مجرد حبر على ورق إلى اليوم⁽⁴⁾ و قد عوض في الجزائر بالطريق السيار بين كولومب بشار إلى غاو عبر تنزروفت، و الطريق الثاني من الجزائر العاصمة إلى شرق إفريقيا عبر تفرت، ورقلة و الأهقار إلى نيامي Niamey و التشاد، نفس الأمر بالنسبة للبحر الداخلي فقد لقي ما لقيته خطوط السكك الحديدية العابرة للصحراء⁽⁵⁾.

(1). بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، ص 98.

(2). أحميدة عميراي و آخرون، المرجع السابق، ص 86-87.

(3). بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، ص 98.

(4). مياسي، الاحتلال الفرنسي، ص 444.

(5). بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، ص 108.



المبحث الثاني: السياسة التجارية الفرنسية بالإقليمين.

لقد عملت فرنسا كغيرها من القوى الاستعمارية، على انتهاز سياسة اقتصادية واضحة تنبني بالدرجة الأولى على التجارة، فاستغلت كل الوسائل لإنجاح مشروعها التجاري في كلتا المنطقتين، فما هي الديناميكية الفرنسية المستخدمة في هذا المجال؟.

1. الوسائل القانونية لتثبيت التجارة الفرنسية بالإقليمين:

أ. الاتفاقيات و المعاهدات:

تعد سياسة إبرام الاتفاقيات وسيلة لاحتكار التجارة و التحكم في المحاور التجارية الرئيسية و توسيع مناطق النفوذ و إبعاد أي منافسة للطرف الآخر⁽¹⁾، لكي يتسنى لفرنسا تحقيق مطامحها في الصحراء و إفريقيا الغربية، ربطت بعض الجهات باتفاقيات حتى تتجنب مقاومتها و تصديها لها و من بينها:

- معاهدة الحماية مع بني ميزاب:

لقد حافظ المزابيون على استقلالهم النسبي خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، حيث استمروا في ممارسة النشاط التجاري بين الشمال و الجنوب، غير أن هذه الأنشطة قد اعترتها بعض الضمور بسبب الثورات المستمرة في الجزء الشمالي، بعد احتلال الأغواط سنة 1852م ضغطت فرنسا بقوة على بني ميزاب و على حركتهم التجارية، بعد مفاوضات بينهما توصلوا إلى توقيع معاهدة الحماية (Traité de protection) لأهل ميزاب في 19 أفريل 1853م .

تضمنت المعاهدة؛ اعتراف بني ميزاب بالسلطة الفرنسية و حقها في بسط حمايتها على المزابيين، مع دفع ضريبة سنوية لفرنسا تتقاسمها مدن ميزاب السبع، مقابل تعهد فرنسا بضمان حريتهم التجارية بين التل و الصحراء و الإبقاء على عاداتهم و أعرافهم و طقوسهم الدينية و مؤسساتهم القضائية كما هي، بذلك أصبح بنو ميزاب جزءا تابعا لفرنسا⁽²⁾.

(1). مسعودة قاسي ، المرجع السابق، ص 79.

(2). أحمد ذكار، المرجع السابق، ص 148.



- المعاهدة التجارية مع الطوارق (Traité commercial avec les Touareg):

بعد رحلتي دوفيري و بوضرية إلى بلاد الطوارق، انشغلت فرنسا في التحضير لتهيئة الأرضية للتجارة عبر الصحراء، لذلك بدأ الحاكم العام بالجزائر في البحث عن طريقة لإبرام علاقات مع زعيم قبائل الأزرع **ايخنوخن**

تبعاً لذلك نُظِّمت مهمة كان هدفها إبرام اتفاقية تجارية بين فرنسا و كيبل أزرع، تم اختيار الوادي مكاناً لإمضاء الاتفاقية، غير أن ايخنوخن رفض ذلك كون الوادي كانت تحت سيطرة فرنسا و بالتالي هذا الأمر يمثل نوعاً من الخضوع لفرنسا و هكذا كونت فرنسا لجنة يترأسها قائد الأركان المقدم **ميرشار (H.Mircher)** و **بولونييك (Polignac)** نقيب الأركان منتدب بالمكتب السياسي للشؤون العربية و **هوفمان** و **بوضرية** ك مترجم .

غادرت البعثة الجزائر في سبتمبر 1862م نحو طرابلس و منها إلى غدامس في 21 أكتوبر للتفاوض مع ممثلي الأزرع، غير أن ايخنوخن كان غائباً فبعث أخاه **عمر الحاج**؛ ك نائب عنه، **الحاج جبور**؛ شيخ لقبيلة امغساتن، **الشيخ عثمان**؛ شيخ الإيفوغاس، بعد محادثات تم تحرير المعاهدة التجارية باللغتين العربية و الفرنسية، ثم التوقيع عليها و أهم بنودها:

- إقرار الصداقة و التبادل التجاري بين السلطات الفرنسية و زعماء قبائل الطوارق،
 - إمكانية ممارسة الطوارق للتجارة بكل حرية، في أسواق الجزائر مع أداء المكوس،
 - يلتزم الطوارق بحماية التجار الفرنسيين و بضائعهم، أثناء عبور بلادهم ذهاباً و إياباً إلى بلاد السودان مع أداء المكوس،
 - تلتزم السلطات الفرنسية و زعماء الطوارق، بفتح طرق التجارة للفرنسيين إلى السودان و تحديد المكوس و ضبطها و إصلاح الآبار و إزالة كل العراقيل في وجه النشاط التجاري للفرنسيين.
- أما البنود الإضافية تنص على ما يلي:

- بموجب التقاليد القديمة المتضمنة للعلاقات التجارية بين دول شمال إفريقيا و مختلف قبائل الطوارق، تبقى عائلة **الشيخ الحاج ايخنوخن**؛ مكلفة بضمان المرور للقوافل التجارية الفرنسية عبر بلاد الأزرع، كما تستمر العلاقات التجارية بين قبائل الأزرع و السوافة و الشعانبة،
- تدفع القوافل التجارية الفرنسية ضريبة العبور إلى ايخنوخن، أو وكلائه على أن تحدد قيمتها،



- تسوية الخلافات التي قد تنشأ بين الطرفين بالودّ و الإنصاف، من طرف الشيخ أو ممثليه بمقتضى عادات و أعراف البلد،
- يلتزم الشيخ **اينوخن** و الزعماء السياسيون لطوارق الأزجر، بربط علاقة جيدة مع طوارق قبيلة كيل آوي من أجل تهيئة الظروف الحسنة لقوافل المفاوضين الفرنسيين، لكي يبروا بسلام عبر بلاد الآير.
- بعد إبرام الاتفاقية عادت البعثة الفرنسية من غدامس و اتجهت نحو الوادي و منها إلى بسكرة وصولاً إلى الجزائر في 18 ديسمبر، خلال هذه الرحلة استغل أعضاء المهمة الفرصة لجمع معلومات حول الأوضاع السياسية و الاجتماعية لأوطان الزوج و تدوينها و نشرها و منها : "يوميات الرحلة" للمقدم ميرشار (**Mircher**)⁽¹⁾، كما أعطت فرنسا هذه الخطوة دفعا قويا للتوغل في الجنوب قصد السيطرة على الطرق التجارية و الثروات الاقتصادية الظاهرية آنذاك⁽²⁾.
- ما تم ملاحظته من خلال بنود الاتفاقية، أن فرنسا تسعى ظاهريا لإرضاء زعماء الطوارق على شاكلة قوافل الصحراء الجزائرية، خاصة في عامل حماية القوافل التجارية من النهب و السلب، كما أن سعيها الحثيث لتحقيق أغراضها التجارية، جعلها تُقدم على مثل هذه الاتفاقية مع قبائل الطوارق، الذين يسيطرون على الشريط الذي يفصل بين شواطئ الصحراء الوسطى للحصول على قدر كبير من المعلومات حول تلك المناطق و هو ما نستشفه في البند الثالث الذي ينص على التزام الطوارق بحماية الذين يأتون بصفة مفاوضين في أراضيهم، لاستغلال الدور المهم الذي يؤديه الطوارق بين الصحراء و السودان و هو دور أساسي⁽³⁾.
- إن اعتراف فرنسا بسيادة كيل أزجر على أراضيها و كل الحقوق التي تؤول إليه من ضرائب و حماية و تجارة، ما هي إلا أحد أهم الأساليب التي تتبعها فرنسا إلى حين الوقت المناسب للانقضاض عليهم و احتلالهم و اخضاعهم.

(1). حسن مرموري، المرجع السابق، ص 227-230. انظر كذلك:

- مياسي، توسع الاستعمار، ص 81-84.

- أحمد ذكار، المرجع السابق، ص 131-132.

(2). حميدة عميراي آخرون، المرجع السابق، ص 70.

(3). حسن مرموري، المرجع السابق، ص 230.



من نتائج هذه الاتفاقية توسيع شبكة التبادل التجاري بين فرنسا و الجنوب الجزائري و الصحراء الإفريقية و فتح مجالات كبيرة للاستثمار، للحصول على منتجات المناطق الحارة التي يوفرها للشمال الجزائري و الفرنسي، على نمط المستعمرات الفرنسية الأخرى في بحر الكاريبي⁽¹⁾.

أما عن إفريقيا الغربية، يمكن اعتبار نهاية الحروب النابوليونية هي البداية الحقيقية لفرنسا في غرب إفريقيا، حيث عملت فرنسا بنشاط كبير هناك للاستيلاء على مناطقها و تنشيط التجارة، عن طريق عقد اتفاقيات مع حكام إفريقيا، و إقامة علاقات طيبة مع بعض الدول الإفريقية أو عن طريق تأسيس مستعمرات تكون مصدرا مهما لتزويد إقتصادياتها.

من المعاهدات التي أبرمت بين زعماء إفريقيا و فرنسا، في الفترة ما بين 1838 و 1842م عقد الضابط الفرنسي بوبي و يلامي (bouet-Willamez) اتفاقيات مع الحكام الإفريقيين في كل من رأس بالماس (Cape Palmas)، بسام الكبرى و أسيني الواقعة في ساحل العاج⁽²⁾، كما أعادت علاقاتها مع ملك الداومي و بهذا امتد نفوذها بشكل غير رسمي إلى مناطق أخرى في ساحل العاج، كما أقامت محمية لها بساحل العبيد و استولت على ميناء نوفو و كوتونو و الأنشو⁽³⁾.

ثم إن غاليني عندما تولى قيادة منطقة السنغال و نهر النيجر، استعمل طريق المعاهدات فوقع معاهدة الصداقة و التجارة مع أحمدو سنة 1880م، كان الهدف منها هو إعطاء التوكولور شعورا بالأمن لتسهيل احتلال وادي السنغال و نهر النيجر⁽⁴⁾.

كما أبرم الفرنسيون اتفاقيات عديدة مع مناطق أخرى، من خليج غينيا لضمان الحماية و الأمن لتجارهم في المنطقة⁽⁵⁾.

أول ظهور للفرنسيين في مصب نهر النيجر كان سنة 1841م، حيث نزل القائد بوبي و يلومز في بوبي و أقام علاقات مع زعماء المنطقة، في العام الموالي أمضى اتفاقاً مع ملك إينبا (Eyanba) لكلابار القديم يسمح للفرنسيين بالمجيء للتجارة في البلاد⁽⁶⁾.

(1). مياسي، توسع الإستعمار، ص 83.

(2). فيج. جي دي، المرجع السابق، هامش رقم 1، ص 310.

(3). نفسه، ص 311.

(4). محمد حوتية، توات و الأزواد، ج2، ص 452.

(5). مسعودة قاسي، المرجع السابق، ص 81.

(6). نفسه، ص 87.

ب. الوكالات و المراكز التجارية:

كان الفرنسيون على غرار الانجليز يُقيمون مراكز أو محطات تجارية من أجل التبادل التجاري و تعيين قنصلية من أجل الحصول على اتفاقيات مبرجة مع ملوك و شيوخ القبائل⁽¹⁾.

ابتداء من ستينات القرن التاسع عشر حددت فرنسا كل من البيض (الأبيض سيدي الشيخ) و الأغواط و بسكرة كمراكز انطلاق و استقبال للقوافل⁽²⁾، لتتوغل فيما بعد جنوبا و تُقيم مراكز أخرى أهمها:

- **مركز عين الصفراء:** أنشأته فرنسا و لاقى إقبالا كبيرا لأهميته التجارية، حيث يستقبل القبائل المغربية و قبائل الصحراء الجزائرية، التي تحمل إليه السلع المحلية مثل الماشية، التمر، البرانس و الجلود المحلية و الفيلاوية⁽³⁾.

- **مركزي بني ونيف و بشار:** عند مدخل توات بحوضي زوزفانة و الساورة، تقدمت التجارة هناك بفعل السياسة الفرنسية التي مارستها، حيث أوصلت خط السكك الحديدية إلى بني ونيف و كان عاملا على النهوض بالمنطقة لتمد الخط عبر بشار و من ثمة تحولت بشار إلى سوق هام يعج بالتجار و السلع من جميع الأنواع، الشيء الذي كان له تأثير اقتصادي و سياسي للمنطقة، هذه الفكرة تعود للسيد أوكونور (O'Connor) الذي أدرك أهمية هذا المركز و جهزه ببناء منازل عصرية، أرففة، دكاكين، سوق مركزي مغطى و نزلة للبهائم،... إلخ⁽⁴⁾.

- **مركز عين صالح:** بعد احتلال فرنسا لعين صالح جعلها تتحكم في هذا السوق، لموقعه الاستراتيجي لأنها تقع على مسافة متساوية بين الجزائر شمالا و تنبكتو جنوبا و موغادور (Mogador) غربا و طرابلس شرقا و بالتالي فهي ملتقى الطرق الصحراوية، التي تربط القارة بالسودان فضلا على أنها مركز ممتاز لتمويل الطوارق⁽⁵⁾.

نفس الأمر بالنسبة لإفريقيا الغربية، كلما تصل فرنسا إلى منطقة إستراتيجية تعمل على بناء مراكز تجارية بها و أهمها:

(1). حوتية، توات و الأزواد، ج2، ص 449.

(2). سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص 72.

(3). العماري، المرجع السابق، ص 217.

(4). نفسه، ص 218.

(5). مياسي، توسع الاستعمار، ص 110-111.



- مراكز السنغال و ساحل العاج: بعد عام 1817م أعاد الفرنسيون إحياء مراكزهم التجارية في سينغامبيا و خاصة في سانت لويس و غوريه، يرجع ذلك إلى أن التجارة الجديدة للفرنسيين كانت امتداد لتجارة الرقيق، فكان رواد التجارة المشروعة في كثير من الأحيان تجار رقيق⁽¹⁾، كانت هذه المراكز تورد فيما بينهما 75 % من مجموع صادرات الإتحاد خلال الفترة الاستعمارية بأكملها و كانت السنغال هي المركز التجاري الرئيسي في النصف الأول من القرن العشرين، إلا أنه بعد الحرب العالمية الثانية توسعت التجارة الخارجية لساحل العاج و أصبحت في نفس مرتبة السنغال⁽²⁾، هاتان المستعمرتان شهدتا تفوقا من بين المستعمرات الفرنسية في مجال التجارة المشروعة.
 - مركز باماكو: في عام 1883م تمكن الفرنسيون من الوصول إلى نهر النيجر و أقاموا هناك محطة تجارية عند باماكو⁽³⁾.
 - مركز تنبكتو: كانت تتاجر مع الوكالات الأوروبية في السنغال و أنهار غامبيا عبر سنساندنج و باماكو⁽⁴⁾.
 - مركز جنبي: خلال القرن التاسع عشر نظم تجار جنبي شركات أعمال مزودة بموظفين، كما عينوا ممثلين في مراكز هامة و فتحوا فروعا في تنبكتو، يرسلون وكلاء جوالين يحصلون على نسب مئوية من الصفقات التي ينجزونها⁽⁵⁾.
 - مركز كاواك: في العقد السابع من القرن التاسع عشر أصبح مركزا لتجارة الفول السوداني⁽⁶⁾.
- ما بين عامي 1896 و 1899م ركزت فرنسا على النقاط الإستراتيجية للإقليم ابتداء من مناطق ثنية النيجر عبر غورما و شمال الداھومي و زندر، فأنشأت مراكز بها و هي:
- مركز ساي: تم إنشاؤه في نهاية سنة 1896م، لتثبيت موقع فرنسا على النهر و تمديد أملاك الداھومي حتى تسمح له بمراقبة نشاطات الإنجليز في جهة ساكواتو (Sakwato) و لتضع حدا

(1). أجايب، المرجع السابق، ص 28-30.

(2). هوبكنز، ص 361.

(3). بوفيل، ص 405.

(4). رياض زاهر، المرجع السابق، ص 306.

(5). هوبكنز، ص 120.

(6). نفسه، ص 286.



لنشاط أحمدو شيخو في المنطقة، كما تضمن على الصعيد الاقتصادي مراقبة التيار التجاري المقام من تنبكتو حتى بلاد الهاوسا، لأنها أحد أكبر مراكز عبور في النيجر الأوسط و كل المحاور التجارية القادمة من الأزواغ ، الآير ، الدمرغو في اتجاه شمال الطوغو و ساحل الذهب، كما أنها تعتبر ممر طريق النيجر الذي يزود مراكز النيجر الأوسط بالمقونة⁽¹⁾ و نظرا لأهميته التجارية ركزت فرنسا عليه.

- مركز كيرتاشي (Kirtashi): يقع أسفل ساي، أنشئ في سبتمبر 1898م من طرف النقيب لورو (Lorho).

- مركز إيلو (Ilo) : هي قرية على حدود النهر بين الممتلكات الفرنسية و الإنجليزية، في مارس أنشئ مركز غايا (Gaya) و أصبح أكبر سوق للكولا على حساب إيلو.

- مركز زندر (Zinder) : في خضم التسابق الإمبريالي للوصول إلى بحيرة التشاد، تظهر مكانة زندر التجارية عبر الصحراء، فهو مركز عبور مهم بين طرابلس و كانو⁽²⁾، فكان محل اهتمام الفرنسيين و ما إقامة الفرنسيين في زندر و بعثة فورو و لامي إلى زندر و التشاد ، إلا لهدف تحقيق الربط التجاري و الإداري مع الجزائر.

إن مشروع الربط بين زندر و التشاد ينم عن إستراتيجية سياسية و اقتصادية، فالمشروع سيحقق اتحاد أملاك إفريقيا الغربية و الوسطى و الجزائر و تحويل المحور التجاري أقدر - كانو باتجاه كانم انطلاقا من زندر و هو ما أدى إلى تتابع إنشاء مراكز في كل من نغيغمي (N'guigmi) و غور (Gure) شيرمالاك (Chirmaleck) بين 1903م و 1904م ، لكن تهديدات الطوارق في الدمرغو و الكانم و السنوسية في أقصى الشمال، جعل فرنسا تنقل عاصمة الإقليم العسكري الثالث من زندر إلى نيامي سنة 1903م³.

لقد صاحب إنشاء المراكز التجارية إنشاء وكالات مثل الوكالات التي أنشأت على سواحل غينيا، على اثر مهمة لدراسة المنطقة من غاليناس (Gallinas) حتى الغابون بين 1838-1839م من طرف السيدين بووي (Bouët) و بروكان (Broquant) ، حيث جاء في تقريرهما ضرورة إعطاء⁽⁴⁾ التجار نقاط ارتكاز، لإنشاء وكالات محمية بحصون أمام الأنهار، كما دعت هذه التقارير بالرسائل التي

(1). ابراهيم بتقة ، المرجع السابق، ص 149.

(2). نفسه ، ص 151-153.

(3). نفسه، ص 157.

(4). مسعودة قاسي، المرجع السابق، ص 75.



بعثها الإخوة ريجي لوزارة البحرية و المستعمرات في 26 جوان و 07 أوت 1841م، أين أكدوا على أهمية وضع قدم فرنسا على سواحل غينيا إلى جانب الانجليز.

بعد تردد طويل؛ قررت فرنسا إعطاء تصريح لتجارها بإنشاء وكالات (Agence commerciales)، فكانت دار ريجي السبّاقة إلى ذلك، فأنشأت في جويلية 1843م وكالات بسام الكبير و أسيني بكوت ديفوار، كما طلب ريجي من الحكومة الفرنسية احتكار حصن سانت لويس (Fort Saint Louis) ، لاستعماله كمركز لحماية التجار الفرنسيين تدعيما للتجارة المشروعة، كما قاموا بإنشاء وكالة تجارية بوّداي سنة 1842م بعد موافقة ملك الداھومي.

مع نمو تجارة زيت النخيل؛ قرر الفرنسيون إنشاء وكالات جديدة على طول ساحل الداھومي، بفضل الامتياز الذي يحظون به عند ملوك المنطقة، منذ سنة 1853م كلف ريجي وكيله للتعرف على الأرض من جهة بوبوس و كوتونو، بحلول سنة 1860م بدأت هذه الوكالات تنمو ، كما أنشأ وكالات في غرب وّداي، بورتو سيغور (Porto seguro) ، بوبو الكبير (Grand Popo)، من الجهة الشرقية مثل بورتو نوفو، غودومي، أبومي، كالفي، في أقصى الشرق تمكن الفرنسيون من الاستقرار على طول سواحل الداھومي، كان الهدف من إنشاء هذه الوكالات على طول ساحل غينيا، هو منافسة بريطانيا في تجارة زيت النخيل⁽¹⁾ و قد بلغ عدد هذه الوكالات سنة 1882م 33 وكالة⁽²⁾.

2. الاهتمام بالمحاصيل النقدية:

كانت الإدارة الفرنسية للوهلة الأولى تسعى إلى توجيه الاقتصاد الجزائري نحو الميدان الزراعي، بالتحديد إنتاج المزروعات النقدية مثل التبغ و القطن لكونها تدر أرباحا طائلة على الأوروبيين، في بداية الأمر انحصرت الفلاحة الاستعمارية في زراعة الحبوب و استمر الوضع إلى بداية القرن العشرين، بعدها أدخلت زراعة المنتجات التجارية الموجهة للتصدير مثل الكروم، زراعة الحمضيات بكل أنواعها، أما جنوب الجزائر فقد استهوى المعمرين النخيل و إنتاجه مثل دقلة نور التي لها رواج في الأسواق الأوروبية⁽³⁾، لذلك أصبحت الفلاحة الصحراوية هي النشاط الرئيسي للفرنسيين، فبدأت الرأسمالية في امتلاك النخيل الذي وصل عام 1950م إلى أكثر من 160.000 نخلة موزعة على أهم الشركات الأوروبية و هي:

- الشركة الفلاحية و الصناعية للصحراء الجزائرية ب 24.200 نخلة،

(1). نفسه، ص 76-78.

(2). نفسه، ص 89.

(3). Lanessan, Jean-Louis , Op cit, p 67.



- الشركة الفلاحية للصحراء الجزائرية بـ 13.863 نخلة،
- الشركة الاستعمارية لإفريقيا الشمالية بـ 9.823 نخلة،
- شركة واحات شمال إفريقيا بـ 24.450 نخلة.

مع تزايد عدد النخيل الذي وصل سنة 1921م إلى سبعة ملايين نخلة، مما جر عنه الاهتمام بمصادر السقي مثل الآبار الارتوازية، هذا النظام الذي اتبعه بعض البورجوازيين في بعض المناطق الصحراوية مثل تفرت، بسكرة و غرداية، بالإضافة إلى المعمرين و الشركات الرأسمالية مما زاد في منسوب تدفق المياه، إضافة إلى تركيز الفرنسيين على تطوير نظام الفقارة التقليدي و زيادة المساحات المسقية كما يلي:

الواحات الصحراوية	المساحة المسقية (كلم/ هكتار)	المنسوب المائي (لتر/ثا)
الوادي	3.600	260
وادي ريغ	13.112	8.238
ورقلة	2.000	1.436
غرداية	1.855	937
القليعة	1.120	400
عين صالح	2.210	1.123
قورارة	1.810	887
توات	4.204	2.085
المجموع	29.911	15.066 ⁽¹⁾

عن إفريقيا الغربية خلال القرن التاسع عشر، تم ظهور اتجاهات جديدة في المجال الاقتصادي، مفاده إلغاء تجارة الرقيق و استبداله بالتجارة المشروعة، مثل زيت النخيل، الفول السوداني، القطن، العسل، الصمغ و جوزة الكولا⁽²⁾.

(1). أعميرواي أحميدة و آخرون، المرجع السابق، ص 107-109.

(2). أ. أ. أدو. بواهن، « اتجاهات و عمليات جديدة في إفريقيا في القرن التاسع عشر»، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام (القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانيناته) مجلد 6 ، اليونسكو، تحت اشراف، ج.ف. آدى آجايي، مطبعة حسيب و أولاده، لبنان، ط1، 1996، ص 89.



سعت فرنسا إلى منح الشركات الاستعمارية الفرنسية امتيازات واسعة ملكية الأرض التي أعتبرت بدون مالك شرعي، بعد مؤتمر برلين بخمس سنوات وزعت نسبة 70 % من أراضي إفريقيا الغربية على الشركات الاستعمارية الكبرى لمدة ثلاثين سنة مبدئياً.

هذه الملكيات سرعان ما قضت على الفلاحين و المنتجين الإفريقيين، أصبح إنتاجهم عاجزاً عن المنافسة و لم يبق أمامهم سوى العمل في المزارع الخاصة بتلك الشركات بل مجبرين على ذلك، لأن الإدارة هي التي تقوم بتوفير اليد العاملة الزراعية لهذه الشركات عن طريق الإيجار بحكم استغلال اليد العاملة المحلية⁽¹⁾.

من أهم المحاصيل التي اهتم بها الفرنسيين هناك:

- **زيت النخيل:** بعد تراجع دور البرتغاليين و الإسبان في أراضي غرب إفريقيا، تمكن البريطانيون و الفرنسيون من مواصلة كشف المنطقة الممتدة من السنغال إلى غينيا ، حتى وصلوا إلى مجموعة أنهار تعرف باسم أنهار الزيت، التي تصب مياهها في ساحل غينيا و كانت هذه المنطقة معروفة للأوروبيين كسوق للرقيق و الزيت²، غير أن تدهور منتجات النخيل في العقد السابع و التاسع ، تم تعويضها بإنشاء مزارع البن في ساحل العاج من طرف التاجر الفرنسي أرثر فيردييه و شركة النيجر التي بدأت في زراعة الكاكاو و البن و المطاط^(*) في وادي النيجر سنة 1887م⁽³⁾.

- **الفول السوداني:** لقد أدخل الفرنسيون زراعته بالسنغال في خمسينات القرن التاسع عشر، أين لاقت زراعته نجاحاً كبيراً و أصبح محصولاً رئيسياً في منطقة غرب إفريقيا و قد تحول إنتاجه مصدراً للدخل تفوق أرباحه تجارة الرقيق، الذهب و العاج التي كانت تحملها القوافل عبر الصحراء⁽⁴⁾.

- **القطن:** في العقد الثالث من القرن التاسع عشر اضطلع الفرنسيون بمشروع زراعي طموح في السنغال، بأيد إفريقية و من بينها القطن و النيلة، لكن التجربة تم التخلي عنها نتيجة سوء التسيير، في النصف الثاني من القرن بذلت محاولات لزراعته من جديد في السنغال⁽⁵⁾، كما أن المشروعات التي خططتها الحكومة الفرنسية في نهر النيجر الذي يوفر المياه للري بنسبة 1.750.000 هكتار

(1). اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 363.

(2). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 1.

(*) انظر التقرير الفرنسي حول استغلال المطاط بإفريقيا الغربية، الملحق رقم: 03.

(3). هوبكنز، ص 278.

(4). بوفيل، ص 405.

(5). هوبكنز، ص 277.



في منطقة منعطف النيجر، يقوم باستغلالها مليون و نصف من المزارعين لإنتاج ما مقداره: 300.000 طن من القطن في السنة إضافة إلى محاصيل أخرى⁽¹⁾.

3. وسائل التبادل التجاري:

- المكاييل و الموازين و المقاييس: قام الفرنسيون بتغيير المكاييل و الموازين التي وجدوها في الجزائر و عوضوها بمكاييلهم و موازينهم، مع فرضها على الجزائريين تحت دعوى مفادها أن الأحجام و الأوزان تختلف من مكان إلى آخر⁽²⁾.

- العملات: إن النظام النقدي الاستعماري قد أُدخل في منتصف القرن التاسع عشر و قد كانت حكومات المستعمرات تشجع على استخدام النقود الحديثة، ذلك من خلال إصرارها على دفع أجور العمال بالنقود المعدنية الأوروبية و الإصرار على تحصيل الضرائب نقدا، مع حرص الشركات الأوروبية على تطوير التجارة النقدية نظرا للأرباح التي كانت تحصل عليها⁽³⁾.

ما يدل على استعمال الفرنك الفرنسي بالصحراء الجزائرية، هناك بعض النصوص لبعض الاتفاقيات تُظهر استعمال عملة الفرنك الفرنسي عند بني ميزاب، كما تبين تقييدات مالية للقطن اطفيش عدد 08: سنة 1865م، أنها تمت بالدورو الفرنسي⁽⁴⁾.

لكن هذه العملة استخدمت بشكل محدود جدا حيث لها شاكلة الريال الإسباني، إذ ضرب الفرنسيون قطعة خمسة فرنكات لتنافس هذه العملة العالمية، ففي نهاية القرن التاسع عشر أصبحت قيمة الفرنك بالنسبة للريال حسب موتيلانسكي كالتالي: 100 غ ريال تساوي 125 فرنك.

بعد احتلال فرنسا لتوات و الأزواد فُرض عليهما الفرنك الفرنسي كأساس للتعامل، بالإضافة إلى النقود المغربية المتمثلة في البندقي و العشاوي و نصف البندقي و نصف العشاوي و الموزونة و الفليس و الدرهم⁽⁵⁾.

(1). اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 364.

(2). سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص 71-72.

(3). هوبكنز، ص 412.

(4). ناصر بلحاج، « جوانب من المعاملات المالية بوادي مزاب في القرنين 18 و 19 الميلاديين من خلال دفاتر بعض التجار»، مقال نشر في كتاب الملتقى الوطني الثاني حول، الحياة الاجتماعية و الإقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر من خلال المصادر المحلية، مطبعة منصور، الوادي، 2012، ص 255-256.

(5). حوتية، توات و الأزواد، ج2، ص 163.



إلا أن للمقايضة مجالها، ففي بداية القرن العشرين مازالت توات و ضواحيها تقوم على مبادلة سلعها بالمقايضة على الشكل التالي:

- خروف مقابل حمل من التمر،
- مقياس من القمح مقابل ست مقياس من التمر أو ثمانية،
- مقياس لحم مجفف مقابل اثني عشر مقياسا من التمر،
- قربة زبدة مقابل حمل من التمر أو حمل و نصف⁽¹⁾.

كما أن الودع بقي يستعمل حتى أواخر القرن التاسع عشر، عدا ساحل غينيا العليا و أراضيها الداخلية (من السنغال حتى ليبيريا) و نيجيريا الشرقية⁽²⁾.

خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كانت إفريقيا الغربية قد تزايد اتجاهها لاستخدام النقود في التجارة، لكن الاتجار في زيت النخيل، الفول السوداني، العاج و القرنفل كان يعتمد على نظام الائتمان، ذلك بتقديم السلع التجارية بالأجل لكبار التجار الأفارقة، مما كان يستوجب اتخاذ التدابير لحماية الاستثمار و لضمان تسليم البضائع المقابلة⁽³⁾.

مع بداية القرن العشرين كانت العملات النقدية منتشرة في إفريقيا الغربية و قد أدى التداول المتزايد للعملات الأوروبية إلى إدخال المؤسسات المصرفية، كان أول بنك ناجح في إفريقيا الغربية هو بنك السنغال الذي أنشئ في سانت لويس عام 1854م ، في عام 1901م استبدل بنك إفريقيا الغربية و قد كان أكثر البنوك أهمية في إفريقيا الغربية الفرنسية خلال الفترة الاستعمارية، التي كانت تسهل عملية التحويل الحر إلى الفرنك الفرنسي، هذه العملية استمرت حتى عام 1945م عندما أنشئت منطقة الفرنك و أصدرت عملة مستقلة للمستعمرات⁽⁴⁾.

(1). العماري، المرجع السابق، ص 221.

(2). هوبكنز، ص 135.

(3). أجايي، المرجع السابق، ص 30.

(4). هوبكنز، ص 412-415.



4. نظام الجمارك و الضرائب:

كان النظام التجاري للجزائر منذ عام 1884م شبيه بالنظام التجاري الفرنسي⁽¹⁾، حيث كانت السلع الجزائرية و الفرنسية معفاة من الضرائب في البلدين وفقا للمادة 02 من قانون 17 جويلية 1867م⁽²⁾، إذ كان هناك اتحاد جمركي بين فرنسا و الجزائر، فكان نظاما من أكثر الأنظمة الجمركية دقة و هيكلية في عالم الاقتصاد، هذا الأمر فرض على الجزائر أن تظل مصدرة للمواد الخام و المنتجات الزراعية و مستوردة للسلع المصنعة، الأمر الذي تسبب في الانهيار الذي تعرضت له الحرف و الصناعات في المدن و الأرياف على حد سواء⁽³⁾، حيث شلت الحركة الانتاجية التي اشتهرت بها سابقا بعض المراكز الحرفية.

هذا الإعفاء من التعريف الجمركية أستبدل بالضرائب المفروضة على الأهالي، تسمى الضرائب العربية و الفرنسية ، إذ كان على الأهالي دفعها مثل ضريبة الرأس (اللزمة) التي فرضت على الجزائر و إفريقيا الغربية⁽⁴⁾ و لها أوجه متعددة؛

- فرضت في شمال الجزائر و إفريقيا الغربية، على كل فرد قادر على حمل السلاح أو العمل،
- في الصحراء تدفع هذه الضريبة على كل نخلة بدل الشخص المالك⁽⁵⁾، أو على كل بيت أو خيمة و دكان،
- ضريبة حربية على القبائل التي رفضت الاحتلال⁽⁶⁾،
- ضريبة تدفعها قبائل الصحراء مقابل السماح لها بارتياح أسواق الشمال⁽⁷⁾.

ما بين الحربين اهتمت فرنسا بإعادة هيكلية النظام الضريبي و المالي، فقامت الإدارة المالية بمراقبة المصروفات و كثيرا ما نجحت في تحقيق هذا التوازن بين عام 1919م و 1930م، لكن الأزمة أدت إلى ارتفاع المصروفات عن الإيرادات، فكانت المصادر الرئيسية للإيرادات هي الرسوم الجمركية و الضرائب على

(1). M. Alfred RAMBAUD, **la france coloniale (histoire - géographie - commerce)**, Imp. charaire et cie, paris, 1893, p 121.

(2). Lanessan, Jean-Louis, Op.cit, marge N° 1, p 75.

(3). أحمد كساب و آخرون، المرجع السابق، ص 439-440.

(4). مياسي، توسع الإستعمار، ص 143.

(5). سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص 76.

(6). محمد عبد الحليم بيشي، المرجع السابق، ص 60-61.

(7). سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص 76.



الأراضي و المنتجات الزراعية و على السلع الاستهلاكية (ضرائب غير مباشرة)، فالإيرادات إذن كانت تأتي من الأهالي⁽¹⁾.

وفقا لمرسوم 20 ديسمبر 1922م و 8 جوان 1941م، الذي ينص على فرض الضرائب، قامت فرنسا بتطبيقه على المناطق الصحراوية و من بينها سوف و الجدول الموالي يبين تطور الضرائب على النخيل في هذه المنطقة كما يلي:

أصناف النخيل	1922م	1930م	1936م	1938م	1941م
نخيل الصنف الأول	1.80 فرنك	3 فرنك	3 فرنك	2.50 فرنك	4 فرنك
نخيل الصنف الثاني	0.95 فرنك	1.25 فرنك	1.50 فرنك	1 فرنك	1.65 فرنك
نخيل الصنف الثالث	0.85 فرنك	0.85 فرنك	0.50 فرنك	0.30 فرنك	0.40 فرنك ⁽²⁾

كما فرضت هذه الضريبة على مالكي الجمال، الماعز و الأغنام كما يلي:

الأغنام	الجمال	الماعز	
	4 فرنك	0.25 فرنك	مرسوم 22 ديسمبر 1922م
	5 فرنك	1.5 فرنك	مرسوم 31 ديسمبر 1941م

توجد أيضا إحصائيات ضريبية فُرضت على بني ميزاب بعد معاهدة الحماية مباشرة، حيث قام كولونال الأغواط بإحصاء شامل للمنازل و النخيل و دكاكين التجارة يوم 03 جانفي 1863م، لتعديل تقسيم الخراج على المدن السبع، ذلك بفرض خمسة فرنكات على كل منزل و نخلة و دكان 20 فرنك، كما هو مبين في الجدول أدناه:

اسم المدينة	عدد النخيل	عدد الدكاكين	الضريبة بالفرنك
غرداية	50.000	50	18.500 فرنك
بني يزقن	12.000	20	2.500 فرنك
القرارة	20.000	25	6.000 فرنك
بريان	18.000	5	4.000 فرنك
العطف	6.500	12	3.500 فرنك

(1). أحمد كساب، المرجع السابق، ص 442.

(2). عثمان زقب، المرجع السابق، ص 127-128.



مليكة	6.000	30	3.000 فرنك
بونورة	1.500	10	1.500 فرنك ⁽¹⁾

إلا أن بعض الطلبة و العلماء أمثال الشيخ القطب محمد بن يوسف أطفيش، رفضوها و اعتبروها استسلاما لدولة كافرة.

عند ذهاب موسى آق أمستان إلى عين صالح عام 1904م، لعقد معاهدة حفظ السلام في منطقة الطوارق و ضمان حرية التجارة، فرضت الحكومة الفرنسية ضريبة على سكان تامنراست⁽²⁾، مقابل الإعفاء من ضريبة الرأس فرضت فرنسا نظام السخرة (Corvée)^(*).

نفس النظام طُبّق على غرب افريقية الفرنسية، حيث يمثل الأفارقة للفرنسيين سلعةً للتجار أو أداةً للإنتاج، على الرغم من أن السخرة كانت محرمة رسمياً في كل مكان، فقد كان النقص في الأيدي العاملة يشجع على القسر سواء بطريقة مباشرة أو عن طريق فرض الضرائب، فكان استخدام الأيدي العاملة بدون أجر؛ فقد أجاز الإتحادان الفرنسيان رسمياً بعد الحرب العالمية الأولى، استخدام الأيدي العاملة بدون أجر في المشروعات ذات الأهمية المحلية أو بالنسبة للمستعمرين، كما نص المرسوم الصادر في 6 أكتوبر 1922م على إمكانية شراء الإعفاء من هذا العمل، مقابل دفع مبلغ يتراوح بين 50 سنتيماً و فرنكين عن كل يوم بحسب مدى تغلغل الاقتصاد النقدي⁽³⁾.

رغم تزايد الطلب على العمال، فإن حركة الأجور لم تواكب هذا التزايد مما تسبب في اختلال توازن مالي، إذ كان التضخم (Inflation) هو سمة الدول الاستعمارية خلال العشرينات، الأمر الذي انعكس على تكلفة واردات المستعمرات، دون أن يكون مصحوباً بتغير في أسعار الصادرات، الجهد الوحيد الذي كُتِل بالنجاح هو الاستعاضة تدريجياً عن دفع الأجور عيناً بدفعها نقداً، مما أدى إلى دفع الضرائب نقداً، فكانت تُجبي من كل بالغ قادر بدنياً.

(1). يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 130-132.

(2). Paul Pandolfi , « In-Salah 1904/Tamanrasset 1905 , les deux soumissions des Touaregs Kel-Ahaggar », Cahiers d'études africaines. Vol. 38, N°.149, 1998. p 60 .

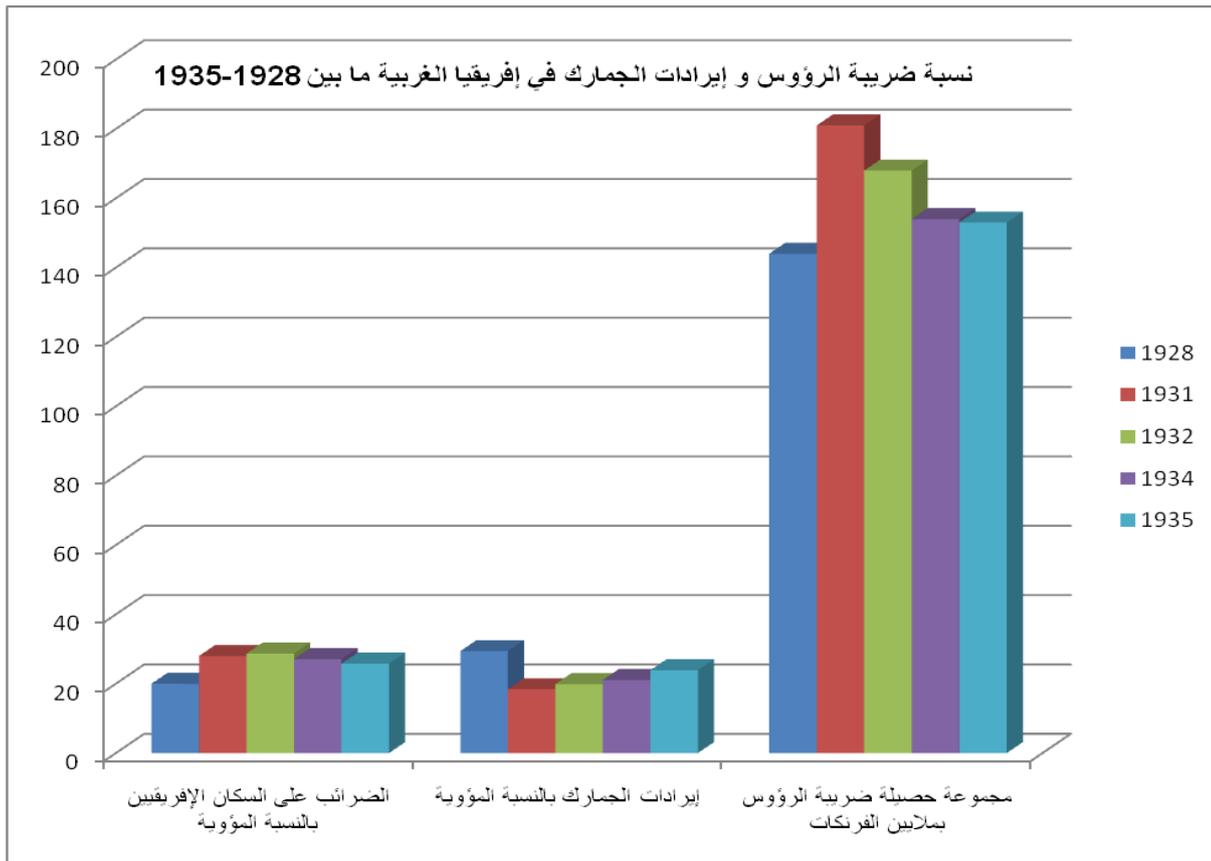
(*) . هو العمل مجانياً في أراضي المستوطنين و لحساب المجالس المحلية. أنظر: مياسي، توسع الإستعمار، ص 143.

(3). كوكري . ك فيدوروفيتش، «الاقتصاد الاستعماري في المناطق الفرنسية و البلجيكية و البرتغالية السابقة (1914-1935) » ، مقال نشر في كتاب تاريخ افريقيا العام (افريقيا في ظل السيطرة الإستعمارية 1880-1935م) مجلد 7، اليونسكو ، تحت اشراف، أ. آدو بواهن، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1990 ، ص 366-367 .



بعد استكمال التوغل الاستعماري و تعزيز إدارة المستعمرات و انتظام الضرائب، أصبح تحصيل الضرائب يعتبر مصدرا رئيسيا لتمويل التوسع، فقد أدى هذا ما بين الحربين إلى تزايد معدلات ضريبة الرؤوس بسرعة أكبر من معدل تزايد الأجور⁽¹⁾، حتى أصبحت الضرائب أعلى من الأجور و الجدول الموالي يبين نسبة إيرادات الجمارك و الضرائب المفروضة سكان افريقيا الغربية كما يلي:

السنة	الضرائب على السكان الإفريقيين بالنسبة المئوية	إيرادات الجمارك بالنسبة المئوية	مجموعة حصيلة ضريبة الرؤوس بملايين الفرنكات
1928م	20 %	29,4 %	144
1931م	28 %	18,4 %	181
1932م	28,7 %	19,9 %	168
1934م	27,1 %	21,1 %	154
1935م	25,8 %	23,9 %	153 ⁽²⁾



(1). نفسه، ص 372-373.

(2). نفسه، ص 375.



من خلال الجدول و المخطط نلاحظ أن ميزانية المستعمرة الفرنسية في إفريقيا الغربية، تمول بنفس الطريقة 25 % من إيرادات الجمارك و 25 % من ضريبة الرؤوس⁽¹⁾، مع العلم أن الميزانية تقريبا من 43 % إلى 45 % كان يمول بواسطة ضريبة الرؤوس في الفترة ما بين 1927-1935م ، بالإضافة إلى إيرادات الجمارك، كان الثلث يمول من الضرائب الأخرى مثل ضرائب الأراضي، ضرائب الماشية، ضرائب الاستهلاك على السكك الحديدية من 13 إلى 16 % ، أما الباقي من 21 إلى 24 % تمول من مصادر عامة و خاصة مثل الأملاك الأميرية ، التراخيص، المداخيل و المصانع⁽²⁾.

(1). نفسه، ص 375.

(2). نفسه، هامش رقم، 37، ص 375.



المبحث الثالث: الحركة التجارية في الصحراء الجزائرية.

يقول سعد الله: " قيل إن التجارة تقدمت منذ الاحتلال فبلغ الاستيراد سنة 1857م حوالي 22.000.000 دولار و الصادرات من الجزائر 3.000.000 دولار"، و هو ما يبين الفرق الشاسع في قيمة الصادرات و الواردات، أي أن الجزائر أصبحت سوقا للبضائع الفرنسية⁽¹⁾، و السؤال المطروح: ما هي أنواع المبادلات التجارية بين الجزائر و فرنسا؟ و هل استطاعت فرنسا تحقيق حلمها التجاري عبر الصحراء في ظل غياب خطوط السكك الحديدية و البحر الداخلي؟.

1. المبادلات التجارية الداخلية:

أ. أسواق شرق الصحراء (منطقة سوف نموذجاً):

يعد سوق الوادي المركز الرئيسي لأسواق المنطقة؛ به تجري أهم الصفقات التجارية و قد شيدت على أطرافه العديد من الدكاكين، يشتمل على أقسام حسب التخصصات التجارية، فهناك مساحة القمح و الخضار، الصوف، الحيوانات، اللحم، محلات بيع القماش، المواد الغذائية، الحرفيين و المقاهي.

هذا السوق تتم فيه جميع مبادلات السلع، لا سيما السلع التي تسيطر عليها التعاملات التجارية مثل التمر، الغرس و دقلة نور بالإضافة إلى تجارة البرنوس و التبغ⁽²⁾.

لقد حققت تجارة سوف رقم أعمال سنة 1925م قدر بـ 7.000.000 فرنك، حيث بلغت صادراتها سنة 1937م إلى 6.959.000 فرنك، و وارداتها 5.750.100 فرنك، كما ارتفعت سنة 1938م إلى 13.719.500 فرنك من الصادرات و 7.117.050 فرنك من الواردات.

لتشجيع تجارة المنطقة؛ عملت فرنسا على استفادة سوف و بعض مناطق الجنوب من إلغاء إجراءات مرسوم 9 سبتمبر 1939م الذي يُخضع ممارسي النشاط التجاري إلى رخصة إدارية، تم هذا الإلغاء من خلال الفقرات 42 و 43 من قانون 31 ديسمبر 1945م، مما سمح ببروز 300 تاجر جديد في وادي سوف، كما صدر قرار 7 جوان 1949م، حدد بعض الإعفاءات من الحقوق و الرسوم على بعض السلع الموجهة نحو المناطق الصحراوية⁽³⁾.

(1). سعد الله، الحركة الوطنية، ج1، ص 70-71.

(2). عثمان زقب، المرجع السابق، ص 98-99.

(3). نفسه، ص 96-97.



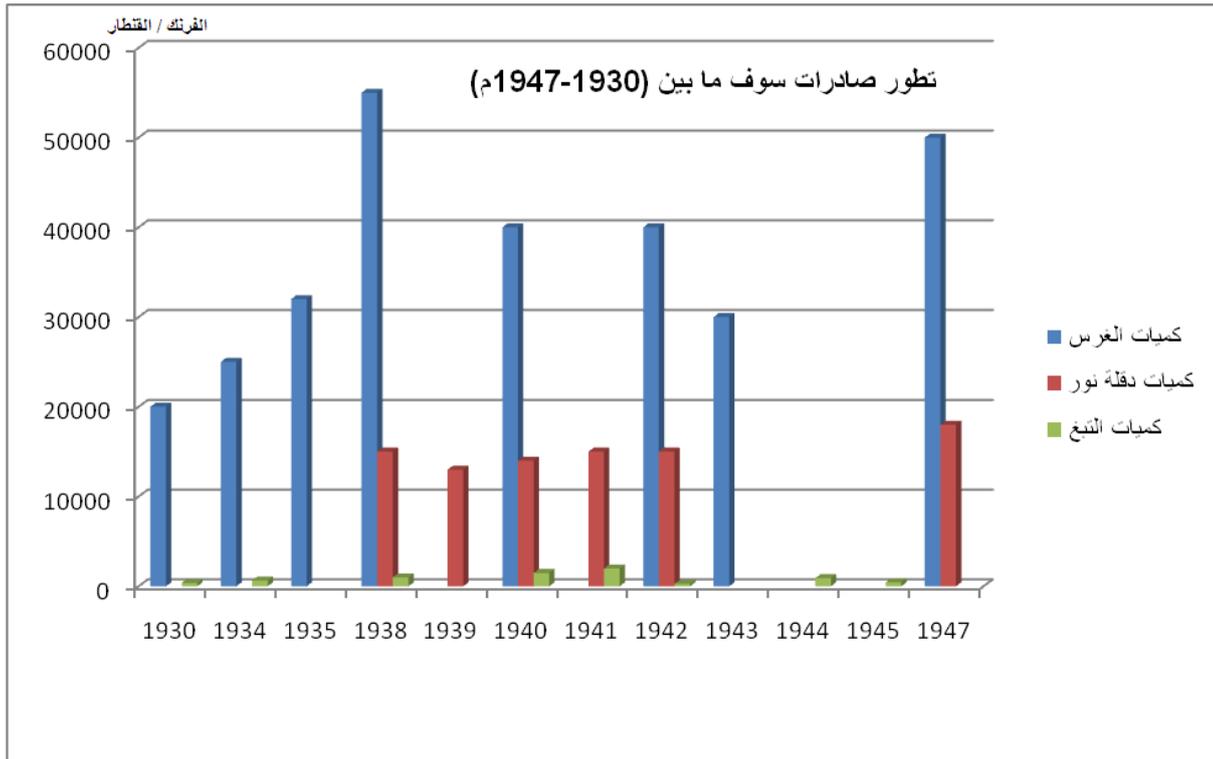
تمثل التمور ركيزة المبادلات التجارية في سوف خاصة الغرس الذي يدخل بقوة في عمليات البيع، ناهيك عن تصدير دقلة نور خارج البلاد، كما يحتل التبغ المرتبة الثالثة من حيث الأهمية الاقتصادية و التجارية بعد التمور و البرنوس في سوف، يدخل بقوة في التعاملات التجارية مع الشمال، كما يُهرب نحو تونس و الجدول الموالي يمثل صادرات سوف ما بين 1930 و 1947م.

- جدول تطور صادرات سوف ما بين (1930-1947م):

السنوات	1930م	1934م	1935م	1938م	1939م	1940م
كميات الغرس	20.000	25.000	32.000	55.000	-	40.000
كميات دقلة نور	-	-	-	15.000	13.000	14.000
كميات التبغ	375	647	-	999	-	1.480
يتبع...						
السنوات	1941م	1942م	1943م	1944م	1945م	1947م
كميات الغرس	-	40.000	30.000	-	-	50.000
كميات دقلة نور	15.000	15.000	-	-	-	18.000
كميات التبغ	1980	272	-	908	(1)430	-

الوحدة: (الفرنك / القنطار)

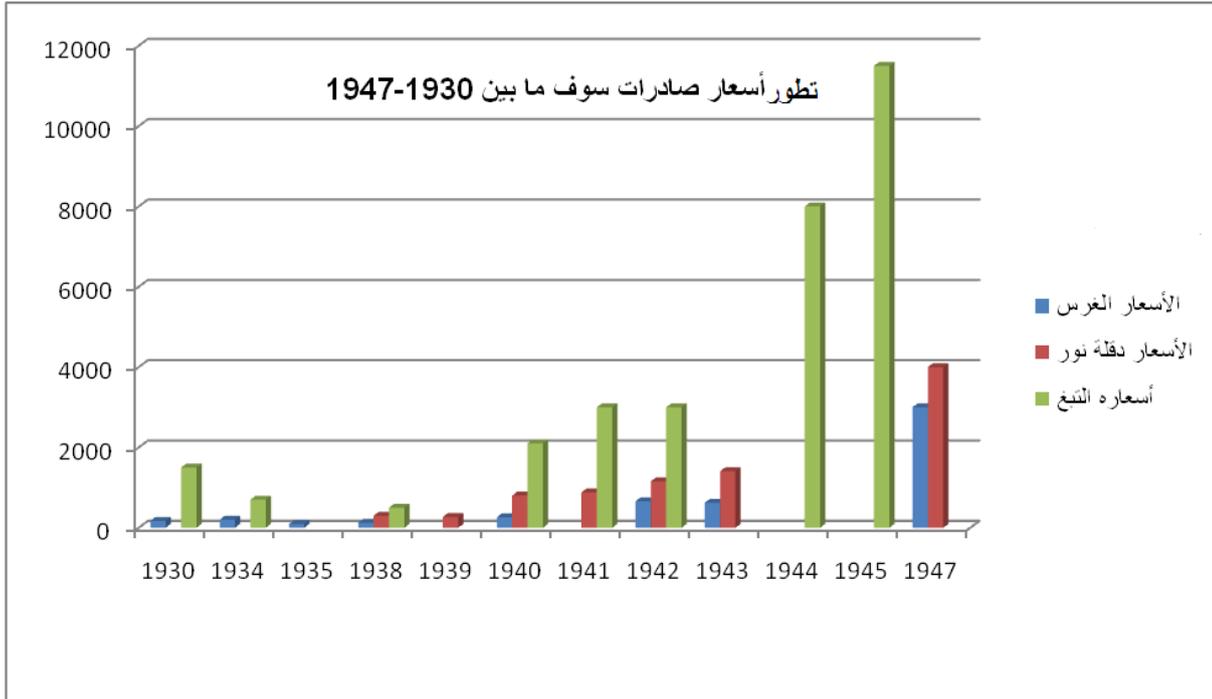
(1). نفسه، ص 104-105.



- جدول أسعار صادرات سوف ما بين 1930-1947م:

السنوات	1930م	1934م	1935م	1938م	1939م	1940م
أسعار الغرس	170	200	90	125	-	260
أسعار دقلة نور	-	-	-	300	270	800
أسعاره التبغ	1500	700	-	500	-	2.100
يتبع...						
السنوات	1941م	1942م	1943م	1944م	1945م	1947م
أسعار الغرس	-	656	621	-	-	3.000
أسعار دقلة نور	880	1.154	1.404	-	-	4.000
أسعاره التبغ	3.000	3.000	-	8.000	(1)11.500	

(1). نفسه، 105.



من خلال الجدولين يتضح مدى وفرة الغرس و دقلة نور، أما عن أسعارها فنلاحظ ارتفاعها خلال الحرب و نهاية 1947م، مما جعل السكان المحليين يحافظون على التمور كاحتياطي استراتيجي لمواجهة فترات القحط و المجاعات⁽¹⁾.

أما عن واردات سوف تمثل الحبوب من المنتجات الرئيسية التي تقوم على استيرادها، يتم جلبها من المناطق التلية خاصة الأوراس، يكون ذلك عن طريق قوافل النمامشة، الخناشلة و التباسة الذين يأتون لمبادلة التمور و النسيج حتى في فترة وجود الشاحنات سنة 1930م⁽²⁾، و الجدولان المواليان يبينان أسعار وكمية الحبوب التي كانت سوف تستوردها من الشمال.

- جدول واردات سوف من الحبوب بالقنطار ما بين 1930 - 1945م:

السنوات	1930م	1934م	1936م	1938م
كميات القمح	17.000	9.000	7.000	20.000
كميات الشعير	15.000	15.000	9.000	10.000
يتبع...				
السنوات	1939م	1940م	1941م	1945م

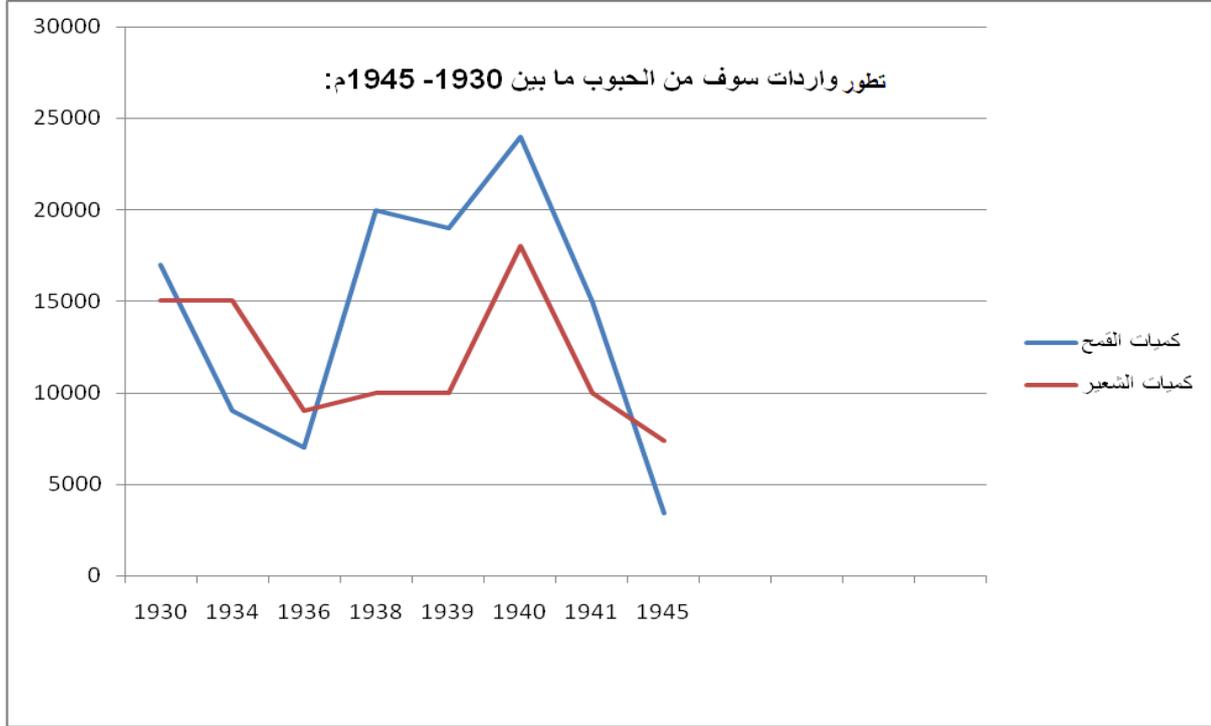
(1). نفسه، ص 101.

(2). نفسه، ص 105.



3.430	15.000	24.000	19.000	كميات القمح
(1)7.360	10.000	18.000	10.000	كميات الشعير

الوحدة: القنطار

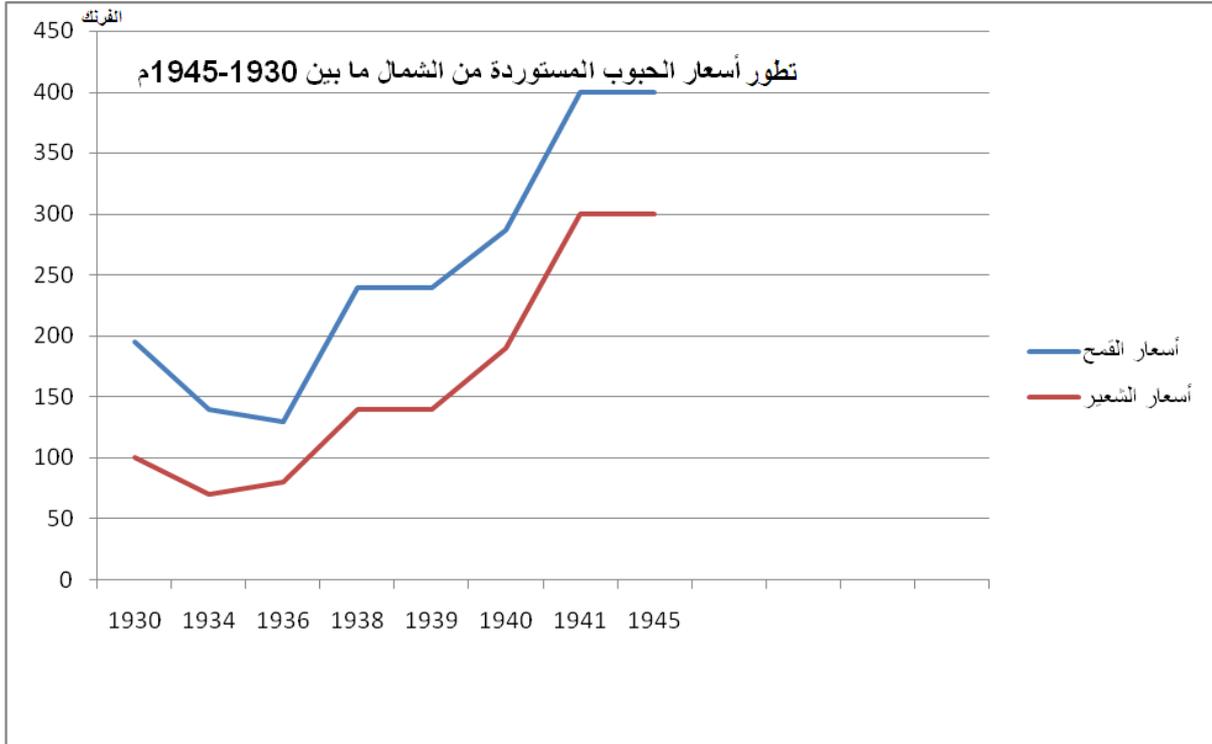


- جدول أسعار الحبوب المستوردة من الشمال بالفرنك ما بين 1930-1945م :

السنوات	1930م	1934م	1936م	1938م
أسعار القمح	195	140	130	240
أسعار الشعير	100	70	80	140
يتبع...				
السنوات	1939م	1940م	1941م	1945م
أسعار القمح	240	287	400	400
أسعار الشعير	140	190	300	(2)300

(1). نفسه، ص 105.

(2). نفسه، ص 105.



من خلال الجدولين نلاحظ ارتفاع حجم الواردات؛ لان المنطقة لا تنتج الحبوب لطبيعة المناخ أولا و لأن هذه المادة مستهلكة بشكل كبير من طرف السكان ثانيا ، أما عن تأرجح نسبة الواردات فيعود إلى كميات انتاجه في الشمال و وضعية الأسواق، كما أن تضائل انتاج التمور بالمنطقة يتم تعويضه باستيراد كميات كبيرة من الحبوب لتغطية العجز الغذائي، أما الأسعار فتتحكم فيها قاعدة العرض و الطلب و وضعية النقل اللتان تؤثران بشكل كبير على أسواق سوف، كما أن فترة الحرب العالمية الثانية نتج عنها ارتفاع الاسعار نتيجة قلة عرض الحبوب خاصة سنوات 1941 و 1942م⁽¹⁾.

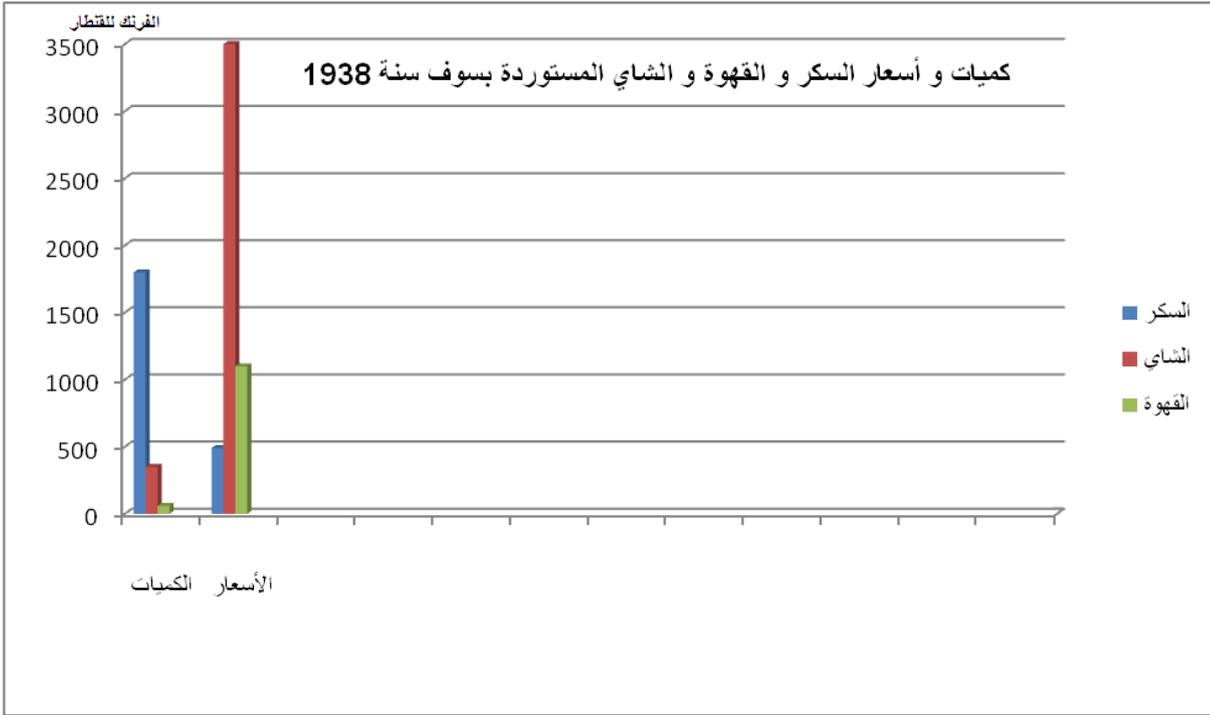
- جدول كميات و أسعار السكر، القهوة و الشاي المستوردة بسوف سنة 1938م:

المواد	الكميات	الأسعار	القيمة الإجمالية
السكر	1.800 قنطار	490 فرنك	882.000 فرنك
الشاي	350 قنطار	3.500 فرنك	1.225.000 فرنك
القهوة	60 قنطار	1.100 فرنك	66.000 فرنك ⁽²⁾

الوحدة: (الفرنك/القنطار)

(1). نفسه، ص 107 - 108.

(2). نفسه، 108.



من خلال الجدول و المخطط نستنتج أن الشاي، يحتل المرتبة الأولى في واردات سوف لكونه يستهلك بكميات كبيرة، حيث بدأ استهلاكه مع بداية القرن العشرين و يمكن تحديد سنة 1910م كبداية له، لكن مع سنة 1918م أصبح أكثر تداولاً حتى أصبح من التقاليد الخاصة بالمنطقة⁽¹⁾.

كما بلغت واردات زيت الزيتون سنة 1938م حوالي 200 قنطار بقيمة 120.000 فرنك⁽²⁾، أما السكر، الشاي و القهوة يتم جلبهم إما من التل بواسطة الشاحنات أو من تونس عن طريق التهريب أو بشكل قانوني⁽³⁾.

ب. أسواق غرب الصحراء:

كان التبادل التجاري بين توات و الفرنسيين في الشمال قليل الأهمية، لكون القوافل التواتية تتجه نحو مراكش، لكن الفرنسيين استغلوا سوء الأوضاع المعيشية هناك و حاولوا التأثير فيهم بواسطة التغلغل الاقتصادي، فعينت قوافل جزائرية خاصة لتزويد واحات توات بالمواد التي يمكن أن تجذبهم نحو أسواق الشمال، بالفعل أخذت القوافل نحو توات بمجموعات بلغت في البداية حوالي 15.000 جمل و 4.000

(1). نفسه، ص 107.

(2). نفسه، ص 107 - 108.

(3). نفسه، ص 107.



رجل، هذه القوافل كانت تحمل الصوف، الشعير، القمح، الفول، الزبدة، اللحم المجفف و تجلب المنتجات المحلية مثل التمر⁽¹⁾.

لتسهيل العلاقات التجارية بين أسواق الشمال و أسواق توات، عملت فرنسا على تشييد بعض المراكز على طول الحدود الجزائرية المغربية، مثل مركز عين الصفراء، فكيك و بني ونيف، هذه المراكز حققت فوائد كبيرة لفرنسا، فقد حقق الخط الحديدي ما بين عين الصفراء و خط دوفيرييه نتائج إيجابية، إذ بلغت مداخيله 40.000 فرنك⁽²⁾، ما بين سبتمبر و ديسمبر 1901م يبين الجدول الموالي صادرات محطة السكة الحديدية لدوفيرييه قرب فكيك:

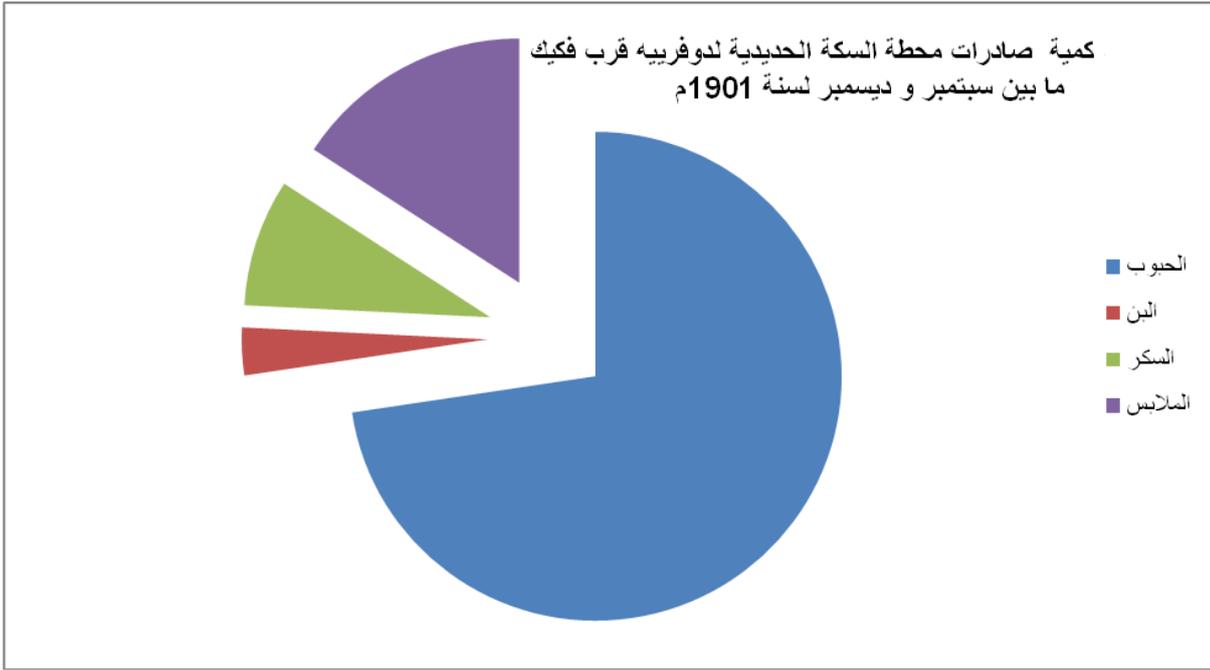
- جدول صادرات محطة السكة الحديدية لدوفيرييه ما بين سبتمبر و ديسمبر لسنة 1901م :

المادة	الكمية
الحبوب	69 طن.
البن	3 طن.
الملابس	15 طن.
السكر	8 طن.
المجموع	95 طن ⁽³⁾

(1). العماري، المرجع السابق، ص 188-189.

(2). نفسه، ص 192.

(3). نفسه، 193.



من خلال الجدول و المخطط البياني نستنتج أن كمية الحبوب المصدرة نحو الجنوب تمثل أعلى نسبة لكون زراعته تتم في الشمال و يستهلك بنسبة كبيرة في الجنوب، كما تمثل الملايس و السكر المرتبة الثانية وهي في جلها صادرات فرنسية.

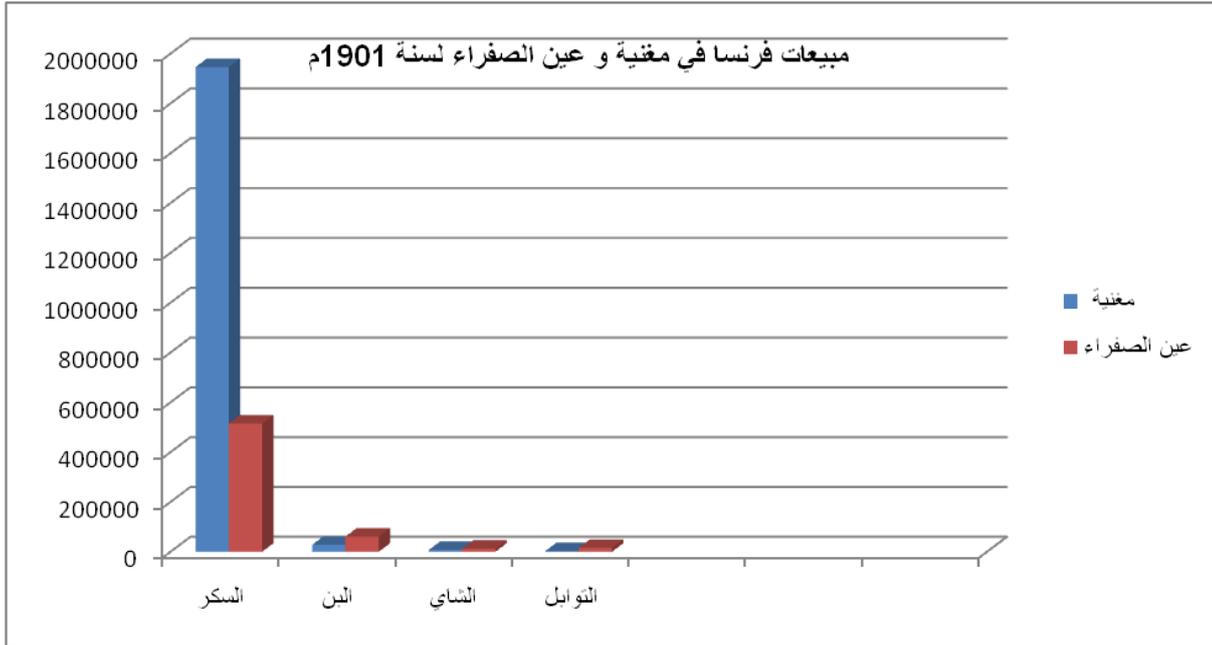
هناك إشارات إلى مبيعات فرنسية تمت سنة 1901م، في مستودعات سوق مغنية و عين الصفراء هذه المبيعات يستهلكها المغاربة على الحدود⁽¹⁾ و هي كما يلي:

- جدول مبيعات فرنسا في مغنية و عين الصفراء لسنة 1901م:

عين الصفراء	مغنية	
515.000 كغ	1.946.000 كغ	السكر:
61.000 كغ	28.000 كغ	البن:
12.013 كغ	7.109 كغ	الشاي:
15.596 كغ ⁽²⁾	3.015 كغ	التوابل:

(1). نفسه، ص 194.

(2). نفسه، ص 194-195.



الملاحظ أن السكر يدخل بقوة في المبادلات التجارية لمغنية، عدا ذلك تشكل مبيعات عين الصفراء أعلى نسبة في المواد المعروضة الباقية، لكون مغنية من المناطق التي استفادت من مرسوم 1896م الخاص بتنظيم الحركة التجارية على الحدود المغربية الجزائرية.

كان هناك أيضا نوع من التبادل المباشر بين فكيك و بني ونيف، حيث بلغت واردات فكيك خلال ثلاثة أشهر من أكتوبر إلى غاية ديسمبر 1903م الكميات التالية:

المادة	الكمية	المادة	الكمية
القمح و الشعير	201.900 كلغ.	صوف	6.550 كلغ.
زبدة و زيت	2.160 كلغ.	سلع أخرى	3.500 كلغ ⁽¹⁾
نسيج أو ثياب	15.970 كلغ.		

في المقابل استورد بني ونيف من فكيك ما يزيد عن قيمة 60 طن من الصوف المنسوج و الجلود، نتيجة لتطور هذه الحركة التجارية في بني ونيف، عمل أرباب التجارة على تخفيض أثمان السلع و منح قروض لتجار فكيك ، كي يرفعوا من قدرتهم الشرائية و تبادل السلع بالبرانس الفكيكية و التمر و الجلود⁽²⁾.

(1). نفسه، ص 219.

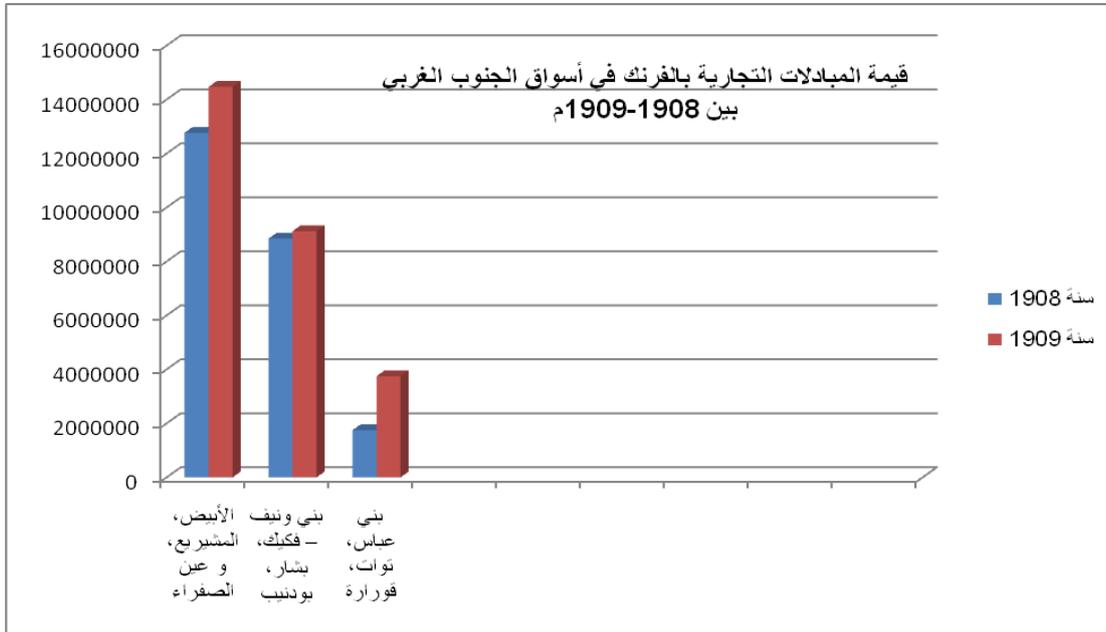
(2). نفسه، ص 219.



لتنظيم الحركة التجارية على الحدود المغربية الجزائرية، اهتم مرسوم 1896م بتحديد بعض المراكز التي تصدر منها فرنسا بعض السلع مثل الخمر ، السكر، القهوة، الشاي، الفلفل و الزيت، هذه الأسواق هي: سوق مغنية و الأبيض و فكيك بالأطلس الصحراوي.

بفضل هذه المراكز كانت هناك حركة تجارية لا بأس بها، ففي قورارة وحدها ارتفعت قيمة السلع التي نقلت إليها إلى 51.909.950 فرنكا، بالإضافة إلى بعض المنتجات التي حملتها القوافل سنة 1898م و قيمتها 1.007.218 فرنكا⁽¹⁾، كما بلغت قيمة المبادلات لأسواق الجنوب الوهراني بين عامي 1908م و 1909م ما يلي:

1909م	1908م	
14.472.096 فرنك	12.770.207 فرنك	الأبيض، المشيرع، و عين الصفراء
9.125.368 فرنك	8.850.474 فرنك	بني ونيف - فكيك، بشار، بودنيب
3.752.093 فرنك ⁽²⁾	1.751.825 فرنك	بني عباس، توات، قورارة



كما تطورت الحركة التجارية بواحات الجنوب و تقوّت العلاقة فيما بينها و بين المناطق الشمالية، خلال سنتي 1904-1905م ، حيث استقبلت واحات توات و نواحيها حوالي 4.200 شخص جلبوا

(1). نفسه، 191.

(2). نفسه، ص 223.



لها ما قيمة 14.000 جمل و 5.400 شاة و مختلف السلع من جبن، صوف، زبدة، لحوم مجففة، قمح، شعير، حبال الماعز و الإبل⁽¹⁾.

عن بقية القوافل التجارية التي تتجه من الجزائر إلى توات، تشير بعض الكتابات أنه في عام 1887م؛ تكونت قافلة من 3.411 رجلا و 14.914 جملا و بلغت قيمة صادراتها إلى توات 970.000 فرنك بينما وارداتها بلغت 427.000 فرنك⁽²⁾.

من خلال ما تم تقديمه؛ فإن توات من الناحية الاقتصادية و الموقع الجغرافي، هو إقليم تابع للجزائر فهي ملزمة باستيراد اللحوم و القمح للاستهلاك المحلي و الصوف لصنع السجاد، لأنها لا تستطيع الاعتماد على المغرب لأن إنتاجها محدود^(*)، رغم التطرف و انعدام الثقة بالفرنسيين و محاولة تفادي الأراضي التي تسيطر عليها فرنسا، إلا أنها تعتمد على سلع الفرنسيين حين تأتي إلى قبائل التل⁽³⁾.

2. المبادلات التجارية الخارجية:

أ. المبادلات مع فرنسا:

إن مسألة دمج التراب الجزائري بالتراب الفرنسي، جعل من الجزائر سوقا فرنسية فجعل المبادلات التجارية الجزائرية كانت مع فرنسا من بداية الاحتلال، حيث تشير الإحصائيات إلى تزايد النسب التجارية على مرّ السنوات؛ تستورد الجزائر أساسا القطن، الكتان أو القنب، الصوف، الحرير، الملابس، السكر، النبيذ، المشروبات، الأدوات الزراعية، المعادن، مواد البناء، الفحم، الصابون، الطحين، آلات الحديد و الصلب، الكيماويات، الورق و الأدوية بالإضافة إلى بعض المنتجات الغذائية، كالزبدة و الجبن،... الخ⁽⁴⁾.

(1). نفسه، ص 220.

(2). Henri Schirmer, Op.cit, p 413.

(*) مثل المشاية، الحلفاء، الحبوب، الصوف، الجلود، الفواكه، البطاطس، زيت الزيتون، الفحم و خام المنغيز. أنظر:

- Robert Tinthoin, Op.cit, p 201.

(3). Henri Schirmer, Op.cit, p 413.

(4). Robert Tinthoin, Op.cit, p 201.



تصدر أساسا الحبوب، الصوف، الحلفاء، الجلود الخامة، المعادن كالفوسفات، الخضروات، التمور، التبغ، الزيوت، البقول، الفلين، النبيذ، الحمضيات، البطاطا، الأسماك، الأغنام، ... الخ⁽¹⁾، و الجدول الموالي يبين تطور و نمو المبادلات التجارية بين البلدين⁽²⁾.

- جدول تطور صادرات و واردات الجزائر حسب إحصاءات عامة للجزائر ما بين: 1831-1890م:

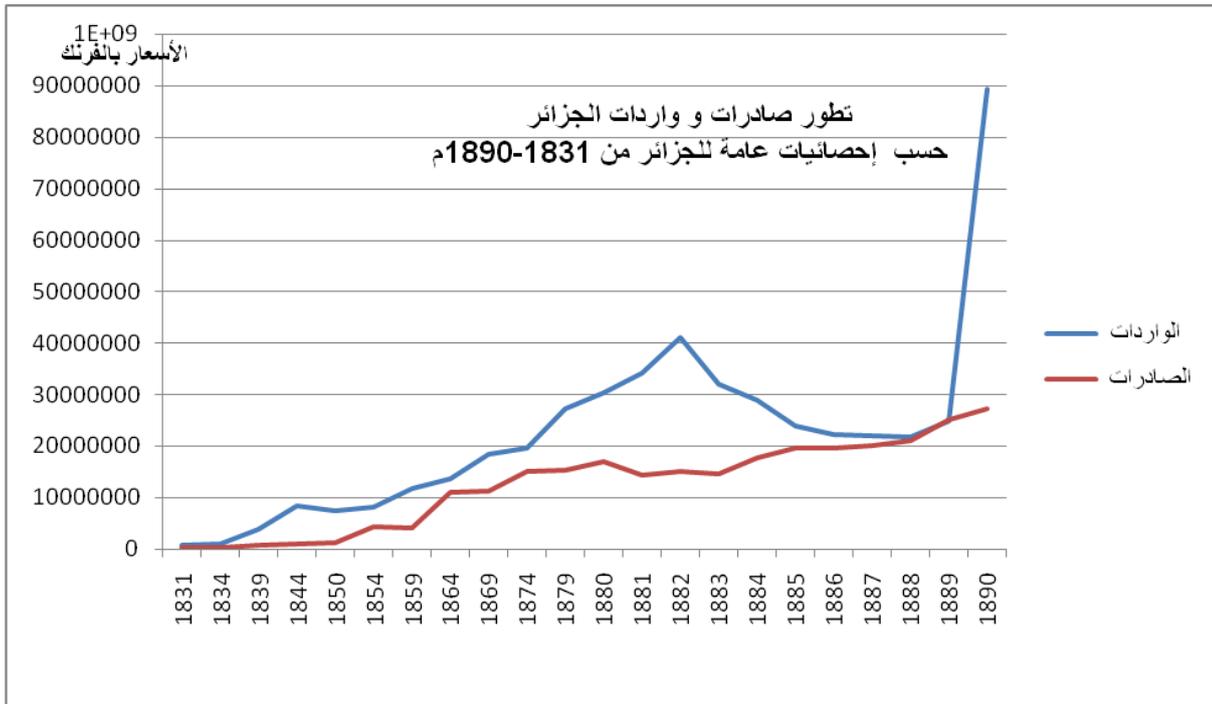
الصادرات بالفرنك	الواردات بالفرنك	السنوات
1 479 000	6 504 000	1831
2 376 662	8 560 236	1834
5 281 372	36 877 558	1839
8 109 747	82 804 550	1844
10 268 383	72 692 782	1850
42 176 068	81 234 447	1854
39 741060	116 485 181	1859
108 067 334	136 458 793	1864
110 951 323	183 304 804	1869
149 352 895	196 255 214	1874
151 918 421	272 126 102	1879
168 835 136	303 434 641	1880
143 584 603	342 252 660	1881
150 032 678	411929 315	1882
144178 160	320 376 248	1883
175 897 889	289 810 891	1884
195 369 668	237 957 903	1885

(1). Ibid, p 201.

(2). M. Alfred Rambaud , Op.cit, p 122.



196 399 452	222 167 562	1886
200 441 457	220 094 772	1887
210 638 992	216 184 336	1888
251647 397	249 206 337	1889
893947618 ⁽¹⁾	272029683	1890



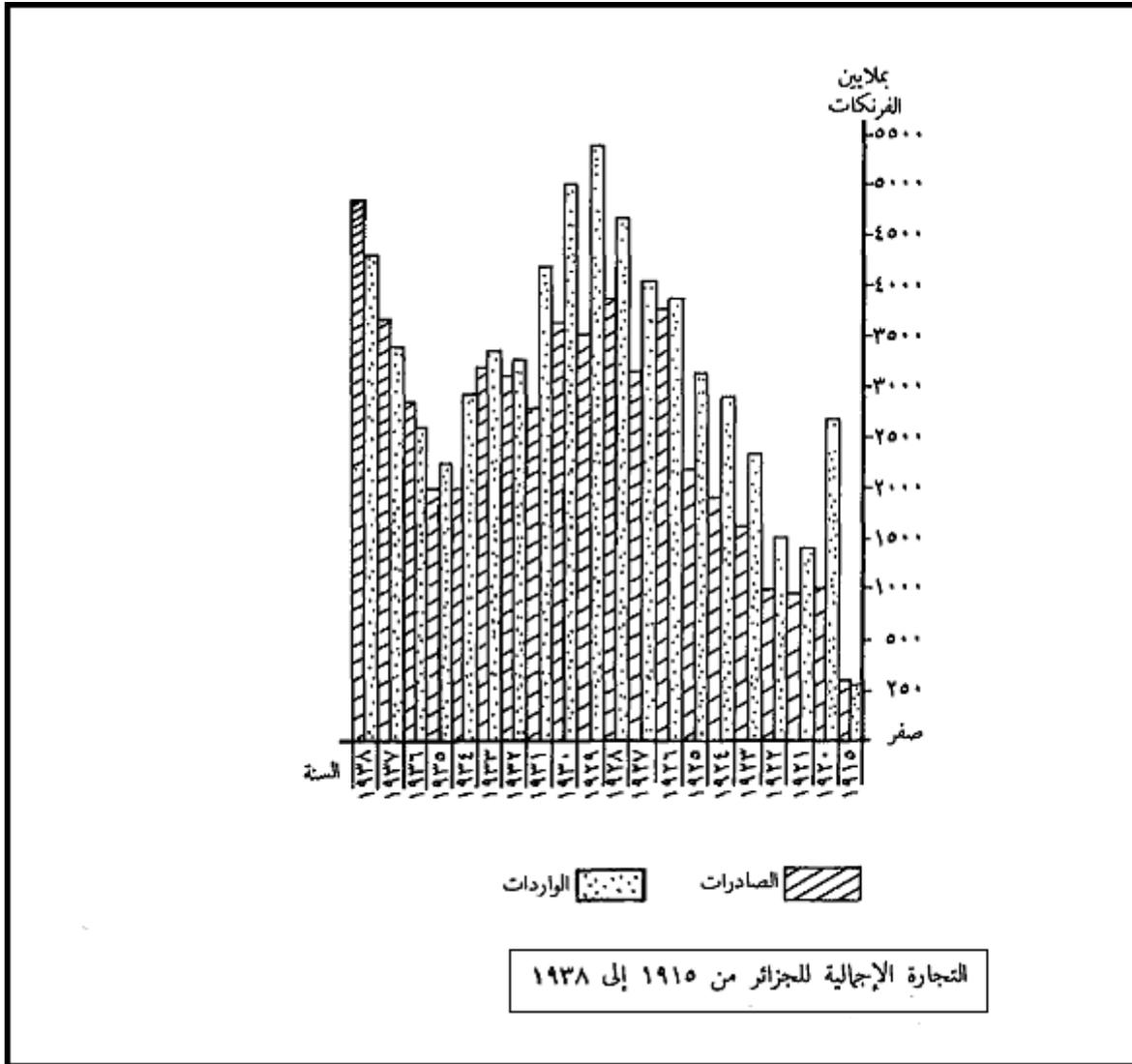
من خلال الجدول و المخطط، نلاحظ أن قيمة الواردات في الجزائر خلال العام 1890م بلغت حوالي 893.947.618 فرنك و عليه فإن ثلاثة أرباع من قيمة الصادرات الفرنسية تساوي 272.029.683 فرنك، حيث زادت نسبة الاستيراد ما مقداره مائة مرة بالنسبة لصادرات الجزائر⁽²⁾، يمكن إرجاع ذلك إلى تزايد تصريف المنتجات الفرنسية نحو الصحراء الجزائرية من خلال اعتمادها على القوافل الجزائرية خاصة.

(1). Ibid, p 122.

(2). Ibid, p 122.

كما أن الرسومات البيانية الموالية تبين حجم المبادلات خلال الحربين العالميتين ما بين 1915-

1938م:



(1)

من خلال الأعمدة البيانية؛ نستنتج أن الواردات أكثر من الصادرات و قد وصلت أقصى حد خلال الأزمة الاقتصادية و السبب يعود إلى أن الجزائر خلالها كانت تضطر مرارا للاستدانة لشراء المعدات حتى وصلت ديون الجزائر لفرنسا حوالي 2.000 مليون فرنك عام 1930م، هذه المعدات كانت تخدم القطاعات الحديثة التي تسيطر عليها المصالح الأوروبية و تعتمد في أساسها على أموال الجزائريين⁽²⁾.

(1). أحمد كساب، المرجع السابق، ص 441.

(2). نفسه، ص 442.



لقد أثرت الأزمة على الاقتصاد المحلي خاصة في الميدان الزراعي، إذ أن إسهامه في الصادرات الزراعية عانى من الركود الاقتصادي و من هبوط الأسعار نتيجة إغلاق الأسواق الخارجية أمامها⁽¹⁾، كما مست الأزمة كافة فئات المنتجين المنتمين إلى شبكات التسويق الزراعي المحلية و الأجنبية، حيث انخفضت التجارة الخارجية الجزائرية من 9 983 000 فرنك عام 1930م إلى 6 702 000 فرنك عام 1936م⁽²⁾.

هذه الأزمة الاقتصادية أثبتت خطورة نظام زراعة المحصول الواحد، خاصة بين المزارعين الأوروبيين، فشجعت الحكومة على تنويع المحاصيل مثل بساتين الفواكه (الحمضيات خاصة) و الزهور، بعد توقف تصدير الفواكه الإسبانية و الإيطالية إلى فرنسا، بسبب الحرب الأهلية الإسبانية و تطبيق عقوبات عصبة الأمم على إيطاليا من ناحية أخرى⁽³⁾.

من آثار الحرب العالمية الأولى حدوث مشكلة تصريف و تصدير تمور الجزائر، التي بلغ انتاجها 6.648 طن سنة 1913م لم يصدر منها سوى 2.833 طن، لذا اتخذت فرنسا إجراءات لشراء أكبر قدر ممكن منها و تحويله إلى فرنسا، لترتفع صادراتها إلى 5.009 طن سنة 1915م⁽⁴⁾.

ب. المبادلات مع المغرب:

في سنة 1843م صدر مرسوم يَحْظُر استيراد السلع من المغرب و تونس و الصحراء، نتيجة لذلك تحولت التجارة العابرة للصحراء الجزائرية نحو تافيلالت في الغرب، حيث ذكر **جان لوي ماج** أن زيادة التجارة بين المغرب و السودان قد ارتفعت بين 1845م و 1866م⁽⁵⁾.

بعد رفض المغاربة للاتفاق التجاري الذي سعت فرنسا إلى تطبيقه سنة 1845م^(*)، عملت على تنفيذ المرسوم الفرنسي الصادر سنة 1843م؛ الذي ينص على منع دخول السلع عبر الحدود البرية التونسية و المغربية و هذا في سنة 1853م، مما أضر بالتجارة الفرنسية فتراجعت بسرعة و هو ما نلمسه

(1). نفسه، ص 443.

(2). نفسه، ص 445-446.

(3). نفسه، ص 448.

(4). عثمان زقب، المرجع السابق، ص 34.

(5). Donald , Op.cit, p 63.

(*) . أنظر نص الإتفاق التجاري الملحق باتفاق الحدود سنة 1845م، الملحق رقم 04.



في الشرط السادس من قانون 17 جويلية 1867م، الخاص بالتنظيم التجاري بين الحدود الجزائرية المغربية⁽¹⁾.

بفضل إنشاء نظام الأسواق الحرة بعدة مناطق على الحدود و خصوصا الجنوبية منها، أخذ الفرنسيون يعملون على تشجيع الحركة التجارية بين المغرب و الجزائر، فظهرت مراكز مهمة تقوم بعملية تصدير المنتجات الفرنسية إلى المغرب و من هذه المراكز يوجد:

- صادرات مركز عين الصفراء: خلال سنة 1901م سجلت إحصائيات كمية السلع المصدرة من مركز عين الصفراء نحو المغرب كما يلي:

المادة	الكمية	المادة	الكمية
السكر	355.600 كلغ.	البن	31.252 كلغ.
الشاي	10.977 كلغ.	الفلفل	0.40 كلغ ⁽²⁾ .

كما نجد إشارة إلى المبادلات الفرنسية عبر الحدود مع المغرب:

السنوات	قيمة المبادلات بعشرات الآلاف
1901م	673 فرنك
1902م	1.031 فرنك
1903م	1.342 فرنك
1904م	1.843 فرنك ⁽³⁾

من أهم السلع الفرنسية المصدرة عبر الحدود نحو المغرب نجد: السكر ، الشاي، البن، الدقيق، الأنسجة القطنية، الفلفل، الأقمشة الحريرية، الشعير، التمر و البغال⁽⁴⁾.

(1). العماري، المرجع السابق، ص 186.

(2). نفسه، ص 191.

(3). نفسه، ص 225.

(4). نفسه، ص 225.



ج. المبادلات مع غرب إفريقيا:

رغم شح المعلومات حول المبادلات التجارية الفرنسية عبر الصحراء، إما لغياب الوثائق أو لعدم الاكتراث بالتوثيق بالنسبة للمبادلات التجارية عبر الصحراء، عكس التوثيق لتجارة غرب إفريقيا، إلا أن هناك إشارات حول التجارة الفرنسية عبر الصحراء، حيث تشير بعض الكتابات عن واردات فرنسا من إفريقيا الغربية الفرنسية عبر الأراضي الجزائرية، فهي تستورد كميات كبيرة من زيوت الفول السوداني؛ 68.000 قنطار على نحو متزايد، البن الأخضر؛ 16.000 قنطار، الكاكاو، الذرة، و الأناناس، الذي أُضيف مؤخراً إلى الفول السوداني، الزبدة، الجلد الخام، كما تحمل شحنات الموز بجرا، حيث زادت حمولة هذه التجارة من 5.000 طن إلى 25.000 طن سنة 1935م.

في المقابل تصدر الجزائر لإفريقيا الغربية الفرنسية؛ كل من النبيذ (61.000 لتر)، السجائر (70% واردات دكار)، التمر و الفوسفات⁽¹⁾.

(1). Robert Tinthoin , Op.cit, p 201.



المبحث الرابع: الحركة التجارية في إفريقيا الغربية.

قبل التدخل الاستعماري في إفريقيا الغربية، كان نمط التجارة المحلية و الإقليمية يعتمد على الديناميكيات الداخلية للمجتمعات الإفريقية المحلية خاصة نظم الإنتاج الزراعي و الحرفي، فالتجارة الخارجية كانت تحتل المرتبة الثانية بالنسبة للتجارة الداخلية⁽¹⁾، لكن بحلول التجارة الفرنسية بالمنطقة يجعلنا نتساءل: هل أسدل الستار على التجارة الإفريقية أمام الغزو التجاري الفرنسي، أم تفاعل الأفارقة مع الوضع الجديد؟.

1. صادرات إفريقيا الغربية:

يرى هوبكنز أن إفريقيا الغربية مرت بثلاث فترات فقط منذ سنة 1800م و هي: الفترة ما بين 1800-1900م؛ وضع فيها أسس التجارة الجديدة، الفترة ما بين 1900-1913م؛ ساعدت على استقرار الحكام الاستعماريين في مناصبهم، الفترة ما بين 1945-1955م، كانت حقبة التوقعات المتصاعدة و التنوع الاقتصادي و هي الحقبة التي ارتبطت بنهاية العصر الاستعماري⁽²⁾، لكنه أغفل فترة ما بين 1913-1945م، فيا ترى ما هي دوافعه في ذلك؟ و هل تميزت هذه الفترة بالجمود الاقتصادي؟.

كانت الأصناف الرئيسية للتجارة عبر البحار هي الذهب، زيت النخيل و الفول السوداني و كان كل منها يمثل حوالي 20% من مجموع الصادرات⁽³⁾، لكن ابتداء من العقد السادس من القرن تعرضت هذه الصادرات لمتغيرات نكتشف ذلك من خلال العوامل التي تحكمت في كميات الإنتاج على فترات .

أ. الفترة ما بين: 1850-1900م:

خلال هذه الفترة ارتكز نشاط الفرنسيين على تجارة المحاصيل النقدية، كزيت النخيل، الفول السوداني ، تعتبر منطقة الداھومي أهم مراكز إنتاج زيت النخيل نتيجة غناها بهذه المادة⁽⁴⁾، فقد حجم صادرات هذه المادة بمراكز الإنتاج بالداھومي عام 1878م كما يلي:

المنطقة	الزيت النخيل	النواة النخيل
وڊاي	500.000 غالون	2.500 طن

(1). أجاوي، المرجع السابق، ص 32.

(2). هوبكنز، ص 268.

(3). نفسه، ص 280.

(4). مسعودة قاسي، المرجع السابق، ص 65.



غودومي	100.000 غالون	6.000 طن
أبومي - كالفى	40.000 غالون	6.000 طن ¹

من المناطق التي يتوافر عليها زيت النخيل كذلك منطقة دلتا النيجر و قد تعايش هذا المنتج مع تجارة الرقيق و ازدهر بمفرده لاحقا، ثم انتهت حالة رواجه عام 1861م و تدهور نهاية القرن التاسع عشر⁽²⁾.

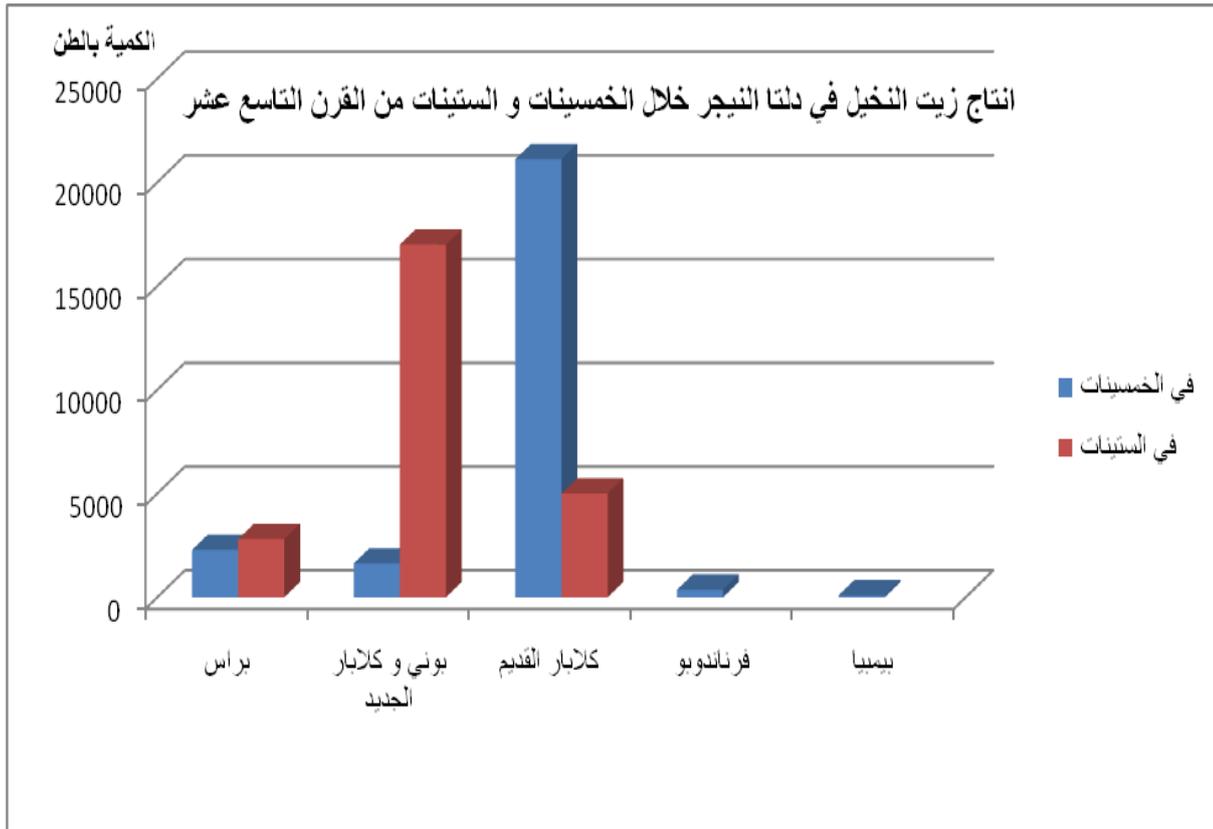
حيث أكد القنصل البريطاني ريتشارد بورتون (Richard Burton)؛ أن حجم تجارة زيت النخيل في منطقة دلتا النيجر لم يتغير كثيرا عن الخمسينات، فمجموع إنتاجه هو 26.000 طن بقيمة 800.000 جنيه و أهم مراكز إنتاجه بدلتا النيجر كما يلي:

المكان	في الخمسينات	في الستينات
براس	2.280 طن	2.000 إلى 2.800 طن
بوني و كلابار الجديد	1.624 طن	16.000 إلى 17.000 طن
كلابار القديم	21.110 طن	4.500 إلى 5.000 طن
فرناندوبو	360 طن	
بيمبيا	96 طن ⁽³⁾	

(1). نفسه، 66.

(2). أي. فاليرشتاين، « إفريقيا و الإقتصاد العالمي»، مقال نشر في كتاب تاريخ افريقيا العام (القرن التاسع عشر في افريقيا حتى ثمانيناته) مجلد 6، اليونسكو، تحت اشراف، ج.ف. آدى آجابي، مطبعة حسيب و أولاده، لبنان، ط1، 1996، ص 53.

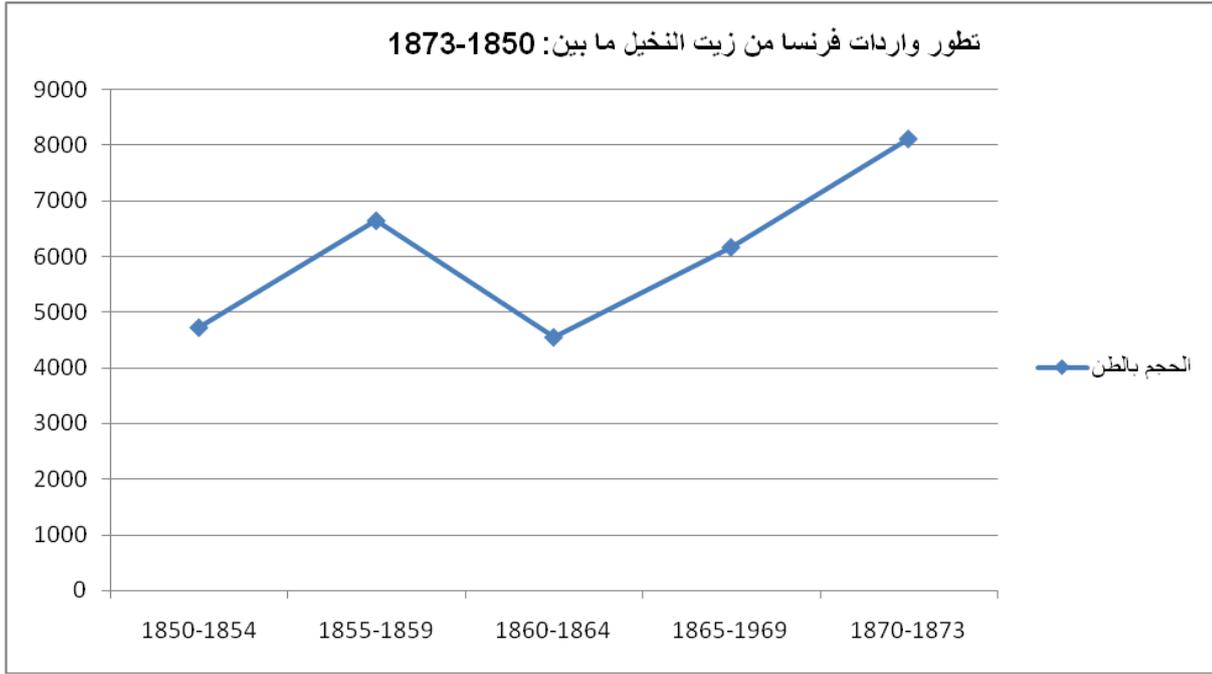
(3). نفسه، 34.



هذه المادة تسوق بنسبة كبيرة إلى فرنسا، حيث تشير إحصائيات ما بين 1850 - 1873م إلى تطور حجم واردات فرنسا كما هو مبين في الجدول أدناه:

السنة	الحجم بالطن
1850-1854م	4.721 طن
1855-1859م	6.642 طن
1860-1864م	4.547 طن
1865-1869م	6.165 طن
1870-1873م	8.112 طن ⁽¹⁾

(1). نفسه، ص 67.



من خلال المخطط نستنتج أن استيراد فرنسا لهذه المادة يتأرجح بين الزيادة و النقصان، يمكن تفسير هذه العملية من خلال جدول أسعار هذه المادة خلال هذه الحقبة كما يلي :

المادة	السنوات	سعر الإنخفاض و الأرتفاع	ملاحظة
زيت النخيل	1861م	رخاء	هناك أنخفاض في
	1866-1862م	انخفاض بنسبة 32 جنيه استرليني للطن	الأسعار بحوالي 50 % في غضون خمسة و عشرين سنة.
	1867-1866م	انتعاش	
	1890-1886م	انخفاض بنسبة 20 جنيه استرليني للطن	
	1900-1877م	انخفاض بنسبة 15 فرنك	
لب النخيل	1880-1870	انخفاض بنسبة 15 جنيه استرليني للطن	انخفضت الأسعار بحوالي الثلث بين العقدين السابع و الثامن
	1890-1886م	انخفاض بنسبة 10 جنيه استرليني للطن	
الفول السوداني	1867-1857م	25 و 27,5 فرنك % للكلغ	انخفضت اسعاره في



السنگال إلى حوالي الثلث	انخفاض بنسبة 15 فرنك ⁽¹⁾	1900-1877م	
----------------------------	-------------------------------------	------------	--

لقد أجرى نيوبوري بعض البحوث عن تجارة إفريقيا الغربية في القرن التاسع عشر، أفادت أن القيمة الكلية لتجارة المنطقة عبر البحار من السلع المشروعة كانت تبلغ 3,5 مليون جنيه استرليني على الأقل في بداية العقد السادس من هذا القرن ، بحلول فترة 1901-1905م بلغت قرابة خمسة عشر مليون جنيه استرليني في السنة⁽²⁾.

يعتبر زيت النخيل سلعة تصدير رئيسية، عرفت ذروتها في الفترة ما بين 1854-1861م عندما ثبت السعر في ليقربول عند حوالي 45 جنيه استرليني للطن، لكن في العقد السادس يلاحظ تذبذب في هذه المنتجات، يرجع هوبكنز هذا الهبوط إلى انخفاض تكاليف الشحن عبر المحيط كما يلي:

- الزيادة التي حدثت في عرض الزيوت المعدنية و النباتية، في أعقاب اكتشاف موارد نفطية في الولايات المتحدة الأمريكية في العقد السابع من القرن التاسع عشر، دخول الفول السوداني الهندي و الشحوم الحيوانية الاسترالية إلى الأسواق بعد افتتاح قناة السويس عام 1869م⁽³⁾.

- تقلص الطلب المتزايد للأوروبيين على المواد الأولية من الزيوت و الدهون.

مع نهاية العقد الثامن و طيلة العقد التاسع من القرن التاسع عشر؛ هناك انخفاض في معدل الصادرات لهذه المنتجات، ففي دلتا النيجر لم تطرأ أي حركة تصاعدية في معدل صادرات منتجات النخيل خلال العقدين، كما أن هناك انخفاضاً في أوبويو خلال فترة 1887-1893م و في ساحل العاج انخفضت صادرات زيت النخيل بشدة في العقد التاسع، نفس الشيء نقيس عليه منتج الفول السوداني، فالشحنات في السنغال استقرت خلال العقدين الثامن و التاسع⁽⁴⁾.

يرجع سبب هذا الانخفاض إلى عدم وجود تحسينات من حيث التقنيات الإنتاجية في الزراعة و النقل الداخلي خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، الأمر الذي يفسر لنا ما قاله هوبكنز أن الفترة ما بين 1800-1900م وضعت فيها أسس التجارة الجديدة لإفريقيا الغربية⁽⁵⁾.

(1). هوبكنز، ص 258.

(2). نفسه، ص 258.

(3). نفسه، ص 267-271.

(4). نفسه، ص 268-271.

(5). نفسه، ص 268.



بالنسبة للقول السوداني فقد ارتفعت صادراته في السنغال في النصف الثاني من القرن التاسع عشر إلى متوسط مقداره: 29 ألف طن، في الفترة الممتدة بين السنوات: 1886-1890م بلغ ما قيمة 7 ملايين سنة 1895م⁽¹⁾، يزرع في المناطق الممتدة من السنغال إلى سيراليون.

المكان	المادة	السنة	الوحدة
السنغال	القول السوداني	1887م	200 طن
		1886-1890م	29 ألف طن
		1895م	7 ملايين ⁽²⁾

إضافة إلى الصادرات النقدية، تساهم إفريقيا في إنتاج و تصدير منتجات أخرى منها:

- **جوزة الكولا** ؛ تشير بعض البيانات لتطور هذه التجارة التقليدية إلى جانب الماشية ، فالجزء الغربي من منطقة السافانا مازال يحصل على جوزة الكولا من ساحل العاج، كما زادت الصادرات برا و بحرا من ساحل العاج من 2.000 إلى 3.000 طن في السنة بداية القرن العشرين، في الوقت الذي أصبحت فيه الكولا أكبر صادرات المستعمرة من حيث القيمة بعد البن و الكاكاو.
- **ريش النعام**؛ بداية من الخمسينات للقرن التاسع عشر، بدأت تظهر تحولات في نمط المبادلات التجارية، حيث أصبح الطلب على سلعة ريش النعام بصفة كبيرة في الأوساط الأوروبية، خاصة في فرنسا حيث تضاعفت صادرات ميناء موغادور المغربية بعشر مرات في الفترة ما بين عامي 1853 - 1864م، غير أن هذه التجارة خلال الثمانينات من القرن، أخذت تتقلص في حجمها و قيمتها، إلى أن انتهت في سنة 1895م و هذا راجع للمنافسة الشديدة لها في جنوب إفريقيا أين أصبحت مزارع تربية النعام المصدر الرئيسي لها⁽³⁾.
- **الرقيق**: يشير تشامبرلين أن إلغاء تجارة الرقيق أحدثت تغييراً في منتجات التصدير، من اليد العاملة إلى منتجات الأرض⁽⁴⁾، مما عجل في تحويل البنى الإنتاجية في غرب إفريقيا⁽⁵⁾، في حين يدلي

(1). نفسه، ص 259.

(2). نفسه، 285.

(3). بوفيل، ص 400.

(4). أي. فاليرشتاين، المرجع السابق، هامش رقم: 12، 13، 14، ص 53.

(5). نفسه، ص 53.



أ.ج.هـ. لاتام برأيه أن تجارة الرقيق و التجارة المشروعة لم يكونا نشاطين متناقضين بالنسبة للأفارقة، بل العكس فقد كان تكاملهما حتى عام 1860م مدعاة لتيسير التطور⁽¹⁾.

حتى العقد السابع من القرن التاسع عشر، تنافس هذه التجارة تجارة زيت النخيل في نقاط عديدة من الساحل⁽²⁾، حيث كانت مقاطعات غرب نهر الفولتا تصدر كميات من الرقيق⁽³⁾، كما استخدموا في المزارع الفرنسية خلال القرن العشرين⁽⁴⁾.

- **العاج:** مما لا شك فيه أن العاج يبقى ضمن السلع الدولية⁽⁵⁾، يبدأ من السنوات الأولى من القرن العشرين دفعة قوية للصادرات الأفريقية، حيث تضاعف إلى ثلاثة أضعاف خلال ثلاثين عاما من القرن الماضي⁽⁶⁾.

كما تصدر إفريقيا الغربية الفرنسية العديد من المنتجات الاخرى مثل: الدخان من الأصناف المختلفة، الذرة ، الأرز من نوعية جيدة، فاصوليا، السمسم، الصمغ، القطن، زبدة الشيا، البصل، الطماطم ، البطاطس، جلود الماشية، المطاط، الحصير، الشمع، أسنان الفيلة، لب النخيل، الخشب، القهوة، الخ⁽⁷⁾.

يشير الكولونال أرشيناود (Archinard) في تقرير له عام 1891م، حول مبيعات إفريقيا الغربية أنها تمثل في مجموعها 4.912.500 فرنك، منها 3.275.000 فرنك منتجات مستوردة و 1.637.500 فرنك منتجات مصدرة، حيث بلغت صادرات السنغال و السودان نحو فرنسا سنة 1887م حوالي 19.102.454 فرنك ممثلة في السلع التالية:

المادة	السعر
الفول السوداني والبذور الزيتية	4.807.732 فرنك
الصمغ	4.629.068 فرنك
الفضة	7.564.251 فرنك

(1). نفسه، هامش رقم: 12، 13، 14، ص 53.

(2). هوبكنز، ص 284.

(3). نفسه، ص 175.

(4). نفسه، ص 42.

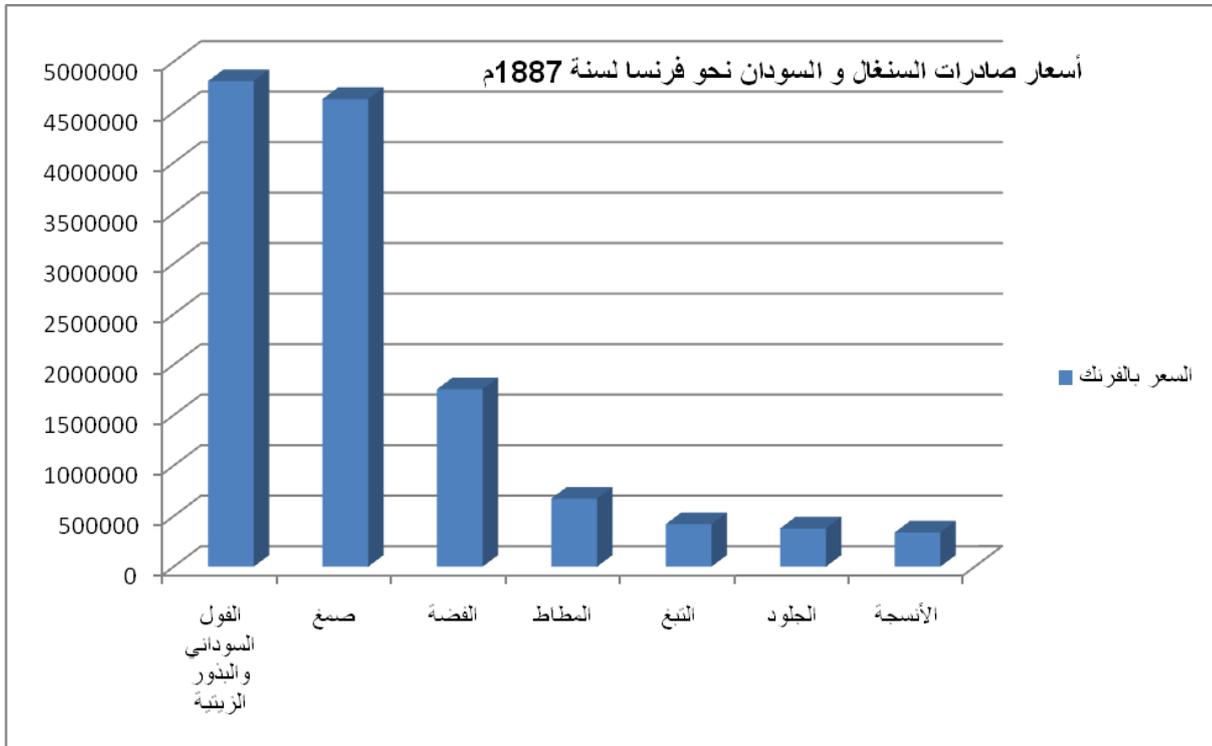
(5). Jean-Louis Miege , Op.cit, p 102.

(6). Ibid, p 102.

(7). Alfred Rambaud, Op.cit, p 280 -279.



المطاط	674.247 فرنك
التبغ	421.146 فرنك
الجلود	379.168 فرنك
الأنسجة	338.027 فرنك
لب النخيل	288.815 فرنك
المجموع	19.102.454 فرنك ⁽¹⁾



من خلال المخطط نلاحظ كمية صادرات السنغال و السودان نحو فرنسا، حيث يعتبر السنغال أكبر المساهمين في الاقتصاد الاستعماري الفرنسي بالمنطقة، نتيجة لتوسع زراعة الفول السوداني السنغالي الذي كان يسيطر عليه التجار الفرنسيون و الأسواق الفرنسية، مع العلم أن فرنسا لم تتعزز روابطها التجارية في المنطقة إلا في العقد الرابع من القرن العشرين، أين وصلت مجموع تجارتها مع فرنسا ما بين 1935م و 1960م حوالي 75%⁽²⁾.

(1). Ibid, p 280 -279.

(2). هوبكنز، ص 351.



ب. الفترة ما بين 1900-1945م:

إن المتغيرات التي طرأت على المحاصيل النقدية في إفريقيا الغربية، كانت نتيجة مؤثرات سلسلة من الاضطرابات السياسية الناشئة عن حروب الجهاد، عدا السنغال التي أبقت على الأنشطة الزراعية و التجارية التقليدية⁽¹⁾.

تُبين الشواهد أن التجارة الخارجية لإفريقيا الغربية الفرنسية، قد واجهت أزمة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، خلالها تعرض منتجوا سلع التصدير إلى خسائر فالمعدل السلعي للتبادل تحول ضدهم، بعد فترة تعرض منتجوا المواد الأولية و التجار لضغوط شديدة لإيجاد صادرات بديلة و تطبيق تقنيات تخفض التكاليف، الأمر الذي جعل الأوروبيين يندون السياسة القائمة على التدخل المحدود في إفريقيا الغربية و بالتالي عملوا على التوغل إلى دواخل إفريقيا و استقر الحكام الاستعماريون في مناصبهم في الفترة ما بين 1900-1913م⁽²⁾.

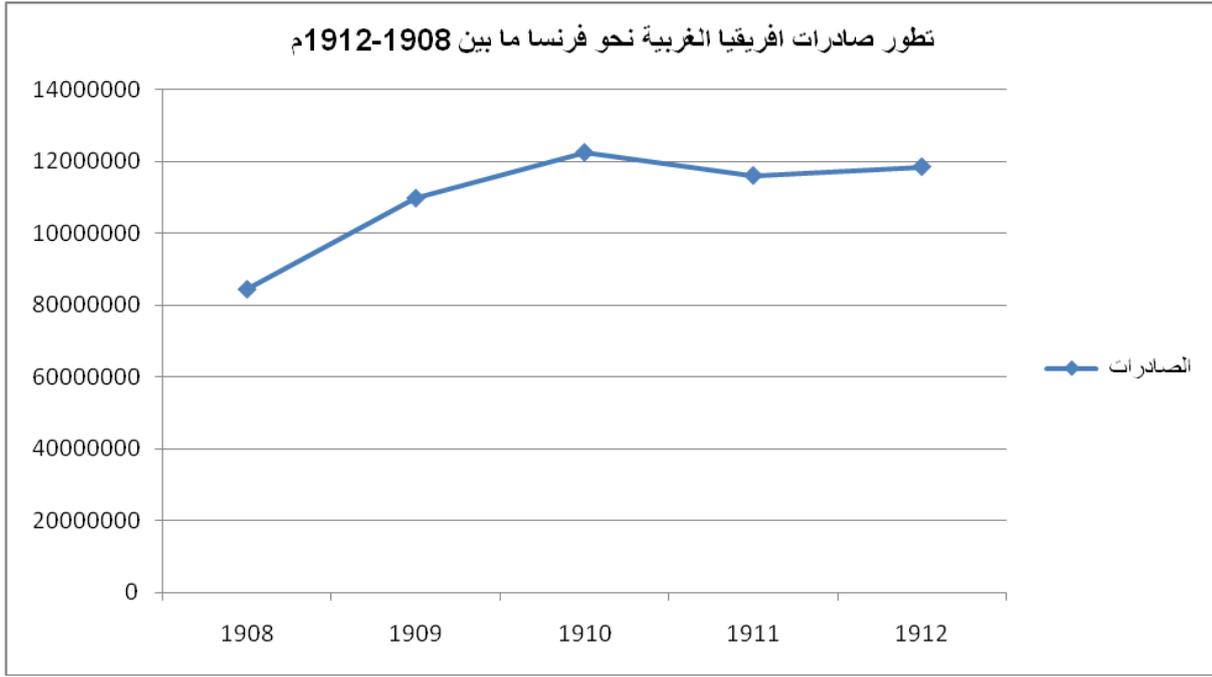
لقد عرفت الحركة التجارية في إفريقيا الغربية نوعا من التطور ما بين 1910-1912م و ذلك بعد استنزاف الفرنسيين لخيرات المنطقة، المتمثلة أساسا في زيت النخيل، المطاط و الفول السوداني و الجدول الموالي يبين تطور حجم صادرات إفريقيا الغربية الفرنسية خلال خمسة سنوات:

الصادرات	السنة
84.500.946 فرنك	1908م
109.832.020 فرنك	1909م
122.529.141 فرنك	1910م
116.113.275 فرنك	1911م
118.567.231 فرنك ⁽³⁾	1912م

(1). نفسه، ص 273.

(2). نفسه، ص 268.

(3). Alfred Rambaud, Op.cit, p 314.



في الفترة ما بين 1900-1930م كان حوالي ثلاثة أرباع من قيمة الصادرات عبر البحار لإفريقيا الغربية الفرنسية مستمدا من الفول السوداني من 50 إلى 60 %، الذي يزرع في السنغال و منتجات النخيل من 15 إلى 20 % من الداوموي، هاتان السلعتان المصدرتان تعرضتا لانخفاض نسبي، في النصف الثاني من الفترة الاستعمارية (1930-1960م) لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية⁽¹⁾.

لقد كانت منطقة الفولتا (بوركينا فاسو) تمد مزارع الكاكاو في ساحل العاج بالأيدي العاملة من شعب الموسي، كانت تلك الفترة حاسمة في المجال الاقتصادي ما بين 1921-1922م؛ حيث شهدت هذه الفترة رخاء الدول الاستعمارية، لينتهي بكساد طويل عقب الانهيار الناجم عن أزمة 1929م و أدى إلى اضطراب شديد على المستوى الاقتصادي⁽²⁾.

حيث تميزت هذه الفترة بنظام الزراعة المفروضة للمحاصيل، مثل زراعة القطن بالنيجر سنة 1933م و قد فشلت فشلا ذريعا هذه المناطق القروية التي أنشأت خصيصا لهذا الغرض، حيث كانت هناك ضآلة و رداءة في المنتج، مما جر عنه انخفاض في سعره من 1,25 فرنك في 1925م، ثم 90

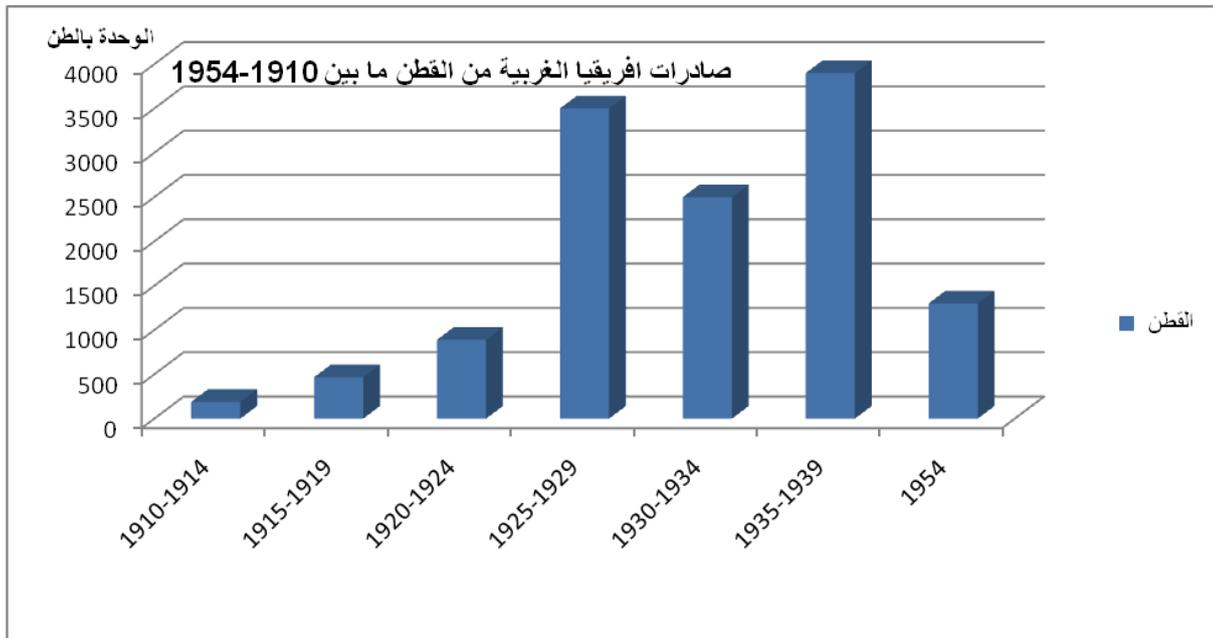
(1). هوبكنز، ص 353.

(2). فيدوروفيتش، المرجع السابق، ص 361، 359.



سنتيما في 1929م ، 70 سنتيما في 1931م ، 70 سنتيما في 1933م و 1936م¹، و الجدول الموالي يبين صادرات القطن في إفريقيا الغربية (المتوسط بالأطنان) :

1954م	-1935 1939م	-1930 1934م	-1925 1929م	-1920 1924م	-1915 1919م	-1910 1914م
1.300 ⁽²⁾	3.900	2.500	3.500	890	467	189



من خلال المخطط نفسر التزايد السريع في إنتاج القطن و جل المحاصيل النقدية، لكون الأفارقة مثقلين بالأعباء الضريبية في أسوأ فترات الكساد الكبير، لتعويض الانخفاض في مداخيلهم بزيادة الإنتاج ومن ثمة تعويض الهبوط في القيمة النقدية لمزروعاتهم، لكن بعد ذلك اقتنع الفلاحون بفائدة جهودهم ومن ثم أخذوا طواعية في زراعة المحاصيل الجديدة و الجدول الموالي يبين صادرات إفريقيا الغربية من البن والكافور بالأطنان:

¹ . نفسه، ص 367.

² . نفسه، ص 368.

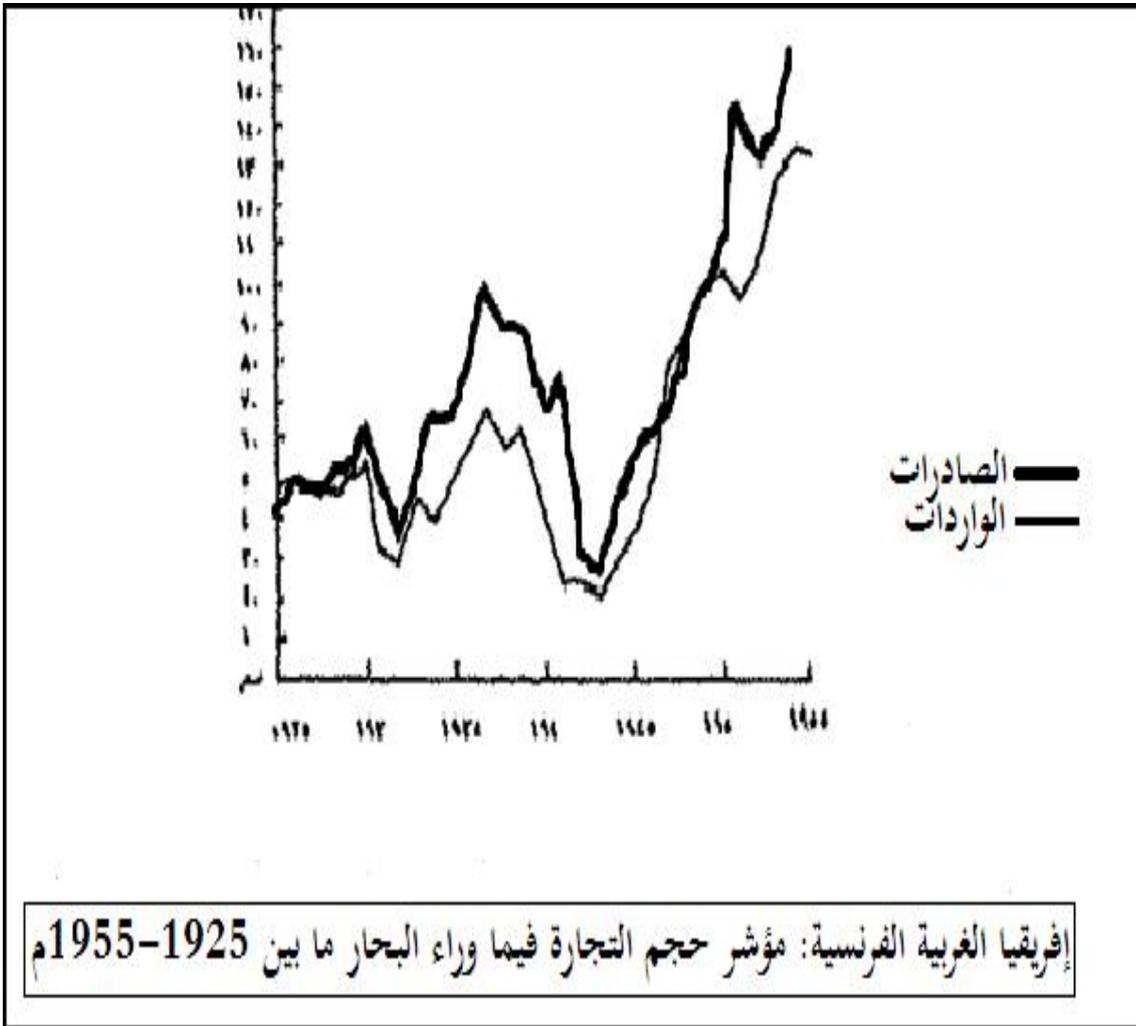


1936م	1935م	
43.500 طن	5.300 طن	البن
49.700 طن ⁽¹⁾	6.700 طن	الكافور

هذه المحاصيل الجديدة تُنتج ليضمن بها الإفريقي، حدًا أدنى من النقود المطلوبة لسداد ضريبة الرؤوس و إشباع حاجياته الاستهلاكية الضرورية، هذا الأسلوب جر عنه إلغاء الزراعة الإجبارية⁽²⁾.

يبين المخطط الموالي تطور صادرات و واردات إفريقيا الغربية الفرنسية ما بين 1925-1955م

كما يلي:



(3)

(1). نفسه، ص 369.

(2). نفسه، ص 369.

(3). هوبكنز، ص 352.



بعد الحرب العالمية الثانية كانت الصادرات أكبر من الواردات كما يوضح الرسم البياني، هذا نتيجة لتغير في طبيعة الواردات، بحيث تشتمل على نسبة أكبر من السلع الرأسمالية الثقيلة مثل الإسمنت و النفط⁽¹⁾.

يعكس العجز في الميزان التجاري الذي بدأ بنقطة تحول في الحرب العالمية الأولى، حيث بلغ أقصاه أثناء السنوات التي بلغ فيها الرواج الاقتصادي ذروته 1925-1930م، هذا التركيز على الاستثمار في المعدات الرأسمالية كان سببه الاهتمام البالغ بقطاع المرافق الأساسية للنقل، لا سيما الموانئ و السكك الحديدية و الطرق، فقد وصلت في إفريقيا الغربية ما بين 1914-1936م حوالي 30,4 مليون جنيه استرليني⁽²⁾.

إضافة إلى صادرات أخرى مثل:

المادة	السنة	الوحدة
القطن	1910-1914م	189 طن
الصمغ	1902م.	1.215 طن
العاج	-	40 ألف طن
الكاكاو	1926-1927م	305 طن ⁽³⁾

يمكن القول عن الفترة ما بين 1900-1945م؛ أن التقدم الاقتصادي في إفريقيا الغربية الفرنسية كان يعتمد على الظروف التي تؤثر في الدولة الصناعية الرئيسية، بين عامي 1913 - 1945م كان هناك اتجاه نزولي في المعدل السلعي للتبادل التجاري، لكنه انتعش بعد الحربين العالميتين ، أما معدل التبادل الداخلي برغم من تأثره الواضح بالتغيرات في المعدل السلعي للتبادل، فكان يتحرك نحو الارتفاع، مما يعكس التوسع العام لأحجام الصادرات خلال القرن العشرين.

(1). نفسه، ص 349.

(2). فيدوروفيتش، المرجع السابق، ص 359-360.

(3). هوبكنز، ص 348.



يمكن إجراء تحليل تاريخي أكثر تفصيلاً لمعدل التبادل التجاري، خلال أربع فترات من 1900-1913م، 1914-1921م، 1921-1929م، 1930-1945م كما يلي:

أ. الفترة ما بين 1900 - 1913م؛ تتميز بتحسين في معدل التبادل السلعي بين المنتجين الأفارقة بما أن حجم الصادرات كان يتسع فإن معدل الدخل يرتفع⁽¹⁾.

ب. الفترة بين 1922-1929م؛ كان هناك انتعاش محدود، غير أنه لم يطرأ أي تحسن في مستويات المعيشة لمعظم منتجي سلع التصدير⁽²⁾.

ج. الفترة ما بين 1930-1944م؛ هناك تدهور معدل التبادل السلعي خلال الحرب العالمية الثانية، إلا فترة قصيرة بين 1935-1937م، حيث كان هناك توسع في حجم الصادرات، عموماً فإن للحرب العالمية الثانية آثاراً سلبية على إفريقيا الغربية، ذلك بسبب النقص الحاد في الواردات الاستهلاكية، ثم إن مجاهرتها لحكومة فيشي في باريس عام 1940م وجدت نفسها محاصرة من جانب الحلفاء.

ح. بعد عام 1945م؛ كان هناك تحسن سريع في معدل التبادل التجاري، نتيجة لانتعاش في الطلب على المنتجات الاستوائية، التي كانت لازمة لمساعدة أوروبا على الانتعاش بعد الحرب العالمية الثانية⁽³⁾.

2. واردات افريقيا الغربية الفرنسية:

أغلب واردات افريقيا الغربية الفرنسية، ابتداء من النصف الثاني من القرن التاسع عشر، كانت من فرنسا و هذا لغرض تقييد المستهلك الإفريقي بالإنتاج الفرنسي، خلال الفترة 1900-1945م لا زالت السلع الاستهلاكية المصنعة هي الواردات الرئيسية مثلما كانت في القرن التاسع عشر.

كانت المنسوجات تمثل حوالي ثلث قيمة مجموع واردات إفريقيا الغربية الفرنسية إلى غاية الحرب العالمية الثانية، كما أخذت أصناف أخرى تظهر في قائمة الواردات، في فترة مبكرة للاستعمار فواردات الأغذية من أرز، أسماك، دقيق و ملح، بدأت في الازدياد في سنوات ما بين الحربين و بعد الحرب العالمية الثانية، خاصة في السنغال و ساحل العاج⁽⁴⁾.

(1). نفسه، ص 365-366.

(2). نفسه، ص 369.

(3). نفسه، ص 369-370.

(4). نفسه، ص 356، 359.



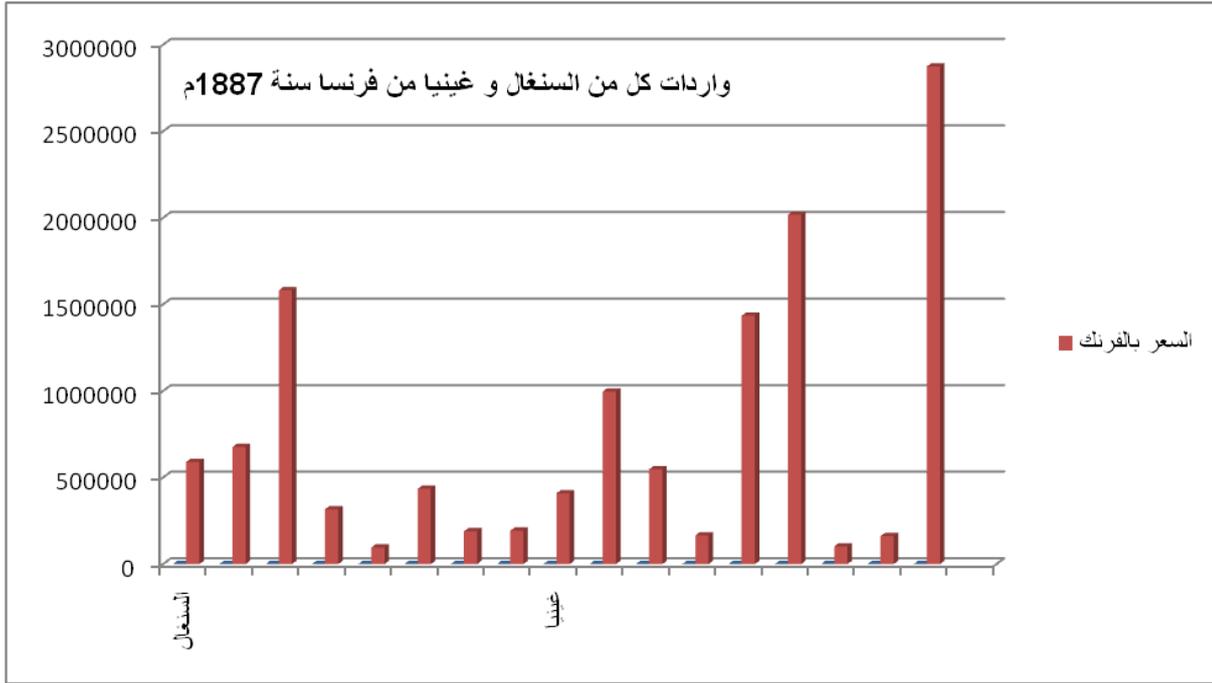
كما تعتبر الأسلحة النارية من أهم السلع الضرورية بالنسبة للأفارقة، إذ كانت سياسة الأوروبيين السيطرة على تجارة الأسلحة النارية، فهم يعلمون أن هذه التجارة لن تحقق التفوق العسكري عليهم⁽¹⁾، إضافة إلى المصنوعات مثل الخرز و الحلي ، منتجات معدنية، أدوات القطع و الآلات المصنوعة في باريس و لندن²، حيث تبين إحصائيات سنة 1887م أن واردات كل من السنغال و غينيا من فرنسا كما يلي:

المنطقة	السلع	السعر بالفرنك
السنغال	الطحين	590.381
	الزيوت	676.188
	الأرز	1.581.565
	الحيوانات	316.850
	قضبان الحديد	95.465
	المعادن الأخرى	434.785
	الأسلحة	189.544
	القراطيس	193.093
	الملابس	409.113
غينيا	السكر	997.021
	المشروبات	548.003
	اللحوم والمعلبات المملحة	165.430
	النبيد	1.434.989
	التبغ	2.017.969
	العطور	102.503
	الخردوات	161.453
	الأنسجة المختلفة	2.874.581 ⁽³⁾

(1). أجاوي، المرجع السابق، ص 32.

(2). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 177.

(3). Alfred Rambaud , Op.cit, p 280 -279.



كما بلغت قيمة الواردات السودانية بـ 8 ملايين فرنك سنة 1908م، لترتفع سنة 1913م إلى 10 ملايين فرنك و السبب راجع إلى زيادة كمية الحبوب و الأرز المستوردة⁽¹⁾، مع العلم أن أسعار السلع المصنعة التي كانت تستوردها إفريقيا الغربية الفرنسية قد انخفضت خلال النصف الثاني من القرن إلى النصف على ما كانت عليه في بداية القرن⁽²⁾.

خلاصة القول أن التجارة الأوروبية كانت تتوسع بخطى سريعة بفضل أنماط التجارة المحلية و الإقليمية التي كانت قائمة من قبل⁽³⁾.

من خلال ما تم عرضه؛ حول المشاريع الفرنسية و أنشطتها التجارية، فإن فرنسا استطاعت تحقيق العديد من المشاريع و عزفت عن أخرى، لأسباب مالية و أخرى علمية ، كما أن سعيها الحثيث حول تحويل التجارة عبر الصحراء الجزائرية أتي بثماره، فمزجت بين التجارة البرية و البحرية و الجوية، الأمر الذي يحيلنا إلى إشكالية أخرى: ما مصير العلاقات التجارية التي نُسجت قبل آلاف السنين على مرّ العصور بين ضفتي الصحراء الجزائرية خلال التواجد الفرنسي بالمجالين (1900-1945م)؟.

(1). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 177.

(2). هوبكنز، ص 267.

(3). أجايب، المرجع السابق، ص 31.

الفصل الرابع:

واقع العلاقات التجارية
بين صفتي الصحراء و تحولات
الاهتمام الفرنسي (1900-1945م)

- المبحث الأول: واقع القوافل التجارية و طرقها.
- المبحث الثاني: واقع التجارة الداخلية و الخارجية.
- المبحث الثالث: نتائج و انعكاسات السياسة الفرنسية على المنطقتين.
- المبحث الرابع: تحولات الاهتمام الفرنسي بالإقليمين بعد عام 1945م.



إن التصنيف الذي قام بوضعه هوبكنز؛ حول منطقة إفريقيا الغربية و النمط الدقيق للتحدي الذي واجهته في مجال التكيف، أشار إلى المناطق التي كانت تمارس التجارة الصحراوية، بأنها تعرضت لتدهور في سلعة التصدير الأساسية و هي الرقيق، دون ضمان لتعويض ملائم في شكل منتجات جديدة، لكونها مناطق لا تصلح لهذه الزراعة مثل السودان الغربي، الذي كانت تجارته مع الصحراء الكبرى الآخذة في التدهور ابتداء من سنة 1875م، لكن السؤال المطروح هل الرقيق هو أساس التجارة الصحراوية؟ هذا السؤال يجعلنا لطرح إشكالية لهذا الفصل و هي: واقع العلاقات التجارية بين ضفتي الصحراء في ظل المتغيرات التي أحدثتها فرنسا بالإقليمين.

المبحث الأول: واقع القوافل التجارية و طرقها.

يذكر بوفيل أن عوامل عديدة ساهمت في ظهور بوادر الوهن في حركة القوافل التجارية، في الوقت الذي أمدت فيه القوات الفرنسية نفوذها السياسي و قواعدهما في جنوب الجزائر و سعي كل من إيطاليا و بريطانيا لإقامة مراكز تجارية مهمة في الطرف الشمالي الغربي لنطاق الصحراء، لتحريم تجارة الرقيق في تلك المناطق، بغية إيجاد أسواق لمنتجاتها، هذا المؤشر كان بالغ الخطورة على اقتصاد تلك المناطق إذ يعتبر نصف تجارتها يجتاز عبر الصحراء⁽¹⁾.

هذه المتغيرات أحدثت من شأنها تغييراً في مسالك الطرق القديمة و السؤال المطروح: هل حقيقة تلاشت تجارة القوافل بفعل تحولات التجارة التقليدية، أم تفاعل هؤلاء التجار مع المستجدات التي طرأت على المنطقتين؟.

1. القوافل التجارية:

أ. القوافل الجزائرية:

قبل التوغل الفرنسي بالصحراء الجزائرية؛ كان التنظيم الاقتصادي للقبائل الصحراوية يعتمد على هجرة البدو على طول الحواف الشمالية للصحراء (التل) مثل بني ميزاب، شعانة متليلي، ورقلة و الطوارق على طول الخط من الشرق إلى الغرب، إلى جانب السكان المستقرين.

بفعل التغلغل الفرنسي في الصحراء الجزائرية أحدث تخلخلاً في الحركة التجارية بين أسواق الداخل و الخارج، ففي الوقت الذي كانت فيه ورقلة مخزناً للبضائع المستوردة من الشمال نحو الجنوب عن طريق

(1). بوفيل، ص 400-402.



القوافل، فإن القوافل المارة عليها من بسكرة و القادمة من سكيكدة و قسنطينة قد منعت من طرف فرنسا، بحجة أنها تنقل المؤن للثوار، كما منعت القوافل القادمة من الجريد التونسي لنفس السبب، حتى قوافل ميزاب لم تسلم من ذلك، بالرغم من وجود اتفاقية الحماية بينهما، مما شل الحركة التجارية الموجهة إلى إفريقيا الغربية و جعلها تسير بطريقة غير منتظمة.

خلال القرن التاسع عشر؛ كانت أقصى نقطة تصلها قوافل ورقلة هي تبكتو، في كثير من الأحيان تسوق بضاعتها في تينجورارين أو غات و غدامس، لتعود محملة بما تشتريه من بضاعة جنوب الصحراء و على رأسها العبيد لبيعهم بأسواق ورقلة ، لكن السياسة التي اتخذتها فرنسا في مراقبة القوافل أدت إلى عزوف العديد من التجار للقيام بهذه المهمة⁽¹⁾.

غير أن الاهتمام الكبير الذي حضرت به ورقلة من الدراسة، لربط ضفتي الصحراء بالسكك الحديدية التي استبدلت فيما بعد بطريق السيارات، محاولة إحياء هذه التجارة و تحويلها من غات و غدامس نحو ورقلة في إطار المنافسة التجارية مع القوى الأوروبية (الإيطالية و البريطانية)، ما هو إلا دليل على أن هناك مساهمة في تجارة تفرقت و ورقلة عبر الصحراء، إلا أن غياب الوثائق و الدراسات حول ورقلة خلال القرن العشرين، يجعلنا نصمت لغياب الوثائق التاريخية.

مع العلم أن دونالد أشار إلى أن ورقلة فقدت الصدارة التجارية قبل فترة طويلة من الاحتلال الفرنسي للجزائر، في حين انتقلت إلى الميزابيين بغرداية، لكون مجال تنقلهم كان بين التل و توات منذ القرن السابع عشر⁽²⁾.

بالنسبة لحركة القوافل السوفية التي كانت تؤم أسواق تفرقت ، ورقلة ، غرداية، تونس، غدامس، غات، المغرب و إفريقيا الغربية ، هذه الحركة تذبذبت خلال الفترة الاستعمارية خاصة مع غدامس، عدا ذلك تُشير بعض الكتابات التاريخية أنه رغم دخول السيارة في العشرينات من القرن العشرين، إلا أن الجمال تبقى حسب ملحقة الوادي سنة 1926م الوسيلة الفعالة في النقل التجاري، خاصة في مجال التهريب⁽³⁾، غير أن تعميم استعمال السيارات و الشاحنات خلال الثلاثينات و الأربعينات يعتبر ضربة قاسية لتجارة القوافل، فأصبحت الجمال لا تُؤمّن سوى نقل السلع إلى المناطق التي تتوفر على طرق السيارات⁽⁴⁾.

(1). أحمد ذكار، المرجع السابق، ص 149.

(2). Donald, Op.cit, p 60.

(3). عثمان زغب، المرجع السابق، ص 112.

(4). نفسه، ص 113.



عن وسط الصحراء؛ فإن الشعابنة الذين كان مجال تنقلهم يمتد من الحدود الليبية في غدامس ووحدات فزان شرقا حتى العرق الغربي و من وادي ميزاب شمالا حتى عين صالح جنوبا⁽¹⁾، بفعل الضغط الفرنسي فإن القوافل التي كان يعتمد عليها الشعابنة شرقا نحو غدامس و قابس؛ لجلب السكر و الشاي وغربا نحو تيارت و مستغانم؛ لجلب القمح و الشعير قد أصابها الركود⁽²⁾.

الأمر الذي حول الشعابنة من تجارة القوافل و جمع الأتاوى إلى فتح متاجر، فقد شمل نشاطهم هذا كل المنطقة الممتدة من جانت حتى أدرار و من غرداية حتى تامنراست ، حيث تشير إحصائيات سنة 1937م أنهم يمتلكون 80% من مجموع الدكاكين و الحوانيت، التي كانت توجد في جميع مراكز العمران الواقعة في الربع الجنوبي الغربي من الصحراء الجزائرية⁽³⁾.

أما عن تجارة القوافل الميزابية فإن الإشكال الذي تعرضنا له في ورقة نصادفه مع بني ميزاب، حيث تغيب عنا الوثائق التي تتحدث عن التجارة الميزابية خلال الحقبة الاستعمارية، إلا أن إشارة أحد المصادر إلى المزابي عيسى بن قاسم باسعيد البرياني الذي كان في البعثة التجارية التي شكلها رئيس الغرفة التجارية لمدينة الجزائر، قصد استكشاف أسواق إفريقيا الغربية، لترقية التبادل التجاري بين الجزائر و المستعمرات الفرنسية في إفريقيا الغربية سنة 1936م⁽⁴⁾ و التوصية التي كتبها عيسى باسعيد حول قيام بني ميزاب بإنشاء وكالات و دكاكين في القرى الموجودة داخل المثلث غاو-باماكو-نيامي و تأسيس شركة دواق و زكرياء في نوفمبر 1940م للتجارة في غاو⁽⁵⁾، يوحى لنا بأن هناك تجارة ميزابية عبر الصحراء .

بالنسبة لقوافل غرب الصحراء فإن قوافل المشربية، قوافل البيض، قوافل عين الصفراء بقيت تصل أسواق توات⁽⁶⁾ بعد وقوع المنطقة في يد الفرنسيين، إذ كانت مدفوعة من قبل الفرنسيين لجلب تجارة

(1). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 166. أنظر كذلك:

- ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 75، 76

- محمد حوتية، توات و تجارة، ص 72.

- أحمد ذكار، المرجع السابق، ص 122.

(2). محمد عبد الحليم بيوشي، المرجع السابق، ص 46.

(3). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 168-169.

(4). يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 213-214.

(5). نفسه، ص 213-214.

(6). حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 155، 157-159.



توات نحو أسواق الشمال بدل المغرب، كما تم الإشارة إلى ذلك سابقا خلال حديثنا عن التجارة الفرنسية في غرب الصحراء الجزائرية.

في مطلع القرن العشرين كان هناك عدة قوافل تتجه كعادتها إلى إقليم تينجورارين، و الجدول التالي يبين لنا إحدى تشكيلات هذه القوافل:

القبيلة	رجال	نساء	أولاد	أحصنة	جمال
أولاد منصور	35	2	5	2	220
أقربة	32	1	0	2	150
بني مطارف	3	0	0	2	5
بكاكرة	80	22	10	2	506
أولاد فارس	40	8	3	3	180
مغولية	50	6	3	2	230
أولاد سرور	49	7	0	2	275
سيدل	30	4	0	2	140
أولاد تومي	46	1	5	1	296
مقان	50	10	10	1	235
فراحدة	28	4	2	1	165
أولاد مبارك	20	3	2	1	70
أولاد أحمد	13	0	0	1	80
أولاد مسعود	10	12	6	1	204
مخازن	35	7	4	1	235
مخازن السفعة	15	1	1	1	108
المجموع	568	105	51	25	3.099 ⁽¹⁾

هذه القوافل تبين لنا أن عدد المشاركين في الرحلة نحو الجنوب، بقي كما هو في الفترات السابقة للاستعمار، كما أن هناك قوافل لا تقل عددا عنها مثل قوافل عين الصفراء و البيض التي يصل عدد أفرادها

(1). نفسه، ص 154-155.



و جمالها إلى مجموع 3307 ، كما أن هناك إشارة إلى قوافل من تلمسان و أولاد سيدي الشيخ وصلت أسواق توات في عام 1901م⁽¹⁾.

كما أشارت إحدى الكتابات المغربية إلى استمرار تجارة قوافلها على درجة من الأهمية إلى بداية القرن العشرين، حيث ربطت شمال مالي بالجزائر عبر الطريق الشرقي الذي يمر بتندوف، كما يذكر أحد الرواة الذي كان دليلا خلال الأربعينات و الخمسينات من القرن العشرين، أن عدد الإبل التي كانت تضم القافلة الواحدة لم يعد يتجاوز خلال تلك الفترة المائة، غير أن في بداية القرن العشرين تتجاوز الألف⁽²⁾.

هذه الإشارة تؤكد لنا مدى تراجع القوافل التجارية بسبب تعميم استعمال السيارات و الشاحنات بالصحراء، حيث تقلصت كثيرا أسواق توات و تيديكلت في غضون ثلاثين سنة بسبب تدخل الوسطاء المجهزين بالشاحنات، الذين استولوا على عمليات نقل البضائع، فأضحت هذه القوافل تمارس تجارتها بطريقة غير مباشرة و داخلية في الأهقار⁽³⁾.

نفس الشيء وقع لتجار الطوارق، بينما كانوا سابقا يسيطرون على النشاط التجاري عبر الصحراء⁽⁴⁾، يحصلون على رزقهم من خلال تأمين طرق القوافل المارة عبر أراضيهم⁽⁵⁾، بعد التوغل الفرنسي في الصحراء في الخمسينات و الستينات من القرن التاسع عشر، حيل بينهم و بين الأسواق الشمالية.

الأمر الذي دفع بهم إلى توحيد جهودهم بعد أن تغير الأساس الذي ينهض باقتصادهم، فاعتمدوا على الزراعة بفضل جهود المزارعين من الرقيق و كان هذا بفضل الاستقرار الذي ساد في عهد الأمينوكال الحاج أحمد بين 1830-1877م، كما بقي الطوارق يستخدمون المراعي الواقعة شمال غربي النيجر و مزاولة تجارة القوافل و ذلك بنقل الملح من سبخة أمدرور و بعض السلع القطنية البريطانية إلى الدرغو شمال زندر⁽⁶⁾.

(1). Henri Schirmer, « **Le Touat , étude de géographie physique et économique** », Annales de Géographie, 1^{ère} année, N°. 4 , 15 juillet 1892 , p 413.

(2). عبد الواحد أكميز، الحضور المغاربي - الأوروبي في إفريقيا الغربية، د.د.ن، الرباط، د.ت، ص 136.

(3). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 181.

(4). نفسه، ص 166.

(5). نفسه، ص 183.

(6). س. باير، « الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر»، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام (القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانيناته)، مجلد 6 ، اليونسكو، تحت إشراف، ج.ف. آدى آجايي، مطبعة حسيب و أولاده، لبنان، ط1، 1996، ص 593.

ب. قوافل إفريقيا الغربية:

إن التجار الذين كانوا يمارسون التجارة الخارجية مثل قوافل الأزلاي (Azlai)؛ كيل جريس واتسان (Itesan) من مركز انطلاقهم بالآير ، بقيت تجارتهم فاعلة حيث يشير بوفيل إلى هذه القوافل بقوله: « حتى عام 1908م عندما أوشكت القوافل على لفظ أنفاسها الأخيرة، كان عدد الإبل التي تضمها القافلة الواحدة لا تقل عن عشرين ألفاً⁽¹⁾»، كما يذكر المؤرخون الذين عنوا بهذه الأسفار أن هناك قافلة سارت في طريق الآير سنة 1938م، ضمت 17.000 جملا هذا الرقم يعتبر رقما قياسيا في تلك الفترة⁽²⁾.

كما أن تجار الهاوسا الذين كانوا مهيمنين على الجزء الشرقي من إفريقيا الغربية و ينتشرون من قاعدتهم في نيجيريا الشمالية في اتجاه الجنوب الغربي حتى ساحل الذهب⁽³⁾، مازالوا يمارسون التجارة الخارجية حيث تأقلموا مع التجارة الجديدة، بدؤوا في العقد التاسع من القرن التاسع عشر في استخدام الخدمة المنتظمة للسفن البخارية لنقل جوزة الكولا من أكرا و كيب كوست (في غانا) إلى لاجوس، لما تم وصل لاجوس و كانوا بالسكك الحديدية في عام 1911م ، أصبحت هذه التجارة تنقل عبرها⁽⁴⁾.

نفس الشيء بالنسبة لقوافل الكونتاس و البراييش من منطقة تنبكتو و بحيرة فاجيبان، التي كانت تمارس التجارة مع توات، يبدو أن أقصى نقطة تصلها في أواخر القرن التاسع عشر كانت تاودني حيث تشير بعض الكتابات إلى قوافل تنبكتو التي تذهب إلى تاودني كان مجموعها يتراوح بين 25.000 و 30.000 جمل و تحمل ما بين 4.000 و 5.000 طن من الملح عند العودة⁽⁵⁾، في عام 1910م مات جوعا أكثر من خمسين شخصا في تاودني، نتيجة تأخر القافلة التي تحمل الإمدادات الغذائية⁽⁶⁾، إذ لم تعد القوافل في بداية القرن العشرين تصل بانتظام إلى الواحات الجنوبية⁽⁷⁾.

باختفاء تجارة القوافل؛ تداعت أركان السلطة و المكانة الاجتماعية لأغلب القبائل أو لممارسي القيادة و تقلصت مواردهم، تبعاً لذلك دفع سكان الواحات للبحث عن عمل يتلاءم مع الظروف التي ألوا

(1). بوفيل ، ص 392-393.

(2). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى ، ص 58.

(3). هوبكنز، ص 121.

(4). نفسه، ص 494.

(5). نفسه، ص 93.

(6). نفسه، ص 172.

(7). خديجة الراجي، المرجع السابق، ص 111.



إليها كعمال لا كأسياد⁽¹⁾، نفس الظروف ألقت بضلالها على سكان إفريقيا الغربية، لتعطي الشرعية لنفسها دور مستودع البضائع و السلع⁽²⁾.

2. الطرق:

بفعل الاستعمار الأوروبي للقارة الإفريقية، حدث تغيير في الحياة الإفريقية بأكملها، خاصة ما أحدثته في التجارة الداخلية للقارة، فبوصولهم تم فتح نقاط عبور إلى الساحل عبر الطرق البرية⁽³⁾ و البحرية والجوية، مما سلب تجارة الصحراء شأنها و تحولت طرق القوافل القديمة إلى ممرات مهجورة، فكيف تم ذلك؟.

أ. الطرق الداخلية بالجزائر:

إن الطرق التي كانت تصل داخل الجزائر بإفريقيا الغربية مثل طريق قسنطينة و كانو⁽⁴⁾، طريق بسكرة و أقدز⁽⁵⁾، طريق بسكرة نحو تنبكتو و جني⁽⁶⁾ و المسالك التي ارتبطت بإقليم توات من كل الجهات؛ من تنبكتو، غاو، شنقيط⁽⁷⁾، جني⁽⁸⁾، غدامس و غات، تحولت مسالكها بفعل السياسة التننتة التي اتبعتها فرنسا في ظل المنافسة الأوروبية على التجارة الصحراوية؛ قبل وصولها إلى أقصى الجنوب، مهدت لنفسها الطرق الجنوبية، حيث تم إنجاز ثلاثة خطوط من السكك الحديدية حتى تربط الشمال بالجنوب كما يلي:

- من الشرق: هناك خط حديدي يمتد من قسنطينة إلى بسكرة ثم تفرقت و ورقلة .
- من الوسط: هناك خط حديدي يمتد من الجزائر إلى الجلفة.
- في الغرب: نجد طريق سعيدة و كولومب - بشار⁽⁹⁾.

(1). بوفيل، ص 406.

(2). أجايي، المرجع السابق، 53.

(3). بوفيل، ص 384.

(4). الزبيري، التجارة الخارجية، ص 173.

(5). يحي بوعزيز، تاريخ إفريقيا الغربية، ص 42.

(6). L'abbé Barges, Op.cit, p 5-11.

(7). الأغواطي، المصدر السابق، ص 94.

(8). L'abbé Barges, Op.cit, p 5-11.

(9). الحاج موسى بن أعمار، المرجع السابق، ص 56.



- ما شجع نشاطها التجاري إنشاء عدد من الطرقات التي لم تكن موجودة قبل 1830م⁽¹⁾، مثل:
- تعبيد طرق السيارات من سطافة ، غرداية ، الأغواط عبر وادي ميزاب ، ثم الطريق من غرداية نحو ورقلة⁽²⁾.
 - طريق الوادي - نفطة، الوادي - بسكرة، الوادي - توفرت عبر الجامعة ، الوادي - نقرين، الوادي - توفرت عبر فرجان⁽³⁾.
- بالنسبة للطرق التي تربط ضفتي الصحراء؛ باحتلال عين صالح و تمبكتو، أعاققت تنمية التجارة مع الغدامسيين و أثرت على المصالح التركية و العلاقات بين توات بعين صالح و غدامس و كذا تمبكتو⁽⁴⁾.
- نتيجة تضيق الخناق الاستعماري على عين صالح لهدف تحويل التجارة الصحراوية عبر الجزائر، أدى إلى تغيير الطرق التجارية، حيث انخرقت نحو الشرق في جانت، غات و غدامس، كما تحول طريق جنوب الصحراء من تمبكتو إلى كانو نحو الشرق، بذلك أصبحت جانت مركزا تجاريا استراتيجيا؛ حيث تتصل بثلاث طرق:
- طريق يربطها بالآير و الدمرغو Damergou و كام برنو وطرابلس.
 - طريق يربطها بغات و ايفراون Iferouane في الآير.
 - طريق يربطها بليبيا و أغادس، زندر و أسواق كانو في نيجيريا⁽⁵⁾.
- ب. الطرق الداخلية لإفريقيا الغربية الفرنسية:**
- إن التغييرات التي حدثت في الجزائر نفسها في إفريقيا الغربية الفرنسية، بظهور الوسائل الحديثة سيطرت على المسالك التقليدية، فطريق تاوديني إلى تمبكتو⁽⁶⁾، طريق كانو و باداجري، طريق كومي عبر برنين جوارى و زاريا إلى كانو ، طريق جوانجا إلى كانو⁽⁷⁾، تم تغييرها بطرق حديثة، حيث عملت على إنجاز معظم السكك الحديدية بهذا الإقليم و من أهم هذه الخطوط نذكر ما يلي:

(1). M. Alfred Rambaud , Op.cit, p 118.

(2). يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 151.

(3). عثمان زقب، المرجع السابق، ص 118.

(4). Bourgeot André , Op.Cit, p 164.

(5). Ibid, p 165.

(6). بوفيل، ص 387.

(7). رياض زاهر، المرجع السابق، ص 310-311.

- خط دكار و باماكو في حوض النيجر،
- خط ايجان و جدوجو في فولتا العليا،
- خط كوتونو و باماكو شمال الداومي،
- خط كوناكري و كانكن داخل غينيا و وسط هضبة فوتا جالون⁽¹⁾.

كما كان للنقل المائي أهميته التجارية في غرب إفريقيا، بين نهر النيجر و السنغال و قطاعات أخرى من نهر الفولتا و قد كان الممر المائي الداخلي الأكثر حركة هو قطاع الوسط من نهر النيجر الذي يربط تنبكتو بجني و غاو، بفضل مجمع النيجر الأوسط أصبح واحداً من أكبر المراكز التجارية في إفريقيا الغربية⁽²⁾.

في العهد الفرنسي سعت الجمهورية الفرنسية الثالثة لتحقيق سياستها التوسعية و ذلك بربط السنغال بالنيجر ، فقامت باكتشاف الأراضي الداخلية لكل من الداومي و ساحل العاج للربط بينها و بين النيجر، تمهيدا لربط إفريقيا الغربية بإفريقيا الشمالية و إفريقيا الاستوائية من البحر المتوسط حتى الكونغو⁽³⁾ و بالفعل تمكن الفرنسيون من ربط كل من نهر النيجر و السنغال بسكة حديدية⁽⁴⁾، كما تم ربط البحر المتوسط بالكونغو بالخطوط الجوية.

كما عملت فرنسا على تطوير المجاري المائية الداخلية، حيث استخدمت بواخر مزودة بعجلات تجديف مثل النيجر و بنوي و السنغال، للتنسيق بين النقل النهري و السكك الحديدية، مثل السكك الحديدية التي تربط السنغال باماكو، كانت هناك وصلة تربطها بالنيجر الأوسط، بذلك كانت تصل دكار، تنبكتو و غاو⁽⁵⁾.

ج. الطرق المستحدثة عبر الصحراء الجزائرية و المحيط الأطلسي:

بعد وقوع طرقي الصحراء في يد الفرنسيين ما بين 1900-1914م، اختفت هذه التجارة في غضون سنوات قليلة ، لكن الطرق الكبرى الخاصة بالمبادلات التجارية بقيت مستخدمة من طرف الجنود

(1). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 165.

(2). هوبكنز ، ص 145.

(3). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 97.

(4). بوفيل، ص 404. أنظر كذلك: أحمد نجم الدين فليجة، المرجع السابق، ص 217.

(5). هوبكنز ، ص 393-394.



الفرنسيين ، فقد ظلت الروابط بين الأوساط العسكرية على ضفتي الصحراء مشتركة حتى الحرب العالمية الأولى، ما بين 1939-1945م أصبحت شركات الآير الفرنسية تستعملها لنقل البضائع⁽¹⁾.

في عام 1923م عبرت أول سيارة عبر الصحراء الكبرى من الجزائر إلى تنبكتو⁽²⁾، بحلول عام 1930م كانت الشركات التجارية للنقل بالسيارات، تعمل في المراكز الرئيسية للنشاط الاقتصادي في إفريقيا الغربية و الصحراء الكبرى و اتسعت شبكتها التوزيعية عبر محاور عديدة.

في ظل غياب السكك الحديدية عبر صحراء الجزائر، و أمام الحاجة الملحة إلى توسيع شبكة العلاقات التجارية مع منطقة غرب إفريقيا الفرنسية و وسطها، كان لا بد على فرنسا إيجاد بديل لذلك فكان طريق السيارة بدل القطار.

حيث تم دراسة الطرق فتوصلوا إلى نتيجة مفادها؛ الطريق بين النيجر و الجزائر العاصمة يستغرق بالسيارة ما لا يقل عن عشرة أيام ، عندما تسمح الظروف الجوية تستخدم الطائرات، حيث تختصر الزمن لأربع و عشرين ساعة، كما قاموا بدراسة إمكانية النقل عبر الصحراء على النحو التالي:

- من كوناكري (Conakry) إلى كوروسا (Kouroussa) بالسكك الحديدية،

- من كوروسا إلى غاو (Gao) بالشاحنة،

- من غاو إلى كولومب - بشار (Colomb-Béchar) بالشاحنة⁽³⁾،

وفقا للإمكانيات؛ فإن مسافة 8.000 كلم سوف تشمل عربات الشحن مزودة بثلاث ناقلات، سعر نفقات و استهلاك المعدات تصل إلى ما يقارب 5.000 فرنك للطن، بالنسبة ل غاو قد تستخدم النقل النهري من نيامي إلى المحيط الأطلسي غربا و من شرق النيجر إلى التشاد عبر زندر.

وفقا لهذه الدراسة؛ فإن فرنسا لم تكتف بالمبادلات التجارية مع ساحل الجزائر و ساحل غرب إفريقيا الفرنسية، بل تولدت تدفقات التجارة الفرنسية بين مستعمراتها و الجزائر، و الدول القريبة من فرنسا مثل المغرب و تونس عبر الممرات المائية الرئيسية: بين المحيط الأطلسي و البحر الأبيض المتوسط⁽⁴⁾.

(1). Jean-Charles Clanet , « Caravanes du Sahara », Outre-mers, T. 91, N° 344-345, 2^{eme} Semestre 2004 , p 14.

(2). هوبكنز ، ص 391.

(3). Robert Tinthoin , Op.cit, p 209.

(4). Ibid, p 200.



لهذه الأسباب رأت فرنسا ربط الجزائر و باقي مناطق أفريقيا، بخطوط بحرية و برية و جوية كما

يلي:

- الطرق البرية:

- من كولومب بشار إلى غاو عبر تنزروفت بالشاحنة⁽¹⁾،
- من الجزائر العاصمة إلى شرق إفريقيا في نيامي و التشاد عبر تقرت و ورقلة و الأهقار بالشاحنة،
- من كوناكري (Conakry) إلى كوروسا (Kouroussa) بالسكك الحديدية،
- من كوروسا إلى غاو (Gao) بالشاحنة ،
- من نيامي في النيجر إلى المحيط الأطلسي و من شرق النيجر إلى التشاد عبر زندر،
- من غاو - دكار عبر باماكو،
- من نيامي (Niamey) إلى كوتونو (Cotonou) بالبنين.

- عبر البحر:

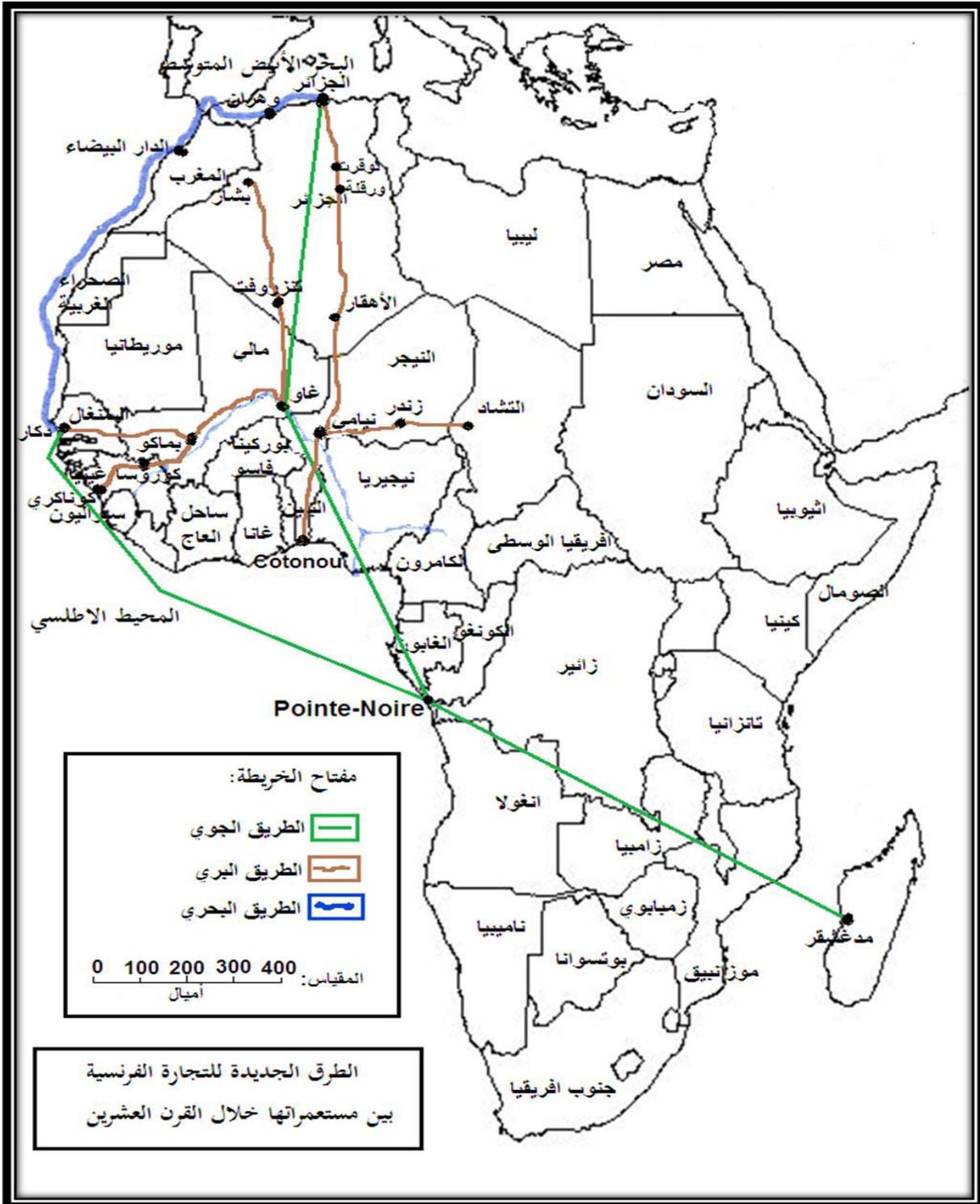
- من جنوب دكار - الدار البيضاء و خط وهران - الجزائر.

- عبر الجو:

- من الجزائر - الكونغو - مدغشقر عبر الصحراء و غاو،
- من دكار - بوانت نوار (Pointe-Noire) بالكونغو على ساحل المحيط الأطلسي⁽²⁾.

(1). Ibid, p 209.

2 . Ibid, p 200.



(1)

(1). أنجزت الخريطة اعتماداً على خرائط:

- شوقي أبو خليل: أطلس دول العالم الإسلامي (جغرافي، تاريخي، اقتصادي)، دار الفكر، دمشق، ط2، 2003، ص 34، 44، 50، 60، 70، 102، 112.



يعبر هذه الطرق الصحراوية حوالي ألفي مسافر سنويا و ألف سيارة شخصية تستعمل هذه الطرق لغرض السياحة، لكن سعر نقل البضائع في البداية كان باهظا لصعوبة هذه الدروب، نتيجة تطورها وتنظيم حركة المرور انخفضت تكاليفها.

هذه الوسائل الحديثة ساهمت في تلقي الجزائر منتجات إفريقيا الغربية من القهوة ، الكاكاو، الدهون الحيوانية والنباتية، الزبدة، زبدة الشيا، الصوف، الفلفل، الصمغ، خيوط السيزال، مكسرات الكولا، منتجات الخضار ، المطاط و العسل، لسوء الحظ فإن الصحراء الجزائرية لا تملك إلا القليل لتقدمه في الاتجاه المعاكس حتى التصنيع ضئيل ليتمكنها من تحويل المواد الخام المقدمة من غرب أفريقيا الفرنسية⁽¹⁾. هذا ما جعل حجم مواردها يشكل نسبة قليلة مقارنة بما تنتجه و تصدره الأقاليم الأخرى.

(1). Robert Tinthoin , Op.cit, p 210-209.



المبحث الثاني: واقع التجارة الداخلية و الخارجية.

يشير كل من هوبكنز و أوليفير بليز (**Olivier Pliez**) أن السكك الحديدية التي ربطت بين لاجوس و كانو عام 1911م، كان حدثا ذا دلالة كبيرة في التاريخ التجاري لإفريقيا، و إيدانا بالتدهور النهائي للتجارة التقليدية ذات التوجه الشمالي عبر الصحراء الكبرى، بإعادة توجه أسواق الداخل نحو الموانئ الساحلية⁽¹⁾، فيتم تصريف هذه المنتجات بين الموانئ الرئيسية في غرب إفريقيا و موانئ البحر الأبيض المتوسط، بواسطة الطريق البحري الذي يربط بينهما بدل الطرق الصحراوية⁽²⁾.

كما يشير أندري مارتال (**André Martel**) في مقال له؛ أنه بحلول عام 1900م، أحدث الوجود الفرنسي بالإقليمين ضربة قوية على التجارة عبر الصحراء، إذ لم يكن هناك أي تشجيع لإنعاش هذه التجارة تحت شاکلة القافلة أو من قبل حركة السيارات، لذلك استمرت الطرق التقليدية حتى بعد عام 1945م، أين ظهر اهتمام آخر بموارد التعدين و النفط في الصحراء⁽³⁾ حيث تغيرت الاهتمامات الاقتصادية. من خلال هذه الآراء سنعالج واقع التجارة الداخلية و الخارجية خلال هذه الفترة.

1. واقع التجارة الداخلية:

أ. المبادلات الداخلية:

منذ الاحتلال بدت للعيان آثار بارزة في العلاقات التجارية بين التل و الصحراء ، حيث سعت بعض القوافل خفية نحو أسواق أخرى للحصول على إمدادات مثل تونس، كما عزف سكان الصحراء على الهجرة السنوية إلى أسواق التل، منهم شعابنة بوروية للحصول على الحبوب لسنوات عديدة ، نتيجة المقاومات العنيفة التي تلت عام 1830م، كما تعطلت الاتصالات بين بوسعادة و الجزائر، بين فكيك و الأغواط.

(1). هوبكنز ، ص 394. أنظر كذلك:

- م.هـ. الشريف، «الاتجاهات الجديدة في المغرب العربي: الجزائر و تونس و المغرب»، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام (القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانينياته) مجلد 6 ، اليونسكو، تحت إشراف، ج.ف. أدى آجايي، مطبعة حسيب و أولاده، لبنان، ط1، 1996، ص 539-540.

(2). هوبكنز، ص . أنظر كذلك:

- Olivier Pliez , « **Vieux réseaux et nouvelles circulations entre les deux rives du Sahara** », Méditerranée, T. 99, 3 Avril 2002, p 32-33.

(3). André Martel, «**Pour une histoire du Sahara français**», Revue française d'histoire d'outre-mer, T. 55, 3^{ème} trimestre, N°200, 1968, p 346.



بعد توغل الفرنسيين جنوبا شيّدوا محطة في بوغار و كانت بمثابة نقطة توقف محمية للقوافل بين منطقة ميزاب و التل، يتمركز بها العديد من الجنود⁽¹⁾، فيما بعد أصدرت عدة قرارات مفادها تسهيل التجارة المحلية بين التل و الصحراء لحسابات استعمارية.

خلال العهد الفرنسي، تمثلت صادرات سوف في المنتجات النقدية مثل التمر ، الغرس و دقلة نور بالإضافة إلى تجارة البرنوس و التبغ⁽²⁾، الذي يدخل بقوة في التعاملات التجارية مع الشمال، كما يُهرب نحو تونس.

أما واردات سوف تمثل الحبوب من المنتجات الرئيسية التي تقوم على استيرادها، يتم جلبها من المناطق التالية خاصة الأوراس، بواسطة قوافل النمامشة، الخناشلة و التباسة الذين يأتون لمبادلة التمور و النسيج حتى في فترة وجود الشاحنات سنة 1930م⁽³⁾.

أما السكر ، الشاي و القهوة يعتبرون أيضا ضمن واردات سوف، حيث يتم جلبها من تونس عن طريق التهريب أو بشكل قانوني، كما يجلب بواسطة الشاحنات من التل⁽⁴⁾.

بالنسبة لأسواق توات التي تعتبر القلب النابض للإقليم، نجد أسواقها منتشرة في كل قصورها و من أهم أسواقها: سوق تيميمون، سوق أدرار، أسواق تيديكلت⁽⁵⁾، هذه الأسواق بقيت على اتصال مع أسواق المشربية، عين الصفراء، فكيك، حيث يحملون إليها القمح، الشعير، الصوف، الزبدة، الشحم، اللحوم الجافة، الفول، الصابون، الزيت، السكر و القهوة ليعودوا من توات محملين بالتمور (الحميرة ، تيناصر ، تينهود ، تقازة ، أغمو و تينقور)⁽⁶⁾.

خلال سنتي 1904-1905م ، استقبلت واحات توات و نواحيها حوالي 4.200 شخص، جلبوا لها ما قيمة 14.000 جمل و 5.400 شاة و مختلف السلع من جبن، صوف، زبدة، لحوم مجففة،

(1). Donald , Op.cit, p 62- 63.

(2). عثمان زقب، المرجع السابق، ص 98-99.

(3). نفسه، ص 105.

(4). نفسه، ص 107.

(5). فنج محمود فنج، المرجع السابق، ص 79.

(6). حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 171.



قمح، شعير، حبال الماعز و الإبل⁽¹⁾، و هذا نتيجة الإجراءات العسكرية و القانونية التي مارستها فرنسا على الحدود الشمالية و الواحات الصحراوية⁽²⁾.

حيث تشير بعض الإحصائيات إلى كمية و أسعار بعض السلع، التي كانت تحملها قوافل عين الصفراء إلى توات خلال سنتي 1899-1900م كما يلي:

نوع السلع	الحجم أو العدد	الثلث
خراف الضأن	558 شاة	15 فرنك للشاة
السمن	320 كلغ	2 فرنك للكلغ
الجبن	530 كلغ	2 فرنك للكلغ
جزات الصوف	870 كلغ	2,5 فرنك للجزة
الدقيق	69 كلغ	80 سنتيم للكلغ
القمح	16 قنطار ⁽³⁾	

من القوافل التي كانت تصل أسواق توات توجد قبيلة حميان الشرقية، حيث تشير بعض الإحصائيات التي جمعتها المكاتب العربية بين سنتي 1886 و 1887م إلى واردات توات من قبيلة حميان

- جدول واردات توات من قبيلة حميان ما بين 1886-1887م:

المادة	الكمية	ثمنها
جزة صوف	37.758 جزة	56.637 فرنك
القمح	11.501 ديكالتر	17.251 فرنك
الشعير	950 ديكالتر	665 فرنك
سميد القمح و الشعير	250 ديكالتر	812 فرنك
اللحم المجفف	6.657 ديكالتر	33.285 فرنك
الكباش	2.257	40.626 فرنك
الزبدة	661 قرية	19.830 فرنك

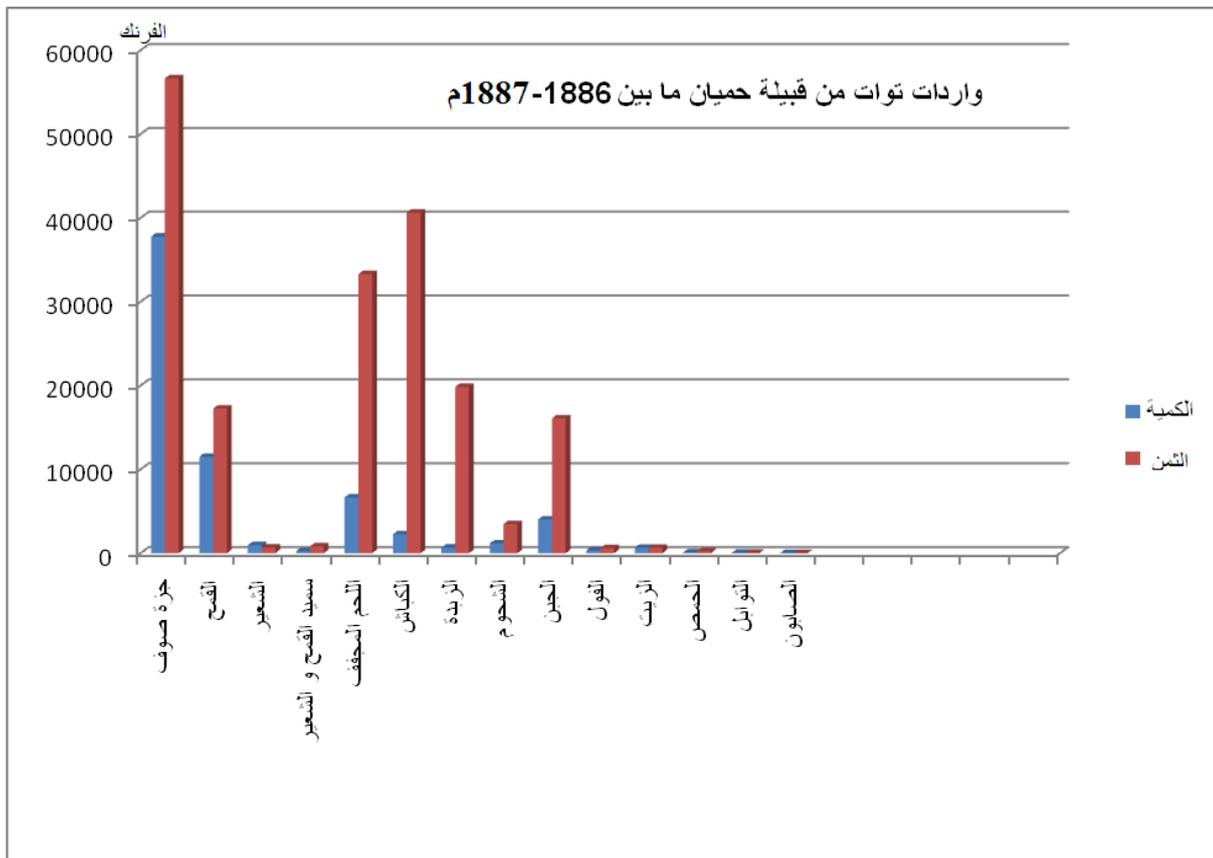
(1). العماري، المرجع السابق، ص 220.

(2). نفسه، ص 193-194.

(3). نفسه، ص 193.



الشحوم	1.159 قربة	3.477 فرنك
الجبين	4.018 ديكالتر	16.072 فرنك
الفول	340 ديكالتر	595 فرنك
الزيت	651 لتر	653 فرنك
الحمص	95 ديكالتر	237 فرنك
التوابل	32 كيلوغرام	64 فرنك
الصابون	13 كيلوغرام	5 فرنك
مجموع القيمة المحمولة		224.444 فرنك ⁽¹⁾



(1). Henri Schirmer, Op.cit, p 41 2 .



في المقابل تجلب هذه القافلة من توات ما يعادل؛ 7.602 من التمور بمختلف أنواعها، 8 أحمال من الحناء، 10 أحمال من الفلفل الأحمر، حيث بلغت صادرات توات نحو مشرية ما قيمة 491.755 فرنك⁽¹⁾.

كما عثرنا على إحصائيات حول قوافل من تلمسان و أولاد سيدي الشيخ التي وصلت أسواق توات في عام 1901م⁽²⁾؛ قوافل تلمسان مكونة من 777 شخصا و 500 جمل و قوافل سيدي الشيخ مكونة من 400 شخص و 1.650 جملا محملة بالسلع التالية:

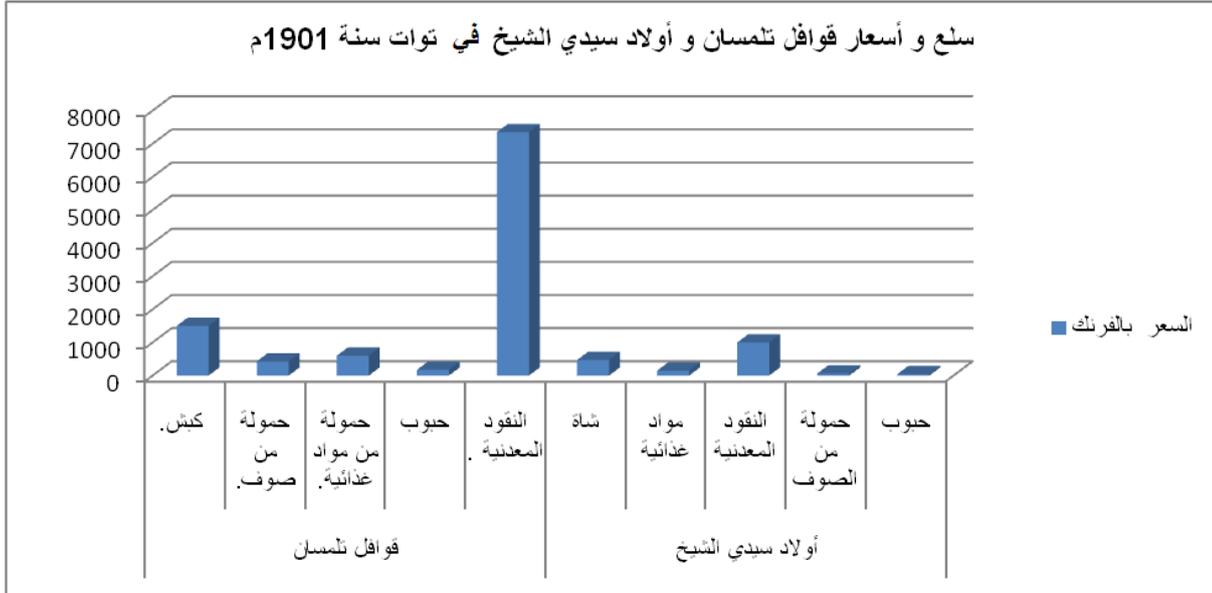
- جدول أسعار و بضائع قوافل تلمسان و أولاد سيدي الشيخ نحو توات سنة 1901م:

المنطقة	المادة	السعر
قوافل تلمسان	كباش.	1.500 فرنك
	حمولة من صوف.	428 فرنك
	حمولة من مواد غذائية.	600 فرنك
	حبوب	172 فرنك
	النقود المعدنية .	7.350 فرنك
أولاد سيدي الشيخ	شاة	470 فرنك
	مواد غذائية	150 فرنك
	النقود المعدنية	1.000 فرنك
	حمولة من الصوف	64 فرنك
	حبوب	45 فرنك ⁽³⁾

(1). Ibid, p 413.

(2). Ibid, p 413.

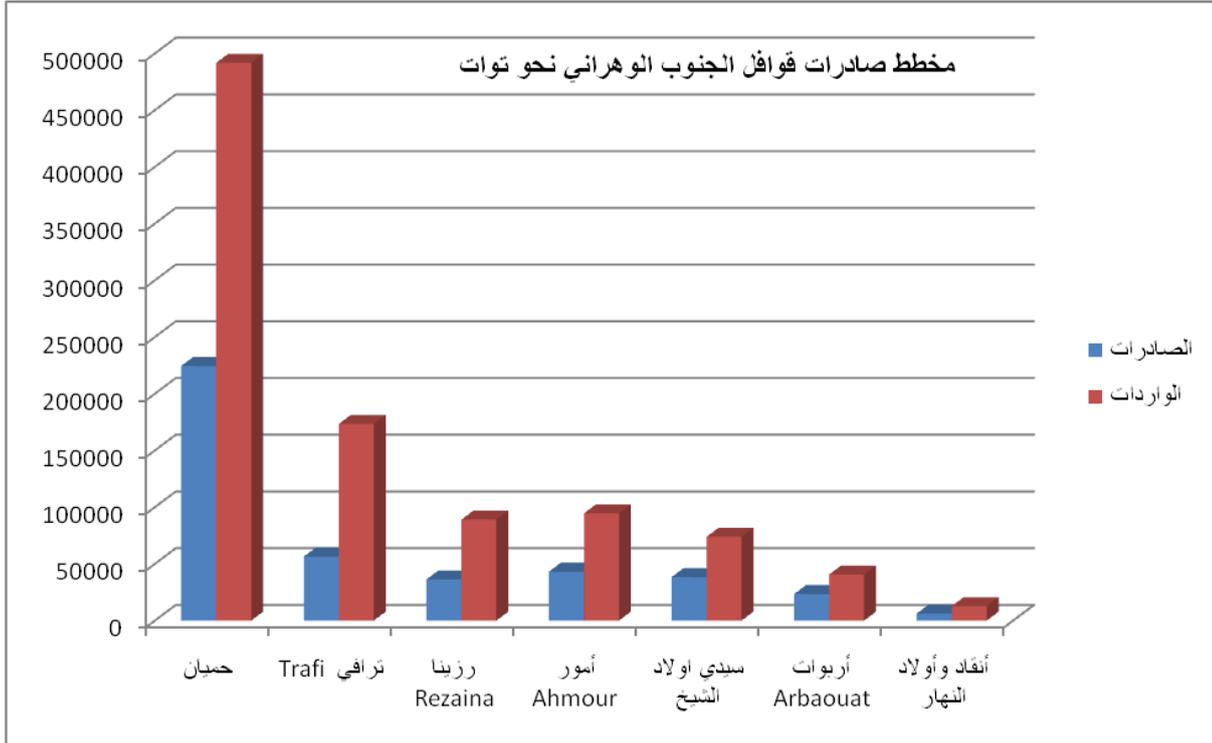
(3). العماري، المرجع السابق، ص 193.



- جدول صادرات قوافل الجنوب الوهراني نحو توات:

الواردات	الصادرات	الجمال	الرجال	القبائل
491 735	224 453	7 636	1 765	حميان
173 350	56 411	2 067	505	ترافي (Traf))
88 990	36 254	1 550	359	رزينا (Rezaina)
94 532	43 176	1 259	294	أمور (Ahmour)
73 860	38 317	1 003	321	أولاد سيدي الشيخ
40 645	23 410	523	131	أربوات (Arbaouat)
12750 ⁽¹⁾	227	156	36	أنقاد و أولاد النهار

(1). نفسه، ص 193.

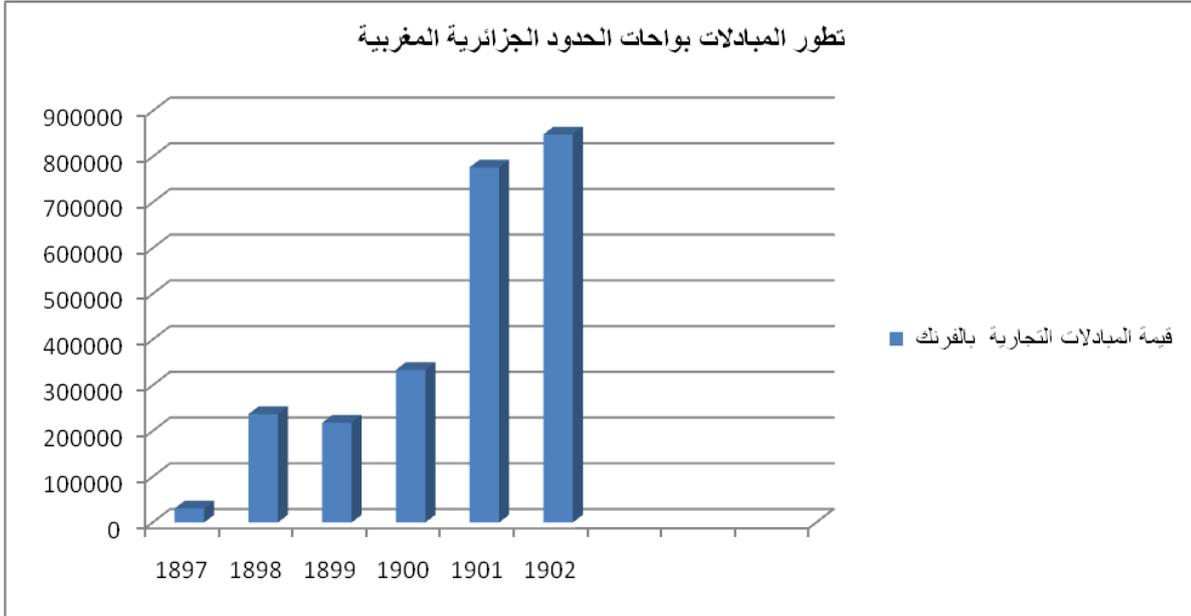


يُظهر هذا التطور في المبادلات التجارية بين شمال الصحراء و جنوبها بفضل الإجراءات العسكرية و القانونية التي مارستها فرنسا على الحدود الشمالية أو الواحات الصحراوية بالخصوص، فنلاحظ نمو التبادل في منطقة الواحات بالحدود بقيمة النقد ابتداء من سنة 1897م و هي السنة التي طبقت فيها قوانين الإعفاءات على البضائع المراد تصديرها كما يلي:

- جدول تطور المبادلات بواحات الحدود الجزائرية المغربية:

في 1897م بلغت قيمة البضائع بواحات الحدود	31.000 فرنك.
في 1898م	237.000 فرنك
في 1899م	218.000 فرنك
في 1900م	334.000 فرنك
في 1901م	777.000 فرنك
في 1902م	849.000 فرنك ⁽¹⁾

(1). نفسه، ص 193-194.



لكن فيما بعد تقلصت هذه الأسواق كثيرا في غضون ثلاثين سنة، بسبب تدخل الوسطاء المجهزين بالشاحنات الذين استولوا على عمليات نقل البضائع، فتراجع دور القوافل بشكل كبير، كما أن تحويل الاهتمام الفرنسي إلى أسواق بشار جعل توات تفقد بريقها التجاري خلال هذه الفترة.

أما عن غرب إفريقيا الفرنسية؛ نجد هوبكنز يقوم بوضع تصنيف اقتصادي لمنطقة إفريقيا الغربية بعد احتلال المنطقة كما هي:

- أولا: هناك مناطق تعرضت لتدهور في سلعة التصدير الأساسية و هي الرقيق، دون ضمان لتعويض ملائم في شكل منتجات جديدة، لكونها مناطق لا تصلح لهذه الزراعة مثل السودان الفرنسي، الذي كانت تجارته مع الصحراء الكبرى الآخذة في التدهور ابتداء من سنة 1875م.

- ثانيا: مناطق لم تشارك بنسبة كبيرة في تجارة الرقيق و انفتحت أمامها فرص جديدة في قطاع التصدير؛ هي المناطق الواقعة على الساحل بين السنغال و ساحل العاج، حيث بدأت بتصدير منتجات نباتية في القرن التاسع عشر.

- ثالثا: مناطق تحولت من تصدير الرقيق إلى إنتاج الزيوت النباتية مثل: سنغامبيا، غينيا، و الجزء الأكبر من الغابات من ساحل الذهب في اتجاه الشرق⁽¹⁾.

رغم التحولات التي وقعت على اقتصاد المنطقة جراء المستعمر الفرنسي، إلا أن الأسر المعيشية و أصحاب التجارة الخارجية قد تأقلموا مع الوضع الجديد، فساهموا في إنتاج المحاصيل النقدية⁽²⁾، في وقت

(1). هوبكنز، 282-283.

(2). نفسه، ص 43.



ساد في إفريقيا الغربية الفرنسية اقتصادٌ خاضعٌ للنظام التنافسي؛ أي اقتصاد قائم على تصدير السلع الزراعية الأولية المنتجة بالوسائل التقليدية و استيراد السلع الاستهلاكية⁽¹⁾، حيث تزايد عدد الأفارقة الذين يسهرون على جمع ثمار النخيل، الصمغ، العسل و العاج⁽²⁾، ففي عام 1900م نشر بايو خريطة توضع أن خمسين مدينة في غرب إفريقيا، كانت التجارة فيما بينها تصل إلى مليون جنيه استرليني⁽³⁾.

إن السلع الرئيسية للتجارة الخارجية بقيت طيلة الحكم الاستعماري، مثل الأسماك و الملح المستخرج من بلما في النيجر، بقي يباع بكميات كبيرة في نيجيريا الشمالية و تجري مبادلتها بالحبوب ، كما أن الذهب و الحديد تشمله التجارة الخارجية.

إضافة إلى تطور التجارة التقليدية المتمثلة في الكولا، فالجزء الغربي من منطقة السافانا مازال يحصل على جوزة الكولا من ساحل العاج، و كان ثلث المجموع موجه نحو الاستهلاك في السنغال، غير أن هذه التجارة لم تعد تمر عبر طرق القوافل القديمة، فغالبية الصادرات تنقل شمالا بالشاحنات إلى باماكو بمالي، ثم تنقل بعد ذلك بالسكك الحديدية إلى السنغال، أما الكميات المتبقية ترسل بالبواخر إلى دكار⁽⁴⁾.

حيث بدأ تجار الهاوسا يركزون على تجارة الصادرات في نيجيريا الشمالية و أصبحوا يسيطرون على مشتريات الفول السوداني⁽⁵⁾، رغم الحدود التي أقامتها الدول الاستعمارية نلاحظ تبادل السلع بين الأفارقة في المستعمرتين البريطانية و الفرنسية.

مع زيادة الطلب على السلع و الخدمات المحلية في القرن العشرين، نتيجة لانخفاض تكاليف النقل الداخلي لا سيما في المناطق الريفية المنتجة للصادرات، تم تزويد المناطق الجغرافية الجديدة باحتياجاتها و تكيفوا مع وسائل النقل الحديثة و النظام النقدي الاستعماري الجديد لمكافحة المنافسة الأجنبية⁽⁶⁾، هذه التجارة توسعت خاصة بعد الحرب العالمية الثانية.

كما أن تجارة الماشية توسعت أيضا في القرن العشرين، لأهميتها في بلدان إفريقيا الغربية الفرنسية خاصة مالي، فولتا العليا و النيجر، فمبيعات الماشية هي التي تربط هذه البلدان بالمناطق الرئيسية المنتجة لسلع التصدير و بالتالي تساعدها على شراء السلع الاستهلاكية المستوردة ، ففي عام 1936م قامت

(1). فيدوروفيتش، المرجع السابق، ص 360.

(2). أجاوي، المرجع السابق، ص 30.

(3). هوبكنز ، ص 101.

(4). نفسه، ص 491 - 492.

(5). نفسه، ص 413.

(6). نفسه، ص 488.



النيجر و مالي بتصدير ما لا يقل عن 65 ألف رأس من الماشية إلى أنحاء أخرى من إفريقيا الغربية، التي تقوم بدورها بتصدير هذا المنتج مثل السنغال و ساحل العاج، كما تعتبر نيجيريا المستورد الرئيسي لهذا المنتج لقرب النيجر و التشاد منها⁽¹⁾.

نفس الشيء بالنسبة لصناعة الجلدية و بيعها، فقد نمت مع نمو تجارة الماشية، و سبب استمرار هذه الصناعات التقليدية يعود إلى:

- هناك منتجات معينة قريبة من السوق لانخفاض نفقات التصنيع و النقل،
- بعض المنتجات تجد من يشتريها بالرغم من تعرضها لمنافسة السلع الأوروبية، الأرخص ثمناً لأنها موضع اعتبار كبير للمستهلكين مثل الملح المحلي الذي يفضله الأهالي،
- لكونها إنتاج من نوع خاص و بالتالي تجد من يشتريها، بمرور الزمن تزايد الطلب عليها كونها رمزاً للارتباط بالثقافة الإفريقية⁽²⁾.

هناك أجزاء كثيرة من إفريقيا الغربية الفرنسية تقع خارج المناطق الرئيسية المنتجة لسلع التصدير، كان باستطاعتها المشاركة في الاقتصاد الاستعماري، كما أن هناك مناطق لم تمسها حتى التأثيرات غير المباشرة، هؤلاء عانوا من انخفاض مستوى المعيشة، نتيجة الحكم الاستعماري مثل موريتانيا التي عانت من انخفاض محصولها التصديري الرئيسي و هو التبغ، بالتالي عوضته بتصدير الأسماك، الدخان و الماشية إلى السنغال⁽³⁾.

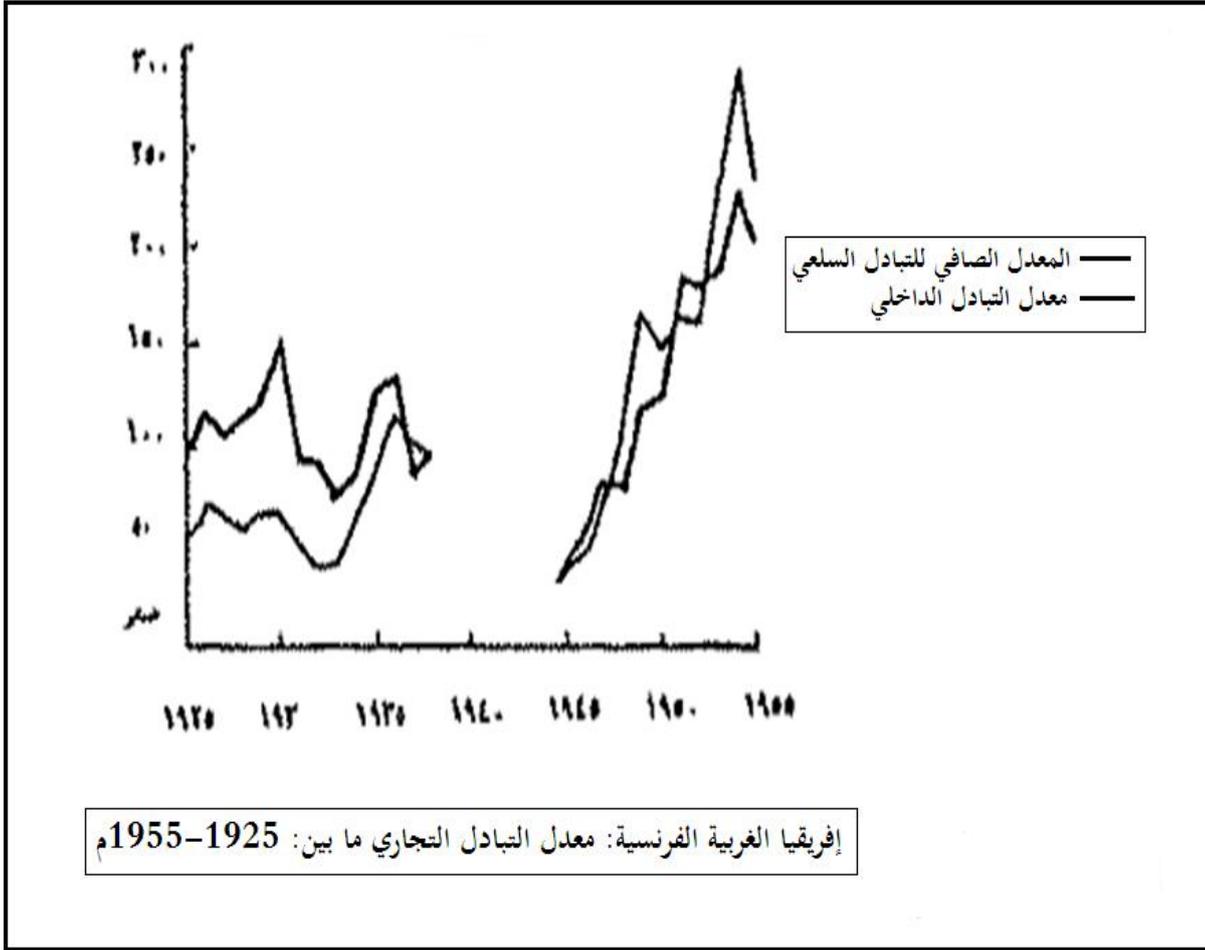
(1). نفسه، ص 495.

(2). نفسه، ص 498-500.

(3). نفسه، ص 361-362.



للتوضيح أكثر؛ المخطط الموالي يبين حجم التبادل التجاري الداخلي ما بين 1925-1955م:



(1)

من خلال المخطط نستنتج أن معدل التبادل الداخلي يتزايد حتى سنة 1930م، لينخفض نتيجة الأزمة الاقتصادية التي مست العالم آنذاك، لكن بعد الحرب العالمية الثانية تشهد إفريقيا الغربية الفرنسية تزيادا مستمرا في معدلات التبادل الداخلي.

الأمر الذي يجعلنا نجيب القائلين بأن التجارة الداخلية التقليدية قد تدهورت في القرن العشرين، نتيجة منافستها من قبل الواردات الأجنبية؛ إن التجارة الداخلية بقيت و توسعت بشكل كبير، هذا راجع لمهارة الأفارقة و قدرتهم على التكيف، في وقت أُلقيت فيه مطالب لم يسبق لها مثيل على عاتق الترتيبات

(1). نفسه، ص 358.



الأهلية للإنتاج و التسويق⁽¹⁾، لكن السؤال المطروح: ما هي نسبة الفوائد التي يجنيها الإفريقي من هذه التجارة؟.

ب. الوسطاء التجاريون:

قبل التواجد الفرنسي بالشريط الصحراوي؛ كانت الأسواق العامة في الصحراء الجزائرية تخضع لرقابة قاضي البلدة⁽²⁾، كما استقر تجار من الجزائر بالمراكز التجارية لإفريقيا الغربية، لهدف مراقبة الأسواق المحلية و الاتصال بشركائهم أو موكلهم⁽³⁾.

في إفريقيا الغربية وجدت مجموعة من التنظيمات التجارية، التي تمارس الرقابة على الأسعار و المنافسة، فكان السماسرة وكلاء بالعمولة و مترجمين ، إذ كان لهم دورٌ جوهريٌ كوسطاء بين البائعين و المشترين بالرغم من أنهم أحيانا يتاجرون لحسابهم⁽⁴⁾، كما يوجد تجار رسميون يمارسون النشاط التجاري باسم الدولة، لأن الحاجة إلى الإيرادات كانت شاغلا مشتركا لجميع الحكومات⁽⁵⁾.

بحلول الفرنسيين بهذه المناطق، تحولت القوافل التجارية الجزائرية في بداية الأمر إلى وسطاء لنقل بضائع فرنسا من التل إلى الصحراء مقابل نقل سلع الصحراء نحو البحر المتوسط لنقلها إلى فرنسا، بتدخل الوسطاء المجهزين بالشاحنات تقلص دور القوافل التجارية يوما بعد يوم حتى تلاشت تجارة القوافل⁽⁶⁾.

في إفريقيا الغربية الفرنسية؛ تشير بعض الكتابات التاريخية أن التجار الأوروبيين في البداية كانوا يتخذون من الأفارقة و الرقيق كوسطاء لجلب السلع من ضفاف نهر السنغال و الذهب من منطقة الساحل و الخشب و العاج من جهات نهر النيجر، فقد كان عدد الأفارقة الذين يسهرون على جمع ثمار النخيل، الصمغ، العسل و العاج يفوق أعداد العبيد الذين يعملون في المنازل و يُباعون للأوروبيون⁽⁷⁾.

(1). نفسه، ص 487.

(2). فنج محمود فنج، المرجع السابق، ص 81.

(3). بوفيل ، ص 294.

(4). هوبكنز، ص 124-126.

(5). نفسه، ص 121.

(6). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 181.

(7). أجايب، المرجع السابق، ص 30.



ذلك لأن التجار الفرنسيين لم يتوغلوا داخلا إلى أسواق الذهب بمركز بامبوك الشهير، لكون هذه الرحلات تكلفهم ماديا و معنويا، لذلك يكتفون بالتنقل على طول أسواق الساحل مع اعتماد ما يجلبه الوسطاء الأفارقة من منتجات الداخل⁽¹⁾.

لكن خلال القرن العشرين نتساءل عن مصير الوسطاء الأفارقة الذين كانوا يربطون المنتجين و المستهلكين بشركات الاستيراد و التصدير، فالبعض يرى أن الوسطاء أزيحوا عند ختام القرن التاسع عشر، نتيجة تحرك شركات أجنبية نحو الداخل ما بين 1900-1930م، لكن تصريح مدير شركة لاجوس ستورز ليتمتد سنة 1908م حول نسبة تعامل شركته مع المستهلك بـ 1% من مجموع تجارة شركته، هذا ويؤكد لنا هوبكنز تزايد عدد الوسطاء الأفارقة خلال هذه الفترة⁽²⁾.

يوجد مثال حول الدعاية التي روجت بانحدار الوسطاء في القرن التاسع عشر، فقد كان توغل الشركات الأجنبية في الداخل ابتداء من سنة 1900م عوناً كبيراً للنشاط التجاري للسيدة أومو أوكوي، حيث أقامت علاقات تجارية مع شركة النيجر، فكانت تباع منتجات النخيل إلى الشركة و تمارس تجارة التجزئة في السلع المستوردة، و مع العقد الثالث كانت تقوم بتنويع مصالحها و تضع أموالاً في العقارات و تستثمر في الشاحنات و قوارب الكنو و تقدم قروضا نقدية للتجار الآخرين.

ما يمكن قوله؛ خلال الحقبة الاستعمارية فقد الوسطاء التجاريون السلطة السياسية التي كانوا يستخدمونها فيما سبق لدعم مطالبهم المتعلقة بالسوق، فكان عليهم التكيف مع التطورات الجديدة مثل وصول السكك الحديدية، لكنهم كمجموعة استمروا في البقاء و قد أوضح باور أن الوسطاء كانوا كقنوات للتجميع و التوزيع ذات قدرة تنافسية كبيرة و كفاءة عالية⁽³⁾.

و عليه فإن التجارة الخارجية التي يتداولها الأفارقة كانت في العقد الثالث من القرن العشرين أهم من ذي قبل، فتوسع السوق في الفترة ما بين 1900-1930م لا لكون الشركات التجارية الأجنبية توغلت إلى الداخل، إنما نتيجة زيادة في عدد الوسطاء الأفارقة⁽⁴⁾.

(1). بوفيل، ص 343-344. أنظر كذلك:

- أجايي، المرجع السابق، ص 30.

(2). هوبكنز، ص 409-410.

(3). نفسه، ص 410-411.

(4). نفسه، ص 410.



بحلول عام 1930م كانت هناك شركات تتداول فيما بينها ما بين ثلثي و ثلاثة أرباع تجارة إفريقيا، من بينها الشركة الفرنسية لإفريقيا الغربية و الشركة التجارية للغرب الإفريقي⁽¹⁾، كما كان يسيطر بنك إفريقيا الغربية الفرنسي على التجارة في غرب إفريقيا⁽²⁾. و يحتكر كل العمليات التجارية، حيث جمعت رؤوس أموال معتبرة.

2. واقع التجارة الخارجية:

أ. المبادلات الخارجية:

- مع تونس و غدامس:

لقد سجلت بعض الإحصائيات انخفاضاً في المبادلات التجارية مع تونس، خاصة بعد إلغاء الرق من قبل باي تونس عام 1846م⁽³⁾، في حين نجد تونس حريصة مع مطلع القرن العشرين، على توجيه تجارة القوافل القادمة من السودان نحو طرابلس إلى خليج قابس، هذه السياسة كان لها دور في انتعاش تجارة القوافل بين العرق الشرقي الجزائري و ميناء قابس، فكانت القبائل التونسية تضمن نقل 16 % من تجارة القوافل نحو الصحراء الجزائرية سنة 1899م، لترتفع النسبة إلى 35 % سنة 1900م و 40 % سنة 1919م⁽⁴⁾، هذه التغييرات نرجعها إلى السياسة الفرنسية من خلال السماح بممارسة التجارة مع كل من تونس و المغرب التي اشرنا إليها سابقاً.

كانت قوافل سوف تصل أسواق تونس، فكانت تصدر التبغ و التمور و تستورد الحايك و الزرابي و الأواني الطينية، و يمكن عرض واردات سوف من تونس ما بين جانفي إلى أكتوبر 1908م كما يلي:

المادة	القيمة	النسبة المئوية
السكر	8.144 فرنك	48.66%
القهوة	9.676 فرنك	29.26%
التوابل	9.882 فرنك	19.48%
الشاي	2.219 فرنك	2.67%

(1). نفسه، ص 397.

(2). نفسه، ص 401.

(3). Robert Tinthoin , Op.cit, p 201.

(4). عثمان زقب، المرجع السابق، 43-44.



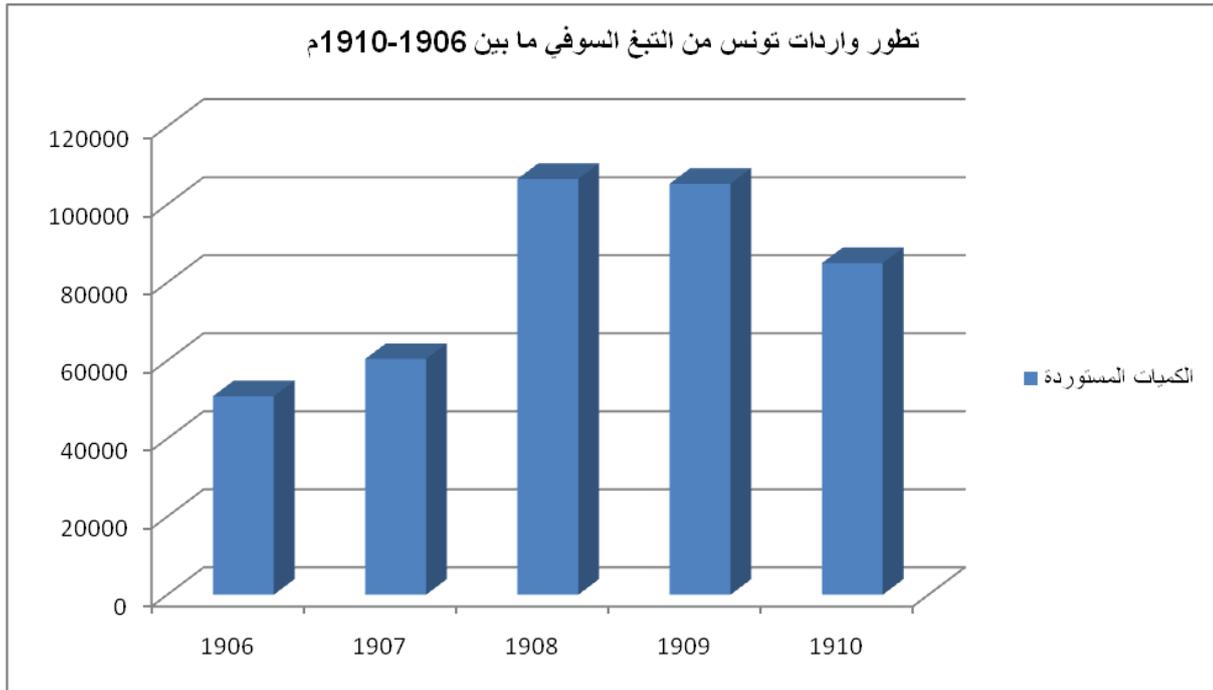
المجموع	29.261 فرنك ¹
---------	--------------------------

هذه التجارة تمارس بالقوافل و قد شهدت انتعاشا ما بين 1908م و 1913م، حيث وصل عدد الجمال المتنقلة لجلب السلع من تونس إلى 1.360 جملا سنة 1908م و 1.540 جملا سنة 1913م ليتراجع هذا العدد بسبب الحروب و قيود السفر إلى 455 جملا سنة 1916م خلال الحرب العالمية الأولى⁽²⁾.

كما يتم تصدير التبغ إلى تونس خاصة، و الجدول الموالي يبين تطور واردات تونس من التبغ السوفي كما يلي:

السنوات	1906م	1907م	1908م	1909م	1910م
الكميات المستوردة	50.869	60.424	106.555	105.344	84.992 ⁽³⁾

الوحدة: الكيلو



من خلال هذه الأرقام و المخطط نلاحظ تزايد تصدير سوف مادة التبغ نحو تونس، خاصة بين عامي 1908م و 1909م و هذا راجع لتشجيع هذه الزراعة في سوف فقد كان يمارسها 1.300 مزارع

(1). نفسه، ص 108.

(2). نفسه، ص 33.

(3). نفسه، ص 30.



سنة 1909م و حققوا إنتاجا كبيرا وصل إلى 1.500 قنطار من ضمنها 1.100 قنطار كانت موجهة نحو أسواق تونس، لكن ابتداء من سنة 1910م بدأت سوف تشهد انخفاضًا في مستوى تصديرها للتبغ نتيجة نجاح هذه الزراعة في منطقة قابس، لتشهد سنة 1915م انخفاضًا على مستوى المنتوج و المزارعين إلى 514 قنطار و 704 مزارع⁽¹⁾.

كما شهدت التجارة بين سوف و الأقاليم الطرابلسية (غات و غدامس) تراجعًا بسبب الصراع بين فرنسا و إيطاليا للسيطرة على تجارة القوافل عبر الصحراء، حتى أن تقرير الجنوب الجزائري لشهر جويلية 1924م أشار أن حركة القوافل بدأت في التوقف بالكامل، بسبب إجراءات المنع المتخذة من طرف السلطات الإيطالية.

رغم تراجع تجارة سوف مع غدامس بقي بدو سوف في جنوب شرق العرق يبيعون للغدامسية الغزال و الخشب و جزء من محصول عميش و عقلة، علب الكبريت، سجائر، ... الخ، و عن طريق التهريب بعض الرصاص و البنادق⁽²⁾.

- عبر الصحراء:

يشير بوفيل إلى المبادلات التجارية الصحراوية التي ظلت تصل شمال غرب القارة من منطقة إفريقيا الغربية منذ زمن، من ذهب، رقيق و ريش النعام، أنها قد تضاءلت تدريجيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر لتختفي في نهاية العقد الأخير منه، و بهذا فقدت تجارة القوافل معظم ركائزها الأساسية و لم تعد تتاجر إلا بالقليل من العاج و الجلود و بعض الأقمشة القطنية من مدينة كانو⁽³⁾.

كما أشار هوبكنز إلى التجارة الصحراوية في الربع الأخير من القرن التاسع عشر؛ أن هناك صعوبة بشأن السلع المصدرة عبر الصحراء فقد تدهورت تجارة الصمغ السنغالي نتيجة ظهور البديل الكيميائي و زيادة منافسة الصمغ المصري، هذه التجارة الصحراوية التي أخذت في التدهور بعد 1875م و كادت تتوقف في 1900م، في البداية كان نتيجة لتقلص الطلب في أوروبا و مع نهاية القرن كانت تجارة الصحراء قد تأثرت بتفسخ نظام الرقيق الذي كان سندا للحياة في الواحات و بالمنافسة البحرية التي تكون بأقل تكلفة⁽⁴⁾.

(1). نفسه، ص 31-30.

(2). نفسه، ص 112.

(3). بوفيل، ص 403.

(4). هوبكنز، ص 273.



حقيقة؛ إن أنماط الحياة التقليدية في الصحراء الكبرى لم يصبها الدمار النهائي إلا بعد 1900م⁽¹⁾، بسبب المستجدات التي طرأت على الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية التي صاحبها بسط نفوذ فرنسي كامل على الإقليمين، باتت كل من الجزائر، المغرب، إفريقيا الغربية و إقليم التشاد تحت سيطرتها، و من ثمة أصبح جليا تخلخل في حركة تجارة القوافل⁽²⁾.

باحتيال تلك الأقاليم خاصة إقليم توات و الأزواد اللذين يعتبران مراكز عبور بين حوض البحر المتوسط إلى غرب إفريقيا⁽³⁾، و يشكلان ممرين طبيعيين لتجارة إفريقيا الغربية⁽⁴⁾، أحدث هذا تراجعاً في كمية السلع المتدفقة إما لقلة الطلب عليها مثل الأقمشة و العبيد أو ندرتها، و كذا انعدام الأمن و فرض الضرائب على سكان تنبكتو من طرف حكومة ماسينا مع تحول مسالكها إلى المحيط الأطلسي⁽⁵⁾.

مع تحويل هذه التجارة لصالح فرنسا، بفعل إحداث تغيير في المسالك التجارية بين ضفتي الصحراء، أصبحت فرنسا تستورد عبر الصحراء الجزائرية كميات كبيرة من زيوت الفول السوداني، البن الأخضر، الكاكاو، الذرة و الأناناس، الزبدة، الجلد الخام، في المقابل تصدر النيذ، التمر و الفوسفات نحو وسط و غرب إفريقيا الفرنسية⁽⁶⁾.

إن التشدد بعبارة "تحریم تجارة الرقيق عبر الصحراء" لا معنى لها؛ ففي الوقت الذي أصدرت فرنسا قرار 15 جويلية 1906م القاضي بتحریم تجارة الرقيق⁽⁷⁾، كان هدفها كسب ود الزوج من أجل دخولهم تحت السلطة الفرنسية، خاصة الذين يعيشون على حدود مالي و النيجر و استغلالهم كطاقة بشرية عسكرية في توسعات الجيش الفرنسي في جنوب الصحراء، بحكم أن الطوارق هم أسياد الزوج حاولت ضرب وحدة القبيلة بين الطوارق و الزوج في منطقة الصحراء الكبرى، من أجل اختراقها و الوصول إلى تنبكتو و التشاد⁽⁸⁾.

(1). م.هـ. الشريف، المرجع السابق، ص 539-540.

(2). بوفيل، ص 405، أنظر كذلك: فيج. جي دي، المرجع السابق، ص 303-304.

(3). حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 133.

(4). نفسه، ص 141، 147.

(5). نفسه، ص 173.

(6). Robert Tinthoin , Op.cit, p 201.

(7). عثمان زغب، المرجع السابق، ص 47.

(8). بن زروال، المرجع السابق، ص 329.



هذه المعلومات أكدها المترجم العسكري م. جباري أحد المترجمين التونسيين من أصل جزائري، الذي عمل مع الجيش الفرنسي في أواخر القرن التاسع عشر⁽¹⁾.

هذا س. داجيه يُقر بأن مسألة إلغاء الرقيق لم تكن حلاً للدول المستعمرة، أمام الاندفاع التجاري مع مزارع العبيد المزدهرة، الأمر الذي أدى إلى تزايد الطلب على اليد العاملة من العبيد و حسب ما أشار إليه سيمور درشر أن إلغاء الرقيق مسألة مدمرة للاقتصاد الاستعماري⁽²⁾، على الرغم من تحريم تجارة الرقيق إلا أن التكاليف الباهظة للعمال، أدت بالمستعمرين إلى اللجوء إلى استخدام السخرة رغم التزامهم بإلغاء الرق الذي ظل قائماً حتى القرن العشرين⁽³⁾.

ثم إن قول هوبكنز بأنه قبيل نهاية العقد السابع من القرن التاسع عشر، كانت تجارة الرقيق عبر البحار قد قاربت العدم و لم يعد ممكناً المزاجعة بين التجارتين⁽⁴⁾، يمكن إجابته بأن الرقيق تحول من سلعة تجارية إلى أداة إنتاجية في أراضي المستعمر مقابل إعفائه من تسديد ضريبة الرأس.

بالنسبة لمناطق شمال إفريقيا يشير بوفيل أنه بعد استيلاء الفرنسيين على تنبكتو تم وضع نهاية لتجارة الرقيق في منطقة غرب إفريقيا، غير أن جزءاً من هذه التجارة ظل قائماً على طريق المغرب الأقصى⁽⁵⁾، كما أكد أحد أهالي كانو سنة 1919م، أنه خلال خصي مائة وثنى زنجي لم ينج إلا عشرة⁽⁶⁾.

(1). نفسه، ص 329.

(2). س. داجيه، المرجع السابق، ص 96.

(3). هوبكنز، ص 50.

(4). نفسه، ص 288.

(5). بوفيل، ص 403.

(6). رياض زاهر، المرجع السابق، هامش رقم 1 و 2، ص 315.



هذا دليل على أن تجارة الرقيق مازالت قائمة، حيث يشير دونالد أن الجزائر بقيت تستورد الرقيق حتى عام 1890م لكنه في تناقص مستمر⁽¹⁾، كما وجدنا إشارة إلى أن آخر قافلة عبيد تصل سوف من غدامس كانت سنة 1922م⁽²⁾.

الحقيقة التي يمكن أن ندركها جيدا من المساعي الغربية حول تشديدهم على تجارة الرقيق عبر الصحراء، لا لأي سبب سوى لجر العرب إلى فلكتهم و تقاسم مسؤولية هذه التجارة المخلة بمبادئ الإنسانية لتحقيق أغراضهم الاستعمارية، الأمر الذي يلح علينا طرح تساؤلات: لماذا لم يُشيروا إلى تجارة الذهب التي اختفت حقيقة عبر الصحراء لمجرد وصولهم إلى إفريقيا الغربية؟ أليست تجارة الذهب والملح هما أساس التبادل التجاري بين المغاربة و إفريقيا جنوب الصحراء منذ ما قبل التاريخ؟ وما الغرض من الغزو الأوروبي للصحراء؟ ألم يكن أساسه تحويل هذه التجارة لصالحهم بدل المغاربة؟.

- عبر البحر:

في الوقت الذي كانت الشركات الأوروبية تهيمن على تجارة الموانئ الرئيسية ما بين 1850-1880م، أصبح الأفارقة يمارسون التجارة الخارجية في العقد الثالث من القرن العشرين أكبر من ذي قبل، فتوسع السوق في الفترة ما بين 1900-1930م⁽³⁾، إذ هناك بعض البيانات تبين تطور التجارة التقليدية المتمثلة في الكولا و الماشية، حيث بلغت هذه الصادرات برا و بحرا من ساحل العاج من 2.000 إلى 3.000 آلاف طن في السنة بداية القرن العشرين.

كما سجلت بعض المناطق أرقاما كبيرة في مجال التصدير و الاستيراد مع فرنسا، مثل بورتو نوفو و(Kotonou) التي بلغت وارداتها سنة 1889م حوالي: 6.308.200 فرنك من السلع المستوردة، كما بلغت صادراتها إلى 4.808.750 فرنك، نفس الشيء بالنسبة ل بوبو الكبير و(Agoué) حيث بلغت وارداتها حوالي 1.420.150 فرنك، ما قيمة: 1.501.197 فرنك من السلع المصدرة⁽⁴⁾.

(1). Donald , Op.cit, p 66.

(2). عثمان زغب، المرجع السابق، ص 47. نقلا عن:

- Cap. Roger , Leselle , « les noirs du Souf », Suppléments de bulletin de liaison Saharien, 3^{eme} Trimestre, 1957, p 12.

(3). هوبكنز، ص 410.

(4). Alfred rambaud, Op.cit, p 313.

ب. المراكز التجارية:

أن الشبكة العملاقة التي أشار إليها دونالد للمراكز التجارية في الصحراء الجزائرية و التي أعطاها رمز ساعة رملية منتصفها توات و أطرافها بني ميزاب ، و غدامس⁽¹⁾، لم تعد كما كانت .

بعد أن كانت توات حلقة وصل بين مراكز الشمال الإفريقي و إفريقيا الغربية⁽²⁾، تحولت بالتدريج إلى التجارة الداخلية مع الأهفار ، نتيجة تحول مركز الثقل لأسواق بشار التي حضت باهتمام الفرنسيين إضافة إلى عين الصفراء و فكيك⁽³⁾، كما أن تضيق الخناق على عين صالح و تنبكتو تحولت تجارة القوافل نحو جانت فعدت مركزا ذا أهمية.

أما عن مراكز إفريقيا الغربية الفرنسية؛ في الحقبة ما قبل الاستعمار كانت القوافل تقصد مركز أروان، جني⁽⁴⁾، تنبكتو⁽⁵⁾، أقدر و كانو⁽⁶⁾، لكن هذه المراكز لاقت ما لاقته مراكز الصحراء الجزائرية، فتحولت تنبكتو و أروان و أقبلي و تبلكورة إلى أماكن معزولة و مهملة، حيث يشير توتان سنة 1885م أن مدينة تنبكتو انهارت من الناحية الاقتصادية⁽⁷⁾، بعد وقوعها تحت السيطرة الفرنسية أصبحت تتعامل مع الوكالات الأوروبية في السنغال و انهار غامبيا عبر سانسندنج و باماكو⁽⁸⁾.

من المراكز التي أقامتها فرنسا هناك مراكز بالسنغال و ساحل العاج ، مركز كيرتاشي (Kirtashi) ، مركز إيلو (Illo)، مركز غايا (Gaya)، و مركز باماكو في نهر النيجر⁽⁹⁾.

في العقد السابع من القرن التاسع عشر، أصبحت **كاولاك** مركزاً لتجارة الفول السوداني⁽¹⁰⁾، و**مركز ساي** يعد أكبر مراكز عبور في النيجر الأوسط و كل المحاور التجارية القادمة من الأزواغ ، الآير ،

(1). Donald , Op.cit, p 60.

(2). فرج محمود فرج، المرجع السابق، ص 14.

(3). العماري، المرجع السابق، ص 217.

(4). حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 168.

(5). عبد الكامل عطية ، المرجع السابق، ص 142 .

(6). بوفيل ، ص 394.

(7). حوتية ، توات و الأزواد، ج1، ص 173.

(8). رياض زاهر ، المرجع السابق، ص 306.

(9). نفسه، ص 405.

(10). نفسه، ص 286.



الدمرغو في اتجاه شمال الطوغو و ساحل الذهب، كما أنه اعتبر ممر طريق النيجر الذي يزود مراكز النيجر الأوسط بالموونة⁽¹⁾، و نظرا لأهميته التجارية ركزت فرنسا عليه و تمسكت به لتحقيق أغراضها التجارية. كما أقامت مركزا بزندر (Zinder) لما له من مكانة تجارية عبر الصحراء، فهو مركز عبور مهم بين طرابلس و كانو⁽²⁾، كما أن أهمية هذا المركز تكمن في تحقيق الربط التجاري و الإداري مع الجزائر.

(1). إبراهيم بتقة ، المرجع السابق، ص 149.

(2). نفسه ، ص 151-153.



المبحث الثالث: نتائج و انعكاسات السياسة الفرنسية على الإقليمين.

إن العلاقات التي نُسجت قبل آلاف السنين بين ضفتي الصحراء، التي كان أساسها تجارة الملح و الذهب، كما كانت القوافل الأساس المعتمد في التواصل التجاري بين المنطقتين، هذه التجارة تختفي شيئاً فشيئاً حتى تلاشت مع بدايات القرن العشرين، سببها الأول و الأخير الأطماع الأوروبية بالمنطقة، فإنا ترى ما هي النتائج المترتبة عن السياسة التجارية الفرنسية على الإقليمين؟.

1. نتائج سياسية:

أ. سياسة الحكم المباشر:

لقد رسمت فرنسا سياستها الاستعمارية في إفريقيا على الحكم المباشر و هو سمة النظم الحكومية التي أقامتتها فرنسا في قارة إفريقيا، بهذا قضت فرنسا على جميع الزعامات القبلية و المحلية و النظم التي كانت موجودة أصلاً في البلاد الإفريقية التي خضعت لها، حتى لما تُشرك بعض العناصر الإفريقية في الحكم، فإن زمام الأمور تبقى في يد العسكريين الفرنسيين.

فهم مجرد عملاء للإدارة الفرنسية، مهمتهم فقط تنفيذ الأوامر⁽¹⁾، حيث اتخذوا من المواطنة الفرنسية نظرية الامتصاص لصبغ جميع المستعمرات بالصبغة الفرنسية، عن طريق فرض ثقافة الفرنسيين على كافة أصعدتها، حتى ينسى الإفريقي تاريخه القومي و حضارته بمختلف مظاهرها و مقوماتها⁽²⁾.

فكانت المشيخة تتألف من وحدات إدارية متساوية، الأمر الذي أعدم التجديد سواء من جانب الرئيس أو المرؤوس، بل أدى على المدى الطويل إلى تقليص سلطة الرؤساء التقليدية، بعد أن كانوا قوة حاكمة في غرب إفريقيا⁽³⁾ و الصحراء الجزائرية⁽⁴⁾، كما تم القضاء على المقاومات المحلية الراضية للحكم الاستعماري بمختلف الأساليب، سواء كانت بالعمل العسكري، أو السياسي باتخاذ أسلوب المعاهدات و الاتفاقيات⁽⁵⁾.

مما نتج عنه ضياع السيادة على الممتلكات و الموارد الطبيعية، أو التعامل المباشر مع العالم الخارجي، فالاستعمار حرم على بلدان إفريقيا، فرصة اكتساب الخبرة في مجال إدارة العلاقات الدولية و الدبلوماسية.

(1). أحمد طاهر، المرجع السابق، ص 180.

(2). شوقي الجمل و عبد الله عبد الرازق ابراهيم، المرجع السابق، ص 287-288.

(3). أحمد طاهر، المرجع السابق، ص 180.

(4). سعد الله، الحركة الوطنية، ج 1، ص 184.

(5). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 180.



ب. الانعكاسات السياسية لمؤتمر برلين :

تميزت الفترة ما بين 1880-1914م بإخضاع القارة برمتها للحكم الفرنسي؛ بعد تقسيم أراضي المنطقة خلال مؤتمر برلين 1884-1885م، يظهر أن التخطيط العشوائي للحدود بين الدول الإفريقية لم يكن يمثل في الواقع أقساما طبيعية أو اقتصادية أو بشرية يمكن أن يُبرزها كدولة مستقلة، فهو تجاهل الحدود الطبيعية و القومية و المصالح الاقتصادية، و الصحراء الكبرى تعطي نموذجا لهذه التجزئة التي ترتب عنها انفصال العديد من القبائل، التي فصلتها الحدود السياسية بين مواطنيها و بين أسواقها الهامة أو موارد الكلاء اللازمة لقطعانها⁽¹⁾.

فالجزائر مثلا مع بداية القرن العشرين تم رسم حدودها وفقا لاتفاقيات رسم الحدود بين الجزائر و المغرب و بين الجزائر و مالي.

باحتيال توات سنة 1901م و ما جاورها حدثت ضجة كبيرة بالمغرب فتم توقيع بروتوكول بينهما في 20 جويلية 1901م ينص على تمتين روابط الصداقة القائمة بين البلدين و احترام حسن الجوار، كما ألحق هذا بروتوكول بمعاهدتان سنة 1902م نصتا على استمرار تطبيق معاهدة لالة مغنية لسنة 1845م و توحيد سياسة فرنسا نحو تدعيم نفوذها على الحدود و تنظيم التعاون الفرنسي - المغربي فيما يتعلق بالجمارك و الشرطة و الأسواق المشتركة بينهما⁽²⁾.

كما أن الحدود التي رسمتها الدول الأوروبية في غضون الفترة ما بين 1885-1900م قد بقيت على حالها بعد الاستقلال و هو وضع أيدته منظمة الوحدة الإفريقية و لا يزال معمولا به⁽³⁾.

و هكذا غيّر مؤتمر برلين الخارطة السياسية له، فينتهي الصراع الأوروبي على إفريقيا لتظل بصمات هذا المؤتمر و آثاره السياسية تنعكس على القارة حتى بعد الاستقلال، فتظل مشكلة الحدود عائقا بارزا في التقدم الاقتصادي و الاستغلال الوطني لمواردهم التي مزقتها الأوروبيون⁽⁴⁾.

(1). شوقي الجمل و عبد الله عبد الرازق إبراهيم، المرجع السابق، ص 341.

(2). مياسي: توسع الاستعمار، ص 116.

(3). اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 361.

(4). عبد الله عبد الرازق إبراهيم، المسلمون والاستعمار الأوروبي لإفريقيا، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع 139، 1989، ص 34.



2. نتائج اقتصادية:

أ. تحول التجارة التقليدية:

نتيجة اعتماد فرنسا على زراعة المحاصيل النقدية بالإقليمين؛ نجم عنه تنمية فلاحية المضاربة التي تحصلت على فوائدها الشركات الرأسمالية الامبريالية الاستعمارية منذ 1880م، فحرمت سكان المنطقة من المساهمة في الحياة الاقتصادية، بذلك تراجع الاقتصاد الريفي المنتشر في الواحات الجزائرية و خاصة في منطقة واد ريغ التي بلغ فيها الاستثمار الأجنبي في غرس أشجار النخيل نسبة كبيرة، مع الاستغلال غير العقلاني للآبار الارتوازية نتج عنه تراجع كميات كبيرة من مياه الآبار الارتوازية و بالتالي القضاء التدريجي على غابات النخيل.

كما أن اهتمام الفرنسيين بتحسين محاصيل التصدير؛ فرض على الفلاح الإفريقي إنتاج محصول واحد أو محصولين كالكاكاو و الفول السوداني مما نجم عنه إهمال للمزروعات المعاشية الأساسية الموجهة للاستهلاك المحلي مثل الكازافا واليام و الذرة و بالتالي استيراد غذائهم بأسعار باهظة⁽¹⁾، مما نتج عنه تحول أسواق المنطقة إلى أسواق استهلاكية للسلع الأوروبية و اقتصارها على تصدير الخامات لها⁽²⁾. إضافة إلى نشاط الفرنسيين في الزراعة و نهب أراضي الفلاحين و غاباتهم، استثمروا أموالهم في الصناعة و التعدين و استغلال المناجم و التجارة و النقل و من بين الشركات التي اهتمت بصناعة و تجارة التبغ نجد شركة باستوس (Bastos)⁽³⁾.

كما وفر المستعمر هياكل قاعدية لتجارته التي تتمثل في الطرق البرية و خطوط السكك الحديدية لخدمة أغراضه و ليس لخدمة الاقتصاد الإفريقي، لم يكن هدف فرنسا من شق هذه الطرق تطوير التجارة الداخلية و لكن لتسهيل نقل المحاصيل النقدية التي تحتاج إليها، في سبيل تسهيل التجارة الخارجية⁽⁴⁾. هذه التحولات في طبيعة الإنتاج و الوسائل المستخدمة لنقله؛ أحدثت تصدعاً و تراجعاً في التجارة التقليدية، حيث تم القضاء على تجارة القوافل تدريجياً، خاصة بعد تعميم استعمال العربات و الشاحنات لنقل البضائع.

(1). عبد الكامل عطية، المرجع السابق، ص 180.

(2). أحمد طاهر، المرجع السابق، ص 185.

(3). مياسي، توسع الاستعمار، ص 143.

(4). أحمد طاهر، المرجع السابق، ص 185.



هذه البضائع التي تصل أسواق الجنوب؛ حولت سكان الصحراء الجزائرية من منتجين إلى مستهلكين، مما أحدث عجزاً في الميزان التجاري على مختلف العقود في الصحراء، لأن سكانه يشترون من الخارج أكثر مما يبيعون، فالمنتجات المصنوعة مثل الثياب، الأدوات، الأسلحة و الأواني أصبحت تشكل أهم باب في واردات الصحراء⁽¹⁾، فتراجعت الصناعات التقليدية و بدأت تفقد حرفيتها؛ على سبيل المثال تراجع عدد صناع الزرابي في ميزاب من 6.000 صانع عام 1893م، إلى حوالي 1.500 صانع سنة 1955م⁽²⁾.

ثم إن تغيير وسائل الدفع من المقايضة إلى التعامل النقدي، أبعد سكان الصحراء عن المساهمة بشكل فعلي في التجارة الصحراوية⁽³⁾، كما صاحب فرض الضرائب على السكان الذين رفضوا الاحتلال أزمة نقدية في الصحراء، بسبب إلغاء فرنسا التعامل بعملة الفوراري التي صارت غير مشروعة مما تسبب في تكديسها و أدى إلى أزمة اقتصادية حادة⁽⁴⁾.

في المقابل أصبحت صادرات الصحراء الجزائرية لا تكاد تتجاوز التمور و الجلود بعد اختفاء تجارة الذهب و الرقيق⁽⁵⁾.

نفس الشيء بالنسبة لاقتصاد إفريقيا الغربية الفرنسية؛ إن القول بأن سكان هذه المنطقة ساهموا بالتجارة عبر البحار، أعتقد أن هذه المساهمة لا تتجاوز 01 %؛ صحيح أن الأفارقة تأقلموا مع التجارة الجديدة و قدموا الكثير لتجارة الصادرات لكن المستفيد هي فرنسا.

إن المتأمل في المستوى المعيشي للأفارقة يدرك أنه لم يتغير تغييرا محسوسا نتيجة فرض الحكم الاستعماري، بل إن الكثيرين بقوا يعيشون كما كانوا قبل الغزو الاستعماري و هذا لا ينفي أن فيهم من تأثرت حياته الاقتصادية بالحكم الاستعماري، مثل دخول بعض الأفراد في إنتاج المحاصيل النقدية كالكاكاو و البن في ساحل العاج، لكن المحاصيل الأخرى مثل الفول السوداني و زيت النخيل و القطن لم تدر على الفلاح الإفريقي إلا دخلا تافها، بعد اقتطاع الضرائب المفروضة عليه، فالوجود الفرنسي بالمنطقة لا يمثل ثروة اقتصادية⁽⁶⁾.

(1). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 48.

(2). يوسف بن بكير الحاج سعيد، المرجع السابق، ص 289.

(3). جمال فنان، المرجع السابق، ص 150.

(4). محمد عبد الحليم بيشي، المرجع السابق، ص 16.

(5). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 48.

(6). أحمد طاهر، المرجع السابق، ص 179.



للتوضيح أكثر؛ نأخذ أمثلة على بعض المناطق التي تسجل أرقامًا كبيرة في مجال التصدير والاستيراد بينها و فرنسا، لكن جل الأرباح تعود للفرنسيين، مثل بورتو نوفو و (Kotonou) التي بلغت وارداتها سنة 1889م حوالي: 6.308.200 فرنك من السلع المستوردة منها 4.768.950 فرنك من فرنسا، كما بلغت الصادرات إلى 4.808.750 فرنك، منها 3.900.800 فرنك خاصة بفرنسا، نفس الشيء بالنسبة ل بوبو الكبير و (Agoué) حيث بلغت وارداتها حوالي 1.420.150 فرنك منها 1.080.600 فرنك خاصة بفرنسا و ما قيمة: 1.501.197 فرنك من السلع المصدرة منها 907.950 فرنك لفرنسا⁽¹⁾.

إضافة إلى دور الشركات التجارية الأوروبية الكبيرة في إبعاد الأفارقة عن تجارة الصادرات و الواردات لافتقارهم إلى رؤوس أموال كبيرة، كما اقتصر الأوروبيون في صلاتهم بالتصدير و الاستيراد على التعامل مع الشركات الأوروبية إضافة إلى أولويتهم في التخزين بالموانئ و الاستئجار بشروط ميسرة للسفن. كما أن بعض مصانع أوروبا التي كانت تمون هذه الشركات، بالمنسوجات و السلع الأخرى اللازمة للسوق الإفريقية، كانت مملوكة لشركات قابضة يساهم فيها هؤلاء التجار، فهي لا تستثمر أموالها في البلاد لإنشاء مصانع بها، لذلك يمكن القول أن النظام الاقتصادي الاستعماري كان بدائيا و الغرض منه أساسا تموين أوروبا بالمواد الخام التي تحتاج إليها من إفريقيا⁽²⁾.

ب. نظام الاتحاد الجمركي:

إن الاتحاد الجمركي الذي سنته فرنسا مع الجزائر؛ كان نظاما من أكثر الأنظمة الجمركية كمالا في عالم الاقتصاد، هذا الأمر فرض على الجزائر أن تظل مصدرة للمواد الخام و مستوردة للسلع المصنعة، الأمر الذي تسبب في الاختيار الذي تعرضت له الحرف و الصناعات في المدن و الأرياف على حد سواء⁽³⁾.

هذا الإعفاء من التعريف الجمركية؛ أستبدل بالضرائب المفروضة على الأهالي، تسمى الضرائب العربية و الفرنسية، إذ كان على الأهالي دفعها مثل ضريبة الرأس (اللزمة) التي فرضت على الجزائر و إفريقيا الغربية⁽⁴⁾ كما أوضحنا ذلك سابقا.

(1). Alfred Rambaud, Op.cit, p 313.

(2). أحمد طاهر، المرجع السابق، ص 188.

(3). أحمد كساب و آخرون، المرجع السابق، ص 439-440.

(4). مياسي، توسع الاستعمار، ص 143.

كان للسيطرة الفرنسية على منطقة وادي سوف آثارٌ على الجانب الاقتصادي، لكون المنطقة كانت تتمتع باستقلالية في معاملاتها التجارية ففرض عليها تنظيم شبه مقنن فتعرضت للمراقبة على أنشطتها التجارية خاصة في التعامل مع المناطق المجاورة لها كتونس و ليبيا، فالجمارك كانت تضايق حركة تجارة القوافل التي ترفض الخضوع للإجراءات الضريبية و الجمركية التي ترهق التجار و بالتالي اللجوء إلى التهريب⁽¹⁾.

بعد استكمال التوغل الاستعماري و تعزيز إدارة المستعمرات و هيكلتها التعسفية و انتظام الضرائب، أصبح تحصيل الضرائب يعتبر مصدرًا رئيسيًا لتمويل التوسع، فقد أدى هذا ما بين الحربين إلى تزايد معدلات ضريبة الرؤوس بسرعة أكبر من معدل تزايد الأجور⁽²⁾، حتى أصبحت الضرائب أعلى من الأجور التي كان الإفريقي يتقاضاها.

هذه التجديدات التي أدخلت على الضرائب المنتظمة لم تحسن من أحوال الشعب الإفريقي، بل صُرفت في شق الطرق أو مد خطوط السكك الحديدية و الموانئ، و الوسائل التي تخدم المنطقة استعماريًا و لها أهمية اقتصادية لفرنسا، هذه التحسينات لم تمس إلا 10 % من السكان الأفارقة، في الوقت الذي دُفع فيه الأفارقة لزراعة المحاصيل النقدية لسد الضرائب المفروضة عليهم⁽³⁾.

ج. المنافسة التجارية عبر الصحراء الكبرى (الانعكاسات الاقتصادية لمؤتمر برلين):

إن السياسة التي انتهجتها القوى الأوروبية القائمة على المنافسة التجارية عبر الصحراء الوسطى، كان من نتائجها؛ أن تضررت تجارة القوافل بسبب محاولات الفرنسيين في تحويلها من طرابلس نحو تونس والجزائر و بذلك دخلت هذه المنطقة في صراعات مع طرابلس في عهد العثمانيين و الإيطاليين فيما بعد، مما أجبر سكان المنطقة و من بينهم السوفيون إلى زراعة النخيل رغم ضريبة الزممة التي فرضت من طرف الفرنسيين⁽⁴⁾.

و بسبب حروب التوسع الفرنسي في عين صالح، توات و تنبكتو، تحولت القوافل إلى الشرق، وبعد وصولها إلى التشاد، تغير مسار التجارة في الصحراء الكبرى و المحيط الأطلسي لصالح القوى الاستعمارية.

(1). عثمان زقب، المرجع السابق، ص 24-25.

(2). فيدوروفيتش، المرجع السابق، ص 372-373.

(3). أحمد طاهر، المرجع السابق، ص 181-182.

(4). عثمان زقب، المرجع السابق، ص 25.



حيث عملت أولا على سلب الطوارق قوتهم العسكرية و الاقتصادية، عن طريق قطع المراكز الرئيسية للتجارة، بما في ذلك عين صالح بالجزائر و تمبكتو بمالي⁽¹⁾، ففي عام 1880م كانت عين صالح مقر لتجارة العبيد، حيث تنقل هذه السلعة من ضفاف النيجر في تمبكتو إلى عين صالح⁽²⁾.
باحتيال عين صالح ، أحدثت ضربة قوية على غدامس و بالتالي على طوارق كيل أزجر و قوافل كيل آوي و آير و جيس، كما أن بريطانيا و إيطاليا لهما مصالح مشتركة و مباشرة مع السنونسية (Senusiya) بالمنطقة، حيث تحمل سلعتها التجارية إلى عين صالح، فكان من سياسة القنصل الإيطالي في غدامس و (Senusiya)، معارضة تغلغل الاستعماري الفرنسي بالمنطقة⁽³⁾، لكن بعد ثلاثين عاما من الدعم المادي و السياسي من قبل الأتراك و الإيطاليين لمقاومة الطوارق لفرنسا احتلت عين صالح⁽⁴⁾.
كما أن الاستيلاء على تمبكتو عام 1894م، من شأنها إضعاف التوسع التجاري البريطاني بالمنطقة و عليه فإن الربط بين عين صالح و تمبكتو يُمكن فرنسا احتكار التجارة التي تديرها الشركة الإنجليزية في النيجر و بحيرة تشاد⁽⁵⁾.

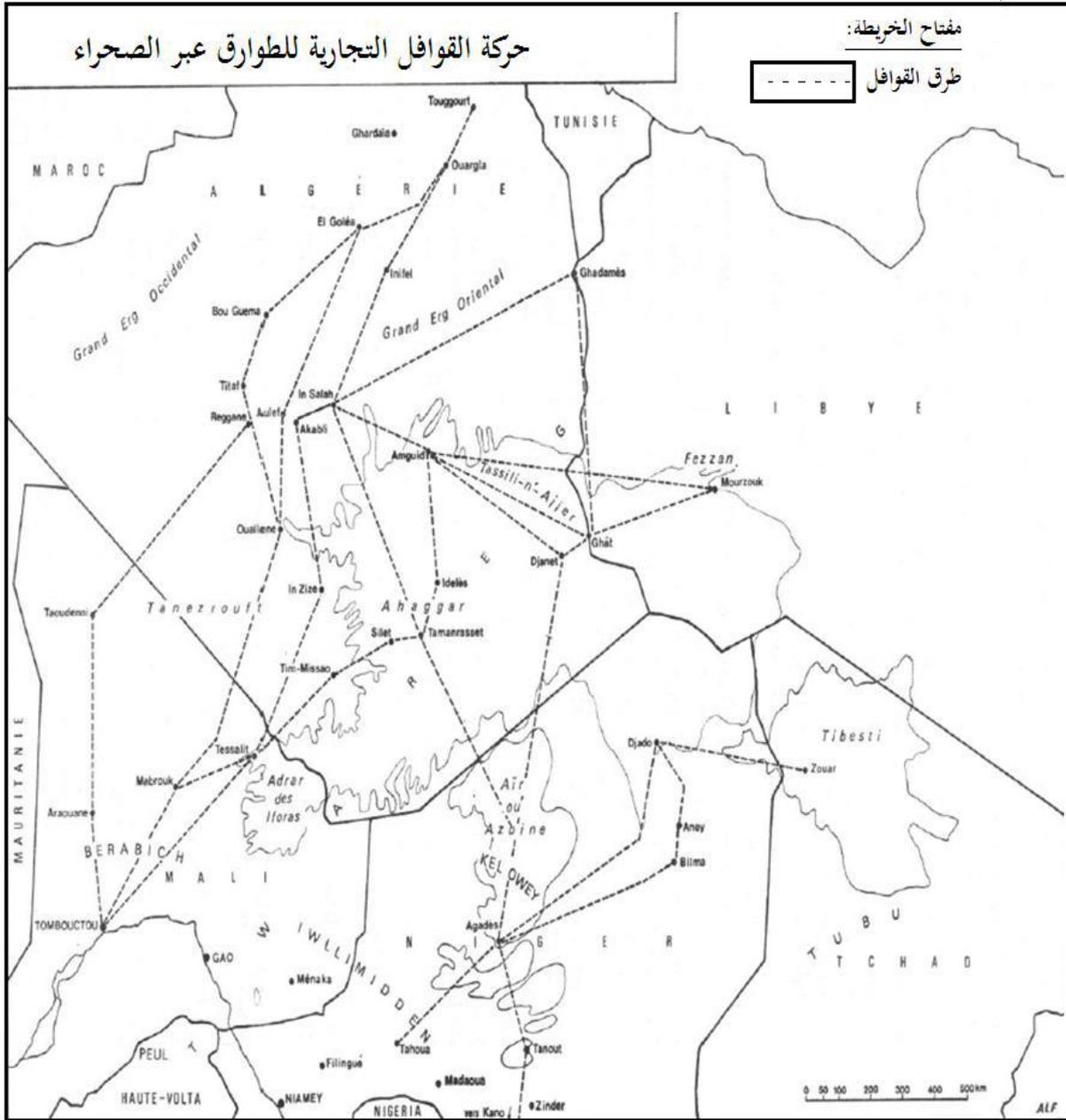
(1). Bourgeot André, « **Les échanges transsahariens, la Senusiya et les révoltes Twareg de 1916-17** », Cahiers d'études africaines. Vol. 18, N° 69-70, 1978, p 162.

(2). Ibid, p 163.

(3). Ibid, p 164.

(4). Ibid, p 163.

(5). Ibid, p 164.



(1)

أهم ما أحدثته الفرنسيون بعد استيلائهم على ضفتي الصحراء في القرن العشرين، أن وضعوا حواجز في وجه تجارة القوافل، إذ ورد في بعض التقارير السرية التي كتبها مسؤولون عن الإدارة الفرنسية في إفريقيا جنوب الصحراء، تتحدث حول ضرورة مراقبة القوافل التجارية بعدما ثبت أنها تقوم بتهرب الأسلحة بين المستعمرات الفرنسية شمال و جنوب الصحراء، نتيجة لذلك تم إلحاق الضرر بمحلات المغاربة في تنبكتو⁽²⁾.

(1). Ibid, p. 161.

(2). عبد الواحد أكميز، المرجع السابق، ص 136.



ختاما لهذا كله تحويل التجارة الصحراوية لصالح الفرنسيين، كما شاهدنا ذلك في الفصل الثالث خاصة بعد استيلائها على الجنوب الليبي أثناء الحرب العالمية الثانية.

ح. الاتفاقيات:

لقد نجم عن سياسة الاتفاقيات في حقبة السبعينات من القرن التاسع عشر، محاربة الأوروبيين الحكام الأفارقة في حق تنظيم التجارة الحرة، هذا من أجل الحصول على مزيد من الامتيازات للتجار الأوروبيين، حيث شجعوا الحكام الأفارقة على التورط في ديون ثقيلة و استغلوا خدمة القروض للحصول على حقوق المنتجات و الرسوم الجمركية لسنوات عديدة.

كما وقّعوا اتفاقيات من طرف واحد لتحصيل الديون و ما هدفهم الوحيد إلا إضعاف اقتصاديات الدول و إضعاف سيطرة الحكام الأفارقة على الاقتصاد و حرية التجارة، و الدليل على ذلك السنغال التي لم تستطع توليد سوق كبير يمكنها من دعم أنشطة التصنيع المحلي على النمط العصري حتى منتصف القرن العشرين⁽¹⁾.

نفس الإجراءات بالنسبة للمعاهدات التي سنتها فرنسا في الجنوب الجزائري، لاسيما الطوارق الذين حافظوا على أطهرهم التجارية لفترة، لكن هذه الاتفاقيات لم تعمر طويلا⁽²⁾، فقد فرضت دفع ضريبة للحكومة الفرنسية من طرف سكان تمنراست عام 1904م مقابل حفظ السلام في منطقة الطوارق و ضمان حرية التجارة⁽³⁾ أي سياسة الكيل بمكيالين؛ ففي الوقت الذي كان الفرنسيون يدفعون ضريبة العبور للطوارق أصبح العكس.

3. نتائج اجتماعية و ثقافية:

بعد أن أدركت فرنسا تركيبة القبائل الصحراوية و نسيجها الاجتماعي الراجي الذي يبدأ من شيخ القبيلة و ينتهي عند آخر فرد في القبيلة، إذ يسيطر عليهم الطابع الروحي الأمر الذي يظهر جليا من خلال تعدد انتماءاتهم إلى الطرق الصوفية و انتشار الزوايا، هذه الأمور لم تكن في صالح الفرنسيين، فسعت إلى تشتيت وحدته من خلال تقسيمهم إلى ثلاثة أقسام؛ قسم أعلن الولاء لها و قسم أعلن المقاومة و آخر تقاعس و ركن لها⁽⁴⁾.

(1). هوبكنز، ص 274.

(2). أمحمد عميراوي و آخرون، المرجع السابق، هامش: رقم 2، ص 137.

(3). Paul Pandolfi , Op.cit , p 60 .

(4). أمعيراوي أمحمد و آخرون، المراجع السابق، ص 144.



كما أن فكرة الولاء أحدثت نزاعا و شقاقا بين الأسر الكبيرة مثل أسرة بوعكاز و ابن قانة في بسكرة و الأوراس و عارضت بعض الأسر فكرة الجهاد في سبيل تحرير البلاد بعد الفتاوى التي أصدرها روش فكان مصير المقاومين النفي و الإبعاد خاصة الزعماء منهم.

ثم إن سياسة الضرائب المفروضة عليهم و الرقابة المشددة على القوافل التجارية و استنزاف خيرات بلادهم، جر عنه تدهور خطير في معيشة السكان⁽¹⁾، حيث تم القضاء على الثروة الحيوانية التي تراجعت بنسبة 80% بسبب إبادة هذه الحيوانات في قورارة، توات، تيديكلت و الأهقار في نهاية الستينات و نهاية التسعينات، أدى إلى تدهور المستوى المعيشي لسكان الصحراء، أضف مصادرة الأملاك و قطع النخيل جراء مشاركة السكان في الثورات، مثل متليلي التي تم قطع نخيلها مرارا سنتي 1860م و 1864م.

و تعتبر السنوات الواقعة بين ثمانينات القرن التاسع عشر و ثلاثينات القرن العشرين بمثابة فاصل ديموغرافي بين عهدين في إفريقيا، حيث كان سكان القارة قلائل و متناثرين فهؤلاء السكان لم يكونوا يتزايدون بسرعة بالإضافة إلى الضغوط الداخلية و الخارجية التي كانت تفرض عليهم بشكل متزايد⁽²⁾، إذ عرفت نسبة الزيادة الطبيعية تذبذبا كبيرا، حيث انخفضت إلى 41% خلال سنة 1886م⁽³⁾، ليتضاعف هذا العدد في الفترة الممتدة من 1930م إلى 1960م الأمر الذي يؤكد على الإسراع لبلوغ هدف الاستقلال⁽⁴⁾.

هذه المقاربات في معدلات النمو الديمغرافي يمكن إرجاعها أيضا إلى الأوبة و الأمراض الفتاكة التي حلت بالجزائر خاصة، حيث شهدت المنطقة في الفترة الاستعمارية انهيار ديمغرافي بسبب وباء الكوليرا بين سنوات 1849-1850م، في كل من سكيكدة، سطيف، بوسعادة و منطقة الزيبان و خلفت عددا مرتفعا من الضحايا، كما عاود هذا المرض ما بين 1867-1868م فتسبب في انخفاض ديمغرافي خطير، حيث تلاقت ضغوط الاستعمار مع ضغوط الكوارث الطبيعية فاشتدت وطأة المجاعات و لعل أخطرها كان

(1). نفسه، ص 150.

(2). ج.ش. كالدويل، «الآثار الاجتماعية للسيطرة الاستعمارية (المظاهر الديموغرافية)»، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام، مجلد 7، اليونسكو، تحت إشراف، أ. آدو بواهن، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1990، ص 467.

(3). قريشي محمد، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية 1945-

1954م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2001-2002، ص 36.

(4). ج.ش. كالدويل، المرجع السابق، ص 467.



ما بين سنتي 1866-1868م التي تسببت في ارتفاع أسعار المواد الاستهلاكية الأساسية إذ يتراوح سعر الصاع ما بين 60 و 70 فرنكا⁽¹⁾.

كما سجل سباتي المتخصص بشؤون المناطق الجنوبية، أنه كان عدد سكان قورارة و تيديكلت و توات في حدود أربعمئة ألف نسمة و أصبحوا في عام 1906م لا يمثلون سوى الستين ألف نسمة، معظمهم لا يجد ما يسد به رمقه، فإنتاجهم الرئيسي المتمثل في التمور أصبح لا يجد مشتريا له، بعد أن سُدَّت في وجهه أسواق السودان، كما لا ننسى الجفاف الذي حل بالمنطقة ما بين 1920-1924م الذي أودى بحياة ثلثي قطعان الماشية و ثلث قطعان الإبل، مما نجم عنه الأثر البالغ على الحركة الديموغرافية⁽²⁾.

و عن إفريقيا الغربية يمكن اعتبار تجارة الرقيق أعنف هجوم على التوازن الديمغرافي خاصة عندما يتعلق الأمر بالعبد الأمة، حيث كانت هناك خسائر كبيرة في الأرواح خلال عمليات اقتناص الرقيق و سوقهم سائرين على الأقدام حتى الساحل⁽³⁾.

أما عن الجانب الثقافي يمكن الإشارة إلى النتائج المترتبة عن حملات التنصير بالغرب الإفريقي خاصة و الصحراء الجزائرية عامة، حيث خلف التنصير العديد من النتائج و الآثار في كل المجالات سواء كانت ثقافية أو دينية أو اجتماعية، ففي المجال التعليمي تمت ترجمة الكتاب المقدس و أجزاء منه إلى أكثر من 600 لهجة إفريقية⁽⁴⁾، كما ترجم دي فوكو الإنجيل إلى التارقية⁽⁵⁾، إضافة إلى كتب و مجلات عديدة بلغات شتى و هي أكثر من أن يحصيها العدد⁽⁶⁾.

و في ظل هذا الرواج الذي حققه المبشرون في هذا المجال شهدت الأنشطة الفكرية بين صفوف المسلمين ركودا كبيرا، فقلّ التأليف حتى باللغات الوطنية المحلية، فضلا عن العربية، فأصبح

(1). فلة موساوي القشاعي، الواقع الصحي و السكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني و أوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871م،

وزارة الثقافة، الجزائر، 2010، ص 489-491.

(2). جمال فنان، المرجع السابق، ص 150-151.

(3). ج.ش. كالدويل، المرجع السابق، ص 477.

(4). عبد المجيد عبد الرزاق الأرو، التنصير في إفريقيا، السعودية الإدارة العامة للثقافة والنشر، 2008، ص 92.

(5). حسن مرموري، ص 285، 300.

(6). عبد العزيز الكحلوت، التنصير و الاستعمار في إفريقيا السوداء، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط2، ليبيا، 1992م، ص 79-



المؤلفون لا يستطيعون القيام بالكتابة و التأليف بهذه اللغات بسهولة، كما كان من قبل، و كانت الغلبة للأنشطة الثقافية المنتشرة التي تعكس العادات الاستعمارية و تقاليدهم⁽¹⁾.

يأتي هذا بعد أن شهدت المدارس التنصيرية انتشارا كبيرا خاصة في غرب إفريقيا، فنجد في سنة 1989م، وجود نحو 20.000 معهد تعليمي بالإضافة إلى أن أكثر من ستة ملايين طالب مسلم يتابعون الدراسة في مدارس افريقية تخضع للكنيسة⁽²⁾.

في المقابل هناك تراجع كبير في دور الزوايا و الطرق الصوفية؛ إما لتضييق الخناق عليها أو لمولاتها للاستعمار الفرنسي مثل التيجانية التي انتشرت في القارة الإفريقية فعملت على تشويه صورة الدين الإسلامي، كما وجدها الفرنسيون وسيلة للتفريق بينها و بين الطرق الأخرى، حتى لا يتحد المسلمون أمام محاولات فرنسا لتغريب هذه المناطق⁽³⁾.

(1). عثمان براهما باري، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر والتوزيع، ط1، مصر ، 2000، ص75.

(2). لخليل النحوي، إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، دار الغرب الإسلامي، ط1، لبنان، 1993، ص 108-109.

(3). حوتية، توات و الأزواد، ج1، ص 212-213.

المبحث الرابع: تحولات الاهتمام الفرنسي بالإقليمين بعد عام 1945م.

إن طموح فرنسا في السيطرة على التجارة عبر الصحراء و تحويل موانئ الجزائر إلى منافذ لتجارة السودان و الواحات مراكز عبور لهذه التجارة الذي امتد من 1830م إلى 1945م، يجيب عنه برنار سنة 1906م بقوله: « إن الصحراء لا تستحق التضحية بالكثير من الرجال و لا بالكثير من الأموال من أجلها، فهي ذات أهمية ضئيلة إن لم تكن منعدمة سواء باعتبار قيمتها الذاتية نفسها أو على اعتبار كونها منفذا نحو السودان ، يجب الاحتراز على عدم تطوير بعض التنظيمات الأولية التي زودناها بها ولقد بينت التجربة أن جهدا محدودا يكفي للقيام بعمل الشرطة و هذا هو الأساس⁽¹⁾»، هذا ما رآه وعبر عنه برنار سنة 1906م و السؤال المطروح: ما الذي كشفت عنه هذه التضحيات لفرنسا في الصحراء الجزائرية خاصة و غرب إفريقيا عامة؟.

1. آثار الحرب العالمية الثانية:

أ. على الجزائر و إفريقيا الغربية:

كان للحربين العالميتين و الأزمة الاقتصادية آثارًا وخيمةً على اقتصاد البلدان الواقعة تحت سيطرة فرنسا، حيث كانت فرنسا تطالب السكان بالمشاركة الحربية كما تطالبهم بمنتجات هذه المناطق، الأمر الذي أدى إلى فقر السكان و انتشار المجاعة بهذه المناطق، حيث تسجل بعض الكتابات في كل من وادي، و كانم و بلاد الفولتا العليا و النيجر وفيات سنة 1931م أكثر من 15.000 نسمة سببها الجوع⁽²⁾. نفس الأمر يسجل في مناطق الجزائر، ففي الوقت الذي كان ينتظر فيه الجزائريون على الأقل تحسين أوضاعهم الاجتماعية، تفاجؤوا بتدني كبير في مستوى معيشتهم و انتشرت البطالة و المضاربة و ظاهرة السوق السوداء و أثبت النظام الرأسمالي الكولونيالي عجزه بالجزائر، فأصبحت علاقة السكان و الغذاء غير متوازنة، في المقابل يعيش المجتمع الأوروبي بالجزائر، رفاهية فاقت رفاهية المجتمع الفرنسي بفرنسا نفسها⁽³⁾.

(1). جمال فنان، المرجع السابق، ص 149-150.

(2). إسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 366.

(3). قريشي محمد، المرجع السابق، ص 249.



- و هكذا بدأت فرنسا تفقد مواقعها في الصحراء و إفريقيا الغربية، بفعل اشتداد الوعي القومي للدول الإفريقية و هذا كان نتيجة عدة أسباب أهمها:
- السياسة الاستغلالية للشركات و الحكومات الاستعمارية،
 - ما شاهده سكان هذه المناطق من أن فرنسا التي قيل عنها أنها لا تقهر إنما كانت تحكمهم بسيف من خشب،
 - مشاركة الآلاف من أبناء المستعمرات في غمار الحرب من أجل الحرية و ما شاهده في البلاد التي نقلوا إليها، حيث أدركوا من خلاله حقيقة الأوضاع المزرية التي جرها المستعمر لبلادهم، مقابل انتشار الحركات القومية في أوروبا⁽¹⁾،
 - المؤتمرات الدولية التي عقدت بعد الحرب العالمية الثانية، التي ناقش فيها زعماء إفريقيا و آسيا المصالح و الأهداف المشتركة بين القارتين.
 - صدور ميثاق الأطلسي و ميثاق الأمم المتحدة اللذان ينصان على حرية الشعوب في تقرير مصيرها. و بهذا تنتشر موجة التحرر في المستعمرات الفرنسية، في المقابل تقوم فرنسا بإصدار مشروع وضعته الجمعية التأسيسية في أبريل 1946م، حيث أقرت في المادة 41 منه بأن: « فرنسا و بلاد ما وراء البحار من جهة و الدول المرتبطة من جهة أخرى تشكل اتحادا متفقا عليه بالتراضي² ».
 - و على سبيل التصريح بحسن النية ورد في دياجبة ذلك الدستور ما يلي: « إن فرنسا الوفية لرسالتها التقليدية تنوي أن تفقد الشعوب التي تكفلت بها إلى الحرية لكي تدير شؤونها بنفسها و تسير أمورها بطريقة ديمقراطية⁽³⁾ » ، هذه المقترحات بمثابة إعلان مباشر "لا للاستقلال بل للاستمرار"، حيث ضربت بأحلام الأفارقة عرض الحائط.
 - هذه العوامل ترتب عنها قيام ثورات في مختلف الدول المستعمرة في سبيل تحقيق الحرية و الاستقلال، حيث يمثل عقد الخمسينات و بدايات الستينات سنوات استقلال مستعمرات فرنسا الواحدة تلو الأخرى مثل تونس، ليبيا ، المغرب، غينيا ، التشاد، النيجر ، مالي، الداهومي، فولتا العليا ، ساحل العاج، السنغال و أخيرا الجزائر⁽⁴⁾.

(1). شوقي الجمل و عبد الله عبد الرازق إبراهيم، المرجع السابق، 336.

(2). اسماعيل العربي، الصحراء الكبرى، ص 376.

(3). نفسه، ص 376.

(4). نفسه، ص 337.



ب. على فرنسا:

شهدت الصناعة النفطية(*) في الفترة ما بين 1919-1939م تطورات شغلت اهتمام الشركات العلمية بالنفط الفنزويلي، أما في الشرق الأوسط نجد إيران في حين يبدأ الإنتاج في العراق، البحرين، الكويت، قطر و المملكة العربية السعودية.

في هذه المرحلة نشهد حدثين هامين في عالم النفط أولهما يتمثل في تأمين الاستثمارات البترولية الخاصة في روسيا سنة 1917م و ما صنعته المكسيك سنة 1938م بقيامها بتأمين شركات النفط الأجنبية، هذا الإجراء يعتبر نموذجاً فريداً من نوعه يحتذى به في البلدان الأخرى⁽¹⁾.

تعتبر الحرب العالمية الثانية سبباً مباشراً في دفع النفط إلى الأمام ليحتل مكانة محورية في الحرب العصرية، بسبب الحاجة الملحة إلى هذه المادة بعد التطور النوعي الذي طرأ على الآلة العسكرية و لعل أهم سمات هذه المرحلة تتلخص فيما يلي:

- الأهمية التي أحرزتها منطقة الشرق الأوسط في هذا المجال، خاصة بعد ثبوت أن المنطقة تغطي ربع الإنتاج العالمي،

- توسع دائرة الصناعة النفطية العالمية لتشمل مناطق إفريقيا، حيث شغلت القارة الإفريقية مركز اهتمام كبير بالرغم من حداثة الكشوفات في أقطارها مثل ليبيا، الجزائر و نيجيريا.

(*) عرف الإنسان النفط منذ عصور قديمة، فقد قيل أن نوحاً عليه السلام عندما انتهى من صنع سفينهته دهنها بمادة القار أو البتومين و هي مادة نفطية، كما ثبت بكتابات هيروdot و مؤرخين قدامى. بالنسبة للجزائر فإن مسألة اكتشاف البترول قديم و حديث في نفس الوقت فهو يرجع إلى العهد الفينيقي لكن استغلاله الصناعي لم يتم إلا منذ سنة 1956م، حيث استعمل في الشمال الإفريقي منذ حوالي 1200 سنة قبل الميلاد فأقاموا مستودعات يستعملونها عبر البحر الأبيض المتوسط و بعدها البيزنطيون في القرن الخامس ميلادي و بعدها المسلمون الفاتحون إلى غاية العهد العثماني في الفترة الحديثة و أخيراً في العهد الفرنسي سنة 1956م .

من خلال السجلات المسماة بالخاصة بطبقات الملوك و التجار و كذا الحفريات التي تم إجراؤها حديثاً أن مشتقات النفط كانت تستعمل في أغراض عديدة، صنع منه الكساء الواقى من الرطوبة و العقاقير الطبية و وقود للمصاييح، فكان قدامى الهنود يستخدمون الزيت من الأرض لإجراء طقوسهم الدينية و في أغراض الزينة و البناء، بيد أن الصناعة النفطية الحديثة يرجع عهدها إلى القرن التاسع عشر ففي عام 1847م قام الإنجليزي يونج بتجاربه كان يهدف من ورائها إلى تقطير النفط من الفحم الحجري لكن لم يدرك الأهمية العملية لهذا الاكتشاف العلمي الجديد. بعدها يوفق الألماني ستوفاسر في صنع مصباح للإنارة يوقد بنوع من الزيت أخف و أكثر سيولة من الأنواع الأخرى ، كما أن الأمريكيون وقتها كانوا يعرفون النفط و يستخدمونه في الاستشفاء و التشحيم و غيرها، بعدها تخضع هذه الصناعة للأبحاث الجامعية حيث أثبتت إمكان استخراج مواد كثيرة من النفط. و أمام الطلب المتزايد على مشتقات النفط لم تعد المصادر النفطية السطحية تكفي فشرع في حفر الآبار في المناطق التي يوجد بها النفط . للمزيد أنظر:

- الحاج موسى بن عمر، السياسة النفطية الفرنسية في الجزائر 1952-1962م، المطبعة العربية ، غرداية، 2004، ص 27-

29، 39.

(1). نفسه، ص 31-32.



- عودة الاعتبار للإنتاج النفطي السوفييتي نتيجة التحسينات التي أدخلت على الموارد القديمة و اكتشاف مصادر جديدة.

هذه المراحل التي مر بها قطاع النفط في العالم أثر في العلاقات الدولية و ولد أطماعا جديدة في صفوف الدول الاستعمارية، مما دفعها تمضي قدما نحو تركيزها حول مناطق النفط لسيطرتها الاقتصادية و نفوذها السياسي عليها و الصحراء الجزائرية واحدة من هذه المناطق المستهدفة، فطيلة هذه المراحل كانت تزرع تحت نير الاستعمار الفرنسي مما أبقى المجال حكرا على فرنسا فتولدت فكرة احتكارها لاستغلال مواردها.

للإشارة فإن اكتشاف النفط تم أولا في التل الجزائري و يعد حقل عين الزفت بجوز وادي الشلف أول ما تم اكتشافه في الجزائر و ذلك سنة 1890م، حيث تم الشروع في التنقيب هناك مما سمح باكتشاف النفط في منطقة تريبورات جنوب غرب غليزان سنة 1915م، غير أنها خلال هذه الفترة لم تهتم بذلك كثيرا. لكن الحرب العالمية الثانية أظهرت الطبيعة الإستراتيجية للبترو، مما دفع بفرنسا الاقتناع بفكرة تعدد المصادر، ففي الوقت الذي كانت الشركة الفرنسية للبترو (C.F.P) في حقول الشرق الأوسط بالعراق⁽¹⁾، استأنفت البحث عنه من جديد عام 1941م في شمال البلاد بالجزائر و تواصلت الأبحاث إلى سنة 1949م حيث توجت باكتشاف وادي القطران من قبل شركة البترو ل أومال (Aumale)⁽²⁾.

2. السياسة الاقتصادية الجديدة لفرنسا بالإقليمين بعد الحرب العالمية الثانية:

أ. الصحراء الجزائرية:

بعد الحرب العالمية الثانية؛ تحولت اهتمامات الفرنسيين، من البحث عن منتجات الصحراء و السودان إلى موارد التعدين و النفط في الصحراء⁽³⁾، في وقت وجدت فيه نفسها عاجزة تبين لها أن البترول هو الشرط الأساسي للنهوض بها و إعادة إعمارها، فعملت على التكيف مع المستجدات من أجل الحصول على أكبر قدر ممكن من المصالح من خلال الحركة البترولية بالجزائر.

مع العلم أن احتمال وجود البترول بالصحراء الجزائرية يعود إلى سنة 1929م، لكن مع حلول سنة 1941م أعادت عملية التنقيب عن البترول بالمناطق الشمالية كما اشرنا إليه سابقا، لكن هذه المرة كانت بعزيمة أقوى⁽⁴⁾، فوجدت لذلك ترسانة من الشركات و المكاتب الخاصة بالبحث عن المعادن ، منها

(1). الحاج موسى بن عمر، بترول الصحراء، ص 40-43.

(2). نفسه، ص 33، 35.

(3). André Martel, Op.cit, p 346.

(4). الحاج موسى بن عمر، بترول الصحراء، ص 38، 40-41.



مكتب البحوث البترولية عام 1945م، مكتب التنقيب عن المعادن في الجزائر سنة 1948م، الشركة الوطنية للتنقيب عن البترول في الجزائر، ... الخ.

و لأن امتلاك البترول يشكل أداة لإثبات القوة الاقتصادية و العسكرية⁽¹⁾، تلقت هذه الأخبار الشركة الفرنسية للبترول بالتزكية و أرسلت بعثة سنة 1949م لمهمة الصحراء، توجت بتقرير مشجع حول وجود المحروقات بالصحراء الجزائرية، و تعتبر سنة 1952م البداية الحقيقية لانطلاق البحث النفطي في الصحراء⁽²⁾.

هذه النتيجة بلورت فكرة فصل الصحراء عن الجزائر عام 1956م، حيث سعت فرنسا إلى استعمال كل الأساليب للاحتفاظ بها لاعتبارات اقتصادية بالدرجة الأولى و هي مرحلة ثانية في تاريخ الصحراء الجزائرية مع السياسة الفرنسية.

بعد اكتشاف البترول سعت فرنسا إلى تزويد بلدان الغرب، بمذكرات مرفقة بخرائط تبين أن الصحراء منفصلة عن الجزائر، في هذا السياق أنشأت الحكومة الفرنسية المنظمة المشتركة للمناطق الصحراوية (O.C.R.S) لهدف إشراك الأقطار الإفريقية المجاورة للجزائر في الخطة الاستعمارية الجديدة تحت غطاء تنظيم و استغلال الثروات الطبيعية للصحراء ، لكي تبقى في قلب الصحراء لحسابات أوروإفريقية، غير أن موجة التحرر حالت دون تحقيق ذلك فرفضت هذه المنظمة و لم تقبل العضوية فيها عدا النيجر والتشاد⁽³⁾.

و في مرحلة لاحقة تقود الإدارة الاستعمارية مشروع فصل الصحراء عن الجزائر بطرح مشروع مواز يحمل اسم "الجمهورية الصحراوية المستقلة" فاتصلت بأعيان الصحراء لمباركة المشروع فتم عقد اجتماع لهم بالأغواط ثم الجزائر، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل، فتوجه حمزة بوبكر في مهمة جديدة إلى ورقلة وهذه المرة استخدم أسلوب الضغط على الأعيان دون تحقيق أية نتيجة.

كما عارض الشيخ بيوض فكرة فصل الصحراء بقوله: « إن فرنسا لم تكن تستشيرنا في سياستنا في هذه البلاد، فلم تستشرنا يوم قطعت الصحراء و جعلت لها نظام التراب الجنوبي، و لم تستشرنا يوم فصلت أجزاءه عن الشمال و سمّتها أحوازا ممتزجة، فهي تصل و تفصل و تتحكم كما تريد. بل أكثر

(1). نفسه، ص 42.

(2). نفسه، ص 48-49.

(3). نفسه، ص 197-198.

من هذا كنا نطلب أشياء من حقنا و نرفع أصواتنا بما، فلا تسمعنا حتى في تطبيق قوانين سنتها هي... الخ⁽¹⁾».

كما توجهت إلى أقصى الجنوب لإقحام الطوارق في مؤامرة ملغمة أطلقت عليها فرنسا اسم " الجمهورية الإسلامية الصحراوية"، حيث كلف بالمهمة السيد (Michel Debré) فحاول إقناع الشيخ أخاموخ بمدينة تمنراست و عرض عليه فكرة إعلانه رئيسا على الطوارق بعد إنشاء كيان سياسي خاص بهم يضم الإطار الجغرافي الذي يسكنه الطوارق من ليبيا، الجزائر، التشاد، النيجر و مالي، و أمام رفضه لهذا، أرسل إليه ديغول طائرة خاصة نقلته إلى باريس و عرض عليه الاقتراح فرد عليه أخاموخ بقوله: «ربما لا أطلب استقلال الجزائر و لكن الذي أطلبه هو عدم الاستقلال عن الجزائر⁽²⁾».

و بعد أن أخفقت فرنسا في تحقيق مساعيها اتبعت الإدارة الاستعمارية إجراءات القمع و التعسف في حق سكان الصحراء و مارست على التجار المستقرين في الجزائر العاصمة مضايقات فخرت محلاتهم انتقاما منهم و فرضت على المئات من العمال بورقلة الحبس في معتقلات و محتشدات شمال الجزائر، كما غدّت النعرة المذهبية بين المالكية و الإباضية، بل و أرسلت مجموعة من الحركة إلى مسجد ورقلة فداسوا حرمة و مزقوا المصاحف و الكتب و ادعوا أن العملية من عمل الميزابيين.

عند هذا الحد انتقلت إلى توظيف الحركة المصالية التي يتزعمها بلونيس فقدمت له العون العسكري و الدعم للنشاط و مضايقة جيش التحرير الوطني عند الحدود الفاصلة بين الشمال و الجنوب، لكي يفرض على الثورة منطق عدم تحكمها في الصحراء أو التنقل فيها و هذا كله من أجل تصفية الثورة و كسر شوكتها، لكن يحدث العكس فتشتد الثورة و تعصف بالمستعمر خارجا⁽³⁾.

ب. أفريقيا الغربية:

لقد شهدت إفريقيا الغربية الفرنسية بين عامي 1930-1945م تراجع في توسع الصادرات و تقلص حدود اقتصاد السوق، هنا أخذ الأفارقة يعربون عن عدم رضاهم عن الاقتصاد المفتوح و عن الحكام الغرباء الذين يتولون الإشراف عليه.

(1). عبد المجيد بوجلة، « التفيت السياسي للجزائر في الإستراتيجية الفرنسية و دور الثورة في الحفاظ على الوحدة الكاملة»، مقال

نشر بمجلة الواحات للبحوث و الدراسات، مجلد 07، العدد 02، 2014، ص 41.

(2). نفسه، ص 41.

(3). نفسه، ص 41-43.



بجول عام 1945م تم إجراء تغييرات في السياسة الرسمية من قبل فرنسا و بريطانيا معا و هو ما أدى إلى انتعاش كبير في الصادرات و نمو الأسواق المحلية، حيث كان هناك توسع سريع في زراعة الكاكاو في منطقة ساحل العاج⁽¹⁾.

بظهور مجموعات من المنتجين المتخصصين أثر ذلك على الاقتصاد المحلي بسبب تحول الأرض إلى سلعة تباع و تشتري، ففي القرن العشرين زادت مساحة الأرض المخصصة للمنتجات المصدرة⁽²⁾ و بالتالي شهدت الفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، تطورا جديدا في قدرة الاقتصاد المفتوح من خلال إقامة صناعات تحويلية، هذا الانتعاش لم يؤدي إلى نهاية المعارضة بين الأفارقة و الاستعمار، على النقيض فالتطلعات تضاعفت و الرخاء ساعد على تحويل نظرة المنظمات السياسية الإفريقية التي انتهى بها المطاف إلى الاستقلال⁽³⁾.

ختاما لما قدمناه؛ فإن وقع الاستعمار الفرنسي على الإقليمين كان ضربة قاسية على التجارة الإفريقية بصفة عامة و الصحراوية بصفة خاصة، فالتحولات التي أحدثتها امتصت جهود سكانها كما امتصت خيرات أرضها و مع نهاية الحرب العالمية الثانية يفترض النهاية الحتمية لهذا العملاق الضعيف، لكن احتسابا للإستراتيجية الجيوسياسية التي اقتضتها الظروف الاستعمارية و نواياها الاقتصادية، تفتح لنا هذه الدراسة إشكالية جديدة و هي: **تحولات الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية.**

(1). هوبكنز، ص 477.

(2). نفسه، ص 478.

(3). نفسه، ص 475.

خاتمة

خاتمة: (تقييم و استنتاج).

على ضوء دراستي لموضوع الاهتمام الفرنسي بالتجارة في الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية ما بين 1850-1945م، من خلال المادة العلمية التي عثرت عليها و وظفتها في الدراسة، اتضح لي بعض النقاط التي حاولت من خلالها الوصول إلى بعض الاستنتاجات أهمها:

1. خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر، بقيت التجارة الصحراوية قائمة بين المنطقتين، لكون الأوروبيين لم يتوغلوا إلى دواخل إفريقيا الغربية و الصحراء الجزائرية، فتواجههم خلال الفترة كان في السواحل الإفريقية من جهة، و من جهة أخرى فإن أغلب القبائل التي تمارس التجارة الصحراوية في إفريقيا الغربية، كانت تلك التي تقطن حواف الصحراء الكبرى، غير أن احتلال فرنسا للجزائر في العقد الثالث من القرن التاسع عشر، عمل على عرقلة تجارة التل بالصحراء بصفة خاصة، بين الجزائر و جيرانها (تونس و المغرب) بصفة عامة.

2. إن السياسة التي شهدتها إفريقيا الغربية مع بداية القرن في مجال الإنتاج و التجارة، بتوسيع مجال إنتاج المحاصيل النقدية و إلغاء تجارة الرقيق، كان بمثابة البداية الحقيقية في تحولات التجارة التقليدية، فتحول العبيد من سلعة تباع إلى يد عاملة لإنتاج المحاصيل النقدية مجانا بالمزارع الفرنسية، كما يعتبر تاريخ احتلال فرنسا للجزائر البداية الحقيقية للاهتمام الفرنسي بالمنطقتين .

3. حتى تُؤتي السياسة الفرنسية أكلها كان لا بد من تحصيل منتجات الصحراء، فتم تشكيل لجنة الاستكشاف العلمي بالجزائر عام 1837م من أجل؛ القيام بدراسة التجارة عبر الصحراء، حيث كان تصور بوديشون (Bodichon) في إمكانية فتح طريق الصحراء و عبورها نحو السودان و من ثمة استئثار فرنسا على تجارة الصحراء و دواخل إفريقيا و ما تجنيه من فوائد⁽¹⁾، هذا الأمر زاد من حماس الفرنسيين و دفع بهم إلى استغلال كل الوسائل العلمية، الاقتصادية، العسكرية، السياسية و التقنية لعبور الصحراء، فكان من نتائجهما:

- من خلال رحلتي بونمان (Bonnemain) و إسماعيل بوضربة (Ismail Bouderberba) تعرفت فرنسا على منتجات الصحراء، أسواق، الطرق والقبائل المتحكمة فيها، مما دفعها إلى فتح مجال العلاقات التجارية مع الطوارق و عبر أراضيهم باعتبارهم المتحكمين في منافذها.

(1) . جمال قنان: المرجع السابق، ص 141-142.

- كما أن رحلة أبي بكر التواتي (**Abou Bekr Ettouaty**) و رحلات أخرى مثل رحلة **دوفيرييه (Duvirier)** إلى شمال الطوارق أفادت فرنسا كثيرا في مجال التعرف على أبجدية الطوارق و منتجات الصحراء و جنوبها بأسمائها المحلية، كما أن تعرفها على التشكيل السياسي و القبلي للطوارق سهل على فرنسا تشتيت قوتهم فيما بعد.
- كما توصلت فرنسا من خلال بعثتي **فلاترز (Flatters)** إلى رسم الطريق الحديدي الذي يربط ضفتي الصحراء عبر ورقلة و الأهقار ، هذه الرحلة التي أودت بحياة فلانترز وطاقمه، فكشفت فرنسا مدى خطورة الطوارق، مما جعلها تُعد العُدّة لذلك بعد سنوات من الانقطاع، حيث زاوجت بين العمل السياسي و العسكري من خلال إصدارها لمجموعة من القرارات تنص على تحريم الرقيق سنة 1906م لضرب وحدة القبيلة و من ثمة استمالت الرقيق لمساعدتها في احتلال بلاد الطوارق.
- لقد نتج عن سياسة الاستغلال الفرنسي لبعض القيادات و شيوخ الطرق الصوفية و المبشرين بالإقليمين، أن حدث تصدّع كبيرٌ في صفوف الحركة الوطنية، مما سمح للفرنسيين بالتوسع في كثير من المناطق بدون مقاومة .
4. يبدو أن السياسة التي اتبعتها فرنسا أسفرت عن تحقيق مطامحها خطوة خطوة، حيث بدأت في تنفيذ مشاريعها مثل مد خطوط السكك الحديدية و تعبيد الطرق التي تصلها بمواقع مستوطناتها و مراكز الشركات التي تقوم على زراعة المحاصيل النقدية، في كل من الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية و الفرنسية.
5. كما استغلت القوافل التجارية الجزائرية و الأسر المعيشية و أصحاب التجارة الخارجية في إفريقيا الغربية الفرنسية، بالمساهمة في إنتاج هذه المحاصيل و تسويق منتجاتها نحو الساحل، لتقوم بنقلها إلى فرنسا في المقابل تقوم هذه القوافل، بنقل البضائع المصنعة و توزيعها على مناطق الداخل.
6. تكشف لنا الوقائع التاريخية خلفيات و دوافع تحريم تجارة الرقيق، من خلال القواعد التي أقامتها الدول الأوروبية في الصحراء الوسطى، كان هدفها الاستيلاء على منتجات الصحراء و إيجاد أسواق لتصريف بضائعها المصنعة، فكانت المنافسة شديدة بين القوى البريطانية، الفرنسية و الإيطالية هناك، و أمام فشل فرنسا في مشروع مد خطوط السكك الحديدية عبر الصحراء، عملت على تعويضه بطرق السيارة، حيث أصبحت تنقل بضائعها من ساحل البحر المتوسط عبر

خطي الجزائر، اللذين يربطان غرب إفريقيا في غاوا و وسط إفريقيا في زندر و التشاد، كما مزجت بين التجارة البحرية و البرية و الجوية.

7. بفعل السياسة النتنة التي اتبعتها فرنسا و ما أحدثته في الإقليمين، خلفت آثارا جسيمة على كافة المستويات، حيث قضت على الزعامات القبلية من خلال تطبيق حكمها المباشر ، كما خلف مؤتمر برلين آثاره على المستوى السياسي و الاقتصادي من خلال التقسيم العشوائي للحدود، فبرزت مشكلة الحدود كعائق بارز في التقدم الاقتصادي و الاستغلال الوطني لمواردهم التي مزقتها الأوروبيون، ناهيك عن الآثار الاجتماعية و الثقافية التي خلفها التنصير و الاستغلال الاقتصادي والبشري و الطبيعي.

8. يمكن تفسير تراجع التجارة العابرة للصحراء بالاستناد إلى عوامل منها:

- وقوع الشريط الصحراوي في يد المستدمر، نجم عنه تحكّم الفرنسيين في التجارة الصحراوية، خاصة بعد تعميم استعمال الطرق عبر الصحراء بواسطة السيارات و الشاحنات فقلص من دور القوافل التجارية.

- تحول تجار القوافل إلى الاستقرار بفتح الدكاكين، فأضحت أسواقا استهلاكية لمنتجات فرنسا.

- تحويل أسواق الإقليمين باتجاه الساحل.

- سيطرة فرنسا على المراكز التجارية و منتجاتها بالإقليمين.

9. لا يمكن إخفاء حقيقة النشاط الاقتصادي بالإقليمين من حيث الإنتاج و التوزيع، لكن سياسة الامتصاص و فرض الضرائب على الأهالي، كانت ضربة قاضية على تطوير و تحسين مستواهم المعيشي، خاصة أثناء الحربين العالميتين.

10. تعتبر أحداث الحرب العالمية الثانية؛ المنظار الحقيقي الذي أبصرت به هذه المناطق حقيقة فرنسا، فاشتد الوعي القومي بها و بدأت فرنسا تفقد مواقعها هناك.



11. كما تعتبر نهاية هذه الحرب بالنسبة لفرنسا؛ بداية التحولات الجديدة في السياسة الاقتصادية

بالإقليمين؛ من البحث عن منتجات الصحراء و إفريقيا الغربية إلى موارد التعدين و النفط في

الصحراء و تنمية الاقتصاد المفتوح في إفريقيا الغربية، فيما ترى ما هي الأحداث التاريخية التي

سجلها فرنسا بالإقليمين من خلال سياستها الجديدة في الاقتصاد الاستعماري؟.

هذه بعض المقاربات التي تم الوصول إليها، من خلال بعض الاستنتاجات التي لا تعد أحكاما

نهائية، بل ستشكل منطلقا لدراسات معمقة حول هذا الموضوع التاريخي الهام.

الملاحق

ملحق رقم: 01

- قائمة السلع التي يشتريها الطوارق بعملة الشقة:

السلع	المبلغ بقطعة قماش
الرحلة	قطعة الشقة ذات مقياس 10 إلى 40 كودي
القراب	قطعة الشقة ذات مقياس 5 إلى 10 كودي
الوسادة	قطعة الشقة ذات مقياس 5 إلى 10 كودي
علب الروائح	قطعة الشقة ذات مقياس 4 إلى 5 كودي
المهراس	قطعة الشقة ذات مقياس 5 إلى 6 كودي
الفدهان (كور خشبية)	قطعة الشقة ذات مقياس 5 إلى 6 كودي
النبال	قطعة الشقة ذات مقياس 5 إلى 6 كودي
السيوف	قطعة الشقة ذات مقياس 1 إلى 6 كودي
التروس	قطعة الشقة ذات مقياس 1 إلى 4 كودي
الدروع	قطعة الشقة ذات مقياس 10 إلى 40 كودي
الذراع (قماش سوداني ملون)	قطعة الشقة ذات مقياس 20 إلى 80 كودي ⁽¹⁾

(1). بوعزيز: تاريخ إفريقيا ، ص 53-54.



ملحق رقم 02

قائمة مختلف القبائل ذات الأصول الشريفة و المشتركة
التي تشكل سكان طوارق الأهفار و الأزجار:

Les nobles d'Azeguer se subdivisent en 11 tribus.

Or'ar'en,	I Chahouen.
I Damaren ¹ ,	I Metrilen.
I M'rassaten,	Deug-Arah ³ .
Kel Ouzban ² ,	For'as Inonotobel.
Okeran,	I Lemteni.
For'as,	

Leurs Imr'od se divisent en 17 tribus.

Kel Hebda,	I Zgadjadzen.
I Ouarouaren,	Kel Tabi.
I Ferakanen,	Kel Arâs,
I Filalen.	Kel Entoumi.
Batanaten,	Sokana.
I Djera Djerrôuen,	Deug-Abakar.
Kel Harir,	I Berberen.
Kel Tonen,	Kourkouman.
I Meker'arsen,	

La même distinction existe chez les Touaregs-Hoggar.
15 tribus nobles.

Keler'la,	Ennitra.
Taitok,	I Gerechoumen.
Tadj-Himeled ⁴ ,	I Kredir.
Kel-Hamela,	I Bourmaten.
Boglan,	Tadj-Ensakeur.
I Mereba,	Tadj-Ennegali.
Tadj-Kennibilen,	I Keremoui.
Tadj-Ienonnidi,	

21 tribus composent les Imr'od.

Sokmaren,	Kel Tefades.
Deug-el-Mesk,	Kel Amadjid.
I Ehaouen,	Kel Ougan
Kel Touka,	Kel Ouas.
I Batanaten,	I Ferakanen.
Ait-Louen ⁵ ,	Kel Tazoulet.
I Msaliten,	Tadj-Ensalama.
Tadj-Ennefès,	Khelaïdine.
I Clan,	Kel Hanet.
Adjourtaline,	Ir'aan.
I Sandeten,	

1. *I*, représente l'article les. — 2. *Kel*, signifie gens. — 3. *Deug*, signifie fils. — 4. *Tadj*, signifie confédération. — 5. *Ait*, signifie fils.

(1)

(1). Boudarba, Op.cit, p 289.



ملحق رقم 03

R A P P O R T

Monsieur le Gouverneur Général

**SUR L'EXPLOITATION DU CAOUTCHOUC
EN AFRIQUE OCCIDENTALE FRANÇAISE**

Dakar, 12 janvier 1906.

Monsieur le Gouverneur général,

J'ai l'honneur de vous adresser, conformément à votre demande, un rapport succinct sur l'état de la « question du caoutchouc » en Afrique occidentale française. Les indications qu'il renferme font partie intégrante de l'étude générale de cette question, qui sera présentée sous forme de notice à l'exposition coloniale de Marseille.

Il ne m'avait pas paru possible, malgré le travail considérable accompli jusqu'à ce jour dans les différentes Colonies du Gouvernement général, de vous présenter plus tôt le résultat de notre action dans ce sens ; les recherches effectuées, les premiers travaux entrepris, étaient encore trop récents pour me permettre d'en affirmer les conclusions ; enfin je n'aurais pu avant une année d'application, vous exposer les résultats de la réglementation intervenue sur l'exploitation et la circulation du caoutchouc. Le but même de ce rapport en indique tout naturellement la division ; dans la première partie j'exposerai la situation de cette question avant les mesures récemment prises ; dans la seconde j'étudierai ces mesures elles-mêmes ; enfin, dans la troisième je rendrai compte des résultats obtenus.

Il vous sera possible, de cette façon, de juger de la coordination des premiers travaux entrepris ainsi que de l'importance à leur donner par la suite.

التقرير الفرنسي حول استغلال مطاط إفريقيا الغربية

(1)

(1). Henry. Yves, **Rapport sur l'exploitation di caoutchouc en Afrique occidentale française**, Imp. du gouvernement general Gorée, 1906, p 4.

ملحق رقم 04.

**نص الاتفاق التجاري الملحق
باتفاق الحدود سنة 1845م**

«وفق يتعلق بالتجارة وهو من أربعة شروط ومطلعه (16)

الحمد لله وحده

نص التذييل الممضى عليه عقب الشروط.

ومن تمامه تقييد المصالح الناشئة عن الصلح بعد استيفاء شروط الصلح ولزومها وتحديد الحدود وتصحيحها. وكان مما يترتب على ذلك تمريح التجار من القريقين بكل سلعة في البلدان المجاورة للحدود، ويلزم كل من القريقين باحكام الاسواق وتأمين التجار وأمن الطرقات وقد أمعن في ذلك النائبان نظرهما امتحانا كلياً بعد المشاورة فاتفق نائب سلطان المغرب مع نائب سلطان الفرنسيس المفوض لهما على الوفاء بذلك لما فيه من مصلحة الجانبين وثبوت المحبة واتفقا على شروط هي مذكورة في الرسم اسفله.

الشرط الأول :

ان التجارة في أي شيء كانت مسرحة من الجانبين في كامل الحدود بين الايالتين في البر فقط، فلا تعطى عشرا ولا جمركا حين دخولها لأحد الايالتين وذلك لأمن الطريق والاستطاعة على المرور من حد إلى حد من غير مانع وينجر لكل واحد من تجار الجهتين في كل ما هو معتاد للبيع في الأسواق.

الشرط الثاني :

ان كل واحد من السلطانين له أن يقبض من التجار مطلقا ما شاء من العشر ونحوه حين خروجهم من كلا الايالتين كانوا من رعيته أو من غيرها لئلا تحصل المغرة ولكلا السلطانين قبض ما شاء من مكس اسواق البادية من غير معارض كان التاجر من رعيته أم لا.

الشرط الثالث :

ان كلا السلطانين يحمي ويضمن تجار صاحبه ومن سائر المتسوقين فلا يتمدى عليهم احد ومن حصلت منه بعض الجرائم فعليه العقوبة بحسب احكام البلد وقوانينها.

الشرط الرابع :

ان التاجر اذا أراد السفر من كلا الايالتين فلا بد من ادن عامل البلد ليفيدما عنده من السلع خوفا من الآفات ويأخذ التاجر مكتوب العامل. فان خرج التاجر من وجدة قاصدا نواحي الشرق فلا بد من ايراد التاجر المكتوب والاحمال أيضا ااهل مغنية فرما تضيع ويكون في ساعته ما ليس عنده في مكتوب العامل من غير علمه، فانه ان حصلت الموافقة بين المكتوب والاحمال وضاع للتاجر شيء، فعلى من ضاع في بلاده أداء جميع المال الضائع ونحري هذا الحكم في وجدة وعمالتها.

قائمة

البيبليوغرافيا

قائمة المصادر و المراجع:

1. المصادر:

● المصادر العربية و المعربة:

- الأغواطي ابن الدين ، رحلة الأغواطي (الحاج ابن الدين في شمالي إفريقيا و السودان و الدرعية)، تح، أبو القاسم سعد الله، المعرفة الدولية للنشر و التوزيع، الجزائر، 2011.
- ابن بطوطة محمد بن عبد الله، تحفة النظار في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة)، ج4، تح، محمد عبد الرحيم، مؤسسة الكتب الثقافية للطباعة و النشر و التوزيع، حارة حريك، ط1، د.ت.
- ابن حوقل أبي القاسم ، صورة الأرض، مكتبة الحياة للطباعة و النشر، بيروت، 1992.
- ابن خلدون عبد الرحمان ، ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، ج5، ضبط، خليل ، مر، سهيل زكار ، دار الفكر للنشر، د م ن، 2000.
- أبي عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله ابن إدريس الحمودي الحسيني، نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج1، مكتبة الثقافة الدينية للنشر، مصر، د.ت.
- البكري أبي عبيد الله ، المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب (المسالك و الممالك)، ج2، دار الكتاب الإسلامي، القاهرة، د.ت.
- بوفيل، تجارة الذهب و سكان المغرب الكبير، تر. الهادي أبولقمة و محمد عزيز، منشورات جامعة قار يونس، بنغازي، ط2، 1988.
- السعدي عبد الرحمان بن عبد الله بن عمران بن عامر، تاريخ السودان، مطبعة بردين ، باريس، 1981.
- القلقشندي أبو العباس أحمد ، صبح الأعشى في صناعة الانشا، ج 5، شرحه وعلق عليه و قابل نصوصه، نبيل خالد الخطيب، دار الكتب المصرية، بيروت، ط1، 1987.
- المدني أحمد توفيق ، جغرافية القطر الجزائري للناشئة الإسلامية، د.د.ن، د.م.ن، 1948.
- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا ، ج1، تر، محمد حجي ،محمد الأخضر ،دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998.
- الوزان الحسن بن محمد الفاسي، وصف إفريقيا ، ج2، تر، محمد حجي ،محمد الأخضر ،دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998.



• المصادر الأجنبية:

- BÉTRIX , **La pénétration Saharienne Touareg**, Lavauzelle, Paris , 1911.
- Bonnemain, « **Voyage à R'ADAMÈS** », R.A.C, décembre 1859, , Imp. de CH.LAHURE et C^{IE}, Paris , 1859.
- BOUDERBA. I, « **Voyage à R'at** », R.A.C, décembre 1859, , Imp. de CH.LAHURE et C^{IE}, Paris , 1859.
- Brosselard-Faidherbe , **les deux missions Flatters au pays des Touareg Azdjer et Hoggar** , S,M.E, paris, 2^{me} édition , 1889.
- CARETTE. E, **Recherches sur la géographie et le commerce de l'Algérie Méridionale**, T.8, Imp. Royole, Paris , 1844.
- CHUDEAU René, « **Etudes sur le Sahara et le Soudan** », Annales de Géographie, 17e Année, N°. 91 ,15 janvier 1908.
- DAUMAS, **le Sahara Algérien (études, géographiques, statistiques et historiques sur la région au sud des établissements français en Algérie)**, S.M.E, Paris, 1845.
- DERRÉCAGAIX. V, **Exploration du Sahara , les deux missions du lieutenant-colonel Flatters**, Imp. émile martinet, Paris, 1882.
- F.FPhilippe, « **Voyage d'El Hadj El Bachir au Tafilala en 1867**», R.A, V. 55, 1911.



- GANZ. J (photographe), Victor Bernard Derrecagaix Avant 1883, Bruxelles, Paris, 20 février 1883.
- L'abbé Barges, **Le Sahara et le Soudan, documents historique et géographiques**, Just rouvier libraire-éditeur, Paris, 1853.
- NARCISSE Faucon, **Le livre d'or de L'Algérie**, T.1, librairie Algérienne et coloniale, Paris, 1889.
- RINN Louis, **le royaume d'Alger sous le Dernier Dey** , Imp. libraire éditeur, Alger, 1900.
- SCHIRMER Henri , **le sahara**, librairie Hachette et C^{IE}, Paris, 1893.

2. المراجع:

• المراجع العربية و المعربة:

- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية 1860م-1900م، ج1، عالم المعرفة للنشر و التوزيع، الجزائر، ج1، 2009.
- إبراهيم عبد الرزاق عبد الله ، المسلمون و الاستعمار الأوروبي لإفريقيا ، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ع 139، 1989.
- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج7، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر ، 2007.
- أبو مصطفى كمال ، جوانب من حضارة المغرب الإسلامي من خلال نوازل الونشريسي، مؤسسة شباب الجامعة للنشر و التوزيع، الإسكندرية، 1997.
- الأرو عبد الرزاق عبد المجيد ، التنصير في إفريقيا، السعودية الإدارية العامة للثقافة والنشر، 2008.
- أكدير عبد الواحد ، الحضور المغاربي - الأوروبي في إفريقيا الغربية، د.د.ن، الرباط، د.ت.
- ايتوري روسي ، ليبيا منذ الفتح العربي حتى سنة 1911، تر، خليفة محمد التليسي، الدار العربية للكتاب، الإسكندرية، ط2، 1991.

- باري برايم عثمان ، جذور الحضارة الإسلامية في الغرب الإفريقي، دار الأمين للنشر و التوزيع، مصر، ط1، 2000.
- باري علي محمد فاضل و كريدية إبراهيم سعيد ، المسلمون في غرب إفريقيا تاريخ و حضارة، دار الكتب العلمية ، لبنان، 1971.
- بازل دافيدسون ، إفريقيا تحت أضواء جديدة، دار الثقافة للنشر ، بيروت، 1961.
- بن أعمار الحاج موسى ، بتزول الصحراء بين حسابات الثروة في فرنسا و رهانات الثورة في الجزائر، د.د.ن، د.م.ن، 2008.
- بن عمر الحاج موسى ، السياسة النفطية الفرنسية في الجزائر 1952-1962، المطبعة العربية ، غرداية، 2004.
- بوعزيز يحي ، تاريخ إفريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين و يليه الاستعمار الأوروبي الحديث في إفريقيا و آسيا و جزر المحيطات، دار البصائر للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 2009.
- بوعزيز يحي ، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية و الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999.
- بيشي محمد عبد الحليم ، تطور الثورة الجزائرية في ناحية غرداية، دار زمورة للنشر و التوزيع، الجزائر، ط2، 2013.
- الجمل شوقي، تاريخ كشف إفريقيا و استعمارها، د.د.ن، القاهرة، 1971.
- الجمل شوقي و إبراهيم عبد الرزاق عبد الله ، دراسات في تاريخ إفريقيا، مكتبة الإسكندرية، مصر، د.ت.
- الجمل شوقي و عبد الله عبد الرازق إبراهيم، تاريخ إفريقيا الحديث و المعاصر، دار الزهراء للنشر و التوزيع ، الرياض، ط2، 2002.
- جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ج7، د.د.ن، بغداد، ط2، 1993.
- جودة حسنين جودة ، العالم العربي دراسة في الجغرافية الإقليمية، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، 1998.
- الحاج سعيد بن بكير يوسف ، تاريخ بني ميزاب (دراسة اجتماعية و اقتصادية و سياسية)، المطبعة العربية، غرداية، ط2، 2006.

- حلومي علي عبد القادر ، جغرافية الجزائر (طبيعية ، بشرية ، اقتصادية)، مطبعة الإنشاء ، دمشق ، ط2 ، 1968 .
- حوتية محمد ، توات و الأزواد خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر ميلادي (دراسة تاريخية من خلال الوثائق المحلية)، ج1، دار الكتاب العربي للطباعة و النشر، الجزائر، 2007.
- الدالي الهادي المبروك ، التاريخ السياسي و الاقتصادي لإفريقيا فيما وراء الصحراء (من نهاية القرن 15 إلى بداية القرن 18 م)، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1999.
- دي جي فيج ، تاريخ غرب إفريقيا، تر، يوسف نصر ، دار المعارف ، مصر ، ط1، 1982.
- الديناصوري جمال و آخرون، جغرافية العالم (إفريقيا و استراليا)، ج2، المكتبة الانجلو مصرية، القاهرة، د.ت.
- ذهني إلهام محمد علي، جهاد الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا ضد الاستعمار الفرنسي (1850 - 1914)، دار المريخ للنشر، الرياض، 1988.
- زاهر رياض ، الممالك الإسلامية في غرب إفريقيا و أثرها في تجارة الذهب عبر الصحراء الكبرى، المطبعة الفنية الحديثة، القاهرة، 1968.
- زبادية عبد القادر ، مملكة السنغاي في عهد الاسقيين (1493-1591)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، د. ت.
- زبادية عبد القادر ، دراسة عن إفريقيا جنوب الصحراء في مآثر و مؤلفات العرب و المسلمين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
- الزبيري العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1972.
- سعيدوني ناصر الدين ، النظام المالي للجزائر في أواخر العهد العثماني (1792-1830) ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.
- شلي عبد الجليل، معركة التبشير و الإسلام، حركات التبشير في آسيا، و إفريقيا، وأوروبا، مدرسة الخليج العربي ، د.م.ن، ط1، 1989.
- طاهر أحمد ، إفريقيا فصول من الماضي و الحاضر، دار المعارف، القاهرة، 1975.
- العربي إسماعيل، الصحراء الكبرى و شواطئها، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983.
- عطاشي عيسى ، صورة الجزائر في أدب الرحالة الفرنسي أوجيفن فرومنتين، مطبعة بن سالم، الأغواط، ط1، 2010.

- العماري أحمد ، توات في مشروع التوسع الفرنسي في المغرب من حوالي 1850 إلى 1902م (مساهمة في محاولة الكشف عن جذور المشروع و أبعاده و علاقته بمشروع السودان الغربي)، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس، ط1، 1988.
- عميرايو أميدة و آخرون، السياسة الفرنسية في الصحراء الجزائرية (1844-1916)، درا هومة، الجزائر، 2009.
- غيرستر جورج ، الصحراء الكبرى ، تر، خيرى حماد، المكتب التجاري للطباعة و التوزيع و النشر، بيروت، 1961.
- فرج محمود فرج ، إقليم توات خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر، ديوان المطبوعات الجامعية ، د.م.ن ، د.ت.
- فليجة أحمد نجم الدين ، إفريقيا دراسة عامة و إقليمية، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، د.ت.
- فنان جمال ، قضايا و دراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، المؤسسة الوطنية للاتصال و النشر ، الجزائر، 1994.
- قدام نعيم ، إفريقيا الغربية في ظل الإسلام، وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، د.م.ن، د.ت.
- الكحلوت عبد العزيز ، التنصير و الاستعمار في إفريقيا السوداء ، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط2، 1992.
- مرموري حسن ، الطوارق بين السلطة التقليدية و الإدارة الفرنسية في بداية القرن العشرين، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2010.
- المنصوري عثمان ، التجارة في المغرب في القرن السادس عشر (مساهمة في تاريخ المغرب الاقتصادي)، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ط1، 2001.
- موساوي القشاعي فلة، الواقع الصحي و السكاني في الجزائر أثناء العهد العثماني و أوائل الاحتلال الفرنسي 1518-1871م، وزارة الثقافة، الجزائر، 2010.
- مياسي إبراهيم ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية (1837-1934)، دار هومة للطباعة و النشر و التوزيع، الجزائر، 2005.
- مياسي إبراهيم، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري (1881-1912)، مطابع رويبة، الجزائر، 1996.
- الناظوري رشيد، المغرب الكبير في العصور القديمة، ج1، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.



- النحوي خليل، إفريقيا المسلمة الهوية الضائعة، دار الغرب الإسلامي، لبنان، ط1، 1993.
- هوبكنز. أ. ج، التاريخ الاقتصادي لإفريقيا الغربية، تق، عبد الغني سعودي، تر، أحمد فؤاد بليغ، المطابع الأميرية، القاهرة، 1998.
- مؤلف مجهول، مليانة و وليها سيدي أحمد بن يوسف (دراسة خاصة بمدينة متوسطة في الجزائر)، د.د.ن، د.م.ن، د.ت.

• المراجع الأجنبية:

- AUMASSIP .G, **Néolithique sans potteries de la region de l'Oued may (bas-sahara)**, S.M.E, Alger, 1972.
- Charles Simond , **les français en Afrique au XIX^e siècle**, Librairie d'Education de la jeunesse, Paris, S.D.
- CUNY. H , **les déserts dans le monde** , payot , Paris ,1961.
- LACÈNE Khelil El Berkani , **Au pays des Hadjoutes ou Hadjout, tribu et ville (1052-1952)**, T.1, S.M.E, S.L.E, S.D .
- LANESSAN, Jean-Louis, **L'expansion coloniale de la France , étude économique , politique et géographique sur les établissements français**, Imp. générale lahure, Paris, 1886.
- R Furon , **le Sahara (géologie, ressources, minérales, mise en valeur)**, Payot , Paris , 1957.
- RAMBAUD Alfred, **la france coloniale (histoire – géographie – commerce)**, Imp. charaire et C^{ie}, Paris, 1893.

- Yves. Henry, **Rapport sur l'exploitation du caoutchouc en Afrique occidentale française**, Imp. du gouvernement general Gorée, 1906.

3. الرسائل الجامعية:

- بن عمر الحاج إلياس ، مدينة وارجلان (دراسة في النشاط الاقتصادي و الحياة الفكرية في الفترة 4-10 هـ / 10 - 16 م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية ، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 2، الجزائر، 2008-2009.
- بن موسى موسى، الحركة الإصلاحية في بوادي سوف (نشأتها و تطورها 1900-1939)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ و الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2005-2006.
- بتقة إبراهيم ، مقاومة قبائل الطوارق للاستعمار الفرنسي في إقليم النيجر (1890-1920م)، رسالة الماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، الجزائر، 2009-2010.
- بن عمر الحاج إلياس ، مدينة وارجلان (دراسة في النشاط الاقتصادي و الحياة الفكرية في الفترة 4 - 10 هـ / 10 - 16 م)، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر، الجزائر، 2008/2009.
- جراية محمد رشدي ، الصحراء الجزائرية خلال العصر الحجري الحديث (6100 ق.م - 1000 ق.م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ و الآثار، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007/2008.
- ذكار أحمد ، حاضرة وارجلان و علاقاتها التجارية بالسودان الغربي من سنة 1591م إلى 1883م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الاجتماعية و العلوم الإسلامية، قسم التاريخ، الجامعة العقيد أحمد دراية، أدرار، 2009-2010.
- زقب عثمان ، الأوضاع الاقتصادية و الاجتماعية في منطقة وادي سوف 1918-1947 وتأثيرها على العلاقات مع تونس و ليبيا، رسالة ماجستير، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، باتنة، 2005-2006.

- عطية عبد الكامل ، التحولات السياسية و الاقتصادية في السودان الغربي بين 1750 - 1914م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2010/2009.
- قاسي مسعودة ، تجارة زيت النخيل و التنافس البريطاني و الفرنسي في خليج غينيا القرن التاسع عشر، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2010-2009.
- قريشي محمد، الأوضاع الاجتماعية للشعب الجزائري منذ نهاية الحرب العالمية الثانية إلى اندلاع الثورة التحريرية 1945-1954م، رسالة ماجستير، كلية العلوم الإنسانية، قسم التاريخ، جامعة الجزائر 02، الجزائر، 2001-2002.

4. المقالات:

● المقالات بالعربية:

- أجاوي، «إفريقيا في مطلع القرن التاسع عشر، قضايا و توقعات» ، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام (القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانيناته)، مجلد 6 ، اليونسكو ، تحت إشراف، ج.ف.آدي آجاوي، اليونسكو، ط1، 1996.
- باير . س، «الصحراء الكبرى في القرن التاسع عشر»، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام (القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانيناته)، مجلد 6 ، اليونسكو، تحت إشراف، ج.ف. آدي آجاوي، مطبعة حسيب و أولاده، لبنان، ط1، 1996.
- بلحاج ناصر ، «جوانب من المعاملات المالية بوادي مزاب في القرنين 18 و 19 الميلاديين من خلال دفاتر بعض التجار»، مقال نشر في كتاب الملتقى الوطني الثاني حول، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين الثامن عشر و التاسع عشر من خلال المصادر المحلية، مطبعة منصور ، الوادي، 2012.
- بن خليفة بلقاسم ، «واقع النشاط الاقتصادي لمجتمع وادي سوف خلال القرن التاسع عشر»، مقال نشر في كتاب أعمال الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، مطبعة منصور، الوادي، 2012.
- بن زروال جمعة ، «الرق في الجنوب الجزائري في بداية الاحتلال من خلال وثائق أرشيفية فرنسية» ، مقال نشر في كتاب الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في

- الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، مطبعة منصور ، الوادي، 2012.
- بواهن. أ. أدو ، «اتجاهات و عمليات جديدة في إفريقيا في القرن التاسع عشر»، مقال نشر في كتاب تاريخ افريقيا العام (القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانيناته) مجلد 6 ، اليونسكو، تحت اشراف، ج.ف. آدى آجايي، مطبعة حسيب و أولاده، لبنان، ط1، 1996.
- بوجلة عبد المجيد ، «التفتت السياسي للجزائر في الإستراتيجية الفرنسية و دور الثورة في الحفاظ على الوحدة الكاملة»، مقال نشر بمجلة الواحات للبحوث و الدراسات، مجلد 07 ، العدد 02، 2014.
- بوعزيز يحي ، « طريق القوافل و الأسواق التجارية بالصحراء الكبرى كما وجدها الأوروبيون خلال القرن التاسع عشر»، مقال نشر في كتاب تجارة القوافل و دورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، تحت إشراف، أحمد ابراهيم دياب، معهد البحوث و الدراسات العربية، بغداد، 1984.
- بوعزيز يحي ، «اهتمامات الفرنسيين بالطوارق و منطقة الأهقار من خلال ما كتبه»، مقال نشر بمجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، مارس 1971.
- حوتية محمد ، «توات و القوافل التجارية»، مقال نشر في كتاب طريق القوافل، مطابع عمار قربي، باتنة، 2001.
- داجيه. س ، «إلغاء تجارة الرقيق» ، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام (القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانيناته)، مجلد 6 ، تحت إشراف، ج.ف. آدى آجايي، مطبعة حسيب و أولاده، لبنان، ط1، 1996.
- الراجي خديجة ، «التجارة الصحراوية ثوابت و متغيرات»، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، جامعة ابن زهر، أكادير، د.ت.
- رجائي ريادة ، الاحتلال الفرنسي للجنوب الليبي»، مقال نشر بمجلة المؤرخ العربي، جامعة اليرموك، الأردن، د. ت.
- رمضان رابح ، «جوانب من الحياة الاجتماعية و الاقتصادية بالصحراء الجزائرية من خلال رحلة الأغواطي»، مقال نشر في كتاب الملتقى الوطني الثاني حول: الحياة الاجتماعية و الاقتصادية في الجنوب الجزائري خلال القرنين 12-13هـ/18-19م من خلال المصادر المحلية، مطبعة منصور ، الوادي، 2012.

- سعيدوني ناصر الدين ، « ورقلة و منطقتها في العهد العثماني» ، مقال نشر في مجلة الأصالة، عدد خاص عن تاريخ ورقلة-سدراتة، السنة السادسة، جانفي 1977.
- العربي إسماعيل ،«الحياة الاقتصادية و الاجتماعية عند طوارق الأهقار»، مقال نشر في مجلة الأصالة، وزارة الشؤون الدينية، الجزائر، مارس 1971.
- فاليرشتاين. أي ، «إفريقيا و الإقتصاد العالمي»، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام (القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانيناته) مجلد 6، اليونسكو، تحت إشراف، ج.ف. آدى آجايي، مطبعة حسيب و أولاده، لبنان، ط1، 1996.
- قويدر بشار ، «القوافل التجارية المغاربية (طبيعة التجارة و آثارها)» ، مقال نشر في كتاب طريق القوافل، مطابع عمار قربي، باتنة، 2001 .
- كالدويل. ج.ش ، «الآثار الاجتماعية للسيطرة الاستعمارية (المظاهر الديموغرافية)» ، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام (إفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية 1880-1935)، مجلد 7 ، اليونسكو ، تحت إشراف، أ. آدو بواهن، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، 1990.
- كساب أحمد و آخرون، « الإقتصاد الاستعماري (شمال إفريقيا)» ، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام (إفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية 1880-1935)، مجلد 7 ، اليونسكو ، تحت إشراف، أ. آدو بواهن، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت، 1990.
- كعوان فارس ، «الاستشراف الفرنسي و التراث التواتي (قراءة في رحلة عبد القادر بن أبي بكر التواتي بن هيبه الله)» ، مقال نشر بمجلة كان التاريخية الإلكترونية، السنة الرابعة، ع 12، يونيو 2011.
- كوكري . ك فيدوروفيتش، «الإقتصاد الاستعماري في المناطق الفرنسية و البلجيكية و البرتغالية السابقة (1914-1935)» ، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام (إفريقيا في ظل السيطرة الاستعمارية 1880-1935) مجلد 7، اليونسكو ، تحت إشراف، أ. آدو بواهن، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، 1990.
- م.ه. الشريف،«الاتجاهات الجديدة في المغرب العربي: الجزائر و تونس و المغرب»، مقال نشر في كتاب تاريخ إفريقيا العام (القرن التاسع عشر في إفريقيا حتى ثمانينياته) مجلد 6 ، اليونسكو، تحت إشراف، ج.ف. آدى آجايي، مطبعة حسيب و أولاده، لبنان، ط1، 1996.
- مياسي إبراهيم ، « الاهتمام الفرنسي بالصحراء» ، مقال نشر في كتاب طريق القوافل، مطابع قربي عمار، باتنة، 2001.

- هاشمي جواد رضا ، «تجارة القوافل في التاريخ العربي القديم» ، مقال نشر في كتاب تجارة القوافل و دورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر، تحت إشراف، أحمد إبراهيم دياب، معهد البحوث و الدراسات العربية، بغداد، 1984.

• المقالات بالأجنبية:

- AUGUSTIN Bernard , « **Sahara Algérien et Sahara Soudanais** », Annales de géographie, T .19, N°. 105, 1910.
- BOURGEOT André, « **Les échanges transsahariens, la Senusiya et les révoltes Twareg de 1916-17**», Cahiers d'études Africaines, Vol. 18 , N°69-70, 1978.
- BRACHET Julien , «**Le négoce caravanier au Sahara central , histoire évolution des pratiques et enjeux chez les Touaregs Kel Aïr (Niger)**», *Les Cahiers d'Outre-Mer*, ver1, 2008.
- CARCASSONNE Paul, « **Maures et Touareg** », Revue Franco-musulmane et Saharienne, 1902.
- CLANET Jean-Charles, « **Caravanes du Sahara**” Outre-mers, T. 91, N°344-345, 2^{eme} semestre 2004.
- GAUTIER Emile. F, « **Sahara Oranais** », Annales de géographie , T 12, N° 63, 1903.
- HOLSINGER. C. Donald, « **Trade routes of the Algerian Sahara in the XIXth Century** », Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée, N°30, 1980.
- Larnaude Marcel, « **Nécrologie - Augustin Bernard (1865-1947)** », Annales de Géographie, T. 57, N°305, 1948.
- MARTEL André, «**Pour une histoire du Sahara français**», Revue française d'histoire d'outre-mer, T. 55, 3^{eme} trimestre, N° 200, 1968.

- NUMA Broc , « **les Français face à l'inconnue Saharienne (géographes, explorateurs, ingénieurs 1830–1881** », Annales de géographie , T. 96, N° 535, 1987.
- PANDOLFI Paul, « **In–Salah 1904/Tamanrasset 1905 , les deux soumissions des Touaregs Kel–Ahaggar**», Cahiers d'études africaines. Vol. 38, N°149, 1998.
- PLIEZ Olivier, « **Vieux réseaux et nouvelles circulations entre les deux rives du Sahara** », Méditerranée, T. 99, 3 Avril 2002.
- SCHIRMER Henri, « **Le Touat , étude de géographie physique et économique** », Annales de Géographie, 1^{ère} année, N°. 4 , 15 juillet 1892.
- TINTHOIN Robert, « **Évolution récente de l'économie Algérienne** » , Annales de Géographie, T. 51, N° 287, 1942.

● المعجم بالعربية و الفرنسية :

- ابن منظور أبو الفضل ، لسان العرب، المجلد الرابع، دار صادر، بيروت، 1997، ص 16 .
- جورج بيار: معجم المصطلحات الجغرافية، تر. محمد الطفيلي، مر. هيثم اللمع، المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع، لبنان، ط2، 2002.
- جماعة من المختصين، معجم النفايس الكبير، تحت إشراف، أ.د. أحمد أبوحاقة، دار النفايس للطباعة و النشر و التوزيع، لبنان، ط1، 2007، ص 1957.
- Robert, (Paul), Le Petit Robert2 .Dictionnaire Universel des noms propres, Edition les dictionnaires le Robert, Paris, France. 1988.1955.



• الويبوغرافيا:

- بن علال محمد ، مقال بالموقع الإلكتروني لبلدية القليعة.

www.apcdekolea-dz.com

يوم: 25 ديسمبر 2014 ، على الساعة: 22 و 47 د

- Charles Féraud, l'archéologie et l'histoire de l'Algérie, Article sur le site: www.tabbourt.com (Bibliographie du Maghreb antique et médiéval), Le : 21 Mars 2015 , à : 21:30.

الفهارس



الصفحة

فهرس الخرائط

- 29 - خريطة توزيع القائل التجارية في الإقليمين خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر
- 33 - خريطة طرق القوافل التجارية بين المنطقتين في النصف الأول من القرن التاسع عشر
- 35 - خريطة طرق القوافل الرئيسية في غرب إفريقيا منتصف القرن التاسع عشر
- 85 - خريطة توضح مناطق إنتاج و تجارة زيت النخيل و الرقيق
- 109 - خريطة توضح الطرق التي سلكها فلاترز نحو الأزجر و الأهقار بين سنتي 1880-
1881م
- 115 - خريطة توضح المشاريع الفرنسية العابرة للصحراء
- 118 - أبجدية الطوارق كما دونها الحاج عبد القادر أبي بكر التواتي سنة 1949م
- 121 - خريطة توضح الطريق الذي سلكه الرحالة الحاج أبي بكر التواتي نحو السودان سنة
1849م
- 144 - خريطة توضح أهم التجمعات الكبرى لقبائل الطوارق
- 147 - خريطة توضح كشوفات القرن التاسع عشر
- 148 - خريطة توضح كشوفات القرن التاسع عشر
- 161 - خريطة السكك الحديدية في إفريقيا الغربية
- 231 - خريطة توضح الطرق الجديدة للتجارة الفرنسية بين مستعمراتها خلال القرن العشرين
- 261 - خريطة توضح اتجاهات قوافل الطوارق

الصفحة

فهرس الجداول

- 45 - جدول ضرائب حق العبور
- 46 - جدول أهم واردات الشرق الجزائري من أسواق كاتسنه
- 47 - جدول خاص بأهم صادرات الشرق الجزائري إلى أسواق كاتسنه
- 76 - جدول واردات المملكة المتحدة من زيت النخيل في إفريقيا الغربية
- 81 - جدول أسعار العبيد الذي يسوق عبر الصحراء خلال القرن التاسع عشر
- 83 - جدول صادرات الرقيق عبر الأطلسي خلال القرن التاسع عشر
- 95 - جدول أسعار السلع التي تصل غدامس من الشمال سنة 1856م
- 131 - جدول السلع التي ترسلها أسواق الصحراء الجزائرية و السودان نحو غات سنة 1858م



- 132 - جدول أسعار بعض السلع بغات و الجزائر سنة 1858م
- 177 - جدول تطوير نظام الفقارة التقليدي و زيادة المساحات المسقية خلال الفترة الاستعمارية
- 182 - جدول الضرائب على مالكي الجمال، الماعز و الأغنام
- 182 - جدول تطور الضرائب على النخيل في منطقة سوف خلال الفترة الاستعمارية
- 182 - جدول إحصاء شامل للمنازل و النخيل و دكاكين التجارة لغرداية سنة 1863م،
و الضرائب المفروضة عليهم
- 184 - جدول نسبة ضريبة الرؤوس و إيرادات الجمارك في إفريقيا الغربية ما بين 1928-
1935م
- 187 - جدول تطور صادرات سوف ما بين 1930-1947م
- 188 - جدول أسعار صادرات سوف ما بين 1930-1947م
- 189 - جدول واردات سوف من الحبوب بالقنطار ما بين 1930-1945م
- 190 - جدول أسعار الحبوب المستوردة من الشمال بالفرنك ما بين 1930-1945م
- 191 - جدول كميات و أسعار السكر ، القهوة و الشاي المستوردة بسوف سنة 1938م
- 193 - جدول صادرات محطة السكة الحديدية لدوفيه ما بين سبتمبر و ديسمبر لسنة 1901م
- 194 - جدول مبيعات فرنسا في مغنية و عين الصفراء لسنة 1901م
- 195 - جدول واردات فكيك خلال ثلاثة أشهر من أكتوبر إلى غاية ديسمبر 1903م
- 196 - جدول المبادلات لأسواق الجنوب الوهراني بين عامي 1908 و 1909م
- 198 - جدول تطور صادرات و واردات الجزائر حسب إحصاءات عامة للجزائر من 1831-
1890م
- 202 - جدول السلع المصدرة من مركز عين الصفراء نحو المغرب
- 202 - جدول المبادلات الفرنسية عبر الحدود مع المغرب
- 204 - جدول حجم صادرات زيت النخيل من مركز الإنتاج بالداهومي
- 205 - جدول حجم إنتاج زيت النخيل في منطقة دلتا النيجر خلال الخمسينات و الستينات من
القرن التاسع عشر
- 206 - جدول تطور حجم واردات فرنسا من مادة زيت النخيل ما بين 1850 - 1873م
- 207 - جدول أسعار زيت النخيل خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر
- 209 - جدول صادرات الفول السوداني في النصف الثاني من القرن التاسع عشر
- 210 - جدول صادرات السنغال و السودان نحو فرنسا سنة 1887م



- 212 - جدول تطور حجم صادرات إفريقيا الغربية الفرنسية ما بين 1910-1912م
- 214 - جدول تطور صادرات إفريقيا الغربية من القطن ما بين 1910-1954م
- 215 - جدول صادرات إفريقيا الغربية من البن و الكاكاو بالأطنان سنتي 1935-1936م
- 216 - جدول صادرات إفريقيا الغربية من القطن، الصمغ، العاج، الكاكاو
- 218 - جدول واردات كل من السنغال و غينيا من فرنسا سنة 1887م
- 223 - جدول إحدى تشكيلات القوافل التجارية للجنوب الوهراني متجهة نحو إقليم تينجورارين
في مطلع القرن العشرين
- 235 - جدول كمية و أسعار بعض السلع التي كانت تحملها قوافل عين الصفراء إلى توات خلال
سنتي 1899-1900م
- 235 - جدول واردات توات من قبيلة حميان ما بين 1886-1887م
- 237 - جدول أسعار و بضائع قوافل تلمسان و أولاد سيدي الشيخ نحو توات سنة 1901م
- 238 - جدول صادرات قوافل الجنوب الوهراني نحو توات
- 239 - جدول تطور المبادلات بواحات الحدود الجزائرية المغربية
- 246 - جدول واردات سوف من تونس ما بين جانفي إلى أكتوبر 1908م
- 247 - جدول تطور واردات تونس من التبغ السوفي ما بين 1906-1910م

الصفحة

فهرس المخططات البيانية

- 47 - مخطط واردات الشرق الجزائري من أسواق كاتسنة
- 49 - مخطط خاص بأهم صادرات الشرق الجزائري إلى أسواق كاتسنة
- 82 - مخطط أسعار العبيد الذي يسوق عبر الصحراء خلال القرن التاسع عشر
- 95 - مخطط أسعار السلع التي تصل غدامس من الشمال سنة 1856م
- 132 - مخطط معدلات أسعار بعض السلع بغات و الجزائر سنة 1858م
- 184 - مخطط نسبة ضريبة الرؤوس و إيرادات الجمارك في إفريقيا الغربية ما بين 1928-
1935م
- 188 - مخطط تطور صادرات سوف ما بين 1930-1947م
- 189 - مخطط أسعار صادرات سوف ما بين 1930-1947م
- 190 - مخطط واردات سوف من الحبوب بالقنطار ما بين 1930-1945م



- 191 - مخطط تطور أسعار الحبوب المستوردة من الشمال بالفرنك ما بين 1930-1945م
- 192 - مخطط كميات و أسعار السكر و القهوة و الشاي المستوردة بسوف سنة 1938م
- 194 - مخطط صادرات محطة السكة الحديدية لدوفرييه ما بين سبتمبر و ديسمبر لسنة 1901م
- 195 - مخطط مبيعات فرنسا في مغنية و عين الصفراء لسنة 1901م
- 196 - مخطط المبادلات لأسواق الجنوب الوهراني بين عامي 1908 و 1909م
- 199 - مخطط تطور صادرات و واردات الجزائر حسب إحصاءات عامة للجزائر من 1831-
1890م
- 200 - مخطط حجم المبادلات خلال الحربين العالميتين ما بين 1915-1938م
- 206 - مخطط حجم إنتاج تجارة زيت النخيل في منطقة دلتا النيجر خلال الخمسينات
و الستينات من القرن التاسع عشر
- 207 - مخطط واردات فرنسا من مادة زيت النخيل ما بين 1850-1873م
- 211 - مخطط صادرات السنغال و السودان نحو فرنسا سنة 1887م
- 213 - مخطط تطور حجم صادرات إفريقيا الغربية الفرنسية ما بين 1910-1912م
- 214 - مخطط تطور صادرات إفريقيا الغربية من القطن ما بين 1910-1954م
- 215 - مخطط تطور صادرات و واردات إفريقيا الغربية الفرنسية ما بين 1925-1955م
- 219 - مخطط واردات كل من السنغال و غينيا من فرنسا سنة 1887م
- 236 - مخطط واردات توات من قبيلة حميان ما بين 1886-1887م
- 238 - مخطط أسعار و بضائع قوافل تلمسان و أولاد سيدي الشيخ نحو توات سنة 1901م
- 239 - مخطط صادرات قوافل الجنوب الوهراني نحو توات
- 240 - مخطط تطور المبادلات بواحات الحدود الجزائرية المغربية
- 243 - مخطط حجم التبادل التجاري الداخلي لإفريقيا الغربية ما بين 1925-1955م
- 247 - مخطط تطور واردات تونس من التبغ السوفي ما بين 1906-1910م



133، 137، 153، 159، 162، 169،
170.

إفروان: 31

إفريقيا الغربية: 10، 11، 12، 14، 15، 16،
17، 18، 23، 24، 27، 28، 33، 36،
37، 39، 41، 44، 49، 50، 51، 52،
53، 54، 55، 56، 57، 60، 61، 62،
63، 66، 67، 68، 69، 71، 72، 72،
74، 76، 77، 79، 86، 116، 120،
137، 142، 145، 152، 154، 155،
156، 159، 160، 163، 167، 170،
172، 175، 177، 180، 181، 185،
204، 208، 210-222، 224-229،
240-243، 246، 252، 257، 264،
267، 271.

أفلو: 7.

أفلاش: 104

أقاديم: 31

أقبلي: 31، 32، 68، 116، 252.

أقدز: 31، 71، 72، 113، 152، 175،
226، 252.

إيلو: 34، 175، 252.

أماهور: 32

أمدغور: 26، 50، 52، 67، 107، 110،
113، 116، 224.

أمقيد: 100، 105، 106، 107، 110،
116، 157.

أنافيف: 32

فهارس الأماكن والبلدان

-أ-

أبتر: 30.

أبو عجاييه: 31، 32.

أبومي: 176، 205.

أبيجان: 159، 228.

أجرام: 63، 112.

أحير: 12، 55، 67.

إداريت إيتيجرن: 126

أدرار: 1، 6، 53، 60، 66، 112، 222،

234، 140، 143، 149.

أدرار إيفوغاس: 1، 6، 63، 149.

أرزيو: 158.

أروان: 28، 34، 63، 68، 252.

آزجر: 104، 105، 143، 149، 170.

الأزواد: 3، 66، 143، 149.

الأزواغ: 175، 179، 252.

أسيني: 172، 176.

آسيو: 107

أشوراد: 32

أغادس: 53، 67، 68، 227.

أغلاشم: 113

الأغواط: 3، 6، 7، 9، 10، 31، 44، 58،

59، 66، 67، 90، 99، 100، 102،

105، 120، 125، 126، 127، 130،



إيرفود: 5	أناقيس: 32
إيطاليا: 80، 154، 201، 220، 248، 260	الأهفار : 2، 3، 4، 6، 7، 8، 9، 22، 25، 31، 44، 45، 50، 52، 98، 100، 101، 102، 103، 105، 106، 107، 110، 111، 112، 113، 114، 120، 127، 130، 133، 141، 143، 148، 153، 159، 163، 165، 166، 168، 224، 230، 252، 263
إيغلاشن: 107	أهميدان: 60
اينفل: 111، 113	أوالن: 31
-ب-	أوبويو: 208
باتنة: 30، 158	الأوراس: 7، 51، 137، 165، 189، 191، 234، 263
باداجري: 167	أوراغن: 32، 103
باروا: 145، 146، 152، 156	أوروبا: 54، 55، 67، 73، 74، 75، 76، 217، 248، 258، 267
باريس: 54، 78، 97، 101، 105، 107	أولاد سيدي الشيخ: 2، 62، 133، 135، 136، 224، 237
133، 165، 217، 218، 271	أولاد نايل: 77، 167
باماكو: 16، 70، 142، 159، 160	آولف: 25، 31، 32، 117، 119، 143
167، 174، 222، 228، 230، 241، 252	أوليل: 53
بامبوك: 56، 83، 245	أونيتشا: 71
بجاية: 158	ايجلي: 32
بحيرة منغوغ: 103، 104	ايجيري: 107، 149
برشلونة: 51	آير: 1، 22، 30، 31، 50، 61، 63، 107، 143، 152، 171، 175، 225، 227، 252، 260
برقان: 25	
برنين: 34، 227	
بروغن: 111	
بريان: 7، 9، 182	
البريدا: 83	
بريطانيا: 72-76، 80، 132، 152	
154، 176، 220، 260، 272	
بسام الكبير: 1، 176	
بسكرة: 3، 7، 8، 30، 31، 51، 57	
67، 77، 78، 100، 101، 102، 119	



بولاما: 83	153، 159، 162، 165، 168، 171،
بونا: 71.	173، 177، 221، 226، 227، 263.
بوندوكو: 71.	بشار: 8، 9، 159، 163، 168، 173،
بونورة: 7، 183.	196، 226، 229، 230، 240، 252.
بير امغان: 120، 122.	بلما: 31، 50، 53، 241.
بئر بودمام: 31.	البنديقية: 51.
بير تانتيناها: 31، 32.	بنوي: 15، 167، 228.
بئر مراد راييس: 87.	بني عباس: 4، 8، 9، 45، 140، 141،
بير مغندن: 31، 32.	196.
بئر المهل: 31.	بني منصور: 158.
بيساو: 83.	بني ونيف: 8، 9، 173، 193، 195،
البيض: 9، 26، 32، 67، 134، 150،	197.
153، 173، 222، 223، 230.	
بيغو: 71.	بني يزفن: 7، 182.
-ت-	بنين: 83، 84، 230.
تابلبالت: 126، 128.	بهيمة: 24.
تاجمومت: 52.	بوانت نوار: 230.
تادمكة: 71، 114.	بوبو الكبير: 176، 251، 258.
التاسيلي: 2، 3، 5، 9، 107، 112،	بوبوس: 176.
113، 143، 153.	بورت: 167.
تافياللت: 66، 67، 68، 135، 136،	بورتو سيغور: 176.
201.	بورتو نوفو: 251، 258.
تاقيطونت: 98.	بورنو: 54، 78، 80، 82، 130.
تاقدامت: 138.	بوري: 56.
تاكورادي: 167.	بوسعادة: 31، 59، 66، 77، 133، 263.
تامسنة: 26.	بوسمعون: 153.
تانفوخ: 104، 130.	بوعلي: 25.
تاهوهايت: 104، 105، 107.	بوغار: 78، 234.



52، 53، 55، 63، 66، 67، 68، 69، 70، 71، 73، 77، 78، 79، 96، 113، 116، 120، 122، 123، 124، 131، 136، 143، 152، 157، 163، 167، 173، 174، 175، 221، 225-229، 249، 250، 252، 260، 261، تندوف: 6، 68، 153، 224، 231، تنزروفت: 4، 5، 32، 112، 114، 116، 120، 163، 168، 230، تنقارا: 32 توات: 2، 3، 5، 8، 9، 19، 21، 25، 26، 28، 30، 31، 32، 34، 38، 40، 44، 45، 51، 52، 59، 60، 61، 62، 63، 65، 66، 68، 69، 71، 79، 96، 101، 105، 106، 107، 112، 114، 120، 122، 123، 124، 126، 128، 129، 130-136، 140-149، 144، 150-154، 157، 173، 179، 180، 192، 193، 196، 197، 221-227، 234، 235، 237، 238، 240، 249، 252، 256، 259، 263، توسكرين: 104، 110، 126، 130، توغو: 13 تفرت: 8، 24، 30، 31، 51، 57، 58، 66، 77، 82، 89، 90، 91، 101، 102، 117، 119، 122، 123، 125، 126، 137، 140، 159، 162، 163، 168، 177، 221، 226،	تاودني: 32، 34، 52، 53، 60، 225، 227. تاويرت إيغيل: 98. تبرشات: 32 تبسة: 58، 98، 165. تبلكورة: 61، 252. تبنكورت: 32 تجنوت: 32 ترفاية: 106، 114. تسايت: 25، 26، 61. تسنيات: 112. التشاد: 1، 12، 13، 14، 27، 78، 100، 101، 143، 146، 152، 154، 158، 163، 168، 175، 229، 230، 242، 249، 267، 271، 275. تغازى: 11 تكدا: 11، 79. تلمسان: 42، 67، 136، 158، 224، 237. تليلات: 158. تماسنين: 102، 103، 104، 113، 114، 126، 128، 130، 133. تماسين: 2، 24، 30، 31، 101، 119، 122، 123. تمراست: 6، 8، 141، 262، 271. تمنيط: 26، 60، 124. تنبكتو: 14، 15، 16، 22، 28، 30، 31، 32، 34، 36، 39، 45، 46، 51،
--	---



جريبية: 103.	تونس: 1، 3، 24، 50، 57، 58، 66،
الجزائر: 1-5، 6، 8، 9، 12، 18، 26،	67، 71، 80، 81، 91، 102، 126،
37، 39، 42-47، 58، 59، 61، 63،	131، 158، 159، 162، 165، 187،
65-69، 71، 73، 77-79، 80، 81،	192، 201، 229، 233، 234، 246،
86-89، 91، 92، 97، 94-99، 100،	247، 248، 267، 273.
101، 102، 105، 106، 110، 116،	تيارت: 77، 158، 222.
117، 125، 127، 128، 130-132،	تيجيدا: 53.
135-239، 140، 141، 145، 149،	تيديكلت: 2، 5، 8، 9، 25، 26، 61،
151، 153، 155-159، 163، 165،	66، 67، 68، 117، 145، 149، 150،
166، 168، 170-172، 176، 179،	151، 153، 224، 234، 263، 264.
185، 195، 220، 222، 255، 288.	تيزي وزو: 158.
الجغبوب: 80.	تيط: 31، 32، 119، 150.
الجلفة: 3، 100، 137، 168.	تيمساو: 112، 113، 114، 116.
جني: 11، 25، 30، 32، 36، 42، 52،	تيميمون: 5، 25، 31، 32، 39، 60،
69، 71، 120، 123، 152، 174،	61، 66، 119، 124، 137، 234.
252.	تينتراين: 99، 107.
جوارى: 34، 227.	تينجورارين: 25، 26، 153، 150، 221،
جوانجا: 34، 46، 59، 227.	223.
-ح-	تندوف: 6، 58، 153، 224.
حاسي أولوغي: 113	تيوت: 153.
حاسي اينفل: 107.	-ث-
حاسي حسدة: 32.	الشماد: 31
حاسي مسقم: 106.	-ج-
حاسي منشار: 111.	جالو: 80.
حاسي الناقة: 30.	جانت: 104، 222، 227، 252.
حاسي ولد ميلود: 102، 110.	جبادو: 31.
حاسي ياكلتيس: 32.	جدوجو: 159، 228.
حاسي اليوز المالح: 32.	جربيع: 126، 129.



حجار: 12. الزاب: 4، 30، 51.

حجيرة: 102. زاريا: 34، 227.

حمدي: 111. زاوية كحلة: 111.

زلفانة: 7.

زندر: 30، 45، 50، 55، 67، 71،

113، 152، 174، 175، 177، 224،

227، 229، 230، 253، 275.

الزهرة: 136، 167.

زوزفانة: 2، 3، 8، 32، 173.

زويلة: 71.

-س-

ساحل الذهب: 27، 56، 83، 84، 175،

225، 240، 253.

ساحل العاج: 14، 16، 27، 53، 70،

83، 142، 152، 153، 159، 172،

174، 178، 208، 209، 213، 217،

228، 240، 241، 242، 251، 252،

257، 272.

سافل الفياض: 31.

ساكواتو: 174.

سانت لويس: 16، 160، 167، 174.

سانساندي: 31، 32، 120، 123.

الساورة: 2، 3، 4، 5، 8، 32، 150.

ساي: 145، 146، 152، 174، 252.

سبدو: 77، 136.

السجرة الطويلة: 111.

سطيف: 67، 158، 263.

-خ-

الخدم: 31.

خنشلة: 58.

خيثر: 32.

-د-

الدمرغو: 143، 175، 227، 253.

داهومي: 5، 16، 64، 152، 153، 159،

172، 174، 176، 204، 213، 228،

267.

دييلة: 24.

دكار: 68، 153، 159، 160، 167،

228، 230، 241.

دلدول: 26.

دلول فوغا: 53.

دمران: 103، 114.

-ر-

رأس توفريغ: 107.

رأس الشعب: 10، 31.

رأس الماء: 158.

رشاق لعطيل: 110.

رفان: 32، 60.

رقبية: 24.

الرويسات: 126، 129.

-ز-



سعيدة: 60، 61، 77، 98، 150، 158،
159، 168، 226.
سلجنا: 71.
سلوسل زنون: 126.
السماني: 104.
السنغال: 12، 13، 15، 16، 27، 36،
56، 70، 73، 78، 83، 142، 149،
151، 152، 153، 156، 159، 160،
167، 168، 169، 172، 174، 178،
180، 208، 209، 210، 211، 212،
213، 217، 218، 228، 240، 241،
242، 244، 252، 262، 267.
السودان الغربي: 10، 11، 12، 26، 69،
116، 124، 140، 220.
سوق أهراس: 158.
سوكوتو: 67، 71، 78.
سيبيريا: 155.
سيدي بلعباس: 158.
سيدي خويلد: 30.
سيراليون: 13، 14، 83، 209.
سيغو: 12، 31، 32، 120، 123، 124،
142، 176.
سينغامبيا: 83، 174.

-ص-

الصحراء: 1، 2، 3، 4، 5، 9، 11، 12،
18، 19، 20، 21، 22، 25، 29، 31،
37، 51، 52، 53، 59، 61، 65، 70،
74، 83، 84، 88، 91، 92، 96، 99،
100، 105، 108، 110، 112، 113، 120،
125، 130، 133، 134، 140، 142،
146، 149، 151، 152، 155، 157،
163، 169، 170، 172، 205، 223،
269.
الصحراء الجزائرية: 1-8، 18، 23، 25،
26، 28، 30، 37، 42، 43، 50، 52،
54، 57، 60، 64، 66، 77، 80، 88،
91، 96، 97، 116، 117، 118، 124،
132، 139، 141، 144، 154، 155، 156،
157، 158، 163، 169، 172، 174،
178، 181، 201، 203، 222، 225،
241، 248، 250، 253، 256، 258،
261، 272، 273.
الصحراء الغربية: 1، 14، 20.
الصحراء الكبرى: 1، 11، 12، 14، 24،
33، 53، 54، 65، 68، 70، 72، 84.

-ش-

الشارف: 31
شط الجريد: 164، 165، 166.
شط الحضنة: 166.
شط عسلوج: 165.



عين الصفراء: 9، 26، 32، 60، 61،
153، 158، 173، 193، 194، 195،
196، 202، 222.

عين طيبة: 103، 126، 129.

-غ-

الغابون: 175.

غات: 24، 30، 31، 41، 52، 61، 66،
67، 68، 70، 96، 97، 102، 103،
104، 106، 107، 122، 124، 125،
126، 127، 128، 130، 131، 132،
137، 158، 221، 226، 227، 248،
264، 265.

غاليناس: 175.

غامبيا: 12، 15، 16، 70، 72، 75، 83،
174، 252.

غانا: 13، 28، 56، 225.

غاو: 12، 32، 36، 71، 86، 113.

163، 168، 222، 226، 228، 229،
230.

غايا: 175، 252.

غدامس: 2، 23، 24، 30، 31، 45، 52،
58، 65، 66، 67، 68، 69، 70، 71،
81، 89، 90، 91، 92، 93، 94، 95،
96، 97، 100، 102، 104، 106،
116، 125، 126، 127، 128، 130،
134، 142، 157، 158، 171، 221،
222، 226، 227، 246، 248، 252،
260.

91، 154، 155، 164، 237، 242،
244، 253، 254، 256، 259، 264.

-ض-

الضايات: 7.

-ط-

طرابلس: 61، 69، 70، 71، 78، 80،
91، 96، 100، 106، 116، 127،
128، 170، 173، 175، 227، 246،
253، 259.
الطيبات: 30.
طير: 126.

-ع-

العافر: 30.

عسلة: 153.

العطف: 7، 9، 182.

عميش: 24، 30.

عين تموشنت: 158.

عين الحجاج: 104، 126، 130.

عين زلمان تيخسين: 107.

عين صالح: 6، 9، 23، 24، 25، 31،

32، 61، 66، 71، 103، 106، 111،
114، 115، 116، 119، 134، 137،
141، 146، 148، 150، 151، 153،
173، 177، 183، 222، 227، 252،
259، 260.



فولتا العليا: 12، 27، 153، 159، 228،
241، 267.
الفيض: 30.

-ق-

قالمة: 158.
قواررة: 2، 3، 5، 8، 60، 61، 62، 138،
139، 177، 196، 263، 264.
قابس: 65، 164، 165، 166، 222،
246، 248.
قسطنطينة: 30، 50، 57، 67، 89، 90،
96، 97، 98، 101، 119، 158، 159،
165، 168، 221، 226.
قصر جنون: 126.
القليعة: 106، 114، 119، 122، 123،
126، 129، 177.
قمار: 24، 30.

-ك-

كاتسنا: 30، 46، 63، 78.
الكاف أم تابول: 158.
كال: 90.
كالابار: 167.
كالفلي: 176، 205.
الكاميرون: 13، 83.
كانكن: 160، 228.
كاسم: 10، 145، 175، 227، 266.
كانو: 30، 34، 54، 55، 63، 67، 71،
72، 113، 176، 177، 252، 253،
256.

غرداية: 6، 7، 9، 10، 24، 25، 31،
59، 60، 61، 65، 66، 67، 68، 153،
162، 177، 182، 221، 222، 227،
269، 158، 159، 160، 161، 162،
163، 164، 165، 166، 167، 168، 169،
170، 171، 172، 173، 174، 175، 176،
177، 178، 179، 180، 181، 182، 183،
184، 185، 186، 187، 188، 189، 190،
191، 192، 193، 194، 195، 196، 197،
198، 199، 200، 201، 202، 203، 204،
205، 206، 207، 208، 209، 210، 211،
212، 213، 214، 215، 216، 217، 218،
219، 220، 221، 222، 223، 224، 225،
226، 227، 228، 229، 230، 231، 232،
233، 234، 235، 236، 237، 238، 239،
240، 241، 242، 243، 244، 245، 246،
247، 248، 249، 250، 251، 252، 253،
254، 255، 256، 257، 258، 259، 260،
261، 262، 263، 264، 265، 266، 267،
268، 269، 270، 271، 272، 273، 274،
275، 276، 277، 278، 279، 280، 281،
282، 283، 284، 285، 286، 287، 288،
289، 290، 291، 292، 293، 294، 295،
296، 297، 298، 299، 300، 301، 302،
303، 304، 305، 306، 307، 308، 309،
310، 311، 312، 313، 314، 315، 316،
317، 318، 319، 320، 321، 322، 323،
324، 325، 326، 327، 328، 329، 330،
331، 332، 333، 334، 335، 336، 337،
338، 339، 340، 341، 342، 343، 344،
345، 346، 347، 348، 349، 350، 351،
352، 353، 354، 355، 356، 357، 358،
359، 360، 361، 362، 363، 364، 365،
366، 367، 368، 369، 370، 371، 372،
373، 374، 375، 376، 377، 378، 379،
380، 381، 382، 383، 384، 385، 386،
387، 388، 389، 390، 391، 392، 393،
394، 395، 396، 397، 398، 399، 400،
401، 402، 403، 404، 405، 406، 407،
408، 409، 410، 411، 412، 413، 414،
415، 416، 417، 418، 419، 420، 421،
422، 423، 424، 425، 426، 427، 428،
429، 430، 431، 432، 433، 434، 435،
436، 437، 438، 439، 440، 441، 442،
443، 444، 445، 446، 447، 448، 449،
450، 451، 452، 453، 454، 455، 456،
457، 458، 459، 460، 461، 462، 463،
464، 465، 466، 467، 468، 469، 470،
471، 472، 473، 474، 475، 476، 477،
478، 479، 480، 481، 482، 483، 484،
485، 486، 487، 488، 489، 490، 491،
492، 493، 494، 495، 496، 497، 498،
499، 500، 501، 502، 503، 504، 505،
506، 507، 508، 509، 510، 511، 512،
513، 514، 515، 516، 517، 518، 519،
520، 521، 522، 523، 524، 525، 526،
527، 528، 529، 530، 531، 532، 533،
534، 535، 536، 537، 538، 539، 540،
541، 542، 543، 544، 545، 546، 547،
548، 549، 550، 551، 552، 553، 554،
555، 556، 557، 558، 559، 560، 561،
562، 563، 564، 565، 566، 567، 568،
569، 570، 571، 572، 573، 574، 575،
576، 577، 578، 579، 580، 581، 582،
583، 584، 585، 586، 587، 588، 589،
590، 591، 592، 593، 594، 595، 596،
597، 598، 599، 600، 601، 602، 603،
604، 605، 606، 607، 608، 609، 610،
611، 612، 613، 614، 615، 616، 617،
618، 619، 620، 621، 622، 623، 624،
625، 626، 627، 628، 629، 630، 631،
632، 633، 634، 635، 636، 637، 638،
639، 640، 641، 642، 643، 644، 645،
646، 647، 648، 649، 650، 651، 652،
653، 654، 655، 656، 657، 658، 659،
660، 661، 662، 663، 664، 665، 666،
667، 668، 669، 670، 671، 672، 673،
674، 675، 676، 677، 678، 679، 680،
681، 682، 683، 684، 685، 686، 687،
688، 689، 690، 691، 692، 693، 694،
695، 696، 697، 698، 699، 700، 701،
702، 703، 704، 705، 706، 707، 708،
709، 710، 711، 712، 713، 714، 715،
716، 717، 718، 719، 720، 721، 722،
723، 724، 725، 726، 727، 728، 729،
730، 731، 732، 733، 734، 735، 736،
737، 738، 739، 740، 741، 742، 743،
744، 745، 746، 747، 748، 749، 750،
751، 752، 753، 754، 755، 756، 757،
758، 759، 760، 761، 762، 763، 764،
765، 766، 767، 768، 769، 770، 771،
772، 773، 774، 775، 776، 777، 778،
779، 780، 781، 782، 783، 784، 785،
786، 787، 788، 789، 790، 791، 792،
793، 794، 795، 796، 797، 798، 799،
800، 801، 802، 803، 804، 805، 806،
807، 808، 809، 810، 811، 812، 813،
814، 815، 816، 817، 818، 819، 820،
821، 822، 823، 824، 825، 826، 827،
828، 829، 830، 831، 832، 833، 834،
835، 836، 837، 838، 839، 840، 841،
842، 843، 844، 845، 846، 847، 848،
849، 850، 851، 852، 853، 854، 855،
856، 857، 858، 859، 860، 861، 862،
863، 864، 865، 866، 867، 868، 869،
870، 871، 872، 873، 874، 875، 876،
877، 878، 879، 880، 881، 882، 883،
884، 885، 886، 887، 888، 889، 890،
891، 892، 893، 894، 895، 896، 897،
898، 899، 900، 901، 902، 903، 904،
905، 906، 907، 908، 909، 910، 911،
912، 913، 914، 915، 916، 917، 918،
919، 920، 921، 922، 923، 924، 925،
926، 927، 928، 929، 930، 931، 932،
933، 934، 935، 936، 937، 938، 939،
940، 941، 942، 943، 944، 945، 946،
947، 948، 949، 950، 951، 952، 953،
954، 955، 956، 957، 958، 959، 960،
961، 962، 963، 964، 965، 966، 967،
968، 969، 970، 971، 972، 973، 974،
975، 976، 977، 978، 979، 980، 981،
982، 983، 984، 985، 986، 987، 988،
989، 990، 991، 992، 993، 994، 995،
996، 997، 998، 999، 1000.

-ف-

فاس: 22، 43.
فرنسا: 51، 54، 61، 72، 73، 74، 76،
77، 79، 80، 83، 86، 92، 97، 98،
100، 107، 117، 120، 125، 127،
128، 132، 133، 134، 137، 140،
141، 142، 143، 145، 149، 150،
151، 153، 154، 155، 156، 157،
158، 159، 160، 167، 169، 170،
172، 173، 175، 181، 182، 193،
197، 199، 203، 205، 208، 213،
214، 220، 244، 248، 256، 269،
275.
فزان: 9، 26، 71، 131.
فكيك: 2، 3، 8، 9، 32، 66، 67،
153، 193، 195، 196، 233، 234،
252.



كاولاك: 174، 252.

كايس: 160.

كبي: 53

كتنامبو: 71

كلوي أزيان: 108

كمفوسة: 107

كنتة: 120، 136.

كندا: 155.

كوار: 63.

كوت ديفوار: 176.

كوتونو: 159، 172، 176، 228،

230.

الكودية: 107، 111.

كوروسا: 229، 230.

كوكيا: 145.

كومي: 34، 227.

كوناكري: 228، 229، 230.

الكونغو: 15، 75، 159، 228، 230.

كونين: 30.

الكيتيس: 143.

كيرتاشي: 175، 252.

-ل-

لاجوس: 13، 225، 233، 245.

اللفحات: 31.

لقرارة: 7، 9، 67.

لمدية: 31، 59، 168.

لمويلح: 129.

لندن: 78، 218.

لوبي: 56.

ليبيا: 1، 22، 67، 71، 106، 158،

227، 259، 267، 268، 271.

ليبيريا: 13، 14، 41، 180.

-م-

مالي: 1، 3، 11، 14، 27، 56، 69،

142، 143، 152، 153، 255، 271،

224، 241، 242، 249، 260، 267.

المبروك: 31، 32، 120.

متليلي: 7، 9، 10، 23، 24، 25، 26،

31، 59، 65، 66، 67، 102، 119،

123، 134، 140، 220، 263.

مجيحة: 103.

مخنزة: 114.

مدغشقر: 230.

مراقن: 32

مرزق: 71، 80، 127، 255.

مرسيليا: 125، 136، 156.

مسيكة: 126.

مشري العاتن: 111.

مشرية: 26، 60، 61، 153، 222، 234،

237.

مصر: 1، 10، 11، 22، 69، 81، 128،

130، 131.

مطماط: 31، 119، 165.

معسكر: 2، 32، 59، 89، 138.

المغرب الأقصى: 1، 11، 61، 250.

مغزاتن: 103.



- نهر السنغال: 12، 15، 16، 56، 73، 78، 160، 244.
نهر الشلف: 164.
نهر غامبيا: 16، 72.
نهر الفولتا: 16، 36، 210.
نهر الكازامانس: 15.
نهر النيجر: 12، 15، 16، 28، 34، 36، 53، 56، 69، 72، 78، 143، 145، 146، 152، 172، 174، 228، 244، 252.
نيامي: 71، 163، 168، 175، 222، 229، 230.
النيجر: 1، 3، 12، 13، 14، 15، 27، 34، 50، 101، 112، 113، 114، 143، 145، 151، 153، 157، 159، 160، 167، 168، 175، 178، 213، 224، 236، 237، 238، 245، 246، 253، 270، 273.
نيجيريا: 12، 13، 28، 41، 70، 180، 225، 227، 241، 242، 268.
- ه-
- هانباري: 123.
الهوسا: 13، 23، 28، 34، 67، 81، 83، 107، 116، 131، 153، 176، 233، 245، 255.
- و-
- وادي الأبيض: 7، 122.
وادي أزويل: 7
- مغنية: 194، 134، 195، 196.
مقيم القفول: 111.
ملقط السياب: 106.
مليكة: 7، 9، 183.
منغوغ: 103، 104.
المنقب: 32.
المنيعه: 2، 4، 10، 23، 31، 51، 59، 60، 65، 66، 134، 135، 150، 151، 153.
موريتانيا: 1، 4، 14، 16، 242.
موغادور: 173.
مويدر: 112، 113، 116، 130، 149.
ميات نخل فركنة: 111.
ميلان: 51.
- ن-
- نزيمان: 111.
نغيممي: 175.
نفرة: 126، 129.
نفطة: 162.
نفيس: 25.
نقرين: 162، 227.
نقوسة: 7، 8، 9، 25، 31، 102، 119، 126، 129.
النمامشة: 165، 189، 234، 243.
نهر بنوي: 15.
نهر تامرنة: 92.
نهر الداھومي: 15.



- وادي أمزي: 7.
وادي أودن: 107.
وادي أولوغي: 112.
وادي أيتزونتن: 130.
وادي ايتل: 122.
وادي إيغرغار: 8، 102، 110، 112، 166.
وادي ايليزي: 126.
وادي اينماجن: 114.
وادي بالوح: 7.
وادي بسكرة: 7، 51.
وادي بوثة: 116.
وادي البيوض: 110.
وادي تاجران: 126، 130.
وادي تاجرت: 107.
وادي تاخمالت: 130.
وادي تارات: 126، 129.
وادي تانفوخ: 104.
وادي تمنراست: 8.
وادي تنرسال: 112.
وادي توزوز: 7.
وادي توسكرين: 104.
وادي تيجوجلت: 126.
وادي تيخسين: 126.
وادي تيفمي: 111.
وادي جدي: 7.
وادي جقران: 112.
وادي الحجاج: 111.
وادي حساني: 112.
وادي الرطب: 136.
وادي رهير: 113.
وادي ريغ: 7، 8، 9، 58، 92، 153، 164، 177.
وادي زرقون: 8، 24.
وادي زقير: 5، 7.
وادي زميلة: 106.
وادي زوزفانة: 2.
وادي سامن: 104.
وادي الساورة: 4، 7، 32، 150.
وادي سميهري: 103.
وادي سوف: 2، 3، 7، 8، 9، 24، 30، 31، 51، 77، 91، 92، 112، 153، 186، 259.
وادي الشلف: 269.
وادي شناشن: 8.
وادي الصغير: 112.
وادي الطلح: 122.
وادي عبيدي: 7.
وادي العرب: 7.
وادي علندة: 112.
وادي عيطلو: 112.
وادي غلثة: 112.
وادي غير: 8.
وادي فورارة: 5.
وادي القنطرة: 7.
وادي لسود: 129.



-ي-

يورى: 34.

فهرس الأعلام

-أ-

ابن حوقل: 10.

ابن خلدون: 10.

أحمد بن التواتي: 94.

أحمدو شيخو: 175.

أخاموخ: 271.

أرشينارد: 210.

الأغواطي: 7، 10، 44، 55، 58، 60،

117.

إهتاغن: 105.

أوغستين: 2.

أوفروانغ: 78.

أوقيست بوميل: 165.

أوكونور: 173.

ايخنوخن: 97، 103، 104، 105، 106،

126، 127، 133، 170، 171.

-ب-

بارث هنري: 78.

بارك منغو: 15، 72.

باروا: 156.

باسعيد عيسى بن قاسم البرياني: 224.

بالات: 145، 150.

وادي لعديرة: 7.

وادي لمنو: 104.

وادي ماسين: 111.

وادي متليلي: 7.

وادي مسدلي: 111.

وادي مسيد: 112.

وادي مقيدم: 135.

وادي منتفة: 111.

وادي ميزاب: 7، 23، 30، 51، 162،

222، 227.

وادي ميه: 103، 166.

وادي الناموس: 8، 26.

وادي النسا: 5، 7.

والن: 32.

وجدة: 67.

وڭاي: 80، 145.

ورقلة: 2، 3، 4، 5، 7، 9، 24، 30، 31،

44، 51، 52، 58، 60، 65، 66، 67،

71، 77، 79، 86، 99، 100، 101،

102، 103، 105، 106، 107، 110،

112، 113، 114، 116، 119، 123،

126، 129، 134، 137، 140، 143،

146، 153، 157، 159، 162، 163،

168، 177، 220، 221، 222، 226،

227، 230.

ولان: 31، 32، 119.

الولايات المتحدة الأمريكية: 208.

وهران: 67، 136، 150، 158، 230.



-ج-	باور: 245.
الجباري: 117.	بارجيس: 124.
جونار شارل: 149.	برينجر: 101، 107، 149.
-ح-	بروسلار: 149، 156.
الحاج البشير: 117، 136.	بروكان: 175.
الحاج جبور: 170.	البكري: 10، 129.
الحاج عبد القادر ابو بكر التواتي: 118.	بلونيس: 271.
حجي عبد الحميد باي: 117.	بن علال: 88، 89.
حمزة (خليفة): 133، 134، 135.	بنجر: 53.
حمزة بوبكر: 270.	بواسوني: 117، 119، 124.
-د-	بوديشون: 77، 273.
داتانو برنار: 148.	بوران: 150.
درشر سيمور: 86، 250.	بورتون ريتشارد: 205.
دريكافيس: 149.	بوضربة اسماعيل: 88، 117، 124، 125،
دو بونشال: 99.	173.
دو فريسين: 101.	بولونياك: 170.
دوفيرييه: 6، 120، 132، 133، 134،	بونمان: 87، 88، 89، 90، 91، 97،
156، 165، 193، 274.	125، 273.
دوكولومب: 150.	بووي ويلومز: 172.
دولاسب: 128.	بويان: 157.
دوليسبس: 164، 165، 166.	بويي ويلامي: 172.
دوماس: 2، 77، 117.	بيتريكس: 149.
دي فوكو شارل: 134، 140، 141،	بيجو: 138، 140.
164.	بيسي: 149.
دي ليستر: 165.	-ت-
ديپورتر: 61.	تشامبرلين: 209.
ديغول: 166، 271.	توتان: 252.
	توتيه: 145.



ديفو (كولونال): 89.

دينو: 141.

-ر-

راندون (مارشال): 89، 93، 97، 125.

رشادسون جيمس: 78.

رودير فرانسوا: 165، 166.

روش: 101، 107، 110، 138، 263.

رولاند: 4، 156.

رولف جيرار: 150.

ريبو: 151.

-س-

سباتاي: 157، 264.

سانجو أوسيفور ليبولد: 142.

ستيف: 149.

سعيد بن ادريس: 137.

سي أحمد بن حمزة: 135، 136، 137.

سي لعلا: 135، 136.

سي محمد الصغير: 102.

سي معمر بن حاج علي: 102.

سيلاكس: 164.

-ش-

شانوان جوليان: 146.

شوازي: 156.

الشيخ بن الطيب: 135.

الشيخ عثمان: 97، 126، 170.

-ص-

صغير بن الشيخ: 104.

صوليه بول: 150.

-ط-

طاري هارولد: 140.

-ع-

عبد القادر (الأمير): 88، 138، 166،

167.

عثمان بن الحاج البكري: 133.

عصمان باي: 91.

عمر الحاج: 170.

-غ-

غاليبي: 172.

غوتيه: 2.

-ف-

فلاترز: 21، 98-107، 110، 112،

113، 114، 115، 120، 129، 133،

145، 146، 166، 274.

فلامون: 146.

فتور دو باراديز: 54.

فورني: 100، 149.

فورو: 146، 149، 150، 175.

فولتير: 74.

فولي بول: 146.

فيجيرير: 157.

فيرديه آرثر: 178.

فيرو شارل: 77، 106، 140.

فيرومنتين: 58.

-ك-



هورن مان: 72.
هيروودوت: 40، 164، 268.
هيوتون: 72.

-و-

الوزان: 15، 20، 40، 41، 71، 79.

كاروت: 65، 66، 77.
كاسون بول: 149.
كامبون جول: 140.
كاييه روني: 73.
كلايرتون: 64.
كوسون: 165.

-ل-

لابرين هنري: 140، 141.
لاتام: 210.
لافيجري: 142.
لامي: 146، 149، 175.
لورو: 175.
لوكاس وليد بارد: 72.
لويس الرابع عشر: 73، 152.

-م-

ماج: 156.
ماصو: 107.
محمد بن سليمان الكردي: 139.
محمد الطيب: 117.
موتيلانسكي: 179.
مونتاي: 145.
ميرشار: 170، 171.
ميري: 145.

-ن-

نابليون الثالث: 78.

-ه-

هورست: 146.



فهرس الموضوعات

شكر خاص

الإهداء

مختصرات

أ-ز مقدمة

01 مدخل

الفصل الأول : العلاقات التجارية بين الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية قبيل

الاحتلال الفرنسي لهما (1800-1850م)

18 المبحث الأول: القوافل التجارية و مسالكها

18 1. خصائص و مميزات القوافل التجارية

24 2. القوافل التجارية للصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية

30 3. مسالك القوافل التجارية

37 المبحث الثاني: عناصر التبادل التجاري

37 1. وسائل التبادل التجاري

40 2. نظم التعامل التجاري و أهم العملات المستعملة

45 3. الأسعار

50 4. السلع و البضائع المتبادلة

50 أ. سلع الصحراء الجزائرية

54 ب. سلع إفريقيا الغربية

57 المبحث الثالث: التجارة الداخلية و الخارجية للإقليمين

57 1. التجارة الداخلية

57 أ. أسواق الصحراء الجزائرية

62 ب. أسواق إفريقيا الغربية

63 ج. التنظيمات التجارية و الوسطاء التجاريون

65 2. التجارة الخارجية

72 المبحث الرابع: الدوافع الحقيقية للاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية



و إفريقيا الغربية

- 72 1. أسباب تأخر فرنسا عن المنافسة الأوروبية في إفريقيا
- 73 2. دوافع اهتمام فرنسا بالإقليمين
- 73 أ. تحولات التجارة التقليدية في غرب إفريقيا
- 76 ب. احتلال الجزائر
- 79 3. قوانين إلغاء الرقيق و تطبيقاته :
- 79 أ. عبر الصحراء
- 83 ب. عبر المحيط الأطلسي

الفصل الثاني : مظاهر الاهتمام الفرنسي بالصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية (1850-1914م)

المبحث الأول: رحلة بونمان و دورها في عملية الكشف التجاري

- 87 للصحراء
- 87 1. التعريف بصاحب الرحلة
- 90 2. ظروف و دوافع الرحلة
- 93 3. أهمية الرحلة تجاريا و نتائجها

المبحث الثاني: مهمتا الكولونال Flatters نحو الأهقار و دورهما في

- 98 الكشف الجغرافي للصحراء
- 98 1. التعريف بصاحب الرحلة
- 99 2. ظروف و دوافع الرحلة
- 110 3. أهمية الرحلة جغرافيا و تقنيا و نتائجها

المبحث الثالث: استثمار السلطات الفرنسية للجزائريين في مهمة

- 117 اختراق الصحراء
- 117 1. رحلة الحاج عبد القادر أبو بكر التواتي نحو السودان
- 117 أ. ظروف و دوافع الرحلة
- 122 ب. أهمية الرحلة جغرافيا و اقتصاديا



125 2. رحلة إسماعيل بوضربة إلى غات
125 أ. التعريف بصاحب الرحلة
126 ب. ظروف و دافع الرحلة
128 ج. أهمية الرحلة جغرافيا و تجاريا
133	المبحث الرابع: توظيف البعد الثقافي و العسكري لاختراق الصحراء.
133 1. توظيف البعد الثقافي لأغراض استعمارية
 أ. استغلال و استمالة بعض القيادات و شيوخ الطرق الصوفية لاختراق
133 الصحراء
138 ب. مشروع إبطال فريضة الجهاد و الهجرة
140 ج. الإرساليات التبشيرية و دورها الاستعماري
143 2. دوافع اهتمام فرنسا ببلاد الطوارق و توات
143 أ. الطوارق
150 ب. توات
152 3. احتلال الصحراء الجزائرية و إفريقيا الغربية
	الفصل الثالث: المشاريع الفرنسية و أنشطتها التجارية (1850-1945م).
155 المبحث الأول: المشاريع المسطرة للنقل و اختراق الصحراء
155 1. طرق النقل البري
155 أ. مد خطوط السكك الحديدية
162 ب. تعبيد الطرق
164 2. النقل البحري
164 أ. مشروع البحر الداخلي (مشروع خليج قابس)
167 ب. النقل النهري
168 3. عراقيل استكمال المشاريع العابرة للصحراء
169 المبحث الثاني: السياسة التجارية الفرنسية بالإقليمين
169 1. الوسائل القانونية لتثبيت التجارة الفرنسية بالإقليمين
169 أ. الاتفاقيات و المعاهدات



173	ب. الوكالات و المراكز التجارية
176	2. الاهتمام بالمحاصيل النقدية
179	3. وسائل التبادل التجاري
181	4. نظام الجمارك و الضرائب
186	المبحث الثالث: الحركة التجارية في الصحراء الجزائرية
186	1. المبادلات التجارية الداخلية
186	أ. أسواق شرق الصحراء (منطقة سوف نموذجا)
192	ب. أسواق غرب الصحراء
197	2. المبادلات التجارية الخارجية
197	أ. المبادلات مع فرنسا
201	ب. المبادلات مع المغرب
203	ج. المبادلات مع غرب إفريقيا
204	المبحث الرابع: الحركة التجارية في إفريقيا الغربية
204	1. صادرات إفريقيا الغربية
204	أ. الفترة ما بين: 1850-1900
212	ب. الفترة ما بين 1900-1945
217	2. واردات إفريقيا الغربية الفرنسية
الفصل الرابع: واقع العلاقات التجارية بين صفتي الصحراء الجزائرية و تحولات	
الاهتمام الفرنسي (1900-1945م).	
220	المبحث الأول: واقع القوافل التجارية و طرقها
220	1. القوافل التجارية
220	أ. القوافل الجزائرية
225	ب. قوافل إفريقيا الغربية
226	2. الطرق
226	أ. الطرق الداخلية بالجزائر
227	ب. الطرق الداخلية لإفريقيا الغربية الفرنسية



228	ج. الطرق المستحدثة عبر الصحراء الجزائرية و المحيط الأطلسي
233	المبحث الثاني: واقع التجارة الداخلية و الخارجية.
233	1. واقع التجارة الداخلية
233	أ. المبادلات الداخلية
244	ب. الوسطاء التجاريون
246	2. واقع التجارة الخارجية
246	أ. المبادلات الخارجية
252	ب. المراكز التجارية
254	المبحث الثالث: نتائج السياسة الفرنسية على الإقليمين
254	1. نتائج سياسية
254	أ. سياسة الحكم المباشر
255	ب. الآثار السياسية لمؤتمر برلين
256	2. نتائج اقتصادية
256	أ. تحول التجارة التقليدية
268	ب. نظام الاتحاد الجمركي
259	ج. المنافسة التجارية عبر الصحراء الكبرى (الآثار الاقتصادية لمؤتمر برلين) ...
262	د. الاتفاقيات
262	3. نتائج اجتماعية و ثقافية
	المبحث الرابع: تحولات الاهتمام الفرنسي بالإقليمين بعد عام
	1945م.
266	1. آثار الحرب العالمية الثانية
266	أ. على الجزائر و إفريقيا الغربية
268	ب. على فرنسا
269	2. السياسة الاقتصادية الجديدة لفرنسا بالإقليمين بعد الحرب العالمية الثانية
269	أ. الصحراء الجزائرية
271	ب. أفريقيا الغربية



273 خاتمة
277 الملاحق
281 قائمة المصادر و المراجع
295 فهرس الخرائط و الجداول و المخططات البيانية
299 فهرس الأماكن و البلدان
311 فهرس الأعلام
315 فهرس الموضوعات